

للإمام القاضي

أبي الحسن علي بن أبي العز الحنفي

(٧٣١ - ٧٩٢هـ)
رحمه الله تعالى

قدم له

فضيلة الشيخ العلامة

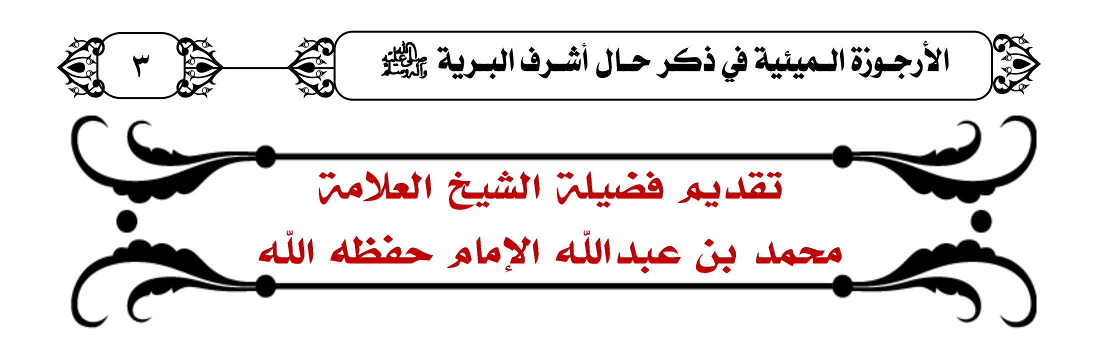
محمد بن عبد الله الإمام

حفظه الله ورعاه

كتبها

أبو عبد الرحمن رشاد بن عبد الله القدسي

حفظه الله ورعاه



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أما بعد:

فبين يدي كتاب "الدرر البهية في شرح نظم الأرجوزة الميئية" لشارحها الشيخ الفاضل رشاد بن عبدالله القدسي، وقد تصفحت هذا الشرح فوجدته شرحًا قَيِّمًا، يفي بالغرض، ويتحقق به المقصود، فصار الشرح المذكور نافعًا.

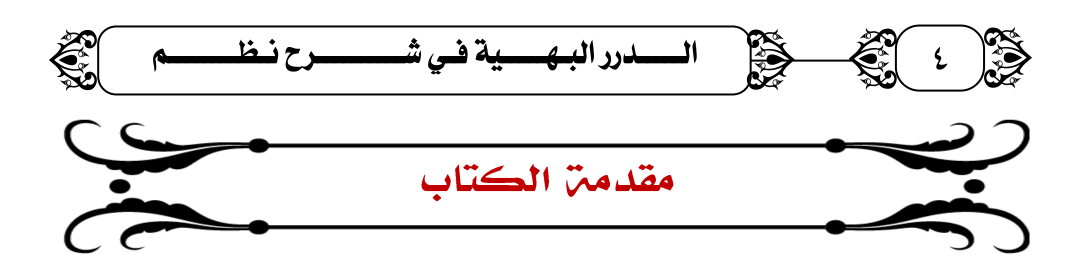
والشيخ رشاد له مؤلفاتٌ قَيِّمَة ونَافِعَة فهو أهلٌ لأن يواصل في التأليف.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

وكتبه

محمد بن عبدالله الإمام

٩ محرم ١٤٤٢هـ



مقدمة الكتاب

إنَّ الحَمدَ لله، نَحمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونَستغفره، ونَعُوذ به من شُرُور أَنفسنا، وسيئات أعمالنا، مَن يَهدِ الله فَلَا مُضلَّ له، ومَن يُضلل فلا هاديَ له، وأَشهَد أَن لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وأَشهد أَنَّ مُحَمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ﷺ، أما بعد:

فمن البديهيّ أن تهتم كلّ أمةٍ بتاريخ قادتها وعظمائها، لما في ذلك من حفظ لتاريخها، ودعمٍ لأصالتها، ويشمل ذلك أمة الإسلام التي أولت عناية خاصة بدراسة سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ونقلها للأجيال وحرصوا على معرفة كلّ صغيرةٍ وكبيرةٍ فيها ويرجع السبب في ذلك إلى حبّهم الشديد لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتعلّقهم به، ولما فهموا من قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

فكانوا يحفظونها كما يحفظون القرآن الكريم، ويتوارثون تعليمها جيلاً بعد جيلٍ، وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَرْوُون ما شهدوه وعايشوه من أخبار وأحوال ومغازي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وينقلونها بكلّ فخرٍ واعتزازٍ إلى التابعين، الذين قاموا بنقلها إلى رجال التدوين، فحفظوها بكلّ تفاصيلها، ونقلوها للأجيال اللاحقة، وقد كانت السيرة النبوية في البدايات تُروى من قبل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كجزءٍ من الحديث النبوي الشريف، وعلى الرغم من انفصال علم السيرة النبوية عن علم الحديث، حيث أصبح للسيرة علماؤها ومؤلفوها، إلّا أنّ كتب الحديث بقيت تشمل مغازي رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومناقبه، ومناقب أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وتتابع العلماء على العناية بنظم أحداثها، ومن أنفع هذه المنظومات هذا النظم الكريم للإمام القاضي علي بن علي المشهور بابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ في مائة بيت في السيرة، شاملة لأصول أحداثها، متسلسلة في معانيها، عذبة في ألفاظها، واضحة في كلماتها، خالية من التكلف والحشو الذي لا طائل معه، فاستحقت بذلك

العناية والاهتمام، لتكون قاعدة متينة لطلاب العلم في هذا الفن العظيم.

ومن هنا تقرر لدي تدريسها لطلابنا في مسجد البر مع الإلزام لهم بحفظها فأثمرت خيرًا كثيرًا، وحفظها الكبار والصغار بحمد ربنا الكريم الوهاب المتعال، ثم بدا لي إخراج هذا الشرح المتواضع الذي ألقي في دروس صوتية تم تهذيبها والزيادة عليها.

فتوسطت شرحا، محيلا من أراد الازدياد إلى مواقع الحديث عن الحَدَثِ، وأضفت - في النادر- ما لا بد منه مما فات الناظم ذكره؛ مما له علاقة مباشرة بالحدث المنظوم.

وسمته: "الدرر البهية في شرح نظم الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية ﷺ"، واللَّهَ أسأل أن ينفع به كما نفع بأصله، ونسأله القبول للقول والعمل، والحمد لله رب العالمين.

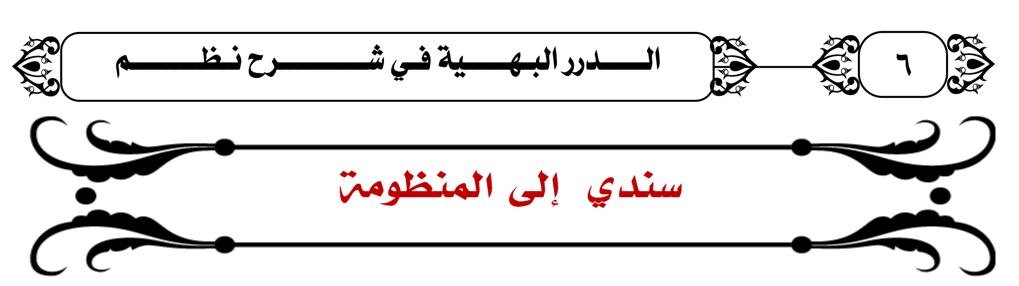
أبو عبدالرحمن رشاد بن عبدالله القدسي

وفقه الله

مسجد البر- الحديدة

تم الانتهاء من مراجعته وتبييضه صبيحة يوم القَرِّ ١٤٤١هـ





سندي إلى المنظومة

أرويها عن الشيخ العلامة المحدث يحي بن عثمان عظيم آبادي عن الشيخ العلامة عبيدالله بن عبدالرحمن المباركفوري عن الشيخ العلامة المحدث الكبير أحمدَ الله بن أمير القَرشي الدهلوي عن الشيخ العلامة حسين بن محسن الأنصاري عن الشيخ العلامة الحسن بن عبدالباري الأهدل عن الشيخ العلامة الوجيه عبدالرحمن بن سليمان الأهدل عن والده الشيخ العلامة سليمان بن يحي بن عمر الأهدل عن الشيخ العلامة أحمد بن محمد شريف مقبول الأهدل عن مسند اليمن الشيخ العلامة يحي بن عمر مقبول الأهدل عن مسند الحجاز الشيخ العلامة الحسن بن علي العُجيمي عن الشيخ العلامة عبدالغني النَّابُلُسي عن والده الشيخ الفقيه المسند إسماعيل بن عبدالغني النابلسي قال: أخبرنا مسند الشام محمد بن علي بن طولون.

(ح) وعن الشيخ مصطفى بن أحمد القديمي عن أبيه عن الشيخ المسند محمد بن عبدالقادر القديمي عن الشيخ عبدالرحمن بن سليمان الأهدل به.

(ح) وعن الشيخ العلامة محمد بن يوسف الربيدي، والشيخ العلامة محمد بن قاسم الوشلي والشيخ العلامة عبدالله الشعبي عن حسين الزواك عن إسماعيل الوشلي عن عبدالرحمن ابن عبدالله القديمي عن عبدالرحمن بن عبدالله الأهدل عن الشيخ العلامة عبدالرحمن ابن سليمان الأهدل به.

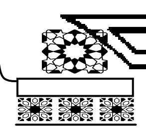
(ح) وعن الشيخ إبراهيم بن عمرو القديمي الشريف عن محمد طاهر بن محمد طاهر بن عبدالرحمن الأهدل عن داود بن عبدالرحمن حجر القديمي عن محمد بن علي العمراني عن أحمد بن محمد قاطن عن الشيخ العلامة مسند اليمن يحي بن عمر مقبول الأهدل به.

(ح) وعن شيخنا القاضي محمد بن إسماعيل العمراني عن شيخه العلامة عبدالواسع الواسعي عن بدر الدين الحسيني عن أبي نصر الخطيب عن عبدالرحمن الكُزْبَري عن أبي المواهب محمد بن عبدالباقي الحنبلي عن الشيخ العلامة المسند عبدالغني بن إسماعيل

النابلسي به.

(ح) وعن الشيخ العلامة عبدالرحمن بن عبدالحي الكَتَّاني عن أبيه مسند عصره الشيخ العلامة عبدالحي بن عبدالكبير الكتاني عن الشيخ أبي نصر الخطيب عن الكُزْبري عن مسند الشام الشيخ العلامة أحمد بن عبيد العطار الدمشقي عن صالح بن إبراهيم الدمشقي عن الشهاب أحمد بن علي المُفْلحي الوَفَائي عن الشيخ العلامة مسند الشام محمد ابن علي بن أحمد بن طولون قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي الصِّدِّيق العمريِّ من لفظه، أخبرتنا أم أحمد أمة اللطيف ابنة المسند شمس الدين محمد بن محمد بن المحب سماعا عليها بمنزلها بجسر البَطِّ قالت: أخبرنا والدي من لفظه قال: أخبرنا قاضي المسلمين الصدر علي بن علي بن أبي العز بن عطاء سماعًا من لفظه - بمسجد ابن العفيف فخر الدين، بالقرب من اليَغمورية بسَفح قاسيون- لنفسه في مختصر السيرة النبوية على صاحبها أفضل السلام وأتم التسليم.






متن الأرجوزة الميئية

١- اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْقَدِيمِ الْبَارِي ... ثُمَّ صَلاَتُهُ عَلَى الْمُخْتَارِ

٢- وَبَعْدُ هَاكَ سِيرَةَ الرَّسُولِ ... مَنْظُومَةً مُوجَزَةَ الْفُصُولِ

٣- مَوْلِدُهُ فِي عَاشِرِ الْفَضِيلِ ... رَبِيعِ الأَوَّلِ عَامَ الْفِيلِ

٤- لَكِنَّمَا الْمَشْهُورُ ثَانِي عَشْرِهِ ... فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ طُلُوعَ فَجْرِهِ

٥- وَوَافَقَ الْعِشْرِينَ مِنْ نَيْسَانَا ... وَقَبْلَهُ حَيْنُ أَبِيهِ حَانَا

٦- وَبَعْدَ عَامَيْنِ غَدَا فَطِيمَا ... جَاءَتْ بِهِ مُرْضِعُهُ سَلِيمَا

٧- حَلِيمَةٌ لِأُمِّهِ وَعَادَتْ ... بِهِ لِأَهْلِهَا كَمَا أَرَادَتْ

٨- فَبَعْدَ شَهْرَيْنِ انْشِقَاقُ بَطْنِهِ ... وَقِيلَ بَعْدَ أَرْبَعٍ مِنْ سِنِّهِ

٩- وَبَعْدَ سِتٍّ مَعَ شَهْرٍ جَائِي ... وَفَاةُ أُمِّهِ عَلَى الْأَبْوَاءِ

١٠- وَجَدُّهُ لِلأَبِ عَبْدُ الْمُطَّلِبْ ... بَعْدَ ثَمَانٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ كَذِبْ

١١- ثُمَّ أَبُو طَالِبٍ الْعَمُّ كَفَلْ ... خِدْمَتَهُ ثُمَّ إِلَى الشَّامِ رَحَلْ

١٢- وَذَاكَ بَعْدَ عَامِ اثْنَي عَشَرْ ... وَكَانَ مِنْ أَمْرِ بَحِيرَا مَا اشْتَهَرْ

١٣- وَسَارَ نَحْوَ الشَّامِ أَشْرَفُ الْوَرَى ... فِي عَامِ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ اذْكُرَا

١٤- لِأُمِّنَا خَدِيجَةٍ مُتَّجِرَا ... وَعَادَ فِيهِ رَابِحًا مُسْتَبْشِرَا

١٥- فَكَانَ فِيهِ عَقْدُهُ عَلَيْهَا ... وَبَعْدَهُ إِفْضَاؤُهُ إِلَيْهَا

١٦- وَوُلْدُهُ مِنْهَا خَلاَ إِبْرَاهِيمْ ... فَالأَوَّلُ الْقَاسِمُ حَازَ التَّكْرِيمْ

١٧- وَزَيْنَبُ رُقَيَّةٌ وَفَاطِمَهْ ... وَأُمُّ كُلْثُومٍ لَهُنَّ خَاتِمَهْ

١٨- وَالطَّاهِرُ الطَّيِّبُ عَبْدُ اللهِ ... وَقِيلَ كُلٌّ اسْمٍ لِفَرْدٍ زَاهِي

١٩- وَالْـكُلُّ فِي حَيَاتِـهِ ذَاقُـوا الْـحِـمَامْ وَبَعْـــدَهُ فَاطِمَـــةٌ بِنِصْـــفِ عَامْ

٢٠- وَبَعْـدَ خَمْـسٍ وَثَلاَثِـينَ حَـضَرْ بُنْيَـانَ بَيْـتِ اللهِ لَمَّـا أَنْ دَثَـرْ

٢١- وَحَكَّمُـوهُ وَرَضُـوا بِمَـا حَكَـمْ فِي وَضْعِ ذَاكَ الْحَـجَرِ الْأَسْوَدِ ثَـمْ

٢٢- وَبَعْـــدَ عَامِ أَرْبَعِـــينَ أُرْسِـــلاَ فِي يَـوْمِ الاثْنَـيْنِ يَقِينًـا فَـانْقُلاَ

٢٣- فِي رَمَضَـــانَ أَوْ رَبِيـــعِ الْأَوَّلِ وَسُـــورَةُ اقْـــرَأْ أَوَّلُ الْمُـــنَزَّلِ

٢٤- ثُـــمَّ الْوُضُـــوءَ وَالصَّـــلاَةَ عَلَّمَـــهْ جِبْرِيـلُ وَهْيَ رَكْعَتَـانِ مُحْـكَمَهْ

٢٥- ثُـمَّ مَضَـتْ عِشْـرُونَ يَوْمًـا كَامِلَـهْ فَرَمَـتِ الْجِـنَّ نُجُـومٌ هَائِلَـهْ

٢٦- ثُـــمَّ دَعَا فِي رَابِـــعِ الْأَعْـــوَامِ بِـــالْأَمْرِ جَهْـــرَةً إِلَى الْإِسْـــلاَمِ

٢٧- وَأَرْبَـعٌ مِـنَ النِّسَـا وَاثْنَـا عَشَـرْ مِنَ الرِّجالِ الصَّحْبِ كُلٌّ قَدْ هَجَرْ

٢٨- إِلَى بِـلاَدِ الْـحُـبْشِ فِي خَـامِسِ عَامْ وَفِيـهِ عَادُوا ثُـمَّ عَادُوا لاَ مَـلاَمْ

٢٩- ثَلاَثَـــةٌ هُـــمْ وَثَمَـــانُونَ رَجُـــلْ وَمَعْهُـمُ جَمَاعَـــةٌ حَـــتَّى كَمُـلْ

٣٠- وَهُـنَّ عَشْـــرٌ وَثَمَـانٍ ثُـمَّ قَـدْ أَسْـلَمَ فِي السَّـادِسِ حَمْـزَةُ الْأَسَـدْ

٣١- وَبَعْـدَ تِسْـعٍ مِـنْ سِـنِي رِسَـالَتِهْ مَـاتَ أَبُـو طَالِـبِ ذُو كَفَالَتِـهْ

٣٢- وَبَعْـــدَه خَدِيـجَـــةٌ تُوُفِّيَـــتْ مِـنْ بَعْـدِ أَيَّـامٍ ثَلاَثَـةٍ مَضَـتْ

٣٣- وَبَعْـدَ خَمْسِـــينَ وَرُبْـعٍ أَسْـلَمَا جِـنُّ نَصِـيبِينَ وعَادُوا فَاعْلَمَـا

٣٤- ثُـمَّ عَلَى سَـوْدَةَ أَمْضَـــى عَقْـدَهْ فِي رَمَضَـــانَ ثُـــمَّ كَانَ بَعْـــدَهْ

٣٥- عَقْـدُ ابْنَـةِ الصِّـدِّيقِ فِي شَـوَّالِ وَبَعْـــدَ خَمْسِـــينَ وَعَامٍ تَـــالِ

٣٦- أُسْرِيْ بِـــهِ وَالصَّـــلَوَاتُ فُرِضَـــتْ خَمْسًا بِـخَـمْسِينَ كَما قَدْ حُفِظَتْ

٣٧- وَالْبَيْعَـةُ الْأُولَى مَـعَ اثْـنَيْ عَشَـرَا مِـنْ أَهْـلِ طَيْبَـةٍ كَمَـا قَـدْ ذُكِـرَا

٣٨- وَبَعْـــدَ ثِنْتَـــيْنِ وَخَمْسِـــينَ أَتَى سَـــبْعُونَ فِي الْمَوْسِـمِ هَـذَا ثَبَتَـا

٣٩- مِنْ طَيْبَةٍ فَبَايَعُوا ثُمَّ هَجَرْ ... مَكَّةَ يَوْمَ اثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ صَفَرْ

٤٠- فَجَاءَ طَيْبَةَ الرِّضَا يَقِينَا ... إِذْ كَمَّلَ الثَّلاَثَ وَالْخَمْسِينَا

٤١- فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ وَدَامَ فِيهَا ... عَشْرَ سِنِينَ كُمَّلًا نَحْكِيهَا

٤٢- أَكْمَلَ فِي الْأُولَى صَلاَةَ الْحَضَرِ ... مِنْ بَعْدِ مَا جَمَّعَ فَاسْمَعْ خَبَرِي

٤٣- ثُمَّ بَنَى الْمَسْجِدَ فِي قُبَاءِ ... وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ الْغَرَّاءِ

٤٤- ثُمَّ بَنَى مِنْ حَوْلِهِ مَسَاكِنَهْ ... ثُمَّ أَتَى مِنْ بَعْدُ فِي هَذِي السَّنَهْ

٤٥- أَقَلُّ مِنْ نِصْفِ الَّذِينَ سَافَرُوا ... إِلَى بِلاَدِ الْحُبْشِ حِينَ هَاجَرُوا

٤٦- وَفِيهِ آخَى أَشْرَفُ الْأَخْيَارِ ... بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

٤٧- ثُمَّ بَنَى بِابْنَةِ خَيْرِ صَحْبِهِ ... وَشُرِعَ الْأَذَانُ فَاقْتُدِي بِهِ

٤٨- وَغَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ بَعْدُ فِي صَفَرْ ... هَذَا وَفِي الثَّانِيَةِ الْغَزْوُ اشْتَهَرْ

٤٩- إِلَى بُوَاطٍ ثُمَّ بَدْرٍ وَوَجَبْ ... تَحَوُّلُ الْقِبْلَةِ فِي نِصْفِ رَجَبْ

٥٠- مِنْ بَعْدِ ذِي الْعُشَيْرَ يَا إِخْوَانِي ... وَفَرْضُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي شَعْبَانِ

٥١- وَالْغَزْوَةُ الْكُبْرَى الَّتِي بِبَدْرِ ... فِي الصَّوْمِ فِي سَابِعِ عَشْرِ الشَّهْرِ

٥٢- وَوَجَبَتْ فِيهِ زَكَاةُ الْفِطْرِ ... مِنْ بَعْدِ بَدْرٍ بِلَيَالٍ عَشْرِ

٥٣- وَفِي زَكَاةِ الْمَالِ خُلْفٌ فَادْرِ ... وَمَاتَتِ ابْنَةُ النَّبِيِّ الْبَرِّ

٥٤- رُقَيَّةٌ قَبْلَ رُجُوعِ السَّفْرِ ... زَوْجَةُ عُثْمَانَ وعُرْسُ الطُّهْرِ

٥٥- فَاطِمَةٍ عَلَى عَلِيِّ الْقَدْرِ ... وَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ بَعْدَ الأَسْرِ

٥٦- وَقَيْنُقَاعُ غَزْوُهُمْ فِي الْإِثْرِ ... وَبَعْدُ ضَحَّى يَوْمَ عِيدِ النَّحْرِ

٥٧- وَغَزْوَةُ السَّوِيقِ ثُمَّ قَرْقَرَهْ ... وَالْغَزْوُ فِي الثَّالِثَةِ الْمُشْتَهِرَهْ

٥٨- فِي غَطَفَــــانَ وَبَـــنِي سُـــلَيْمِ	وَأُمُّ كُلْثُـــومِ ابْنَـــةُ الْكَـــرِيمِ
٥٩- زَوَّجَ عُثْمَـــانَ بِهَـــا وَخَصَّـــهْ	ثُـــمَّ تَـــزَوَّجَ النَّـــبِيُّ حَفْصَـــهْ
٦٠- وَزَيْنَــــبًا ثُــــمَّ غَــزَا إِلَى أُحُــدْ	فِي شَــهْرِ شَــوَّالٍ وَحَمْـراءِ الْأَسَــدْ
٦١- والْخَمْــرُ حُرِّمَــتْ يَقِينًــا فَاسْــمَعَنْ	هَــذَا وَفِيهَــا وُلِدَ السِّــبْطُ الْحَسَــنْ
٦٢- وَكَانَ فِي الرَّابِعَــــةِ الْغَــــزْوُ إِلَى	بَـــنِي النَّضِـــيرِ فِي رَبِيـــعٍ أَوَّلا
٦٣- وبَعْــدُ مَــوْتُ زَيْنَــبَ الْمُقَدَّمَــهْ	وَبَعْـــدَهُ نِكَـــاحُ أُمِّ سَــــلَمَهْ
٦٤- وَبِنْــتِ جَحْــشٍ ثُــمَّ بَــدْرُ الْمَوْعِــدِ	وَبَعْـدَهَا الْأَحْـزَابُ فَاسْـمَعْ وَاعْـدُدِ
٦٥- ثُــمَّ بَــنِي قُرَيْظَـــةٍ وَفِيهِمَـــا	خُلْــفٌ وَفِي ذَاتِ الرِّقَــاعِ عُلِّمَــا
٦٦- كَيْفَ صلاَةُ الْخَـوْفِ وَالْقَصْـرُ نُـمِي	وَآيَـــةُ الْحِجَـــابِ وَالتَّـــيَمُّمِ
٦٧- قِيــــلَ: وَرَجْمُــــهُ الْيَهُــــودِيَّيْنِ	وَمَــوْلِدُ السِّــبْطِ الرِّضَـا الْحُسَــيْنِ
٦٨- وَكَانَ فِي الْخَامِسَــةِ اسْــمَعْ وَثِــقِ	اَلْإِفْـكُ فِي غَـزْوِ بَـنِي الْمُصْـطَلِقِ
٦٩- وَدُومَــةُ الْجَنْــدَلِ قَبْــلُ وَحَصَــلْ	عَقْـدُ ابْنَـةِ الْحَـارِثِ بَعْـدُ وَاتَّصَـلْ
٧٠- وَعَقْـدُ رَيْحَانَـةَ فِي ذِي الـخَــامِسَهْ	ثُـمَّ بَنُـو لِـحْيَانَ بَـدْءَ السَّادِسَـهْ
٧١- وَبَعْـــدَهُ اسْتِسْـــقَاؤُهُ وَذُو قَـــرَدْ	وَصُـدَّ عَــنْ عُمْرَتِـهِ لَمَّـا قَصَـدْ
٧٢- وَبَيْعَـــةُ الرِّضْـــوَانِ أَوَّلْ وَبَـــنَى	فِيهَـــا بِرَيْحَانَـــةَ هَـــذَا بُيِّنَـــا
٧٣- وَفُــرِضَ الْحَــجُّ بِخُلْــفٍ فَاسْــمَعَهْ	وَكَانَ فَـــتْحُ خَيْـــبَرٍ فِي السَّـــابِعَهْ
٧٤- وَحَظْــرُ لَحْــمِ الْحُمُــرِ الْأَهْلِيَّــهْ	فِيهَـــا وَمُتْعَـــةِ النِّسَـــا الرَّدِيَّـــهْ
٧٥- ثُـــمَّ عَلَى أُمِّ حَبِيبَـــةٍ عَقَــدْ	وَمَهْرَهَـا عَنْــهُ النَّجَـاشِيُّ نَقَـدْ
٧٦- وَسُــمَّ فِي شَـــاةٍ بِهَـــا هَدِيَّـــهْ	ثُــمَّ اصْــطَفَى صَــفِيَّةً صَــفِيَّهْ

٧٧- ثُـمَّ أَتَـتْ وَمَـنْ بَـقِي مُهَـاجِرَا ... وَعَقْـدُ مَيْمُونَـةَ كَانَ الآخِـرَا
٧٨- وَقَبْـلُ إِسْـلاَمُ أَبِي هُرَيْـرَهْ ... وَبَعْـدُ عُمْـرةُ الْقَضَـا الشَّـهِيرَهْ
٧٩- وَالرُّسْـلَ فِي الْمُحَـرَّمِ الْمُحَـرَّمِ ... أَرْسَـلَهُمْ إِلَى الْمُلُـوكِ فَـاعْلَمِ
٨٠- وَأُهْـدِيَتْ مَارِيَـةُ الْقِبْطِيَّـهْ ... فِيـهِ وَفِي الثَّامِنَـةِ السَّـرِيَّهْ
٨١- لِمُؤْتَـةٍ سَـارَتْ وَفِي الصِّـيَامِ ... قَـدْ كَانَ فَـتْحُ الْبَـلَدِ الْحَـرَامِ
٨٢- وَبَعْـدَهُ قَـدْ أَوْرَدُوا مَـا كَانَ فِي ... يَـوْمِ حُنَـيْنٍ ثُـمَّ يَـوْمِ الطَّـائِفِ
٨٣- وَبَعْـدُ فِي ذِي الْقَعْـدَةِ اعْتِمَـارُهُ ... مِـنَ الْجِعِرَّانَـةِ وَاسْـتِقْرَارُهُ
٨٤- وَبِنْتُـهُ زَيْنَـبُ مَاتَـتْ ثُمَّـا ... مَـوْلِدُ إِبْـرَاهِيمَ فِيهَـا حَتْمَـا
٨٥- وَوَهَبَـتْ نَوْبَتَهَـا لِعَائِشَـهْ ... سَـوْدَةُ مَـا دَامَـتْ زَمَانًـا عَائِشَـهْ
٨٦- وَعُمِـلَ الْمِنْـبَرُ غَـيْرَ مُخْتَـفِ ... وَحَـجَّ عَتَّـابٌ بِأَهْـلِ الْمَوْقِـفِ
٨٧- ثُـمَّ تَبُـوكَ قَـدْ غَـزَا فِي التَّاسِـعَهْ ... وَهَـدَّ مَسْـجِدَ الضِّـرَارِ رَافِعَـهْ
٨٨- وَحَـجَّ بِالنَّـاسِ أَبُـو بَكْـرٍ وَثَـمْ ... تَـلا بَـرَاءَةً عَلِيٌّ وَحَـتَمْ
٨٩- أَنْ لَا يَحُـجَّ مُشْـرِكٌ بَعْـدُ وَلاَ ... يَطُـوفَ عَارٍ ذَا بِـأَمْرٍ فَعَـلَا
٩٠- وَجَـاءَتِ الْوُفُـودُ فِيهَـا تَـتْرَى ... هَـذَا وَمِـنْ نِسَـاهُ آلَى شَـهْرَا
٩١- ثُـمَّ النَّجَـاشِيَّ نَـعَى وَصَـلَّى ... عَلَيْـهِ مِـنْ طَيْبَـةَ نَـالَ الْفَضْـلاَ
٩٢- وَمَـاتَ إِبْـرَاهِيمُ فِي الْعَـامِ الْأَخِـيرْ ... وَالْبَجَـلِي أَسْـلَمَ وَاسْـمُهُ جَرِيـرْ
٩٣- وَحَـجَّ حَجَّـةَ الْـوَدَاعِ قَارِنَـا ... وَوَقَـفَ الْجُمْعَـةَ فِيهَـا آمِنَـا
٩٤- وَأُنْزِلَـتْ فِي الْيَـوْمِ بُشْـرَى لَكُـمُ ... اَلْيَـوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُـمْ دِينَـكُمُ
٩٥- وَمَـوْتُ رَيْحَانَـةَ بَعْـدَ عَـوْدِهِ ... وَالتِّسْـعُ عِشْـنَ مُـدَّةً مِـنْ بَعْـدِهِ

٩٦- وَيَــوْمَ الْاثْنَــيْنِ قَضَــى يَقِينَــا إِذْ أَكْمَــلَ الثَّــلَاثَ وَالسِّــتِّينَا

٩٧- وَالدَّفْــنُ فِي بَيْــتِ ابْنَــةِ الصِّــدِّيقِ فِي مَوْضِــعِ الْوَفَــاةِ عَــنْ تَحْقِيــقِ

٩٨- وَمُــدَّةُ التَّمْــرِيضِ خَمْسَــا شَــهْرِ وَقِيــلَ بَــلْ ثُلْــثٌ وَخُمْــسٌ فَــادْرِي

٩٩- وَتَمَّــتِ الْأُرْجُــوزَةُ الْمِيئِيَّــهْ فِي ذِكْــرِ حَــالِ أَشْرَفِ الْبَرِيَّــهْ

١٠٠- صَــلَّى عَلَيْــهِ اللَّهُ رَبِّي وَعَلَى أَصْــحَابِهِ وآلِهِ وَمَــنْ تَــلاَ

ترجمة الناظم[(١)]

اسمه ونسبه

هو الإمام العلامة صدر الدين أبو الحسن علي بن علاء الدين علي بن شمس الدين أبي عبدالله محمد بن شرف الدين أبي البركات محمد بن عز الدين أبي العز صالح بن أبي العز ابن وهيب بن عطاء بن جبير بن جابر بن وهب الأَذرعي الدمشقي الصالحي الحنفي المعروف بابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والأَذْرَعِي: نسبة إلى أَذْرِعات، من بلاد الشام، تقع جنوب دمشق على سبعين ميل منها، وتسمى حاليا محافظة (درعا).

والصالحي: نسبة إلى الصَّالحية، بلدة قريبة من دمشق، تقع في سفح قاسيون.

ولادته

ولد في الثاني والعشرين من ذي الحجة، سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة (٧٣١) بدمشق.

أسرته

ينتمي إلى أسرة علم وقضاء وسيادة تتزعم المذهب الحنفي بدمشق.

(١) **فأبوه**: هو القاضي علاء الدين علي بن أبي العز الحنفي، المتوفى سنة ٧٤٦ هـ، وهو خطيب جامع الأفرم، ودَرَّسَ في المعظمية، والقليجية، وكان نائب الحكم عن القاضي عماد الدين الطرسوسي.[(٢)]

(٢) **وجده**: هو قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي العز، وهو أول من خطب بجامع الأفرم، ودرس بالمعظمية، واليغمورية، والقليجية، والظاهرية،

---

(١) مختصرة من مقدمة تحقيق "شرح الطحاوية" من (ص٦٣ وما بعدها) ط.دار الرسالة.

(٢) "البداية والنهاية" لابن كثير (١٤/٢٢٨)، و"ذيل العبر" للذهبي (ص٢٥١).

وحكم نيابة نحوا من عشرين سنة، توفي بعد رجوعه من الحج بأيام سنة ٧٢٢ هـ.[١]

(٣) **وأبو جده**: هو محمد بن أبي العز صالح بن أبي العز، كان المدرس الرابع بالمرشدية، سمع من ابن عبد الدائم وغيره، وهو سبط القاضي شرف الدين عبد الوهاب الحوراني، مات بدمشق سنة ٧٢٣ هـ.

ومن أولاد عمومته

(١) **قاضي القضاة صدر الدين سليمان بن أبي العز،** انتهت إليه رياسة المذهب الحنفي في زمانه، وكان من كبار العلماء، مات بدمشق سنة ٦٧٧هـ.[٢]

(٢) **الإمام المفتي القاضي شمس الدين محمد بن سليمان بن أبي العز،** كان من كبار الحنفية، وأفتى نيفا وثلاثين سنة، وناب القضاء عن والده بدمشق، ودرّس بالنورية والعذراوية، وتوفي سنة ٦٩٩هـ

(٣) **يوسف بن محمد بن سليمان بن أبي العز أبو المحاسن،** دَرَّسَ بالعذراوية والإقبالية، ودَرَّسَ قديما بالقدس سنة (٦٧٣هـ)، ومات في صفر سنة ٧٢٨هـ.

(٤) **علي بن يوسف بن محمد بن سليمان بن أبي العز، كان فقيها عالما،** درّس بدمشق، وناب في الحكم بالقاهرة، ومات بها سنة ٧٣٧هـ.

(٥) **إسماعيل بن أبي البركات محمد بن أبي العز بن صالح الحنفي المعرف بابن الكشك.** قاضي دمشق، وليها بعد القاضي جمال الدين بن السراج، ودرّس بعدة مدارس بدمشق، وكان جامعا بين العلم والعمل، توفي سنة ٧٨٣هـ.

(٦) **نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن محمد بن أبي العز،** ولي قضاء مصر ودمشق، وسمع من الإمام الحجار وحدّث عنه، ودرس بأماكن كثيرة، وتوفي في ذي الحجة سنة ٧٩٩هـ.

في ظل هذه الأسرة العلمية نشأ ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مما أتاح له بلوغ منزلة عظيمة في العلم والعمل، وكانت دمشق في عصره مركزًا هامًا من المراكز العلمية التي تمثلت بوجود

---

(١) "البداية والنهاية" (١٠٦/١٤).

(٢) "العبر" (٣١٥/٥)، و"البداية والنهاية" (٢٩٧/١٣).



علماء أئمة كان لهم دور كبير في نهضة علمية واسعة وشاملة، ومن هؤلاء الأئمة: شيخ الإسلام ابن تيمية، و المزي، و الذهبي، وابن القيم الجوزية، وابن كثير، وابن مفلح، وابن عبد الهادي وغيرهم. استفاد منهم الناظم، وحضر دروسهم، وانتفع بتواليفهم، وتأثر بهم في إيثاره منهج السلف الصالح على غيره من المناهج.

مذهبهُ

نشأ في كنف أسرة جميع أفرادها كانوا ينتحلون مذهب أبي حنيفة، ومعظمهم قد تولى القضاء، وقد دَرَسَ هذا المذهب على أبيه دراسة متقنة أهلته لتولي القضاء فيه، ولكنه تخلص من رقة التقليد، ويرجح ما استبان له الدليل.

المناصب العلمية التي وليها

لقد حفلت حياته بجهود طيبة مثمرة، في مجال العلم والتعليم. وقد تولى التدريس مبكرًا ولم يتجاوز سنه سبعة عشر عاما، وقد درَّس في مدارس كثيرة منها: القَيْمَازِيَّة سنة (٧٤٨هـ)، والرُّكنية سنة (٧٧٧هـ)، والعِزِّيَّة البَرَّانية سنة (٧٨٤هـ) عوضًا عن القاضي الهمام الحنفي، والجوهرية سنة (٧٧٧هـ).

وتولى الخطابة في جامع الأفرم، وكذلك بحُسبان قاعدة البلقاء. وتولى قضاء الحنفية بدمشق آخر سنة ٧٧٦هـ، نيابة عن ابن عمه نجم الدين أحمد بن إسماعيل.

من مؤلفاته

١- شرح العقيدة الطحاوية.

٢- التنبيه على مشكلات الهداية.

٣- الاتباع.

٤- النور اللامع فيما يعمل به في الجامع -أي الجامع الأموي-.

٥- رسالة تتضمن الإجابة عن مسائل فقهية منها: صحة الاقتداء بالمخالف، وحكم الأربع بعد أداء الجمعة.

محنته:

قد ناله من الأذى ما نال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما ممن كان يدعو إلى الاتباع وينهى عن التقليد والابتداع، فقد هيجوا عليه السلطان؛ بسبب رده على قصيدة ابن أيبك، وهو علي بن أيبك بن عبد الله التقصباوي الناصري الدمشقي الأديب، وهي قصيدة في مدح النبي ﷺ، تجاوز فيها وغلا، فاعترض عليها ابن أبي العز، فجُرِّد بسبب ذلك عن وظائفه، وحُبس مدة أربعة أشهر، وعُزِّر وضُرب، وكان هذا سنة ٧٨٤هـ.

وبقي الناظم بعد هذه المحنة ملازما لبيته إلى سنة (٧٩١هـ)، وفي ربيع الأول منها تقدم إلى الأمير سيف الدين يَلبُغا بن عبد الله الناصري بطلب وظائفه وأن يرد إليه اعتباره ففعل فعاد إلى وظائفه، وخطب بجامع الأفرم، ودَرَّس بالجوهرية.(١)

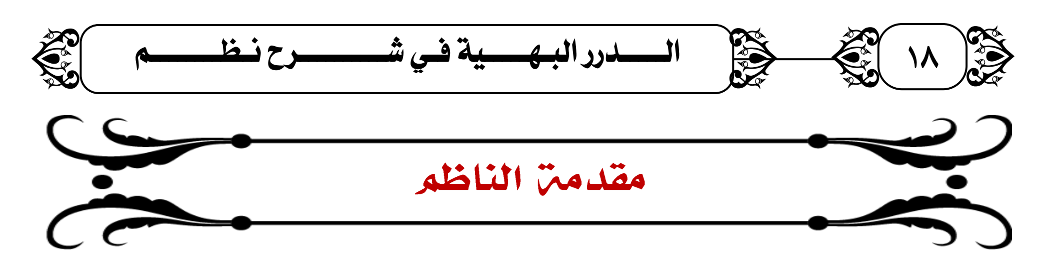
وفاته:

في ذي القعدة سنة (٧٩٢هـ)، ودُفن بسفح قاسيون في دمشق -رحمه الله تعالى-.



(١)فائدة: قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الرجل من أهل العلم إذا منحه الله شيئا من العلم، وحُرمه قرناؤه وأشكاله حسدوه، فرموه بما ليس فيه، وبئست الخصلة في أهل العلم.اهـ نقله البيهقي في "مناقب الشافعي"(٢/٢٥٩).

وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ -في معرض دفاعه عن شيخ الإسلام ابن تيمية-: وهذه قاعدة مُطَّردة في كل عالم متبحر في المعارف العلمية، ويفوق أهل عصره، ويدين بالكتاب والسنة، فإنه لابد أن يستنكره المقصرون، ويقع لهم معه محنة بعد محنة، ثم يكون أمره الأعلى، وقوله الأولى، ويكون له بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين، ويكون لعلمه حظ لا يكون لغيره.اهـ "البدر الطالع" (١/٥٦)



مقدمة الناظم

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١- اَلْحَمْـــدُ للهِ الْقَـــدِيمِ الْبَـــارِي ثُـــمَّ صَـــلاَتُهُ عَلَى الْمُخْتَـــارِ

الشرح:

(الحمد لله): أي جميع أوصاف الكمال ثابتة لله على أكمل الوجوه وأتمها، ومما يحمد عليه نعمه على العباد، التي لا يحصي أحد من الخلق تعدادها، وأعظمها إرساله محمدا ﷺ رحمة للعالمين.(١)

و(ال) في الحمد للاستغراق، أي جميع المحامد لله ملكا واستحقاقا.

وقيل: **للجنس**، أي جنس الحمد مستحق له تعالى، سواء حمده العبد أم لم يحمده، فهو سبحانه محمود في كل أفعاله، كما قال سبحانه:﴿ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الشورى: ٢٨].(٢)

وافْتَتَحَ الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كَلَامَه بِالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى امْتِثَالًا لِمَا وَرَدَ فِي الْبَدَاءَةِ بِهِ مِنْ الْآثَارِ، وَرَجَاءً لِبَرَكَةِ تَأْلِيفِهِ، لِأَنَّ كُلَّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ مَنْزُوعُ الْبَرَكَةِ كَمَا وَرَدَتْ بِذَلِكَ الْأَخْبَارُ، وَاقْتِدَاءً بِكِتَابِ اللَّهِ الْمُبِينِ، وَسُلُوكَ مَسْلَكِ الْعُلَمَاءِ الْمُؤَلِّفِينَ(٣).

تعريف الحمد

لغة: مصدر قولهم: حَمِدَ يحمَد، وهو مأخوذ من مادة (ح م د)، التي تدل على خلاف الذم، وهو الثناء بالصفات الجميلة والأفعال الحسنة.(٤)

اصطلاحًا: إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه.

---

(١) "التنبيهات اللطيفة" للعلامة السعدي (ص١٤).

(٢)انظر: "تفسير القرطبي" (١/١٣٣).

(٣) "سبل السلام" (١/ ١١).

(٤) "مقاييس اللغة" لابن فارس (٢/١٠٠)، و"التعليقات الزكية" للفوزان (١/٤٣).

وهو وصف المحمود بالكمال محبة وتعظيما، ولا يمكن لأحد أن يستحق هذا الحمد على وجه الكمال إلا الله عز وجل[١]

أقسام الحمد

قال الإمام الجورجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "التعريفات" (ص: ٩٣):

الحمد: هو الثناء على الجميل من جهة التعظيم من نعمة وغيرها.

الحمد القولي: هو حمد اللسان وثناؤه على الحق بما أثنى به على نفسه على لسان أنبيائه.

الحمد الفعلي: هو الإتيان بالأعمال البدنية ابتغاء وجه الله تعالى.

الحمد الحالي: هو الذي يكون بحسب الروح والقلب، كالاتصاف بالكمالات العلمية والعملية، والتخلق بالأخلاق الإلهية.

الحمد اللغوي: هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل باللسان وحده.

الحمد العرفي: فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعمًا، أعم من أن يكون فعل اللسان أو الأركان. اهـ

وقال الإمام ابن الأمير الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "سبل السلام" (١/ ١١): قَالَ الْمُنَاوِيُّ فِي "التَّعْرِيفَاتِ" فِي حَقِيقَةِ الْحَمْدِ: إنَّ الْحَمْدَ اللُّغَوِيَّ: الْوَصْفُ بِفَضِيلَةٍ عَلَى فَضِيلَةٍ عَلَى جِهَةِ التَّعْظِيمِ بِاللِّسَانِ. وَالْحَمْدَ الْعُرْفِيَّ: فِعْلٌ يُشْعِرُ بِتَعْظِيمِ الْمُنْعِمِ لِكَوْنِهِ مُنْعِمًا. وَالْحَمْدَ الْقَوْلِيَّ: حَمْدُ اللِّسَانِ وَثَنَاؤُهُ عَلَى الْحَقِّ بِمَا أَثْنَى بِهِ عَلَى نَفْسِهِ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ. وَالْحَمْدَ الْفِعْلِيَّ: الْإِتْيَانُ بِالْأَعْمَالِ الْبَدَنِيَّةِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى.اهـ

الفرق بين الحمد والمدح

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الإخبار عن محاسن الغير إما أن يكون إخبارًا مجردا من حب وإرادة، أو مقرونا بحبه وإرادته، فإن كان الأول فهو المدح، وإن كان الثاني فهو الحمد.

---

(١)انظر: "بدائع الفوائد" (٢/٩٣)، و"شرح حديث جابر" للعثيمين (ص٢١).

فالحمد إخبار عن محاسن الممدوح مع حبه وإجلاله وتعظيمه.(١)

الفرق بين الحمد والشكر

بين الحمد والشكر عموم وخصوص من وجه: فيجتمعان فيما إذا كان باللسان في مقابلة نعمة، فهذا يسمى مدحا وشكرا، وينفرد الحمد فيما إذا أثنى العبد على ربه بذكر أسمائه الحسنى ونعوته العظيمة، فهذا يسمى حمدا، ولا يسمى شكرا. **وينفرد الشكر** فيما إذا استعمل العبد نعمة الله في طاعة الله، فهذا يسمى شكرا، ولا يسمى حمدا.

والحمد أعم من الشكر من حيث المتعلق به: فهو متعلق بصفات الكمال والجلال والعظمة، وبأسماء الله وأفعاله التي لا تنتهي. والشكر لا يكون إلا على نعمة أسداها الرب جل وعلا.

والحمد أخص من ناحية الآلة: فإنه يكون باللسان والقلب، وأما الشكر فيكون باللسان والقلب والجوارح. فالحمد أعم من حيث المتعلق، والشكر أعم من حيث الآلة(٢).

وقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الحمد والشكر: ما حقيقتهما؟ هل هما بمعنى واحد أو معنيان؟ وعلى أي شيء يكون الشكر؟

فأجاب: الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواء كان الإحسان إلى الحامد أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر، فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر؛ لأنه يكون على المحاسن والإحسان، فإن الله يحمد على ما له من الأسماء الحسنى والمثل الأعلى، وما خلقه في الآخرة والأولى، ولهذا قال تعالى:

---

(١) "بدائع الفوائد" (٢/٩٣)

(٢) "تفسير ابن كثير"(١/١٢٨)، "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون" (١/٣٦)، "اللباب في علوم الكتاب" (١/١٦٨)، "معجم الفروق اللغوية" (ص:٢٠٢)، "الفائق في غريب الحديث" (١/٣١٤)، "الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي" (٢/١٠)، "شرح العقيدة الواسطية" للهراس (ص:٥٠)، "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" (١/٨٥)، "التحبير شرح التحرير" (١/٤٣).

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] ، وقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [سبأ: ١] ، وقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [فاطر: ١].

وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه، لكنه يكون بالقلب واليد واللسان، كما قيل:

أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةٌ ... يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرُ الْمُحَجَّبَا

ولهذا قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾ [سبأ: ١٣] ، والحمد إنما يكون بالقلب واللسان. فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه، والحمد أعم من جهة أسبابه.اهـ[1]

والله له عموم الحمد وكماله، وهذا من خصائصه سبحانه، فهو المحمود على كل حال وعلى كل شيء أكمل حمد وأعظمه.[2]

تنبيه حول تعريف الحمد بأنه الثناء

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقول بعضهم: الحمد هو الثناء بالجميل الاختياري- أي يثني على المحمود بالجميل الاختياري، ويفعله اختيارا من نفسه - تعريف غير صحيح، إن الله قال: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ، قال: أثنى علي عبدي». فجعل الله تعالى الثناء غير الحمد؛ لأن الثناء تكرار الصفات الحميدة. اهـ[3]

فالثناء هو الحمد إذا تكرر -مأخوذ من الثَّنْي، وهو العطف ورد الشيء بعضه على بعض،

---

(١) "الفتاوى" (١١/١٣٣ – ١٣٤).

(٢) "طريق الهجرتين" لابن القيم (ص٢٠٦).

(٣) "مجموع فتاوى ورسائل العثيمين" (٢٤/ ٤٥٣).

وأما إذا لم يتكرر فليس هو الثناء.

قوله: (القديم)

القديم في لغة العرب: هو المتقدم على غيره ولم يستعمل فيما لم يسبقه عدم، والأمثلة على ذلك كثيرة في كتاب الله، قال عز من قائل: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس: ٣٩]، والعرجون القديم هو الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد قيل للأول: قديم. وقال جل شأنه: ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ [الأحقاف: ١١]، ومعناه: التقدم في الزمان.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أهل الفلسفة يسمون الله القديم، وذكرنا أن القديم ليس من أسماء الله الحسنى، وأنه لا يجوز أن يُسمى به، لكن يجوز أن يخبر عنه، وباب الخبر أوسع من باب التسمية؛ لأن القديم ليس من أسماء الله الحسنى، والقديم فيه نقص؛ لأن القدم قد يكون قدما نسبيا، ألم تر إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾[يس:٣٩]، والعرجون القديم حادث، لكنه قديم بالنسبة لما بعده.اهـ[١]

وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تعليقه على متن الطحاوية" (ص٣٣): واعلم أنه ليس من أسماء الله تعالى: (القديم)، وإنما هو استعمال المتكلمين، فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن: هو المتقدم على غيره، فيقال: هذا قديم للعتيق، وهذا جديد للحديث. ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره، لا فيما لم يسبقه عدم. اهـ

وقد جاء الشرع باسم: (الأول)، وهو أحسن من القديم؛ فهو يشعر بأن ما بعده راجع إليه وتابع له، بخلاف القديم. قال الله تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣]، ومنه قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ أنت الأول فليس قبلك شيء». رواه مسلم(٢٧١٣) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) "مجموع الفتاوى" (٨/٤٢٨).

قوله: (الباري)

هو اسم من أسماء الله الحسنى، ورد في القرآن الكريم ثلاث مرات في قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٥٤]، وقوله: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر: ٢٤]

والبارئ: من البَرء، وهو تنفيذ وإبراز ما قدره الله وقرره إلى عالم الوجود، وهو كذلك خلق على صفة. وهو المنشئ المخترع للأشياء، الموجد لها، المميز لبعضها عن بعض.

قال ابن قتيبة في "تفسير غريب القرآن" (ص٢٥): ومن صفاته البارئ، ومعنى البارئ: الخالق. يقال: برأ الخلق يبرؤهم، والبرية الخلق.اهـ

وقال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "جامع الأصول" (١٧٧/٤): البارئ: هو الذي خلق الخلق لا عن مثال إلا أن لهذه اللفظة من الاختصاص بالحيوان ما ليس لها بغيره من المخلوقات، وقلما تستعمل في غير الحيوان، فيقال: برأ الله النسمة، وخلق السماوات والأرض.اهـ

وما ذكره ابن الأثير في الفرق بين الخالق والبارئ يدل عليه استقراء ما في القرآن من آياتهما، فالخلق شامل لكل شيء، وكلمة: «بارئكم»: الخطاب فيها لقوم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

الفرق بين الخالق، البارئ، المصور

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الفتح" (٣٩١/١٣): قَالَ الطِّيبِيُّ: قِيلَ: إِنَّ الْأَلْفَاظَ الثَّلَاثَةَ مُتَرَادِفَةٌ وَهُوَ وَهْمٌ فَإِنَّ الْخَالِقَ مِنَ الْخَلْقِ وَأَصْلُهُ التَّقْدِيرُ الْمُسْتَقِيمُ وَيُطْلَقُ عَلَى الْإِبْدَاعِ وَهُوَ إِيجَادُ الشَّيْءِ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [الأنعام: ١]، وَعَلَى التَّكْوِينِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ٤]. وَالْبَارِئُ مِنَ الْبُرْءِ وَأَصْلُهُ خُلُوصُ الشَّيْءِ عَنْ غَيْرِهِ إِمَّا عَلَى سَبِيلِ التَّقَصِّي مِنْهُ وَعَلَيْهِ قَوْلُهُمْ: «برأَ فُلَانٌ مِنْ مَرَضِهِ وَالْمَدْيُونَ مِنْ دَيْنِهِ». وَمِنْهُ: «اسْتَبْرَأْتِ الْجَارِيَةُ». وَإِمَّا عَلَى سَبِيلِ الْإِنْشَاءِ وَمِنْهُ: «برأَ اللَّهُ النَّسمَةَ». وَقيل: البارئ الْخَالِقَ البريء من التَّفَاوُت والتنافر

المخلين بالنظام، والمصور مُبْدِعُ صُوَرِ الْمُخْتَرَعَاتِ وَمُرَتِّبُهَا بِحَسَبِ مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ. فَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ بِمَعْنَى أَنَّهُ مُوجِدُهُ مِنْ أَصْلٍ وَمِنْ غَيْرِ أَصْلٍ وَبَارِئُهُ بِحَسَبِ مَا اقْتَضَتْهُ الْحِكْمَةُ مِنْ غَيْرِ تَفَاوُتٍ وَلَا اخْتِلَالٍ، وَمُصَوِّرُهُ فِي صُورَةٍ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا خَوَاصُّهُ وَيَتِمُّ بِهَا كَمَالُهُ، وَالثَّلَاثَةُ مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ إِلَّا إِذَا أُرِيدَ بِالْخَالِقِ الْمُقَدِّرُ فَيَكُونُ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ لِأَنَّ مَرْجِعَ التَّقْدِيرِ إِلَى الْإِرَادَةِ وَعَلَى هَذَا فَالتَّقْدِيرُ يَقَعُ أَوَّلًا ثُمَّ الْإِحْدَاثُ عَلَى الْوَجْهِ الْمُقَدَّرِ يَقَعُ ثَانِيًا ثُمَّ التَّصْوِيرُ بِالتَّسْوِيَةِ يَقَعُ ثَالِثًا. انْتَهَى

وقال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تفسير أسماء الله الحسنى"(ص: ٣٧): والبَرْءُ خَلْقٌ على صفة، فَكل مَبْرُوء مَخْلُوق وَلَيْسَ كل مَخْلُوق مبروءًا، وَذَلِكَ لِأَن الْبُرْء من تبرئة الشَّيْء من الشَّيْء من قَوْلهم: «برأت من الْمَرَض، وبرئت من الدّين، أَبْرَأ مِنْهُ» فبعض الْخلق إِذا فصل من بعض سمي فاعله بارئًا، وَفِي الْأَيْمَان «لَا وَالَّذِي فلق الْحبَّة وبرأ النَّسمَة». وَقَالَ أَبُو عَلِيّ: هُوَ الْمَعْنى الَّذِي بِهِ انفصلت الصُّور بَعْضهَا من بعض فصورة زيد مُفَارقَة لصورة عَمْرو وَصُورَة حمَار مُفَارقَة لصورة فرس، فَتَبَارَكَ الله خَالِقًا وبارئا.اهـ

قوله: «ثم صلاته على المختار»

صلاة الله على عبده: ثناؤه عليه في الملأ الأعلى من الملائكة الذين يحملون العرش ومن حوله، وذلك بوصفه بصفات المحامد. وهذا أحسن ما قيل في تعريف الصلاة من الله على عبده. وقيل: الصلاة من الله: الرحمة، ولكن هذا لا دليل عليه، بل إن الدليل على خلافه؛ لأن الله قال في القرآن: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ ﴾[البقرة: ١٥٧]، فدل على أن الصلاة غير الرحمة، وهنا أضافها الله على نفسه، فلو كانت الصلاة هي الرحمة لكان الله تعالى عطف الشيء على نفسه، وهذا خلاف بلاغة القرآن.[١]

قال العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "شرح البيقونية" (ص٢٢): ولو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لكان معنى الآية: أولئك عليهم رحمات من ربهم ورحمة. وهذا لا يستقيم، والأصل في الكلام التأسيس، فإذا قلنا: إن المعنى أي: رحمات من ربهم ورحمة، صار عطف مماثل على مماثل.

(١) "فتح ذي الجلال والإكرام" لابن عثيمين (٢/١٦١).

فالصحيح هو القول الأول.اهـ

وقال في "الشرح الممتع" (١٦٣/٣): قيل: إن الصلاة من الله الرحمة... وهذا مشهور بين أهل العلم، لكن الصحيح خلاف ذلك، أن الصلاة أخص من الرحمة، ولهذا أجمع المسلمون على جواز الدعاء بالرحمة لكل مؤمن. واختلفوا: هل يُصلى على غير الأنبياء، ولو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لم يكن بينهما فرق، فكما ندعو لفلان بالرحمة نصلي عليه. وأيضا فقد قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ ﴾ [البقرة: ١٥٧]، فعطف الرحمة على الصلوات، والعطف يقتضي المغايرة، فتبين بدلالة الآية الكريمة واستعمال العلماء رحمهم الله للصلاة في موضع، والرحمة في موضع: أن الصلاة ليست هي الرحمة، وأحسن ما قيل فيها: ما ذكره أبو العالية[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه في الملأ الأعلى، فمعنى «اللّٰهُمَّ صل عليه» أي: أثنِ عليه في الملأ الأعلى عند الملائكة المقربين، فإذا قال قائل: هذا بعيد من اشتقاق اللفظ؛ لأن الصلاة في اللغة الدعاء وليست الثناء؟ فالجواب على هذا: أن الصلاة أيضا من الصلة، ولا شك أن الثناء على رسول الله ﷺ في الملأ الأعلى من أعظم الصلات؛ لأن الثناء قد يكون أحيانا عند الإنسان أهم من كل حال، فالذكرى الحسنة صلة عظيمة، وعلى هذا فالقول الراجح: أن الصلاة عليه تعني الثناء عليه في الملأ الأعلى. اهـ



(١)أثر أبي العالية الرياحي ذكره البخاري في "صحيحه" (٦٧٦/٨) معلقا، ووصله القاضي إسماعيل بن إسحاق الجهضمي في "فضل الصلاة على النبي ﷺ" (ص: ٨٢)(٩٥)قال: حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: ثنا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: «صَلَاةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ الدُّعَاءُ». وأبوجعفر الرازي ضعيف، لاسيما إذا روى عن الربيع. انظر ترجمته في "تهذيب التهذيب" (١٢/ ٥٦).

فائدة : الصلاة على غير الأنبياء

في جواز الصلاة على غير الأنبياء تفصيل؛ فتجوز إجماعًا إذا كانوا تبعًا للأنبياء في الذكر كقولنا: «اللّٰهُمَّ صل على محمد وعلى آل محمد»، وإذا أفردوا فللعماء في ذلك أقوال: فمنهم من أجاز مطلقا، ومنهم من منع مطلقا وهو قول الجمهور، قالوا: لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة؛ لأن هذا صار شعارًا للأنبياء إذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم؛ فلا يقال: قال أبوبكر صلى الله عليه وسلم، أو قال علي صلى الله عليه وسلم، وإن كان المعنى صحيحًا، كما لا يقال: محمد عز وجل، وإن كان عزيزًا جليلًا؛ ولأن هذا من شعار ذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

ولأن الصلاة على غير الأنبياء قد صارت من شعار أهل الأهواء يصلون على من يعتقدون فيهم؛ فلا يقتدى بهم في ذلك. وكذلك الأمر في السلام.

وقيل: لا يجوز إذا اتخذ شعاراً فَتَركه حِينَئِذٍ مُتَعَيّن وَأما إن صلى عَلَيْهِ أَحْيَانًا لسبب كَمَا صلى رسول الله ﷺ على دَافع الزَّكَاة فيجوز.(١)

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ في "شرح الألفية لابن مالك"(٢٩/١): الصلاة على غير الأنبياء لا تجوز إلا تبعا أو لسبب، فالصلاة تبعا كما في قوله: «اللّٰهُمَّ صل على محمد وعلى آل محمد». والصلاة لسبب كما في قوله تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ ﴾ [التوبة: ١٠٣] أما أن تتخذ شعارا لشخص معين سوى الأنبياء فإن ذلك لا يجوز.اهـ

فائدة أخرى : الجمع بين الصلاة والسلام في حقه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ

الأفضل الجمع بين الصلاة والسلام؛ وذلك عملا بالآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] ومعنى

---

(١) "تفسير ابن كثير"(٦/٤٧٧)، "تفسير القاسمي"(٨/١٠٨)، "التفسير المنير" للزحيلي (٢٢/١٠٣)، "إكمال المعلم بفوائد مسلم" (٢/٣٠٥)، "شرح النووي على مسلم" (٤/١٢٧)، "فتح الباري" لابن حجر (١١/١٦٩)، "جلاء الأفهام" (ص:٤٦٥).

السلام عليه: أي الدعاء له بسلامة بدنه في حياته وقبره ويوم القيامة، وسلامة دينه وسنته[١].

قوله: (على المختار): المختار مأخوذ من الاختيار، وهو الانتقاء والاصطفاء[٢].

عن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا[٣] مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ». صحيح مسلم (٢٢٧٦)



(١) "الشرح الممتع" (٣/١٤٩ - ١٥٠).

(٢)وفي "المطلع على ألفاظ المقنع" (ص٤٠٥): قوله: (المختار) هو غير المكره، وهو اسم فاعل من اختار، ويقع على المفعول أيضا، يقال: اخترت الشيء، فهو مختار، ويفرق بينهما بالقرائن. وانظر:"المعجم الوسيط" (٢/١٩٣).

(٣)قال الإمام البغوي في "شرح السنة" (١٣/ ١٩٣): قريش: هُم أَوْلَاد النَّضر بْن كنَانَة تفرقُوا فِي الْبِلَاد، فَجَمعهُمْ قصي بْن كلاب فِي مكَّة. سموا قُرَيْشًا؛ لِأَنَّهُ قرشهم، أَي: جمعهم، ولكنانة وُلِدَ سوى النَّضر، وهم لَا يسمون قُرَيْشًا، لأَنهم لم يقرشوا.اهـ

وقال أبو السعادات ابن الأثير في "جامع الأصول" (١٢/ ٨٧): وأما النَّضْرُ، فإنه يُسمَّى قُريشاً، وبه سُمِّيت قُريشُ، وكُلُّ مَنْ كان من ولد النَّضر فهو قُرشيّ، وقيل: بل كل مَنْ كان من ولد فِهْر بن مالك فهو قرشيّ، وقيل: إنَّ أول من سُمِّي قُريشاً قُصي، وفيه بُعْدٌ، والأكثر الأول، وقد اختلفوا في النسب الذي سُمِّي به النَّضْر قُرَيشاً، والأكثرون على أنَّه من التقرُّش: وهو التجمع.اهـ

وقال الطيبي في "شرح المشكاة" (١١/ ٣٦٣٢): وقريش هم أولاد النضر بن كنانة كانوا يتفرقون في البلاد فجمعهم قصي بن كلاب في مكة، فسموا قريشاً لأنه قرشهم أي جمعهم ولكنانة ولد سوى النضر وهم لا يسمون قريشاً لأنهم لم يقرشوا.اهـ

٢- وَبَعْـــدُ هَـــاكَ سِـــيرَةَ الرَّسُـــولِ مَنْظُومَـــةً مُـــوجَزَةَ الْفُصُـــولِ

الشرح:

قوله: (وبعد): كلمة يؤتى بها للانتقال من المقدمة إلى الموضوع، وللدلالة على الشروع في المقصود. والإتيان بها اقتداء بالنبي ﷺ؛ فإنه كان يأتي بها في خطبه ومكاتباته، بل رواها عنه اثنان وثلاثون صحابيا.[١]

قال العلامة بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "فتح ذي الجلال والإكرام" (٥٠٨/٣): كلمة (أما بعد) قال بعضهم: إنها كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى آخر، ولكن هذا غير صحيح، والذي يتتبع كلام العرب يجد أنها كلمة تقال بين يدي الموضوع، أي: موضوع الكلام، فيؤتى أوَّلًا بالمقدمة، ثم يقال عند الدخول في الموضوع: أما بعد.

وزعم بعضهم أنها هي فصل الخطاب الذي أوتيه داود، والصواب: أنها ليست إياها، وأن فصل الخطاب: هو الفصل بين الناس في الخصومات التي تكون بينهم.اهـ

فائدة: أمثلة من الحديث على الإتيان بها في الخطب والمكاتبات

١) قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صحيحه"(١٠/٢): باب من قال في الخطبة بعد الثناء: «أما بعد». ثم ذكر أحاديث بسنده، ومنها: حديث أبي حميد الساعدي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنه أخبره أن رسول الله ﷺ قام عشية بعد الصلاة، فتشهد وأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد»[٢].

٢) **ومثاله في المكاتبات:** ما جاء عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، في كتاب رسول الله ﷺ لهرقل، وفيه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ...»الخ. متفق عليه [البخاري (٧)ومسلم (١٧٧٣)]

قوله: (هاك سيرة): خذ الطريقة، والهيئة، والأحاديث، والأخبار.

---

(١)انظر: "دليل الفالحين"(٣٣/١)، "مرعاة المفاتيح"(٥/١)، "فتح ذي الجلال والإكرام" للعثيمين(٤٩/١).

(٢)صحيح البخاري (٩٢٥)، وأخرجه مسلم (١٨٣٢).

يقال: فلان على سيرة حسنة، أي: طريقة. وسيّر سيرة: حدّث أحاديث. وأما الهيئة فمنه قوله تعالى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾[طه: ٢١] أي: على هيئتها الأولى.

فالسيرة: السنة، والطريقة، والحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره. والسيرة النبوية، وكتب السير مأخوذة من السيرة بمعنى الطريقة، وأدخل فيها الغزوات وغير ذلك. ويقال: قرأت سيرة فلان، تاريخ حياته[١].

(الرسول): عبد، ذكر، حر، اصطفاه الله بالوحي إليه وإرساله إلى قوم كافرين، وقد يكون على رسالة من قبله، وقد يكون عنده شريعة جديدة، وهذا أكثر[٢].

قوله: «منظومة موجزة الفصول»

(منظومة): صيغة المؤنث لمفعول نظم، وهي: مجموعة أفكار ومبادئ مرتبطة ومنظمة[٣].

(موجزة): من الإيجاز، وهو: الاختصار. يقال: كلام موجز، وخطبة موجزة. ويقال: أوجز الكلام أي: اختصره. والإيجاز في الكلام: هو ضد العي فيه والإكثار.[٤]

(الفصول): جمع فصل، والفصل: الحاجز بين الشيئين، ومنه قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ [الصافات: ٢١]، أي: يفصل فيه الناس، ويتميز بعضهم عن بعض، يتميز المحسن من المسيء.

معنى البيت: هذه سيرة وحياة محمد ﷺ التي لم تكن ماضيًا أبدًا، بل كانت شعلة توقد شموس الحياة، ودماء تتدفق في عروق المستقبل، وأكثر من خمسين عامًا من فن التعامل مع الغير، نقشها في قلوب من حوله وقلوب غيرهم ممن دب على هذه الأرض إلى قيام الساعة.

---

(١) انظر: "التعريفات" للجرجاني (ص١٢٢)، "المحكم المحيط"(٨/٥٧٣)، "المعجم الوسيط" (١/٤٦٧)، "معجم اللغة العربية المعاصرة" (٢/١١٤٧).

(٢) "تنوير العقول" لشيخنا الإمام- وفقه الله- (ص٥).

(٣) "معجم اللغة العربية المعاصرة" (٣/٢٢٣٦)

(٤) "الإبانة في اللغة العربية" (١/١٤٢)، و"معجم متن اللغة" (٥/٧١٠).



مولد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٣- مَـــوْلِدُهُ[١] فِي عَاشِرِ الْفَضِـــيلِ ... رَبِيـــعِ الأَوَّلِ عَامَ الْفِيـــلِ

٤- لَكِنَّمَـا الْمَشْـهُورُ ثَـانِي عَـشْرِهِ ... فِي يَـوْمِ الاثْنَـيْنِ طُلُـوعَ فَجْـرِهِ

الشرح:

يعني: وفي فجر يوم الاثنين العاشر من شهر ربيع الأول - وقيل:الثاني عشر وهو الأشهر- عام الفيل كانت ولادة رسول الله ﷺ.

تاريخ ميلاده الشريف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ولد ﷺ عام الفيل بمكة المكرمة في شهر ربيع الأول يوم الاثنين.

- أما العام فبالدليل والإجماع

حديث قيس بن مخرمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل، فنحن لِدَتَان[٢].

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ في "تهذيب الأسماء واللغات"(١/٢٢-٢٣): والصحيح المشهور أنه ولد عام الفيل ونقل إبراهيم بن المنذر الحزامي شيخ البخاري، وخليفة بن خياط وآخرون

---

(١)قوله: (مولده): لو قال ميلاده لكان أفضل؛ لاختصاصه بالوقت لا غير. قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: ميلاد الرجل اسم للوقت الذي ولد فيه، والمولد اسم للموضع الذي ولد فيه.اهـ"تهذيب الأسماء واللغات" (١٩٦/٣)، وانظر: "مختار الصحاح" (٣٤٥)، وفي "تاج العروس" (٣٢٧/٩): المولد: الموضع والوقت، والميلاد: الوقت لا غير.

(٢)أخرجه: ابن إسحاق كما في "سيرة ابن هشام" (٢٠٦/١)، وأحمد (١٧٩٤٦)، والترمذي (٣٦١٩) وغيرهم، وحسنه الذهبي في "تاريخ الإسلام" (٢٣/١) والألباني في "صحيح السيرة النبوية" (ص ١٣)، وفي"الصحيحة" (٤٣٤/٧) وقال: الحديث حسن إن شاء الله تعالى، ويقويه اتفاق العلماء عليه، فقد ذكر الحافظ ابن عساكر (٤٠١/١) عن ابن المنذر أنه قال: لا يشك أحد من علمائنا: أن رسول الله ﷺ ولد عام الفيل، وبُعث على رأس أربعين سنة من الفيل.اهـ وهو في "سلسلة الآثار الصحيحة"(١/ ١٤٦).

الإجماع عليه.اهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في "زاد المعاد" (٧٦/١): لا خلاف أنه ولد بجوف مكة، وأن مولده عام الفيل.اهـ

وقال خليفة بن خياط رَحِمَهُ اللَّهُ في "تاريخه" (ص٥٣): المجمع عليه: أنه ولد عام الفيل.اهـ ونقله الذهبي في "تاريخ الإسلام" (٢٥/١).

واختلفوا فيما مضى من ذلك العام: قال الزرقاني رَحِمَهُ اللَّهُ: والمشهور أنه ولد بعد الفيل بخمسين يوما، وإليه ذهب السهيلي في جماعة ، وقيل: بعده بخمسة وخمسين يوما، وحكاه الدمياطي في آخرين، وقيل: بشهر، وقيل: بأربعين يوما، وقيل: بعد الفيل بعشر سنين، وقيل: قبل الفيل بخمس عشرة سنة، وقيل غير ذلك. اهـ[١]

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في "تاريخ الإسلام" (٢٧/١): وقال أبو أحمد الحاكم: ولد بعد الفيل بثلاثين يوما. قاله بعضهم. قال: وقيل: بعده بأربعين يوما. اهـ

- **وأما اليوم:** فهو يوم الاثنين لا خلاف فيه، وقد روى مسلم (١١٦٢) عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين؟ فقال: «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ - أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ -».

وأما الشهر: فهو شهر ربيع الأول على قول الجمهور، قال الزرقاني في "شرح المواهب اللدنية" (٢٤٦/١): والمشهور أنه ولد في شهر ربيع الأول، وهو قول جمهور العلماء، ونقل ابن الجوزي الاتفاق عليه وفيه نظر؛ فقد قيل: في صفر، وقيل: في ربيع الآخر، وقيل: في رجب، وقيل: في شهر رمضان... والأغرب من قال: ولد في عاشوراء. اهـ

تاريخ يوم الولادة

اختار الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ القول بأنه اليوم العاشر، وهذا قول بعض العلماء.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال شيخنا أبو محمد الدمياطي في "السيرة" – من تأليفه –: عن أبي جعفر محمد بن علي قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الأول،

---

(١) "شرح المواهب اللدنية" (٢٤٤/١)، وانظر: "الروض الأنف" (١٤٣/٢)، "البداية والنهاية" (٢٦٢/٢).

وكان قدوم أصحاب الفيل قبل ذلك في النصف من محرم. وقال أبو معشر نَجيح: ولد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول . قال الدمياطي: والصحيح قول أبي جعفر. اهـ[١]

و المشهور أنه في الثاني عشر وهذا قول جمهور العلماء، وجزم به ابن إسحاق[٢].

قال الزرقاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "شرح المواهب اللدنية" (٢٤٨/١): والمشهور أنه ولد يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول، وهو قول ابن إسحاق وغيره، وإنما كان في شهر ربيع الأول على الصحيح، ولم يكن في المحرم، ولا في رجب، ولا في رمضان، ولا في غيرها من الأشهر ذوات الشرف؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لا يتشرف بالزمان وإنما الزمان يتشرف به كالأماكن. اهـ

وفي المسألة أقوال أخرى[٣]:

فقيل: اليوم الثاني: قاله ابن عبد البر في "الاستيعاب"، ورواه الواقدي عن أبي معشر نجيح ابن عبد الرحمن المدني، واختاره الحافظ المقدسي في "مختصر السيرة".

وقيل: اليوم الثامن: حكاه الحميدي عن ابن حزم، ورواه مالك وعُقيل ويونس بن يزيد وغيرهم، عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، ونقل ابن عبد البر عن أصحاب التاريخ أنهم صححوه، وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسى الخوارزمي، ورجحه الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه: "التنوير في مولد البشير النذير".

وقيل: السابع عشر: نقله ابن دحية عن بعض العلماء.

وقيل: اليوم التاسع: اختاره المباركفوري في "الرحيق المختوم" (ص٤٥) وقال:حسبما حققه العالم الكبير محمد سليمان المنصورفوري، والمحقق الفلكي محمود باشا.اهـ

---

(١) "تاريخ الإسلام" (٢٦/١)، "ما شاع ولم يثبت في السيرة" (ص٧)

(٢)انظر: "البداية والنهاية"(٢٦٠/٢)، و"سيرة ابن هشام" (١٧١/١)، و"رحمة للعالمين" (ص١٥)

(٣)انظر : "البداية والنهاية"(٢/ ٣٢٠)، "ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية" (ص: ٦).

ومال إليه العلامة ابن عثيمين في "القول المفيد" (٤٩١/١) وقال: وقد حقق بعض الفلكيين المتأخرين ذلك، فكان اليوم التاسع، لا في اليوم الثاني عشر.اهـ[١]

قوله: (طلوع فجره): هذا هو الصحيح، وعليه الجمهور. وقيل: ولد ليلًا.

قال الزرقاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "شرح المواهب اللدنية" (٢٥٤/١): قال الشيخ بدر الدين الزركشي: والصحيح أن ولادته كانت نهارًا.اهـ

وقال أبوالفرج علي الحلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السيرة الحلبية" (٨٤/١): ذكر الزبير بن بكار والحافظ ابن عساكر أن ذلك كان حين طلوع الفجر، ويدل عليه قول جده عبد المطلب: ولد لي الليلة مع الصبح مولود. اهـ.

وقال الفاسي في "مستعذب الأخبار"(ص٧١): واختلف في الوقت الذي ولد فيه، والصحيح المشهور كما قال ابن جماعة وابن حجر الهيثمي: الفجر.اهـ

فائدة: سبب الخلاف في السير وأقسام مدارسها

السبب هو عدم ثبوت الرواية حديثيا، والذين كتبوا السيرة على مدرستين اثنتين:

---

(١)قال الفلكي الأستاذ عبد الله السليم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لقد جاء في كتب التاريخ والسير أن النبي ﷺ ولد يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الأول، وقيل: لثمان خلون منه، وقيل: لثنتي عشرة منه، وأخذ بذلك جمهور العلماء ، وقد ثبت بما لا يحتمل الشك من النقل الصحيح أن ولادته كانت في ٢٠ نيسان (أبريل) سنة ٥٧١ عام الفيل ... كما ثبت من طريق النقل الصحيح أنه وفاته ﷺ كانت في ١٣ ربيع الأول سنة ١١ من الهجرة وأنه يوافق ٨ حزيران سنة (٦٣٢)، وما دامت هذه التواريخ ثابتة ومعروفة فبالإمكان معرفة يوم ولادته ويوم وفاته بالدقة، وكذلك مقدار عمره، وبتحويل السنين الرومية إلى أيام فإنها تكون ٢٢٣٣٠، وبتحويل هذه الأيام إلى سنين قمرية كل سنة $\frac{11}{30}$ ٣٥٤ فإنه يكون عمره ﷺ ٦٣ سنة وحوالي ثلاثة أيام، ويتفق هذا مع قول الجمهور: على أن مبدأ التاريخ الهجري ١٦ تموز حسب الرؤية، وبالحساب ١٥ تموز يتفق مع ١/١/١هـ، مع اليوم الأول من شهر محرم أول سنة أُرِّخ فيها التاريخ الهجري، وعلى هذا فتكون ولادته ﷺ يوم الاثنين الموافق ٩ ربيع الأول سنة ٥٣ قبل الهجرة، ويوافق ٢٠ نيسان (أبريل) سنة ٥٧١ نقلًا وحسابًا. اهـ"تقويم الأزمان" (ص١٤٣)

مدرسة المحدثين الذين اعتمدوا على نقل السيرة بما وصلهم بالأسانيد المتصلة المثبتة. ومدرسة المؤرخين الذين اعتمدوا في نقل السير على الحكاية بدل الرواية والإسناد. ولا شك أن رواية المحدثين أكثر ثبوتا. ودرج بعض العلماء على اعتماد الرواية الحديثية فإن انعدمت أخذوا بما اشتهر من الحكاية بشرط ألا يتعارض مع العقيدة والشريعة.

قال العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "ألفية السيرة النبوية" (ص: ٢٩):

وليعلمِ الطالبُ أنَّ السّيَرَا ... تجمَعُ ما صحّ وما قدْ أُنْكرَا

والقصدُ ذكرُ ما أتى أهلُ السّيَرْ ... بهِ، وإنْ إسنادُهُ لمْ يُعْتَبَرْ

فإنْ يكنْ قدْ صحَّ غيرُ ما ذُكِرْ ... ذكرتُ ما قد صحّ منه واستطر

مما فات الناظم ذكره:

نسبه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ

هو أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ(١) بْنِ هَاشِمٍ(٢) بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ(٣) بْنِ قُصَيٍّ(٤) بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعبِ بْنِ لؤَيِّ بْنِ غالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ

---

(١)عبد المُطَّلب اسمه شَيْبَة، وقيل: عامر، وقيل: عبد المُطَّلِب. وكان يُقال له: شَيْبَة الحَمْد، لشَيْبَة كانت في ذؤابَتِهِ ظَاهِرة. وكُنْيَتُه أبو الحارث بابن له، ومن قال: إن اسمه شيبة، قال: إنما قيل له: عبد المطلب لأن أباه هاشماً قال لأخيه المُطَّلب - وهو بمكّة حين حضرته الوفاة- : أدرك عبدك بيثرب، فمن هناك سُمِّي عبدالمُطَّلب، وقيل: إن عمّه المُطَّلب جاء به إلى مكّة رديفه وهو بهيئة بذّة، فكان يُسْأَلُ عنه، فيقول: هو عبدي، حَياءًا أن يقول: ابن أخي، فلما أدخله وأحسن من حاله أظهر أنه ابن أخيه، ولذلك قيل له: عبدالمُطَّلب. "جامع الأصول" (١٢/ ٨٧)

(٢)اسمه: عمرو، ويقال له: عمرو العلى، وإنما قيل له: هاشم لأنه كان يهشم الثَّرِيد لقومه في الجدب. "جامع الأصول" (١٢/ ٨٨)

(٣)قيل: إن اسمه المُغيرة، وكُنْيَتُه أبو عبد شمس. "جامع الأصول" (١٢/ ٨٨).

(٤)قُصَيٌّ: بضم القاف، وفتح الصَّاد المهملة، وتشديد الياء، قيل: اسمه زيد، وهو الأكثر ويقال: يزيد=

ابْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ[١] بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ[٢] بْنِ عَدْنَانَ[٣].

هذا ما أجمع عليه العلماء ولايصح سرد الأسماء فوق عدنان إلى آدم عليه السلام وما ورد فيه فهو ضعيف.

قال ابن عبد البر في "الاستيعاب" (١٣٣/١): لم يختلف أهل العلم بالأنساب والأخبار وسائر العلماء بالأمصارأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: محمد بن عبد الله ... فذكره إلى عدنان. ثم قال: هذا ما لم يختلف فيه أحد من الناس، وقد روي من أخبار الآحاد عن النبي ﷺ أنه نسب نفسه كذلك إلى نزار بن معد بن عدنان، وما ذكرنا من إجماع أهل السير وأهل العلم بالأثر يغني عما سواه والحمد لله. واختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وفيما بين إبراهيم وسام بن نوح بما لم أَرَ لذكره هاهنا وجهًا؛ لكثرة الاضطراب فيه، وأنه لا يُوقف منه على شيء متتابع متفق عليه، وَهُم مع اختلافهم واضطرابهم مجمعون على أن نزارًا بأسرها، وهي ربيعة ومضر هي الصريح الصحيح من ولد إسماعيل. اهـ

وقال أبو السعادات ابن الأثير في "جامع الأصول" (١٢/ ٨٧): قَدْ اختَلَفَ النَّاس في نَسب رسولِ الله ﷺ بعد اتفاقهم أنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأنَّه من ولد مَعَدّ بن عَدْنَان، وإنما الاختلاف في الأسماءِ التي قبل

=وإنما قيل له: قُصي لأنَّه ذهب مع أمِّه فاطمة بنت سعد من بني عُذْرَة، ونشأ مع أخواله من كَلْب في باديتهم، وبَعُدَ عن مكَّة، فسمِّي لذلك قُصياً، وكان يدعى مُجَمِّعاً، لأنه لما كبر عاد إلى مكَّة، وكانت قريش قد تفَرَّقَتْ جمعها وردّها إلى مكّة، فسُمِّي مُجَمِّعاً. "جامع الأصول" (١٢/ ٨٨)

(١)اسمه عامر، وقيل: عمرو، وقيل: سُمِّي مُدْرِكة، لأنه عَدَا خَلْفَ أرنب فأدركها فسمَّاه أبوه إلياسُ مُدْرِكة، ثم أعطاها أخاه عامراً أو عمراً على اختلاف القول فيه فطبخها فسُمِّي طابخة. "جامع الأصول" (١٢/ ٨٧)

(٢) مَعَدٍّ: بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالْمُهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ الدَّالِ. قَالَ ابن الْأَنْبَارِيِّ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَفْعَلًا مِنَ الْعَدِّ أَوْ هُوَ مَنْ مَعَدَ فِي الْأَرْضِ إِذَا أَفْسَدَ... وَقِيلَ: غير ذَلِك. الفتح (٧/ ١٦٤)

(٣) "صحيح البخاري" (٥/ ٤٤).

عَدْنان وإلى آدم عليه السَّلام، ولا يكاد يصحُّ لأحدِ الرُّواة رواية ولا ضبط الأسماء... ولهذا الاختلاف اقتصرنا في ذِكْرِ نَسَبِه ﷺ إلى عَدْنان، حيث هو مُجْمَع عليه.اهـ

وقال الإمام البغوي في "شرح السنة" (١٣/ ١٩٣): وَلَا يَصح حفظ النّسَب فَوق عدنان.اهـ

وقال أبو الحسن ابن الأثير في "أسد الغابة" (١/ ٢٠): فأما ما بعد عدنان من آبائه إلى إِسْمَاعِيل بْن إِبْرَاهِيم الخليل صلى الله عليهما وسلم، ففيه اختلاف كثير في العدد والأسماء، لا ينضبط ولا يحصل منه غرض فتركناه لذلك.اهـ

وقال الإمام النووي في "تهذيب الأسماء واللغات" (١/ ٢١): إلى هنا إجماع الأمة، وأما ما بعده إلى آدم فيختلف فيه أشد اختلاف. قال العلماء: ولا يصح فيه شيء يعتمد.اهـ

وقال ابن الملقن في "التوضيح لشرح الجامع الصحيح" (٢/ ١٧): وما ذكرته من النسب إلى عدنان هو إجماع الأمة. وفيما بعده إلى آدم خلاف واضطراب، والمحققون ينكرونه.اهـ

وقال المزي في "تهذيب الكمال" (١/ ١٧٤): إلى هنا أجمع أهل النسب، وما وراء ذلك، ففيه اختلاف كبير جدا.اهـ

وقال ابن كثير في "الفصول" (٢١): هذا النسب الذي سقناه إلى عدنان لا مرية فيه ولا نزاع، وهو ثابت بالتواتر والإجماع، وإنما الشأن فيما بعد ذلك. اهـ

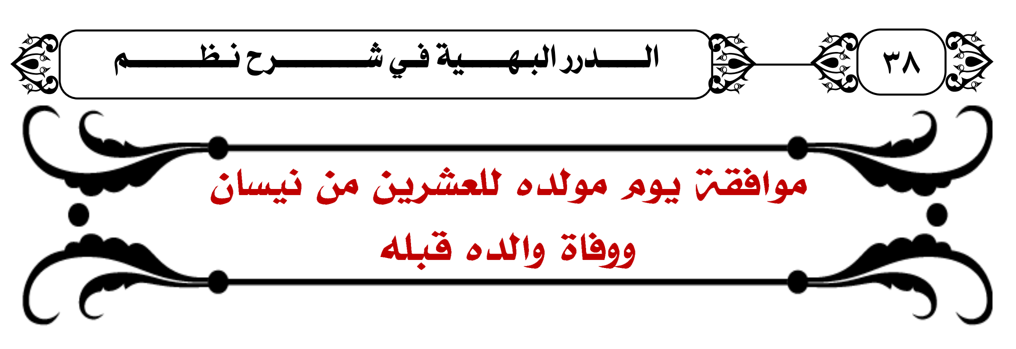
وقال ابن القيم في "زاد المعاد" (١/٧٠): إِلَى هَاهُنَا مَعْلُومُ الصِّحَّةِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ النَّسَّابِينَ، وَلَا خِلَافَ فِيهِ الْبَتَّةَ، وَمَا فَوْقَ «عدنان» مُخْتَلَفٌ فِيهِ. وَلَا خِلَافَ بَيْنَهِمْ أَنَّ «عدنان» مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ عليه السلام.اهـ[1]

---

(١) وممن نقل الإجماع أيضا: ابن حبان في "مشاهير علماء الأمصار" (ص: ٢١)، وابن شاهين في "غاية السول" (ص: ٢٥)، وابن العمراني في "الإنباء في تاريخ الخلفاء" (ص: ٤٤)، والصالحي في "سبل الهدى والرشاد" (١/ ٢٣٩)، وابن الجوزي في "المنتظم" (٢/ ١٩٥)، وابن الوردي في "تاريخه" (١/ ٩٥)، واليافعي في "مرآة الجنان" (١/ ٢١)، والعليمي في "الأنس الجليل" (١/ ١٧٤) وعلي القاري في "جمع الوسائل" (١/ ٨)، وابن العماد في "شذرات الذهب" (١/ ١٣٤)، وسبط ابن الجوزي في "مرآة الزمان" (٣/ ٨) والعراقي في "طرح التثريب" (١/ ٢٣) والطيبي في "شرح المشكاة" (١١/ ٣٦٣٢)، وغيرهم.

وما أحسن ما قال القسطلاني في "المواهب اللدنية" (١/ ٦٢): فالذى ينبغى لنا: الإعراض عما فوق عدنان، لما فيه من التخليط والتغيير للألفاظ، وعواصة تلك الأسماء، مع قلة الفائدة.اهـ





موافقة يوم مولده للعشرين من نيسان ووفاة والده قبله

٥- وَوَافَقَ الْعِشْرِينَ مِنْ نَيْسَانَا وَقَبْلَهُ حَيْنُ أَبِيهِ حَانَا

الشرح: قوله: (ووافق العشرين من نيسانا): قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "البداية والنهاية" (٢/ ٣٢٠): وَذَكَرَ السُّهَيْلِيُّ أَنَّ مَوْلِدَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ نِيسَانَ.اهـ[1]

فائدة: الأشهر الشمسية الرومانية، وما يقابلها من الأشهر السريانية:

١-	يناير		كانون الثاني
٢-	فبراير		شباط
٣-	مارس		آذار
٤-	أبريل		نيسان
٥-	مايو		آيار
٦-	يونيو		حزيران
٧-	يوليو		تموز
٨-	أغسطس		آب
٩-	سبتمبر		أيلول
١٠-	أكتوبر		تشرين أول
١١-	نوفمبر		تشرين الثاني
١٢-	ديسمبر		كانون أول

(١) وذكر مثله ابن الجوزي في "المنتظم" (٢/٢٤٦)، والمقريزي في "إمتاع الأسماع" (١/٧)، والذهبي في "تاريخ الإسلام" (١/٢٧).

قوله: «وقبله حَين أبيه حانا»: الحين: - بفتح الحاء – الهلاك، وحان الرجل: هلك[1].

والمعنى: أن أباه توفي وهو حمل، وقبل أن يولد. وهذا قول الجمهور.

قال المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "إمتاع السماع" (٩/١): ومات عبد الله بن عبد المطلب ورسول الله ﷺ حمل في بطن أمه – بالمدينة – وقيل: بالأبواء بين مكة والمدينة، والأول هو المشهور، وقيل: مات بعد ولادته بثمانية وعشرين يوما، وقيل: بسنة، وقيل: بسنتين، وقيل: بشهرين، والأول أثبت. اهـ

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السيرة النبوية"(٢٠٥/١): توفي أبوه عبد الله وهو حمل في بطن أمه على المشهور... قال الواقدي: هَذَا هُوَ أَثْبَتُ الْأَقَاوِيلِ فِي وَفَاةِ عَبْدِ اللَّهِ وَسِنِّهِ عِنْدَنَا... وقال محمد بن سعد: والأول أثبت، أنه توفي ورسول الله ﷺ حمل. ثم قال ابن كثير: والذي رجحه الواقدي وكاتبه الحافظ محمد بن سعد أنه عليه الصلاة والسلام توفي أبوه وهو جنين في بطن أمه، وهذا أبلغ اليتم وأعلى مراتبه.اهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الزاد"(٧٥/١): واختلف في وفاة أبيه عبد الله: هل توفي ورسول الله ﷺ حمل؟ أو توفي بعد ولادته؟ على قولين: أصحهما: أنه توفي ورسول الله ﷺ حمل. اهـ

ومما يدل على ذلك: ما جاء عن قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّهُ ذَكَرَ وِلَادَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «تُوُفِّيَ أَبُوهُ وَأُمُّهُ حُبْلَى بِهِ». [2]

خبر وفاة أبيه عبد الله

خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام، إلى غزة، في عير من عيران قريش يحملون تجارات، ففرغوا من تجارتهم، ثم انصرفوا فمروا بالمدينة، وعبد الله بن عبد المطلب يومئذ مريض، فقال: أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار. فأقام عندهم مريضًا شهرًا، ومضى أصحابه فقدموا مكة، فسألهم عبد المطلب عن ابنه عبد الله فقالوا: خلفناه عند

---

(١) "لسان العرب" (١٣٦/١٣)، "تاج العروس" (٤٧٣/٣٤).

(٢)أخرجه الحاكم في "مستدركه"(٤١٩١)، وصححه وأقره الذهبي.

أخواله بني عدي بن النجار وهو مريض. فبعث إليه عبد المطلب أكبر ولده الحارث، فوجده قد توفي ودفن في دار النابغة، فرجع إلى أبيه فأخبره، فوجد عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجدًا شديدًا، ورسول الله ﷺ يومئذ حمل، ولعبد الله بن عبد المطلب يوم توفي خمس وعشرون سنة.(١)



(١) "السيرة النبوية" لابن كثير (١/٢٠٥)

رضاعه وحادثة شق صدره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٦- وَبَعْدَ عَامَيْنِ غَدَا فَطِيمَا	جَاءَتْ بِهِ مُرْضِعُهُ سَلِيمَا
٧- حَلِيمَةٌ لِأُمِّهِ وَعَادَتْ	بِهِ لِأَهْلِهَا كَمَا أَرَادَتْ
٨- فَبَعْدَ شَهْرَيْنِ انْشِقَاقُ بَطْنِهِ	وَقِيلَ بَعْدَ أَرْبَعٍ مِنْ سِنِّهِ

الشرح:

أي: بعد عامين من إرضاعه في بني سعد، جاءت به أمه من الرضاعة حليمة السعدية إلى أمه آمنة بنت وهب في بني سليم، وذلك بعد أن استغنى عن الرضاعة، وكانت ترجو أن يبقى عندها، فطلبت من أمه آمنة أن يبقى عندها، ولا زالت بها حتى وافقت، وعادت به حليمة معها كما أرادت، وبعد شهرين أو ثلاثة حدثت حادثة شق صدره ﷺ، وقيل: حدثت بعد بلوغه الرابعة من العمر.

حديث رضاعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حليمة السعدية

قال الإمام أبو يعلى الموصلي رَحِمَهُ اللَّهُ في مسنده (١٣/٩٣) (٧١٦٣): حَدَّثَنَا مَسْرُوقُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ الْكُوفِيُّ، وَالْحَسَنُ بْنُ حَمَّادٍ، وَنَسَخْتُهُ مِنْ حَدِيثِ مَسْرُوقٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا ابْنِ زَائِدَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ جَهْمِ بْنِ أَبِي جَهْمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ حَلِيمَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ أُمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ السَّعْدِيَّةِ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ، قَالَتْ: خَرَجْتُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ نَلْتَمِسُ الرُّضَعَاءَ بِمَكَّةَ عَلَى أَتَانٍ لِي قَمْرَاءَ قَدْ أَذَمَّتْ، فَزَاحَمْتُ بِالرَّكْبِ، قَالَتْ: وَخَرَجْنَا فِي سَنَةٍ شَهْبَاءَ لَمْ تُبْقِ شَيْئًا وَمَعِي زَوْجِيَ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى، قَالَتْ: وَمَعَنَا شَارِفٌ لَنَا، وَاللَّهِ إِنْ تَبِضُّ عَلَيْنَا بِقَطْرَةٍ مِنْ لَبَنٍ، وَمَعِي صَبِيٌّ لِي إِنْ نَنَامُ لَيْلَتَنَا مَعَ بُكَائِهِ مَا فِي ثَدْيِي مَا يُغْنِيهِ، وَمَا فِي شَارِفِنَا مِنْ لَبَنٍ نَغْذُوهُ، إِلَّا أَنَّا نَرْجُو، فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ لَمْ تَبْقَ مِنَّا امْرَأَةٌ إِلَّا عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَأْبَاهُ، وَإِنَّمَا كُنَّا نَرْجُو كَرَامَةَ رَضَاعَةٍ مِنْ وَالِدِ الْمَوْلُودِ، وَكَانَ يَتِيمًا، فَكُنَّا نَقُولُ: مَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ؟ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ صَوَاحِبِي امْرَأَةٌ إِلَّا أَخَذَتْ صَبِيًّا غَيْرِي، وَكَرِهْتُ أَنْ أَرْجِعَ وَلَمْ آخُذْ شَيْئًا، وَقَدْ أَخَذَ صَوَاحِبِي، فَقُلْتُ

لِزَوْجِي: وَاللَّهِ لَأَرْجِعَنَّ إِلَى ذَلِكَ فَلَآخُذَنَّهُ، قَالَتْ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُهُ فَرَجَعْتُهُ إِلَى رَحْلِي، فَقَالَ زَوْجِي: قَدْ أَخَذْتِهِ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، وَاللَّهِ ذَاكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ، فَقَالَ: قَدْ أَصَبْتِ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ فِيهِ خَيْرًا، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ جَعَلْتُهُ فِي حِجْرِي، قَالَتْ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيِي بِمَا شَاءَ مِنَ اللَّبَنِ قَالَتْ: فَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ وَشَرِبَ أَخُوهُ ـ تَعْنِي ابْنَهَا ـ حَتَّى رَوِيَ، وَقَامَ زَوْجِي إِلَى شَارِفِنَا مِنَ اللَّيْلِ فَإِذَا بِهَا حَافِلٌ، فَحَلَبَ لَنَا مَا شِئْنَا، فَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ ، قَالَتْ: وَشَرِبْتُ حَتَّى رَوِيتُ، فَبِتْنَا لَيْلَتَنَا تِلْكَ بِخَيْرٍ ، شِبَاعًا رِوَاءً، وَقَدْ نَامَ صِبْيَانُنَا، قَالَتْ: يَقُولُ أَبُوهُ - تَعْنِي زَوْجَهَا: وَاللَّهِ يَا حَلِيمَةُ، مَا أَرَاكِ إِلَّا قَدْ أَصَبْتِ نَسَمَةً مُبَارَكَةً، قَدْ نَامَ صَبِيُّنَا وَرَوِيَ، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجْنَا، فَوَاللَّهِ لَخَرَجَتْ أَتَانِي أَمَامَ الرَّكْبِ قَدْ قَطَعَتْهُنَّ حَتَّى مَا يَبْلُغُونَهَا ، حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ: وَيْحَكِ يَا بِنْتَ الْحَارِثِ، كُفِّي عَلَيْنَا، أَلَيْسَتْ هَذِهِ بِأَتَانِكِ الَّتِي خَرَجْتِ عَلَيْهَا؟ فَأَقُولُ: بَلَى وَاللَّهِ، وَهِيَ قُدَّامَنَا ، حَتَّى قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا مِنْ حَاضِرِ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَقَدِمْنَا عَلَى أَجْدَبِ أَرْضِ اللَّهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ حَلِيمَةَ بِيَدِهِ، إِنْ كَانُوا لَيَسْرَحُونَ أَغْنَامَهُمْ إِذَا أَصْبَحُوا، وَيَسْرَحُ رَاعِي غَنَمِي، فَتَرُوحُ غَنَمِي بِطَانًا لُبَّنًا حُفَّلًا، وَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا هَالِكَةً ، مَا بِهَا مِنْ لَبَنٍ، قَالَتْ: فَنَشْرَبُ مَا شِئْنَا مِنْ لَبَنٍ، وَمَا مِنَ الْحَاضِرِ أَحَدٌ يَحْلُبُ قَطْرَةً، وَلَا يَجِدُهَا، يَقُولُونَ لِرُعَاتِهِمْ: وَيْلَكُمْ ، أَلَا تَسْرَحُونَ حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي حَلِيمَةَ؟ فَيَسْرَحُونَ فِي الشِّعْبِ الَّذِي يَسْرَحُ فِيهِ رَاعِينَا، فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا لَهَا مِنْ لَبَنٍ، وَتَرُوحُ غَنَمِي لُبَّنًا حُفَّلًا ، قَالَتْ: وَكَانَ ﷺ يَشِبُّ فِي الْيَوْمِ شَبَابَ الصَّبِيِّ فِي الشَّهْرِ، وَيَشِبُّ فِي الشَّهْرِ شَبَابَ الصَّبِيِّ فِي سَنَةٍ، فَبَلَغَ سِتًّا وَهُوَ غُلَامٌ جَفْرٌ[١]، قَالَتْ: فَقَدِمْنَا عَلَى أُمِّهِ، فَقُلْنَا لَهَا، وَقَالَ لَهَا أَبُوهُ: رُدُّوا عَلَيْنَا ابْنِي ، فَلْنَرْجِعْ بِهِ، فَإِنَّا نَخْشَى عَلَيْهِ وَبَاءَ مَكَّةَ، قَالَتْ: وَنَحْنُ أَضَنُّ بِشَأْنِهِ لِمَا رَأَيْنَا مِنْ بَرَكَتِهِ، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى قَالَتِ: ارْجِعَا بِهِ، فَرَجَعْنَا بِهِ ، فَمَكَثَ عِنْدَنَا شَهْرَيْنِ، قَالَتْ: فَبَيْنَا هُوَ يَلْعَبُ وَأَخُوهُ يَوْمًا خَلْفَ الْبُيُوتِ يَرْعَيَانِ بَهْمًا لَنَا، إِذْ جَاءَنَا أَخُوهُ يَشْتَدُّ، فَقَالَ لِي وَلِأَبِيهِ: أَدْرِكَا أَخِي الْقُرَشِيَّ، قَدْ جَاءَهُ رَجُلَانِ فَأَضْجَعَاهُ، فَشَقَّا بَطْنَهُ، فَخَرَجْنَا

---

(١)في رواية: فَلَمَّا اسْتَكْمَلَ ﷺ سَنَتَيْنِ، أَقْدَمْنَاهُ مَكَّةَ، أَنَا وَأَبُوهُ، فَقُلْنَا: وَاللَّهِ لَا نُفَارِقُهُ أَبَدًا وَنَحْنُ نَسْتَطِيعُ. "المطالب العالية" (١٧٨/١٧).

نَحْوَهُ نَشْتَدُّ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ قَائِمٌ مُنْتَقِعٌ لَوْنُهُ، فَاعْتَنَقَهُ أَبُوهُ وَاعْتَنَقْتُهُ، ثُمَّ قُلْنَا: مَا لَكَ أَيْ بُنَيَّ؟ قَالَ: «أَتَانِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ فَأَضْجَعَانِي، ثُمَّ شَقَّا بَطْنِي، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا صَنَعَا»، قَالَتْ: فَاحْتَمَلْنَاهُ فَرَجَعْنَا بِهِ، قَالَتْ: يَقُولُ أَبُوهُ: وَاللَّهِ يَا حَلِيمَةُ مَا أَرَى هَذَا الْغُلَامَ إِلَّا قَدْ أُصِيبَ، فَانْطَلِقِي فَلْنَرُدَّهُ إِلَى أَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ بِهِ مَا نَتَخَوَّفُ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَرَجَعْنَا بِهِ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: مَا رَدَّكُمَا بِهِ، وَقَدْ كُنْتُمَا حَرِيصَيْنِ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ ، إِلَّا أَنَّا كَفَلْنَاهُ وَأَدَّيْنَا الْحَقَّ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْنَا فِيهِ، ثُمَّ تَخَوَّفْتُ الْأَحْدَاثَ عَلَيْهِ، فَقُلْنَا: يَكُونُ فِي أَهْلِهِ، قَالَتْ: فَقَالَتْ آمِنَةُ: وَاللَّهِ مَا ذَاكَ بِكُمَا، فَأَخْبِرَانِي خَبَرَكُمَا وَخَبَرَهُ، فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ بِنَا حَتَّى أَخْبَرْنَاهَا خَبَرَهُ، قَالَتْ: فَتَخَوَّفْتُمَا عَلَيْهِ؟ كَلَّا وَاللَّهِ ، إِنَّ لِابْنِي هَذَا شَأْنًا، أَلَا أُخْبِرُكُمَا عَنْهُ، إِنِّي حَمَلْتُ بِهِ ، فَلَمْ أَحْمِلْ حَمْلًا قَطُّ كَانَ أَخَفَّ وَلَا أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْهُ، ثُمَّ رَأَيْتُ نُورًا كَأَنَّهُ شِهَابٌ خَرَجَ مِنِّي حِينَ وَضَعْتُهُ أَضَاءَتْ لِي أَعْنَاقُ الْإِبِلِ بِبُصْرَى، ثُمَّ وَضَعْتُهُ فَمَا وَقَعَ كَمَا يَقَعُ الصِّبْيَانُ، وَقَعَ وَاضِعًا يَدَهُ بِالْأَرْضِ ، رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، دَعَاهُ وَالْحَقَا بِشَأْنِكُمَا.". وأخرجه ابن حبان (٢٤٣/١٤)(٦٣٣٥) [1]

قال الزرقاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "شرح المواهب" (٢٨١/١-٢٨٢): وظاهر هذا السياق بل صريحه أن شق الصدر ورجوعه إلى أمه كانا في السنة الثالثة؛ لقوله فيه: «بشهرين أو ثلاثة»، وقد قال ابن عباس: رجع إلى أمه وهو ابن خمس سنين. وقال غيره: وهو ابن أربع. حكاهما

---

(١)والحديث في سنده جهم بن أبي جهم: مجهول. وهو قابل للتحسين لاستفاضته، قال العمري في "السيرة النبوية الصحيحة" (١٠٢/١): وأما خبر إرضاع حليمة السعدية له في ديار بني سعد، وما ظهر عليه من البركة فهو خبر مستفيض في كتب السيرة قديمها وحديثها، وأقدم من أورده من كتاب السيرة ابن إسحاق (ت ١٥١ هـ).اهـ

وقال الدبيسي في "السيرة النبوية" (ص:١٦٧): ذكر المحدثون المحققون أن الحديث ضعيف السند مع أنه خبر مستفيض في كتب السيرة، قديمها وحديثها. وأقدم من أورده من كتَّاب السيرة ابن إسحاق (ت١٥١ هـ) ، وقال فيه الإمام الذهبي: هذا حديث جيد الإسناد، وقال الحافظ بن كثير: وهذا الحديث قد روي من طرق أُخر، وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي.اهـ وانظر "السيرة" لابن كثير(٢٢٨/١).

الواقدي. وقال ابن عبد البر: ردته بعد خمس سنين ويومين. وقال الأموي: وهو ابن ست سنين. وحاول في "النور"الجمع بتعدد الواقعة مستدلا بأن صدره شق مرارا، وفيه ما فيه، وأيضا يعكر عليه أن الأموي ذكر أن حليمة لم تره إلا مرتين بعد تزويج خديجة، جاءته تشكو السنة، وأن قومها أسنتوا كلهم، فكلم خديجة فأعطتها عشرين من الغنم وبكرات، والثالثة يوم حنين. **والراجح**: أنه ﷺ رجع إلى أمه وهو ابن أربع سنين، وأن شق الصدر إنما كان في الرابعة، كما جزم به الحافظ العراقي في "نظم السيرة"، وتلميذه الحافظ ابن حجر في "سيرته"، وهي صغيرة مفيدة -وذكر أنه التزم فيها الاقتصار على الأصح مما اختلف فيه، قال العراقي:

أقــام في ســعد بــن بكــر عنــدها ... أربعـــة أعـــوام تجـــني ســـعدها

وحـــين شـــق صـــدره جبريـــل ... خافـــت عليـــه حـــدثا يـــؤول

ردتــــــه ســــــالما إلى آمنـــــة ... وخرجـــــت بـــــه إلى المدينـــــة

ولفظ "سيرة ابن حجر": أقام عندها أربع سنين، أرضعته حولين كاملين، ثم أحضرته إلى أمه، وسألتها أن تتركه عندها إلى أن يشب ففعلت، فأتاه جبريل فشق صدره، وأخرج منه علقة فقال:«هذا حظ الشيطان منك». فخافت عليه حليمة، فرجعته إلى أمه. اهـ

عمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عندما شق صدره

ذكر ابن إسحاق أن عمر رسول الله ﷺ عندما شق صدره كان سنتين.

وعند ابن سعد في "الطبقات" أربع سنوات، وهو قول أكثر المحققين.(١)

الحكمة من شق صدره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "فتح الباري" (٦٠٤/٧): والحكمة من شق صدره ﷺ وهو صغير: نزع العلقة السوداء التي من حظ الشيطان من كل بشر، ثم إخراجها بعد خلقها كرامة ربانية، فهو أدل على مزيد من الرفعة والكرامة، وبنزعها منه نشأ ﷺ على

---

(١) "اللؤلؤ المكنون" (٩٥/١).

أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان.اهـ

حديثان آخران في شق الصدر

(١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ ، قَالَ أَنَسٌ: «وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ ﷺ». صحيح مسلم (١٦٢)

(٢) وعَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: كَيْفَ كَانَ أَوَّلُ شَأْنِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:«كَانَتْ حَاضِنَتِي مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَابْنٌ لَهَا فِي بَهْمٍ لَنَا، وَلَمْ نَأْخُذْ مَعَنَا زَادًا، فَقُلْتُ: يَا أَخِي، اذْهَبْ فَأْتِنَا بِزَادٍ مِنْ عِنْدِ أُمِّنَا، فَانْطَلَقَ أَخِي وَمَكَثْتُ عِنْدَ الْبَهْمِ، فَأَقْبَلَ طَيْرَانِ أَبْيَضَانِ كَأَنَّهُمَا نَسْرَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَهُوَ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَقْبَلَا يَبْتَدِرَانِي، فَأَخَذَانِي فَبَطَحَانِي إِلَى الْقَفَا، فَشَقَّا بَطْنِي، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا قَلْبِي، فَشَقَّاهُ فَأَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَتَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: - قَالَ يَزِيدُ فِي حَدِيثِهِ: ائْتِنِي بِمَاءِ ثَلْجٍ - فَغَسَلَا بِهِ جَوْفِي، ثُمَّ قَالَ: ائْتِنِي بِمَاءِ بَرَدٍ فَغَسَلَا بِهِ قَلْبِي، ثُمَّ قَالَ: ائْتِنِي بِالسَّكِينَةِ فَذرَّاهَا فِي قَلْبِي، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: حِصْهُ، فَحَاصَهُ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ - وَقَالَ حَيْوَةُ: فِي حَدِيثِهِ: حِصْهُ فَحَصَّهُ وَاخْتِمْ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ -، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ اجْعَلْهُ فِي كِفَّةٍ، وَاجْعَلْ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِهِ فِي كِفَّةٍ، فَإِذَا أَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْأَلْفِ فَوْقِي، أُشْفِقُ أَنْ يَخِرَّ عَلَيَّ بَعْضُهُمْ، فَقَالَ: لَوْ أَنَّ أُمَّتَهُ وُزِنَتْ بِهِ لَمَالَ بِهِمْ، ثُمَّ انْطَلَقَا وَتَرَكَانِي، وَفَرِقْتُ فَرَقًا شَدِيدًا، ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا بِالَّذِي لَقِيتُهُ، فَأَشْفَقَتْ عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ أُلْبِسَ بِي، قَالَتْ: أُعِيذُكَ بِاللَّهِ، فَرَحَلَتْ بَعِيرًا لَهَا فَجَعَلَتْنِي، - وَقَالَ يَزِيدُ: فَحَمَلَتْنِي - عَلَى الرَّحْلِ، وَرَكِبَتْ خَلْفِي حَتَّى بَلَغْنَا إِلَى أُمِّي، فَقَالَتْ: أَوَأَدَّيْتُ أَمَانَتِي، وَذِمَّتِي؟ وَحَدَّثَتْهَا بِالَّذِي لَقِيتُ، فَلَمْ يَرُعْهَا ذَلِكَ، فَقَالَتْ: إِنِّي رَأَيْتُ خَرَجَ مِنِّي نُورًا، أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ

الشَّامِ. أخرجه أحمد(١٧٦٤٨) والحاكم(٤٢٣٠) وهو في "الصحيحة" (٣٧٣) للألباني.

رضاع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كانت أول من أرضعته أمه آمنة. قيل: أرضعته ثلاثة أيام، وقيل: سبعًا، وقيل: تسعًا. ثم أرضعته ثويبة أياما بلبن ابنها مسروح، وأرضعت قبله حمزة عمه، وبعده أبا سلمة بن عبدالأسد المخزومي. فكان رسول الله ﷺ وعمه حمزة، وأبو سلمة إخوة من الرضاعة.

عن أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْكِحْ أُخْتِي بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ، فَقَالَ: «أَوَتُحِبِّينَ ذَلِكِ»، فَقُلْتُ: نَعَمْ، لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ، وَأَحَبُّ مَنْ شَارَكَنِي فِي خَيْرٍ أُخْتِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ ذَلِكِ لاَ يَحِلُّ لِي». قُلْتُ: فَإِنَّا نُحَدَّثُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَنْكِحَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ؟ قَالَ: «بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ»، قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي فِي حَجْرِي مَا حَلَّتْ لِي، إِنَّهَا لاَبْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، أَرْضَعَتْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ، فَلاَ تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلاَ أَخَوَاتِكُنَّ»، قَالَ عُرْوَةُ، وثُوَيْبَةُ مَوْلاَةٌ لِأَبِي لَهَبٍ: كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا، فَأَرْضَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حِيبَةٍ، قَالَ لَهُ: مَاذَا لَقِيتَ؟ قَالَ أَبُو لَهَبٍ: لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بِعَتَاقَتِي ثُوَيْبَةَ. متفق عليه [البخاري (٥١٠١) ومسلم (١٤٤٩)]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُرِيدَ عَلَى ابْنَةِ حَمْزَةَ، فَقَالَ: «إِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِي، إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، وَيَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ الرَّحِمِ». رواه البخاري(٥١٠٠) ومسلم (١٤٤٧) واللفظ له.

ثم أرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية بلبن ابنها عبد الله، وأخذته معها إلى أرضها، فأقام معها في بني سعد نحو أربع سنين. وإخوته منها من الرضاعة: عبد الله بن الحارث، وأُنيسة بنت الحارث، وحُذَافة[١] بنت الحارث وهي الشيماء. وذكروا أنها كانت تحضن رسول الله ﷺ مع أمه إذا كان عندها.

(١)وقيل: جِذامة، وقيل: جُدامة. والأصح ما ذكر.

جملة من قيل أنهن أرضعنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عشر نسوة: أمه آمنة بنت وهب، وثُوَيْبَة مولاة أبي لهب، وامرأة من بني سعد غير حليمة ، وخولة بنت المنذر، وأم بردة الأنصارية[١]، وأم أيمن بركة الحبشية[٢]، وثلاث نسوة من بني سليم، وأم فروة، حليمة السعدية التي فازت بجناية سعدها منه. قاله ابن الجوزي، وابن المنذر، وعياض، وغيرهم. وزوجها هو الحارث بن عبد العزى، المكنى بأبي كبشة.[٣]

فوائد إرضاع العرب أبناءهم في البادية

كان من عادة العرب أن يرضعوا أبناءهم خارج مكة، ويلتمسوا لهم المراضع في البادية؛ وذلك لأمور منها:

١) لينشأ الطفل في الأعراب، فيكون أفصح للسانه.

٢) ليكون أجلد لجسمه.

٣) حتى يكون أنجب للولد، وأصفى للذهن.[٤]



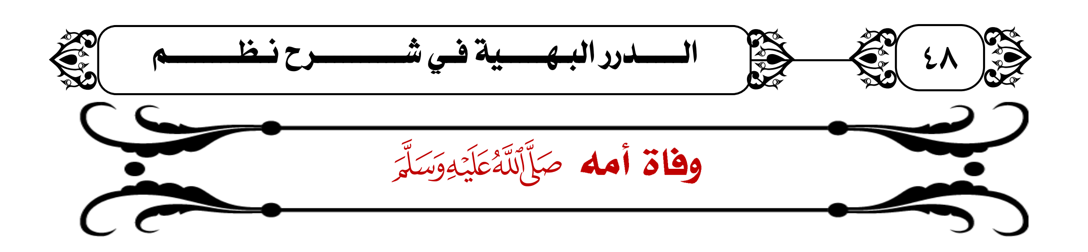
---

(١)والصحيح: أنها أرضعت ولده إبراهيم، ولم ترضعه ﷺ.

(٢)والصحيح: أنها من الحواضن، لا المراضع.

(٣)انظر: "القول المبين في سيرة سيد المرسلين" (ص:٨٧)، "شرح الزرقاني على المواهب" (١/٢٥٨)، "سبل الهدى والرشاد" (١/٣٧٥).

(٤) "الروض الأنف" (١/٢٨٧)، "اللؤلؤ المكنون" (١/٨٦ – ٨٧).



وفاة أمه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٩- وَبَعْـدَ سِـتٍّ مَـعَ شَـهْرٍ جَـائِي وَفَـــاةُ أُمِّـــهِ عَلَى الْأَبْـــوَاءِ

الشرح:

لما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين خرجت به أمه[1] إلى المدينة، إلى أخواله من بني عَدي بن النجار، فنزلت دار النابغة الجعدي التي مات فيها أبوه، فأقامت عندهم شهرًا، ومعها أم أيمن. قالت أم أيمن: فجاءني ذات يوم رجلان من يهود المدينة فقالا لي: أخرجي إلينا أحمد ننظر إليه. فنظرا إليه وقلباه. فقال أحدهما لصاحبه: هذا نبي هذه الأمة، وهذه دار هجرته، وسيكون بها من القتل والسبي أمر عظيم. فلما سمعت أمه خافت وانصرفت به، فماتت بالأبواء[2] وهي راجعة إلى مكة، وفيها دفنت على القول الصحيح[3].

ثم قدمت به أم أيمن مكة بعد خمسة أيام من موت أمه، وجاءت به إلى جده عبد المطلب، فضمه إليه ورق عليه رقة لم يرقها على أحد من ولده.

والقول بأن أمه توفيت وهو ابن ست سنين هو قول الأكثرين وحُكِيَ خلافه.

قال ابن جماعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "المختصر الكبير" (ص: ٢٧): والمشهورُ مَا حكيناه أَولا من أَنَّهَا توفيت بالأَبْواء وَرَسُول الله ﷺ ابْن ستِ سِنِين، وَبِذَلِك جزم ابْن سعد وَابْن فَارس

---

(١)هي آمِنَةُ بنت وهْب بن عبد مَنَاف بن زُهْرَة بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤي بن غالب القُرَشِيَّة الزُّهْرية. "جامع الأصول" (١٢/ ٨٨)

(٢)الأبواء: قرية من أعمال الفرع بين المدينة ومكة، مما يلي الجحفة، بينها وبين الجحفة ثلاثة وعشرون ميلا. "معجم البلدان" (١/١٠١ – ١٠٢)، "السيرة الحلبية" (١/١٥٤).

(٣)"دلائل النبوة" لأبي نعيم الأصبهاني (٩٩)، "السيرة النبوية" لابن كثير (١/٢٣٥) "سبل الهدى والرشاد" (٢/١٢٠) "البداية والنهاية" (٢/٣٤٠) "مرآة الزمان في تواريخ الأعيان" (٣/٥٢) "الطبقات الكبرى" (١/٩٣).

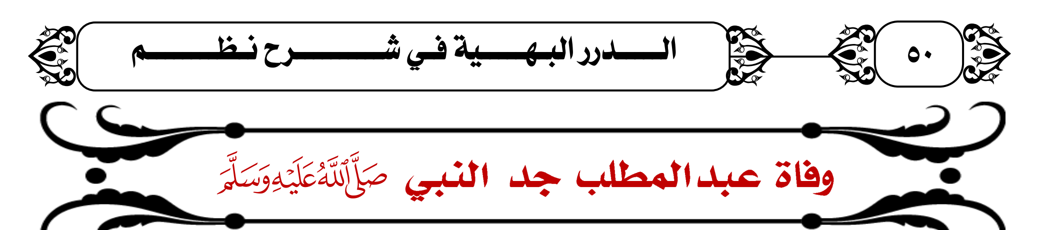
وَالشَّيْخ شرف الدّين الدمياطيّ، وَغَيرهم، رَحِمهم الله تَعَالَى.اهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "زاد المعاد" (٧٥/١): وَلَا خِلَافَ أَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ بِالْأَبْوَاءِ؛ مُنْصَرَفَهَا مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ زِيَارَةِ أَخْوَالِهِ، وَلَمْ يَسْتَكْمِلْ إِذْ ذَاكَ سَبْعَ سِنِينَ.اهـ

وبه قطع ابن إسحاق، والمقريزي، وابن كثير، والعراقي، وابن حجر، وابن الوردي وغيرهم[١].



(١) "سيرة ابن هشام" (١٦٨/١). "إمتاع الأسماع" (١٣/١) "تفسير ابن كثير" (٤١٣/٨) "العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين" (٣٧١/١) "نزهة الأفكار في شرح قرة الأبصار" (٨٨/١)" تاريخ ابن الوردي" (٩٦/١)، "السيرة الحلبية" (١٥٤/١).



وفاة عبد المطلب جد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

١٠- وَجَــدُّه لِــلْأَبِ عَبْــدُ الْمُطَّلِــبْ بَعْـدَ ثَمَـانٍ مَـاتَ مِـنْ غَـيْرِ كَـذِبْ

الشرح:

وظل النبي ﷺ بعد وفاة أمه في كفالة جده عبد المطلب، فكان يجل النبي ﷺ، ويكرمه وهو صغير. **قال ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** فكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بن هاشم، وكان يوضع لعبدالمطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليهم، لا يجلس عليه أحد من بنيه؛ إجلالًا له. قال: فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جَفر حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبدالمطلب -إذا رأى ذلك منهم-: دعوا ابني، فوالله إن له لشأنا. ثم يجلسه معه على الفراش، ويمسح ظهره بيده، ويَسُرُّه ما يراه يصنع.(١)

فلما بلغ النبي ﷺ ثمانيَ سنين توفي جده عبد المطلب، على الصحيح(٢). **وقيل**: ثمان سنين، وشهرين، وعشرة أيام(٣). **وقيل**: عشر سنين(٤) **وقيل**: ثلاث سنين(٥).

عمر عبد المطلب عند وفاته: قيل: توفي وله عشر ومائة سنة، وقيل: عشرون ومائة، وقيل: أربعون ومائة، وقيل: خمس وتسعون، وقيل: اثنتان وثمانون(٦).



(١) "سيرة ابن هشام" (١/١٦٨).

(٢)وهو قول ابن إسحاق في "السيرة" (١/١٦٩)، وابن سعد في "الطبقات" (١/١١٩)، وهو قول الجمهور ورجحه ابن كثير في "التفسير" (٨/٤٢٦)، وابن القيم في "الزاد" (١/٣).

(٣)قاله ابن حبيب في "المحبر" (١٠)، وابن الجوزي في "التلقيح" (١٣).

(٤)ذكرها الطبري في "التاريخ" (٢/١٦٦).

(٥)وهو قول ابن عبد البر في "الاستيعاب" (١/٣٤).

(٦)انظر: "الإشارة" (ص٧٤)، "الطبقات" لابن سعد (١/١١٩)، "العيون" لابن سيد الناس (١/١٠٣).

كفالة عمه أبي طالب ورحلته إلى الشام

١١- ثُمَّ أَبُو طَالِبٍ الْعَمُّ كَفَلْ ... خِدْمَتَهُ ثُمَّ إِلَى الشَّامِ رَحَلْ

١٢- وَذَاكَ بَعْدَ عَامِ اثْنَي عَشَرْ ... وَكَانَ مِنْ أَمْرِ (بَحِيرَا) مَا اشْتَهَرْ

الشرح:

يعني: كان رسول الله ﷺ بعد وفاة جده عبد المطلب في كفالة عمه أبي طالب، وقد كان عبدالمطلب يوصي به عمه أبا أطالب؛ وذلك لأن عبد الله أبا رسول الله ﷺ وأبا طالب أخوان شقيقان، أمهما: فاطمة بنت عمرو بن عائذ. ويذكرون أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة أنشأ يقول:

وصيت من كنيته بطالب ... عبد مناف وهو ذو تجارب

يا ابن الحبيب أكرم الأقارب ... يا ابن الذي مذ غاب غير آيب

فتقبل أبو طالب الوصية، وكان قد سمع من راهب إنذارًا، فأنشأ يقول:

لا توصين بلازم واجب ... فلست بالآنس غير الراغب

بأن حمد الله قول الراهب ... إني سمعت أعجب العجائب

من كل حبر عالم وكاتب

فقام أبو طالب بحق ابن أخيه على أكمل وجه، وضمه إلى ولده، بل أعظم من ذلك أنه قدمه عليهم، ودافع عن النبي ﷺ، وعرض نفسه للشر دون حمايته[١].

واسم أبي طالب: عبده مناف. كما قال ابن إسحاق، وابن سعد، والسهيلي، والحافظ ابن حجر. **وقيل**: اسمه كنيته. ونسبه الحاكم لأكثر المتقدمين[٢].

---

(١)انظر: «السيرة» لابن هشام (١/١٧٩)، «أعلام النبوة» للماوردي (ص١٧٥)

(٢)كما في «الإصابة» (٧/٢٣٥). وانظر: «سيرة ابن إسحاق» (١/١٠٨)، «الطبقات» لابن سعد (١/١٢١).

استشعار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسؤولية ورعايته الغنم عونا لعمه

وعاد الرسول ﷺ وقد نزل من بطن أمه يتيماً لم ير أباه، وها هو قد فقد أمه، ثم عاد إلى جده عبد المطلب وكفله جده، ورق له رقةً لم تعهد له في ولده، ومرت الأعوام ثم توفي عبدالمطلب وكان عمر النبي ﷺ ثماني سنوات فكفله شقيق أبيه أبو طالب وكان به رحيماً وكان أبو طالب مُقلاً في الرزق، فعمل النبي ﷺ برعي الغنم؛ مساعدةً منه لعمه.

فقال ﷺ: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم»، فقال أصحابه: وأنت، فقال: «نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة». رواه البخاري (رقم ٢٢٦٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وروى البخاري (٥٤٥٣) عَنِ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ نَجْنِي الكَبَاثَ[1]، فَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالأَسْوَدِ مِنْهُ فَإِنَّهُ أَيْطَبُ» فَقَالَ: أَكُنْتَ تَرْعَى الغَنَمَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا رَعَاهَا». وأخرجه مسلم (٢٠٥٠)[2]. ثم بعد ذلك اشتغل رسول الله ﷺ بالتجارة.[3]

---

(١)الكَبَاث: النّضيج من ثمر الأراك. "جامع المسانيد" لابن الجوزي (٢/ ٧٢).

(٢)قال البغوي في "شرح السنة" (١١/ ٣٣٤): قَالَ الْخَطّابِيُّ، يُرِيد أَن الله لمْ يضع النُّبُوَّة فِي أَبنَاء الدُّنْيا وملوكها، لَكِن فِي رعاء الشَّاء وَأهل التَّوَاضُع من أصْحاب الحِرفِ، كَمَا رُوِي أَن أَيُّوب كَانَ خياطًا، وزكريّا كَانَ نجارًا، وقدْ قصّ الله سُبْحانهُ وَتَعَالَى من نبإ مُوسى، وكونِه أَجِيرا لشعيب عَلَيْهِمَا السّلام فِي رعي الْغنم مَا قصّ.اهـ

وفي ذلك إشارة على أن الرجال لا يقعدون عالة على الناس بل يعملون ليأكلوا من عمل أيديهم، فالأنبياء يعملون في رعي الغنم ليكتسبوا مالاً يعيشون منه ولم يجلسوا متواكلين عالة على القوم. وفيه إشارة إلى الإحسان إلى الحيوان. وفيه إشارة أن الذين يرعون الغنم ويحافظون عليها، ويصبرون عليها ويرحمونها؛ يستطيعون بعد ذلك أن يرعوا الأمم والشعوب، ولذلك ما من نبي إلا وقد رعى الغنم في بداية حياته؛ لأن من وفق في رعي الغنم وفق في رعاية الأمم والشعوب. وعليه فإنه عندما بعث رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رعى الأمة وحافظ عليها، وأخذ بأيد الأمة ناصحاً أميناً يقودها إلى جنة عرضها السموات والأرض. "سبل السلام من صحيح سيرة خير الأنام" (١/ ٤٨-٤٩).

(٣) "سبل السلام من صحيح سيرة خير الأنام"(١/ ٤٤).

رحلته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أبي طالب إلى الشام

ولما بلغ النبي ﷺ الثانية عشرة من عمره، تهيأ أبو طالب للرحيل في تجارته إلى الشام، فتعلق به الرسول ﷺ ليأخذه معه، فأخذه معه واصطحبه.

عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ وَخَرَجَ مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَشْيَاخٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الرَّاهِبِ هَبَطُوا فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ فَلَا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُ». قَالَ: فَهُمْ يَحُلُّونَ رِحَالَهُمْ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: هَذَا سَيِّدُ العَالَمِينَ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ، يَبْعَثُهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ: مَا عِلْمُكَ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ العَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا وَلَا يَسْجُدَانِ إِلَّا لِنَبِيٍّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ مِثْلَ التُّفَّاحَةِ، ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ وَكَانَ هُوَ فِي رِعْيَةِ الإِبِلِ، قَالَ: أَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ القَوْمِ وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ فَيْءُ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ مَالَ عَلَيْهِ، قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يُنَاشِدُهُمْ أَنْ لَا يَذْهَبُوا بِهِ إِلَى الرُّومِ، فَإِنَّ الرُّومَ إِنْ رَأَوْهُ عَرَفُوهُ بِالصِّفَةِ فَيَقْتُلُونَهُ، فَالتَفَتَ فَإِذَا بِسَبْعَةٍ قَدْ أَقْبَلُوا مِنَ الرُّومِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ قَالُوا: جِئْنَا، إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ، فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلَّا بُعِثَ إِلَيْهِ بِأُنَاسٍ وَإِنَّا قَدْ أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ فَبُعِثْنَا إِلَى طَرِيقِكَ هَذَا، فَقَالَ: هَلْ خَلْفَكُمْ أَحَدٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ؟ قَالُوا: إِنَّمَا أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ بِطَرِيقِكَ هَذَا. قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَهُ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَبَايَعُوهُ وَأَقَامُوا مَعَهُ قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ؟ قَالُوا: أَبُو طَالِبٍ، فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الكَعْكِ وَالزَّيْتِ[1].

---

(١)أخرجه الترمذي (٣٦٢٠)، والحاكم في "المستدرك" (٤٢٢٩)، والبزار في "المسند" (٣٠٩٦)، وابن أبي شيبة (٣٦٥٤١)، وهو في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" للوادعي (٦٣٤/١) (٨٢٠)، وفيه قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذِكْرُ أبي بكر وبلال في الحديث وهم، كما قاله الحافظ في "الإصابة" في ترجمة بحيرى الراهب (ج ١ ص ١٧٩)، وكما قاله الجزري كما في "تحفة الأحوذي".اهـ وصححه الألباني في=

وعَنْ أَبِي مِجْلَزٍ: أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ أَوْ أَبَا طَالِبٍ. شَكَّ خَالِدٌ. قَالَ: لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ عَطَفَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ قَالَ: فَكَانَ لا يُسَافِرُ سَفَرًا إِلا كَانَ مَعَهُ فِيهِ. وَإِنَّهُ تَوَجَّهَ نَحْوَ الشَّامِ فَنَزَلَ مَنْزِلَهُ فَأَتَاهُ فِيهِ رَاهِبٌ فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ رَجُلا صَالِحًا. فَقَالَ: إِنَّ فِينَا مَنْ يَقْرِي الضَّيْفَ وَيَفُكُّ الأَسِيرَ وَيَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ. أَوْ نَحْوًا مِنْ هَذَا. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ فِيكُمْ رَجُلا صَالِحًا. ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ أَبُو هَذَا الْغُلامِ؟ قال: فقال ها أنا ذا وَلِيُّهُ. أَوْ قِيلَ هَذَا وَلِيُّهُ. قَالَ: احْتَفِظْ بِهَذَا الْغُلامِ وَلا تَذْهَبِ بِهِ إِلَى الشَّامِ. إِنَّ الْيَهُودَ حَسَدٌ. وَإِنِّي أَخْشَاهُمْ عَلَيْهِ. قَالَ: مَا أَنْتَ تَقُولُ ذَاكَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَقُولُهُ. فَرَدَّهُ. قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ مُحَمَّدًا! ثُمَّ إِنَّهُ مَاتَ. أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى"(٩٦/١) وقال الألباني: وهذا إسناد مرسل صحيح[(١)].

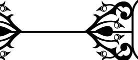
تنبيه:

قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تسمية الراهب بـ (بحيرا) إنما جاء في بعض الروايات الواهية، في إحداها الواقدي وهو كذاب، وفي الأخرى محمد بن إسحاق صاحب السيرة رواها بدون إسناد، وهاتان الروايتان هما عمدة كل المؤرخين الذي سموه بهذا الاسم، فلا يجوز اعتبارهما.اهـ[(٢)]

= "صحيح السيرة النبوية" (ص:٢٩)، وأفرده بالتأليف في رسالة بعنوان: "حادثة الراهب المسمى بحيرا حقيقة لا خرافة". وانظر كتابه: "دفاع عن الحديث النبوي" (ص٦٢ وما بعدها)، ففيه بحث نفيس جدًّا. والحديث حسنه الترمذي، وصححه الحاكم والجزري، وقواه السيوطي، والحافظ ابن حجر العسقلاني، قال في "الإصابة" (٣٥٣/١): الحديث رجاله ثقات، وليس فيه منكر إلا هذه اللفظة، فتحمل على أنها مدرجة فيه مقتطعة من حديث آخر، وَهْمًا من أحد رواته. اهـ -يعني لفظة: وبعث معه أبوبكر بلالا؛ لأن أبا بكر لم يكن حاضرا، ولا كان في حال من يملك ولا ملك بلالا، إلا بعد ذلك بنحو ثلاثين عاما.

(١) "موسوعة الألباني في العقيدة" (٢٤٥/٨).

(٢) المرجع السابق (٢٤٦/٨).

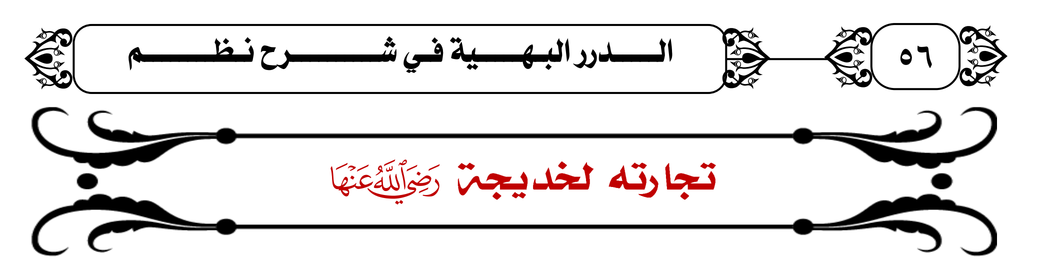


تنبيه آخر:

تحديد عمر النبي ﷺ بثنتي عشرة سنة لا يصح؛ لأنه من طريق الواقدي وهو متروك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "البداية والنهاية" (٢/ ٣٤٨): الْقَوْلُ بِأَنَّ عُمُرَهُ كَانَ إِذْ ذَاكَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً غَيْرَ مَحْفُوظٍ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا ذَكَرَهُ مُقَيَّدًا بِهَذَا الْوَاقِدِيُّ. وَحَكَى السُّهَيْلِيُّ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ كَانَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذْ ذَاكَ تِسْعَ سِنِينَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.اهـ





تجارته لخديجة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا

١٣- وَسَارَ نَحْوَ الشَّامِ أَشْرَفُ الْوَرَى ... فِي عَامِ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ اذْكُرَا

١٤- لِأُمِّنَا خَدِيجَةٍ مُتَّجِرَا ... وَعَادَ فِيهِ رَابِحًا مُسْتَبْشِرَا

الشرح:

أي لما بلغ النبي ﷺ من العمر خمسة وعشرين عاما أَجَّرَ نفسه من خديجة، وسافر بمالها إلى الشام سنة خمس وعشرين من عام الفيل، وعاد بتجارتها وقد ربحت ضعف ما كانت تربح، وأضعفت خديجة لرسول الله ﷺ ضعف ما سمت له من الأجرة.

قال ابن إسحاق رَحِمَهُٱللَّهُ: وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة، ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قوما تجارا، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام يقال له: ميسرة. حتى قدم الشام...الخ الرواية. وهي معضلة، فكم بين ابن إسحاق وخديجة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا.

وقد وردت روايات تحكي تفاصيل هذه القضية، أي زواج الرسول ﷺ وتجارته لها، منها: ما رواه الحاكم في "مستدركه"(٤٨٣٤)، من طريق الربيع بن بدر، عن أبي الزبير، عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: استأجرت خديجة رضوان الله عليها رسول الله ﷺ سَفْرَتَين إلى جَرَش[١]، كلَّ سفرة بقلوص. وهو ضعيف جدًّا، فيه علتان: الربيع بن بدر متروك، وعنعنة أبي الزبير. وهو في "الضعيفة" للألباني (٦٧٥/٣). **لكن له شواهد يتقوى بها**[٢] ، **منها**:

(١) ما أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" (٣١٣/٥)(٩٧١٨) ، عن الزهري مرسلا، وفيه قال:

---

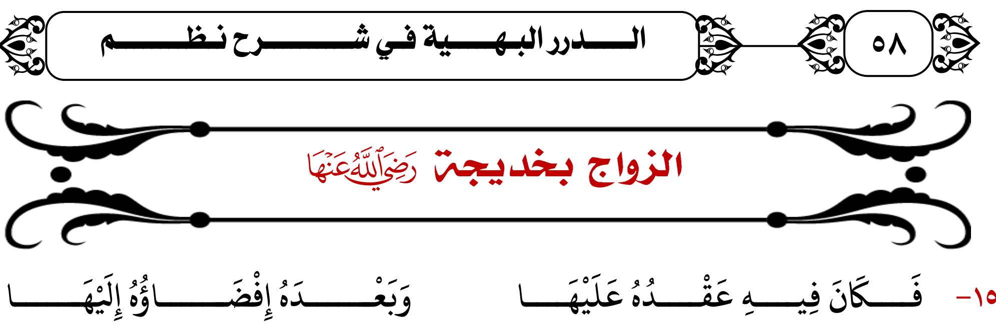
(١)جَرَش بالفتح: بلد في الشام، وجُرَش -بالضم- بلد من مخاليف اليمن. والمراد: الأول.

(٢)انظر: "صحيح السيرة" لمحمد طرهوني (٣٢٠/١ – ٣٢٢).

فَلَمَّا اسْتَوَى وَبَلَغَ أَشُدَّهُ، وَلَيْسَ لَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمَالِ اسْتَأْجَرَتْهُ خَدِيجَةُ ابْنَةُ خُوَيْلِدٍ إِلَى سُوقِ حُبَاشَةَ وَهُوَ سُوقٌ بِتِهَامَةَ وَاسْتَأْجَرَتْ مَعَهُ رَجُلًا آخَرَ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْهَا: مَا رَأَيْتُ مِنْ صَاحِبَةِ أَجِيرٍ خَيْرًا مِنْ خَدِيجَةَ، مَا كُنَّا نَرْجِعُ أَنَا وَصَاحِبِي إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا تُحْفَةً مِنْ طَعَامٍ تُخْبِئُهُ لَنَا.

(٢) ما رواه ابن سعد في «الطبقات» (١٠٤/١) قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ الرَّقِّيُّ. حَدَّثَنِي أَبُو الْمَلِيحِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ قَالَ: قَالَ أَبُو طَالِبٍ: يَا ابْنَ أَخِي قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ خَدِيجَةَ اسْتَأْجَرَتْ فُلانًا بِبَكْرَيْنِ وَلَسْنَا نَرْضَى لَكَ بِمِثْلِ مَا أَعْطَتْهُ. فَهَلْ لَكَ أَنْ تُكَلِّمَهَا؟ قَالَ: مَا أَحْبَبْتَ! فَخَرَجَ إِلَيْهَا فَقَالَ: هَلْ لَكِ يَا خَدِيجَةُ أَنْ تَسْتَأْجِرِي مُحَمَّدًا؟ فَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّكِ اسْتَأْجَرْتِ فُلانًا بِبَكْرَيْنِ. وَلَسْنَا نَرْضَى لِمُحَمَّدٍ دُونَ أَرْبَعِ بِكَارٍ. قَالَ: فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: لَوْ سَأَلْتَ ذَاكَ لِبَعِيدٍ بَغِيضٍ فَعَلْنَا. فَكَيْفَ وَقَدْ سَأَلْتَ لِحَبِيبٍ قَرِيبٍ؟.





الزواج بخديجة رضي الله عنها

١٥- فَكَانَ فِيهِ عَقْدُهُ عَلَيْهَا ... وَبَعْدَهُ إِفْضَاؤُهُ إِلَيْهَا

الشرح:

أي كان في العام الخامس والعشرين من عمره ﷺ زواجه على خديجة رضي الله عنها. **(وبعده)**: أي بعد انقضاء العام الخامس والعشرين، ودخول العام السادس والعشرين كان دخوله بها ، وذلك عام خمس وعشرين وشهرين وعشرة أيام، في عَقِب صفر سنة ست وعشرين. وهذا قول أكثر العلماء. **وقيل**: تزوجها وعمره إحدى وعشرين؛ قاله الزهري. **وقيل**: وهو ابن ثلاثين؛ قاله أبو بكر بن عثمان وغيره. وقيل غير ذلك[(١)].

عمر خديجة رضي الله عنها عند زواجها بالنبي صلى الله عليه وسلم

المشهور في كتب السيرة: أن عمرها كان حين تزوجها رسول الله ﷺ كان أربعين سنة. روى ذلك ابن سعد في "الطبقات"(١٣٢/١) عن الواقدي وهو متروك.

وقال محمد بن إسحاق: كان لها يوم تزوجها ثمان وعشرين سنة. أخرجه الحاكم في "المستدرك"(٤٨٣٧)ورجحه محب الدين الطبري في: "خلاصة سير سيد البشر"(ص٣٨)، و العامري في "بهجة المحافل" (٤٨/١)، وأبو بكر الدواداري في "كنز الدرر" (٣٦/٣).

والراجح -والله أعلم-: قول ابن إسحاق ومن وافقه: أن عمرها كان ثمانية وعشرين سنة. قال العمري -وفقه الله-: وقد أنجبت خديجة رضي الله عنها من رسول الله ﷺ ذكرين وأربع إناث؛ مما يرجح رواية ابن إسحاق. فالغالب أن المرأة تبلغ سن اليأس من الإنجاب قبل الخمسين.اهـ[(٢)]

---

(١)انظر: "عيون الأثر" (٦١/١)، "سيرة ابن هشام" (١٨٧/١)، "إمتاع الأسماع" (١٧/١)، "خلاصة سير سيد البشر" (٣٨)، "الأغصان الندية شرح الخلاصة البهية" (ص٤٢).

(٢)"السيرة النبوية الصحيحة" (١١٣/١)،"ما شاع ولم يثبت في السيرة" (ص١٩)، "السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات"(٢٠٩)،"مستعذب الإخبار"(ص:١٠٦)، "تاريخ دمشق"(١٩٣/٣)، "سير أعلام النبلاء" (٤٠٩/٣).

الزواج بخديجة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، ومن تولى تزويجها

عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْوَالِبِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، أَوْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرْعَى غَنَمًا فاسْتَعْلَى الْغَنَمَ، فَكَانَ فِي الْإِبِلِ وَهُوَ شَرِيكٌ لَهُ، فَأَكْرَيَا أُخْتَ خَدِيجَةَ، فَلَمَّا قَضَوُا السَّفَرَ بَقِيَ لَهُمْ عَلَيْهَا شَيْءٌ، فَجَعَلَ شَرِيكُهُ يَأْتِيهِمْ وَيَتَقَاضَاهُمْ وَيَقُولُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: انْطَلِقْ، فَيَقُولُ: «اذْهَبْ أَنْتَ فَإِنِّي أَسْتَحْيِي» ، فَقَالَتْ مَرَّةً وَأَتَاهُمْ: فَأَيْنَ مُحَمَّدٌ لَا يَجِيءُ مَعَكَ؟ قَالَ: قَدْ قُلْتُ لَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ يَسْتَحْيِي، فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَشَدَّ حَيَاءً وَلَا أَعَفَّ وَلَاءً، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ أُخْتِهَا خَدِيجَةَ فَبَعَثَتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتِ: ائْتِ أَبِي فَاخْطِبْنِي إِلَيْهِ، فَقَالَ: «أَبُوكِ رَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ وَهُوَ لَا يَفْعَلُ» ، قَالَتْ: انْطَلِقْ فَالْقَهُ وَكَلِّمْهُ، ثُمَّ أَنَا أَكْفِيكَ وَائْتِ عِنْدَ سُكْرِهِ فَفَعَلَ، فَأَتَاهُ فَزَوَّجَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَلَسَ فِي الْمَجْلِسِ، فَقِيلَ لَهُ: قَدْ أَحْسَنْتَ زَوَّجْتَ مُحَمَّدًا، قَالَ: أَوَ فَعَلْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَقَامَ فَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: إِنِّي قَدْ زَوَّجْتُ مُحَمَّدًا وَمَا فَعَلْتُ، قَالَتْ: فَلَا تُسَفِّهَنَّ رَأْيَكَ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَذَا، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى رَضِيَ، ثُمَّ بَعَثَتْ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ بِوقِّيَتَيْنِ مِنْ فِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ وَقَالَتْ: اشْتَرِ حُلَّةً فَاهْدِها لِي وكَبْشًا وَكَذَا وَكَذَا فَفَعَلَ. أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (١٨٥٨)[1]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «ذَكَرَ خَدِيجَةَ، وَكَانَ أَبُوهَا يَرْغَبُ أَنْ يُزَوِّجَهُ» ، فَصَنَعَتْ طَعَامًا وَشَرَابًا، فَدَعَتْ أَبَاهَا وَنَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَطَعِمُوا وَشَرِبُوا حَتَّى ثَمِلُوا، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ لِأَبِيهَا: إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَخْطُبُنِي، فَزَوِّجْنِي إِيَّاهُ. فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ فَخَلَعَتْهُ وَأَلْبَسَتْهُ حُلَّةً، وَكَذَلِكَ كَانُوا يَفْعَلُونَ بِالْآبَاءِ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ سُكْرُهُ، نَظَرَ فَإِذَا هُوَ مُخَلَّقٌ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، فَقَالَ: مَا شَأْنِي، مَا هَذَا؟ قَالَتْ: زَوَّجْتَنِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ. قَالَ: أَنَا أُزَوِّجُ يَتِيمَ أَبِي طَالِبٍ لَا، لَعَمْرِي. فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: أَمَا تَسْتَحِي تُرِيدُ أَنْ تُسَفِّهَ نَفْسَكَ عِنْدَ قُرَيْشٍ؟ تُخْبِرُ النَّاسَ

---

(١) وأخرجه البزار (كشف الأستار ٣/٢٣٧)، وقال الهيثمي في "المجمع" (٩/٢٢٢): رجاله رجال الصحيح، غير أبي خالد الوالبي وهو ثقة، ورجال البزار أيضًا، إلا أن شيخه أحمد بن يحي الصوفي ثقة ولكنه ليس من رجال الصحيح.اهـ وعلق عليه ابن حجر بقوله: وكذا شيخ الطبراني، فكان ينبغي أن يقول: ورجالهما رجال الصحيح سوى شيخهما وأبي خالد الوالبي. اهـ

قال الشيخ محمد طرهوني في "السيرة الذهبية" (١/٣١٦): والحديث إسناده حسن على الأقل. اهـ

أَنَّكَ كُنْتَ سَكْرَانَ؟ فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى رَضِيَ. أخرجه أحمد (٢٨٤٩)

قال الهيثمي في "المجمع"(٢٢٠/٩): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُ أَحْمَدَ وَالطَّبَرَانِيِّ رِجَالُ الصَّحِيحِ.اهـ[١]

وليس في هذا قدح في نكاح خديجة منه ﷺ، ففيه: فلم تزل به حتى رضي أي بعد أن أفاق من سكره. وهذا يدل على دهائها وحسن تأتيها للأمور.

وفيه: أن خويلدًا هو الذي زوج خديجة.

قال إبراهيم العلي في "صحيح السيرة" (٤٦): وهذا يرد على ما جاء عن المؤملي: أن الذي زوج خديجة هو عمها عمرو بن أسد؛ لأن المؤملي متروك لا يعتد بكلامه.اهـ

حاصل الأقوال في من وَلِي تزويجها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

(١) عمها: عمرو بن أسد[٢].

(٢) أخوها: عمرو بن خويلد[٣].

(٣) أبوها: خويلد[٤]. وهو الراجح؛ للأحاديث الواردة في ذلك والتي يعضد بعضها بعضا[٥].

---

(١)انظر: "السيرة الذهبية" (٣١٥/١ – ٣١٦)، "مناقب علي لابن المغازلي" تحقيق تركي (ص٣٩٨)، "الصحيح من أحاديث السيرة" (ص١٨)

(٢)وهو قول الجمهور كما في "الطبقات" لابن سعد (١٠٥/١)، "الروض الأنف" (١٥٥/٢)،"أسد الغابة" (٢٦١/٥)، "إمتاع الأسماع" (١٨/١)، "بهجة المحافل" (٤٨/١)، "السيرة الحلبية" (٢٠٠/١)، "الاستيعاب"(١٨١٧/٤).

(٣)كما في"السيرة النبوية" لابن كثير (٢٦٧/١)، "سبل الهدى والرشاد " (١٦٦/٢).

(٤)وهو قول الزهري كما في "المغازي النبوية" (ص٤٢)، وبه قال ابن إسحاق وابن هشام، كما في"سيرة ابن هشام"(٢٠٣/١) و"الروض الأنف" (٢٣٨/٢ – ٢٤٠)، واختاره ابن حجر في "فتح الباري" (١٣٤/٧). وصدر به ابن جماعة في "المختصر الكبير" (ص:٩١).

(٥)"السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات" (٢٠٩)، "الجامع الصحيح للسيرة" للمرصفي (٤٩٩/٢) "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (٦٤٠/١)، "السيرة النبوية" لابن كثير (٢٦٧/١)، "المختصر الكبير" لابن جماعة (ص٩١)، "عيون الأثر"(٦٤/١)، "الإشارة" (ص٨٣)، "السيرة" للعمري (١١٣/١)، "الروض الأنف" (١٥٤/٢)، "إمتاع الأسماع"(١٨/١)، "بهجة المحافل"(٤٨/١)، "سبل الهدى والرشاد" (١٦٦/٢)، "السيرة الحلبية" (٢٠٠/١)، "شرح الزرقاني على المواهب" (٣٧٨/١).

أولاده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

١٦- وَوُلْدُهُ مِنْهَا خَلاَ إِبْرَاهِيمْ	فَالْأَوَّلُ الْقَاسِمُ حَازَ التَّكْرِيمْ
١٧- وَزَيْنَبٌ رُقَيَّةٌ وَفَاطِمَةْ	وَأُمُّ كُلْثُومٍ لَهُنَّ خَاتِمَةْ
١٨ وَالطَّاهِرُ الطَّيِّبُ عَبْدُ اللهِ	وَقِيلَ كُلُّ اسْمٍ لِفَرْدٍ زَاهِي(١)
١٩- وَالْكُلُّ فِي حَيَاتِهِ ذَاقُوا الْحِمَامْ	وَبَعْدَهُ فَاطِمَةٌ بِنِصْفِ عَامْ

الشرح:

أي جميع أولاده ﷺ من خديجة، خلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية. ولا خلاف في ذلك بين العلماء.

قال ابن كثير في "البداية والنهاية" (٨/٢٣٧): لا خلاف أن جميع أولاده ﷺ من خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، سوى إبراهيم فمن مارية بنت شمعون القبطية.اهـ

وهم: سبعة: ثلاثة ذكور، وأربع إناث. وهم:

(١) **القاسم**: به يكنى. مات طفلًا، وقيل: عاش إلى أن ركب الدابة وسار على النجيبة. وهو أكبر أولاده على الصحيح، وهو قول أكثر أهل السير وأول من مات منهم، وله سنتان، وقيل: ١٧ شهرا.

(٢) **عبد الله**: ويقال له: الطاهر، والطيب. ولد بعد النبوة، وهو واحد على الصحيح.

(٣) **إبراهيم**: وهو أصغر أولاده من مارية القبطية، ولد في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة، وتوفي وهو ابن ستة عشر أو ثمانية عشر، ودفن بالبقيع.

(٤) **زينب**: وهي أكبر بناته، وقيل: أكبر أولاده جميعا، تزوجها ابن خالها أبي العاص بن الربيع، فلما هاجرت تركته على الشرك، ثم أسلم فردها إليه النبي ﷺ بالعقد الأول، وقيل: بعقد جديد.

(٥) **رقية**: تزوجها عثمان بن عفان، وولدت له ابنا اسمه عبد الله، ومات وله أربع سنين،

---

(١) الأصوب أن يقال: (زاهٍ) بدون ياء، وهو النير. "معجم اللغة العربية المعاصرة" (١/٢٥٨).

وقيل: ست. وماتت رقية بعد يوم بدر بثلاثة أيام، وقيل: كانت أصغر البنات.

(٦) أم كلثوم: تزوجها عثمان بعد رقية، وماتت عنده في سنة تسع من الهجرة ولم تلد له، وكانت قبله تحت عتبة بن أبي لهب ولم يدخل بها، ثم طلقها بأمر أبيه لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١].

(٧) فاطمة: وهي أفضل بناته، تزوجها علي وولدت له: الحسن والحسين، والمحسن وزينب وأم كلثوم.(١)

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ «إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ». رواه البخاري (٣٨١٨)

وعنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ لَمْ يَكُنْ يَسْأَمُ مِنْ ثَنَاءٍ عَلَيْهَا وَالِاسْتِغْفَارِ لَهَا، فَذَكَرَهَا ذَاتَ يَوْمٍ وَاحْتَمَلَتْنِي الْغَيْرَةُ إِلَى أَنْ قُلْتُ: قَدْ عَوَّضَكَ اللهُ مِنْ كَبِيرَةِ السِّنِّ، قَالَتْ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَضِبَ غَضَبًا سَقَطَ فِي جِلْدِي، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: اللهُمَّ إِنَّكَ إِنْ أَذْهَبْتَ عَنِّي غَضَبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ أَذْكُرْهَا بِسُوءٍ مَا بَقِيتُ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الَّذِي قَدْ لَقِيتُ، قَالَ: «كَيْفَ قُلْتِ؟ وَاللهِ لَقَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِيَ النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَرُزِقَتْ مِنِّي الْوَلَدَ إِذْ حُرِمْتِيهِ مِنِّي» ، فَغَدَا بِهَا عَلَيَّ وَرَاحَ شَهْرًا. أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (١٣/٢٣) وقال الهيثمي في "المجمع" (٢٢٤/٩): أسانيده حسنة.اهـ

وهو عند الإمام أحمد (٢٤٨٦٤) عَنْها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، قَالَتْ: فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ: «مَا أَبْدَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي

---

(١) "جامع الأصول" (١٠٧/١٢)، "زاد المعاد"(١٠٠/١)، "الإشارة "(ص:٩٤)، "سيرة ابن هشام"(١٩٠/١)، "جوامع السيرة"(ص:٣٠)، "عيون الأثر" (٣٥٦/٢)، "سبل الهدى والرشاد" (١٦/١١)، "البداية والنهاية" (٣٢٨/٥)، "تهذيب الكمال" (١٩١/١).

النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي الله عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ». وهو من طريق مجالد بن سعيد، وليس بالقوي لكن يشهد له ما قبله.

قال الهيثمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "المجمع" (٩/٢٢٤): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.اهـ

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تفرد به أحمد، وإسناده لا بأس به، ومجالد روى له مسلم متابعة، وفيه كلام مشهور. والله أعلم. ولعل قوله: «ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء»كان قبل أن يولد إبراهيم ابن النبي ﷺ من مارية، وقبل مقدمها بالكلية، وهذا متعين، فإن جميع أولاد النبي ﷺ -كما تقدم- من خديجة، إلا إبراهيم فمن مارية القبطية المصرية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا[1].اهـ

قوله: (حاز التكريم): لعل المؤلف أراد الإشارة إلى ما جاء عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ الْقَاسِمُ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ خَدِيجَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَرَّتْ لُبَيْنَةُ الْقَاسِمِ، فَلَوْ كَانَ اللَّهُ أَبْقَاهُ حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رَضَاعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ تَمَامَ رَضَاعِهِ فِي الْجَنَّةِ» قَالَتْ: لَوْ أَعْلَمُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهَوَّنَ عَلَيَّ أَمْرَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ تَعَالَى فَأَسْمَعَكِ صَوْتَهُ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلْ أُصَدِّقُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

أخرجه ابن ماجه (١٥١٢) وهو ضعيف جدا. في سنده هشام بن أبي الوليد وهو متروك، وأمه مجهولة.

أو لعله أراد أنه كُرِّم بذكر اسمه كلما ذكر النبي ﷺ؛ لأنه تكنى به، فهو أبو القاسم.

الاختلاف في عدد أولاده الذكور صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ

قال الحافظ ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "أشرف الوسائل" (ص٤٦٥): وأما أولاده ﷺ الذكور ففي عدتهم خلاف طويل، والمحصل من جميع الأقوال ثمانية ذكور: اثنان متفق عليهما: القاسم وإبراهيم. وستة مختلف فيهم: عبد مناف، وعبد الله، والطيب، والمطيب،

---

(١) "البداية والنهاية" (٣/١٢٨)، وانظر: "الضعيفة" ح (٦٢٢٤).

والطاهر، والمطهر. والأصح أن الذكور ثلاثة، وكلهم ذكورا وإناثا من خديجة، إلا إبراهيم فمن مارية القبطية.اهـ

وقال أبو العباس القَسطلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "المواهب اللدنية" (٤٧٩/١):

فتحصل من جميع الأقوال ثمانية ذكور: اثنان متفق عليهما: القاسم وإبراهيم.

وستة مختلف فيهم: عبد مناف، وعبدالله، والطيب، والمطيب، والطاهر، والمطهر.

والأصح أنهم ثلاثة ذكور، والأربع بنات متفق عليهن.اهـ

وقال الصالحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "سبل الهدى والرشاد" (١٦/١١).: والأصح قول الجمهور: أنهم ثلاثة ذكور: القاسم، وعبد الله، وإبراهيم. والأربع البنات متفق عليهن.اهـ

عدد بناته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ

قال المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الإمتاع" (٣٤١/٥): اعلم أن إجماع من يعتد به انعقد على أنه كان لرسول الله ﷺ. أربع بنات كلهن من خديجة، وهن: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة عليهن السلام.اهـ

وقال القَسطلّاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "المواهب"(٤٨٧/١): اعلم أن جملة ما اتفق عليه منهم ستة: القاسم، وإبراهيم. وأربع بنات: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة. وكلهن أدركن الإسلام، وهاجرن معه.اهـ وكذا قال الصالحي في "سبل الهدى والرشاد" (١٦/١١)

أكبر أولاده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصغرهم

اختلف في ذلك كثيرا، والترتيب الذي عليه الجمهور كما يلي: القاسم، ثم زينب، ثم رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم عبد الله، ثم إبراهيم.

قال مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الزُّبَيْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "نسب قريش" (ص: ٢١): فَوَلَدُ رسولِ الله ﷺ: القاسم، وهو أكبر ولده؛ ثم زينب؛ ثم عبد الله؛ ثم أم كلثوم، ثم فاطمة؛ ثم رقية؛ هم هكذا، الأول فالأول.اهـ

وأخرجه البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "دلائل النبوة" (٢/ ٧٠)قال: قَالَ أَبُوعَبْدِاللهِ- يعني: الحاكم: قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي بَكْرِ ابْنِ أَبِي خَيْثَمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الزُّبَيْرِيُّ، قَالَ: أَكْبَرُ

وَلَدِ رَسُولُ اللهِ، ﷺ الْقَاسِمُ، ثُمَّ زَيْنَبُ، ثُمَّ عَبْدُ اللهِ، ثُمَّ أُمُّ كُلْثُومٍ، ثُمَّ فَاطِمَةُ، ثُمَّ رُقَيَّةُ. قَالَ مُصْعَبٌ: هُمْ هَكَذَا: الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ.اهـ

وقَالَ ابْنُ هِشَامٍ في "السيرة" (١/ ١٩٠): أَكْبَرُ بَنِيهِ الْقَاسِمُ، ثُمَّ الطَّيِّبُ، ثُمَّ الطَّاهِرُ، وَأَكْبَرُ بَنَاتِهِ رُقَيَّةُ، ثُمَّ زَيْنَبُ، ثُمَّ أُمُّ كُلْثُومٍ، ثُمَّ فَاطِمَةُ.اهـ[١]

قوله: «والكل في حياته ذاقوا الحمام»: الحمام: قضاء الله وقدره بالموت. من قولهم: حُمَّ كذا، أي قُدِّر. والحِمم: المنايا. **قال أبو بكر الأنباري**: الحمام أصله: القَدَر، ثم استعمل حتى صار معبرًا عن الموت والمكروه، يقال: حُمَّ الموت: إذا قُدِّرَ. قال الشاعر لبيد:

ألا يا لقومٍ كلُّ ما حُمَّ واقعُ ... وللطير مجرىً والجنوبُ مصارعُ[٢]

وفي "تاج العروس" (٣٢/٥): الحِمام: ككِتاب: قضاء الموت وقدره، من قولهم: حُمَّ له كذا: أي قُدِّر، وفي شعر ابن رواحة: «هذا حِمامُ الموت قد صليت...» أي قضاؤه.

والمراد: أن جميع أبنائه ﷺ ماتوا قبله، ذكورهم وإناثهم، إلا فاطمة فإنها تأخرت بعده بستة أشهر على القول الصحيح؛ ولهذا قال الناظم: (وبعده فاطمة بنصف عام).

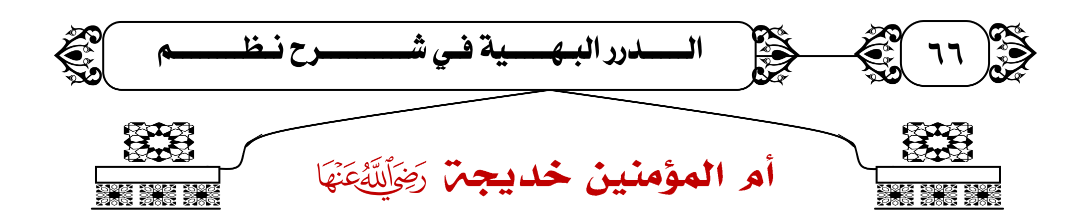
وفي الصحيحين[٣] **عن عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أن فاطمة عاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر».



(١)وانظر: "الطبقات الكبرى"(٤/٣)، "معرفة الصحابة"لابن منده(ص:٩٣٠)، "الاستيعاب" (١٨١٨/٤)، "تاريخ دمشق" لابن عساكر (١٣١/٣)، "أسد الغابة" (٨٠/٧)، "عيون الأثر" (٣٥٧/٢)، "الفصول في السيرة" (ص:٢٤١)، "إمتاع الأسماع" (٣٣٣/٥)، "المواهب اللدنية" (٤٧٩/١)، "سبل الهدى والرشاد" (١٦/١١)، "البداية والنهاية"(٣٥٩/٢).

(٢)"الزاهر" (٢٢٥/٢).

(٣)البخاري (٤٢٤) و مسلم(١٧٥٩).



أم المؤمنين خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

هي أم المؤمنين، وسيدة نساء العالمين في زمانها، أم القاسم: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشية الأسدية. يلتقي نسبها بنسب النبي ﷺ في الجد الخامس قصي بن كلاب. كانت أوسط نساء قريش نسبا، وأعظمهن شرفا، وأكثرهن مالا، وكانت تدعى في الجاهلية: الطاهرة. تزوجها النبي ﷺ ثيبا.

قال الصالحي رَحِمَهُ اللَّهُ في "سبل الهدى والرشاد" (١١/١٥٥): قال الزبير بن بكار -رحمه الله تعالى-: كانت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قبل رسول الله ﷺ عند عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومي، فولدت له جارية اسمها هند، ثم خلف عليها أبو هالة مالك بن نباش بن زرارة بن واقد بن حبيب بن سلامة بن عدي بن أسد بن عمرو بن تميم حليف بني عبدالدار بن قصيّ، فولدت له هند وهالة فهما أخوا ولد رسول الله ﷺ. رواه الطّبراني، والأكثر تقدّم أبي هالة على عتيق.اهـ

بعض ما جاء في فضلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

(١) هي أول من آمن مطلقًا من الرجال والنساء.

قال ابن الأثير في "أسد الغابة" (٧/٧٨): أول امرأة تزوجها النبي ﷺ، وأول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين، لم يتقدمها رجل ولا امرأة.اهـ

ونقل الإجماع أيضا جمع من العلماء، منهم: ابن إسحاق في "السيرة" (١/٢٤٠)، وابن عبدالبر في "الاستيعاب" (٣/١٠٩١، ١٠٩٢)، والحافظ ابن حجر في "الإصابة" (٨/٩٩)، وابن الملقن في "الإعلام" (١/٢٣٤)، والزركشي في "الإجابة" (١/٤٣).

وسيأتي مزيد نقولات من أقوال أهل العلم عند الحديث عن السابقين الأوائل إلى الإسلام.

(٢) أرسل الله لها السلام، وأمر نبيه أن يبشرها بالجنة، وسلم عليها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ. متفق عليه [خ (٣٨٢٠) م (٢٤٣٢)].

وفي هذا الحديث مناقب كثيرة لخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، منها:

١) **فيه بيان خدمتها للنبي ﷺ**، وقد كانت تأتي له وهو معتكف في غار حراء يتعبد، تأتي له بالطعام والشراب من بيتها؛ عونًا له على عبادة الله عز وجل.

٢) **إرسال الرب جل وعلا سلامه عليها مع جبريل**، وإبلاغ النبي ﷺ لذلك، فهذه فضيلة عظيمة، وخصوصية شريفة، لم يُسمع بمثلها لامرأة سواها.

٣) **البشرى لها ببيت في الجنة من قصب.** أي من لؤلؤ مجوف، «لا صخب فيه»: أي ليس فيه اختلاط الأصوات وارتفاعها. «ولا نصب»: أي ولا تعب ولا مشقة؛ وذلك جزاء لها على إجابتها داعي الله طوعا، فلم تحوجه ﷺ إلى رفع صوت، أو منازعة، ولا تعب، بل أزالت عنه كل تعب، وآنسته من كل وحشة، وهونت عليه كل عسير، وكان بيتها أول بيت إسلام، لا يوجد سواه على الإسلام.

وقد جاء هذا الحديث أيضا عن عبد الله بن أبي أوفى، وعائشة رضي الله عنهم.

٤) **وفور فقهها**، عن أنس قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ وعنده خديجة فقال: «إن الله يقرئ خديجة السلام» فقالت: إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. أخرجه النسائي في "السنن الكبرى" (٨٣٠١)

قال العلماء: في هذه القصة دليل على وفور فقه خديجة؛ لأنها لم تقل: وعليه السلام. كما وقع لبعض الصحابة حيث كانوا يقولون في التشهد: السلام على الله. فنهاهم النبي ﷺ، وقال: «إن الله هو السلام، فقولوا: التحيات لله». فعرفت خديجة لصحة فهمها أن الله لا يُرَدُّ عليه السلام كما يُرد على المخلوقين؛ لأن السلام اسم من أسماء الله تعالى، وهو أيضًا دعاء بالسلامة. وكلاهما لا يصلح أن يُرد به على الله إلا الثناء عليه، فجعلت مكان رد

السلام عليه الثناء عليه[١].

(٣) هي خير نساء زمانها على الإطلاق

عن عبد الله بن جعفر قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ». متفق عليه [خ (٣٤٣٢) م (٢٤٣٠)]

قال النووي: والأظهر: أن معناه أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها.اهـ[٢]

وقد جاء الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ».

أخرجه ابن حبان من طريق عبد الرزاق الصنعاني، كما في "موارد الظمآن"(٢٢٢٢)، وهو في "صحيح الجامع" للألباني رقم (٣٣٢٨).

وجاء بلفظ: «حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ ابْنَةُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ»[٣].

وقوله: «حسبك»: أي يكفيك من نساء العالمين الواصلات إلى مراتب الكاملين في الاقتداء بهن، وذكر محاسنهن، ومناقبهن، وزهدهن، وإقبالهن على الله.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ، قَالَ: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» فَقَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ»[٤].

---

(١) انظر: "الكوكب الوهاج" (٢٣/٥٢٨ – ٥٣٠)، "الروض الأنف" (١/٢٧٩)، "الفتح" (٧/١٣٨).

(٢) "شرح مسلم" (١٥/٢٠٧)، وكذا قال الحافظ في "الفتح" (٧/١٣٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٢٣٩١)، والترمذي (٣٨٧٨)، وابن حبان (٧٠٠٣)، وأبو يعلى (٣٠٣٩)، وغيرهم، وهو في "صحيح الجامع" (٣١٤٣).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢٦٦٨)، والنسائي في "الكبرى" (٨٣٠٦)، وأبو يعلى (٢٧٢٢) والطبراني في "الكبير" (١٠١٩)، وقال الهيثمي في "المجمع" (٩/٢٢٣): وَرِجَالُهُمْ رِجَالُ الصَّحِيحِ.اهـ وصححه شيخنا الوادعي في "الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين" (٢١٠)، والألباني في "الصحيحة" (١٥٠٨).

وعَنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَيِّدات نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ بَعْدَ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، فَاطِمَةُ، وَخَدِيجَةُ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ»[1].

وعَنْ عُرْوَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَلَا أُبَشِّرُكَ، أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سَيِّدَاتُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَرْبَعٌ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَآسِيَةُ». [2]

قال الحافظ ابن كثيررَحِمَهُ اللَّهُ في "البداية والنهاية" (١٤١/٣): قالوا: والقدر المشترك بين الثَّلَاثِ نِسْوَةٍ، آسِيَةَ وَمَرْيَمَ وَخَدِيجَةَ أَنَّ كُلًّا مِنْهُنَّ كَفَلَتْ نَبِيًّا مُرْسَلًا وَأَحْسَنَتِ الصُّحْبَةَ فِي كَفَالَتِهَا وَصَدَّقَتْهُ فَآسِيَةُ رَبَّتْ مُوسَى وَأَحْسَنَتْ إِلَيْهِ وَصَدَّقَتْهُ حِينَ بُعِثَ، وَمَرْيَمُ كَفَلَتْ وَلَدَهَا أَتَمَّ كَفَالَةٍ وَأَعْظَمَهَا وَصَدَّقَتْهُ حِينَ أُرْسِلَ. وَخَدِيجَةُ رَغِبَتْ فِي تَزْوِيجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِهَا وَبَذَلَتْ فِي ذَلِكَ أَمْوَالَهَا كَمَا تَقَدَّمَ وَصَدَّقَتْهُ حِينَ نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ مِنَ الله عزوجل.اهـ

(٤) محبة النبي ﷺ وإجلاله لها، في حياتها وبعد موتها

حتى أنه لم يتزوج عليها حتى فارقت الدنيا، فبقيت معه خمسًا وعشرين سنة منفردة به، ولم يتسرى كذلك عليها حتى قضت نحبها، وهذه فضيلة لم يشاركها فيها غيرها.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ: «أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ» قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا». رواه مسلم(٢٤٣٥)

فقوله: «قد رزقت حبها»: أي أعطيت حبها وطبعت عليه؛ لأنها واستني في مالها، ونفسها، وأولادها، قال النووي: فيه إشارة إلى أن حبها فضيلة حصلت له.اهـ[3]

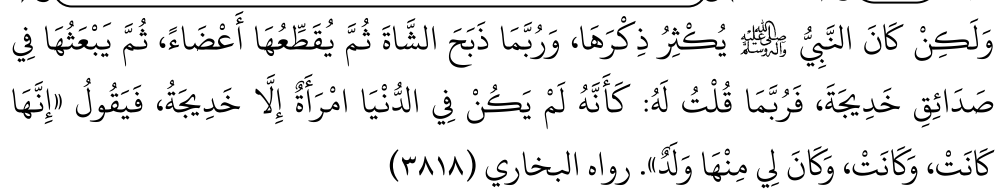
وعَنْها، قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا،

---

(١)أخرجه الطبراني في "الكبير"(١٢١٧٩) و"الأوسط" (١١٠٧) وهو في "الصحيحة" (١٤٢٤).

(٢) أخرجه الإمام الحاكم (٤٨٥٣)، والإمام أحمد في "الفضائل" (١٣٣٦، ١٥٧٦)، والطبراني في "الكبير" (١٢١٧٩)، و"الأوسط" (١١٠٧)، وغيرهم، وهو في "الصحيحة" (١٤٢٤).

(٣) "الكوكب الوهاج" (٥٣٥/٢٣).


وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ «إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ». رواه البخاري (٣٨١٨)

وفي رواية لمسلم (٢٤٣٥) قَالَتْ: «مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَلَقَدْ هَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلَاثِ سِنِينَ، لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ، ثُمَّ يُهْدِيهَا إِلَى خَلَائِلِهَا».

الشاهد: كثرة ذكر النبي ﷺ لها والثناء عليها، فكثرة ذلك لمحبته إياها، ولما اتصل له من الخير بسببها وفي بيتها، ومن أحب شيئا أكثر من ذكره. ولذلك قال: «إني رزقت حبها». وكونه ﷺ يهدي لخلائل خديجة دليل على وفائه، وكرم خلقه، وحسن عهده، ولهذا كان يرتاح لهالة بنت خويلد، إذا رآها ينهض إكراما لها وسرورا بها، وراحة لسماع صوتها؛ لأنه كان يشبه صوت أختها خديجة، فقد روى الشيخان[١] عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاحَ لِذَلِكَ فَقَالَ: «اللهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ» فَغِرْتُ فَقُلْتُ: وَمَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ، حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ[٢]، هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ فَأَبْدَلَكَ اللهُ خَيْرًا مِنْهَا.

وعنها قَالَتْ: «لَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خَدِيجَةَ حَتَّى مَاتَتْ». رواه مسلم(٢٤٣٦)

قال القرطبي في "المفهم" (٣١٩/٦): وكونه ﷺ لم يتزوج على خديجة إلى أن ماتت يدل على عظيم قدرها عنده ومحبته لها، وعلى فضل خديجة أيضا؛ لأنها اختصت برسول الله ﷺ، ولم يشاركها فيه أحد؛ صيانة لقلبها من التَّغْيير والغَيرة، ومن مناكدة الضرة.اهـ

---

(١)البخاري (٣٨٢١) ومسلم (٢٤٣٧).

(٢)حمراء الشدقين: قيل: معناه أنها بيضاء الشدقين. والعرب تسمي الأبيض أحمر؛ كراهة في اسم البياض لأنه يشبه البرص. ومراد عائشة: أنها كبيرة غلب على لونها الحمرة لكبر سنها. "المفهم" (٣١٨/٦).

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في "شرح مسلم" (٢٠٢/١٥): معناه عجوز كبيرة جدا، حتى سقطت أسنانها من الكِبَر، ولم يبق لشدقها بياض شيء من الأسنان، إنما بقي فيه حمرة لثاتها. اهـ

وقال الحافظ في "الفتح" (٥٢١/٧): والمراد بالشدقين: ما في باطن الفم، فكنّت بذلك عن سقوط أسنانها، حتى لا يبقى داخل فمها إلا اللحم الأحمر من اللثة، وغيرها.اهـ

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الفتح" (١٣٧/٧): وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار، وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها؛ لأنها أغنته عن غيرها، واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين؛ لأنه ﷺ عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاما، انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاما، وهي نحو الثلثين من المجموع. ومع طول المدة، فصان قلبها فيها من الغَيرة، ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك. وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها.اهـ

وعنها قَالَتْ: لَمَّا بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ، بَعَثَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي فِدَاءِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ بِمَالٍ، وَبَعَثَتْ فِيهِ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ لِخَدِيجَةَ، أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أَبِي الْعَاصِ حِينَ بَنَى عَلَيْهَا. قَالَتْ: فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً، وَقَالَ:«إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا، وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا، فَافْعَلُوا». فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَطْلَقُوهُ، وَرَدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا. رواه أحمد (٢٦٣٦٢)، وأبو داود (٢٦٩٢) وهو في "الصحيح المسند" لشيخنا الوادعي (٥١٨/٢)

أي: رق لزينب، يعني لغربتها ووحدتها، وتذكر عهد خديجة وصحبتها، فإن القلادة كانت لها وفي عنقها، وهذا وفاء منقطع النظير وحب عظيم لخديجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قَالَتْ: جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ عِنْدِي، فَقَالَ: لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَنْتِ؟» قَالَتْ: أَنَا جَثَّامَةُ الْمُزَنِيَّةُ، فَقَالَ: «بَلْ أَنْتِ حَسَّانَةُ الْمُزَنِيَّةُ، كَيْفَ أَنْتُمْ؟ كَيْفَ حَالُكُمْ؟ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا؟» قَالَتْ: بِخَيْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمَّا خَرَجَتْ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُقْبِلُ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ هَذَا الْإِقْبَالَ؟ فَقَالَ: «إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ».أخرجه الحاكم(٤٠)، وهو في "الصحيحة" (٢١٦).

قال أبو عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العهد في هذا الحديث: الحفاظ ورعاية الحرمة والحق. «من الإيمان»: أي من شعب الإيمان، ومن صفات أهله[١].

وقال عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو الاحتفاظ بالشيء والملازمة له. **وقال الراغب**: حفظ الشيء

---

(١) "شرح البخاري" لابن بطال (٢١٦/٩)، و"التنوير" للصنعاني (٦١٠/٣).

ومراعاته حالا بعد حال[١].

وبوب البخاري في "صحيحه": (باب حسن العهد من الإيمان)، وذكر حديث عائشة: ما غرت امرأة ما غرت على خديجة... قال العلامة بدر الدين العيني في "عمدة القاري" (٢٢/١٠٣ – ١٠٤): مطابقته للترجمة في حسن العهد، هو إهداء النبي ﷺ اللحم لإخوان خديجة ومعارفها، ورعيا منه لذمامها، وحفظا لعهدها.اهـ

فانظر كيف بلغ حبها إلى أن حظت صويحباتها بحبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واحترامه ورعايته لهن وبرهن ووصلهن.

وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُتِيَ بالشَّيء يَقُولُ: «اذْهَبُوا بِهِ إِلَى فُلانَةٍ فَإِنَّها كَانَت صَدِيقَةُ خَدِيْجَةَ. اذْهَبُوا بِهِ إلى فُلانَةٍ فَإِنَّها كانت تُحِبُّ خَدِيجَةَ». أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (٢٣٢)، وابن حبان (٧٠٠٧)، والطبراني في "الكبير" (٢٠)، والحاكم (٧٣٣٩)، وحسنه الألباني كما في "الصحيحة" (٢٨١٨).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ في "شرح مسلم" (١٥/١٦٤): في هذه الأحاديث دليل لحسن العهد، وحفظ الوُدِّ، ورعاية حرمة الصاحب والعشيرة حيا وميتا، وإكرام أهل ذلك الصاحب. اهـ

فوائد من الأحاديث السابقة

الفائدة الأولى: عظيم وفائه ﷺ لخديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، ومن مظاهر هذا الوفاء:

١) كثرة ذكرها والثناء عليها، وهذا من أبلغ مظاهر حب الإنسان لغيره، وهو التحدث عنه وعن أفضاله ومآثره. فعلى كل مسلم أن ينظر في حبه لله ورسوله ﷺ، فهل هو مكثر من ذكره وشكره وحسن عبادته، فإذا كان من دلائل محبة العبد لمثله كثرة ذكره، فما بالك بمحبة الله عز وجل ومحبة رسوله ﷺ؟!

٢) قيامه ﷺ بالإهداء لصديقات خديجة وإكرامهن ووصلهن بالمعروف دليل على أن هذا من حسن العهد ومن حسن الوفاء، ودليل أيضًا على كرمه ﷺ.

---

(١) "فتح الباري" (١٠/٤٣٥).

الفائدة الثانية: وجوب حسن الوفاء، ورد الجميل لأصحاب المعروف أحياءً وأمواتًا، وأعظم حق بعد حق الله عز وجل علينا حقوق الوالدين، فيجب علينا الوفاء به.

الفائدة الثالثة: عظيم فضل خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حتى قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة». أي لكثرة ما كان يذكر النبي ﷺ من مناقبها، كأن ليس في الدنيا امرأة تساميها.

الفائدة الرابعة: التسامح في أمور الغَيرة بين النساء وما يصدر منهن بصدر رحب ما لا يتسامح في غيره، ففي الأحاديث المتقدمة ثبوت الغيرة، وأنه غير مستنكر وقوعها من فاضلات النساء فضلًا ممن دونهن، وأصل غيرة المرأة من تخيل محبة غيرها أكثر منها، فيجب على الرجال مراعاة هذ الجانب وحسن معالجته والصبر عليه.

قال النووي في "شرح مسلم" (٢٠٢/١٥): قَالَ الْقَاضِي: قَالَ الْمِصْرِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ: الغيرة مُسَامَحٌ لِلنِّسَاءِ فِيهَا لَا عُقُوبَةَ عَلَيْهِنَّ فِيهَا لِمَا جُبِلْنَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَلِهَذَا لَمْ تُزْجَرْ عَائِشَةُ عَنْهَا.اهـ

الفائدة الخامسة: الأولاد نعمة يجب شكر الله تعالى عليها، بل ويجب شكر الزوجة، والثناء عليها، ورد جميلها؛ لكونها سببًا ظاهرا في وجود تلك النعمة، وتحمل مشاقها.

الفائدة السادسة: حكمته ﷺ، ويتبين ذلك من معايير تفضيله لزوجاته، فلم يكن على أساس الوضاءة والجمال وصغر السن، ولكن على أساس السبق إلى الإسلام والعمل والتضحية لأجله، وهكذا كانت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.



تحكيم قريش للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٢٠- وَبَعْـدَ خَمْـسٍ وَثَلاَثِـينَ حَـضَرْ بُنْيَــانَ بَيْــتِ اللهِ لَمَّــا أَنْ دَثَــرْ

٢١- وَحَكَّمُـوهُ وَرَضُـوا بِمَـا حَكَـمْ فِي وَضْـعِ ذَاكَ الْحَجَـرِ الْأَسْــوَدِ ثَــمْ

الشرح:

حضر النبي ﷺ بناء الكعبة وعمره خمس وثلاثون؛ وذلك لـمَّا وَهِيَ بناؤها، وتصدعت أركانها، فقصدت قريش منفعة تحفظ بها الكعبة، وهي إعلاء بابها، ورفع أركانها، فنقضوا حجارتها، وهدموها، ثم أعادوا بناءها، فلما بلغوا الحجر الأسود اختلفوا فيمن ينال شرف رفعه، ثم اتفقوا على أن يُحَكِّموا أول داخل عليهم من باب بني شيبة، فكان أول داخل عليهم هو النبي ﷺ، فلما رأوه فرحوا بذلك وقالوا: أتاكم الأمين، ورضوا به؛ لما علموا من أمانته، وصدقه، فقضى أن يوضع الحجر في ثوب، وترفع كل قبيلة طرفًا منه، فلما بلغوا موضعه وضعه النبي ﷺ بيده الشريفة في مكانه الذي هو فيه الآن.

وشارك ﷺ في بناء الكعبة، وكان ينقل الحجارة مع عمه العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والأحاديث التالية توضح هذه الحادثة:

١) ففي الصحيحين عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة للكعبة وعليه إزار، فقال عمه العباس للنبي ﷺ: يا ابن أخي، اجعل إزارك على رقبتك [وفي رواية: لو حللت إزارك، فجعلت على مَنكِبَيك] يقيك من الحجارة؟ قال: فحله فجعله على مَنْكِبَيه، فخر إلى الأرض مغشيا عليه، وطمحت عيناه إلى السماء، ثم أفاق فقال: أرني إزاري. [وفي رواية: إزاري إزاري]، فشده عليه، فما رؤي بعد ذلك عُريانا ﷺ[1].

٢) وعَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ مَوْلَاهُ أَنَّهُ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ يَبْنِي الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: وَلِي

---

(١) "مختصر البخاري" للألباني (٧٥١)، وهو في مسلم (٣٤٠).

حَجَرٌ أَنَا نَحُتُّهُ بِيَدَيَّ أَعْبُدُهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَأَجِيءُ بِاللَّبَنِ الْخَاثِرِ الَّذِي أَنْفَسُهُ عَلَى نَفْسِي، فَأَصُبُّهُ عَلَيْهِ، فَيَجِيءُ الْكَلْبُ فَيَلْحَسُهُ، ثُمَّ يَشْغَرُ فَيَبُولُ فَبَنَيْنَا حَتَّى بَلَغْنَا مَوْضِعَ الْحَجَرِ، وَمَا يَرَى الْحَجَرَ أَحَدٌ، فَإِذَا هُوَ وَسْطَ حِجَارَتِنَا مِثْلَ رَأْسِ الرَّجُلِ يَكَادُ يَتَرَاءَى مِنْهُ، وَجْهُ الرَّجُلِ فَقَالَ: بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ نَحْنُ نَضَعُهُ، وَقَالَ: آخَرُونَ نَحْنُ نَضَعُهُ، فَقَالُوا: اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ حَكَمًا، قَالُوا: أَوَّلَ رَجُلٍ يَطْلُعُ مِنَ الْفَجِّ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: أَتَاكُمُ الْأَمِينُ، فَقَالُوا لَهُ، «فَوَضَعَهُ فِي ثَوْبٍ، ثُمَّ دَعَا بُطُونَهُمْ فَأَخَذُوا بِنَوَاحِيهِ مَعَهُ، فَوَضَعَهُ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1].

٣) وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا انْهَدَمَ الْبَيْتُ بَعْدَ جُرْهُمٍ فَبَنَتْهُ قُرَيْشٌ فَلَمَّا أَرَادُوا وَضْعَ الْحَجَرِ تَشَاجَرُوا مَنْ يَضَعُهُ فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَضَعَهُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ هَذَا الْبَابِ «فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ فَأَمَرَ بِثَوْبٍ فَوُضِعَ فَأَخَذَ الْحَجَرَ فَوَضَعَهُ فِي وَسَطِهِ وَأَمَرَ مِنْ كُلِّ فَخِذٍ أَنْ يَأْخُذُوا بِطَائِفَةٍ مِنَ الثَّوْبِ فَيَرْفَعُوهُ وَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَهُ»[2].

٤) وعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتِ الْكَعْبَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَبْنِيَّةً بِالرَّضْمِ لَيْسَ فِيهَا مَدَرٌ، وَكَانَتْ قَدْرَ مَا يَقْتَحِمُهَا الْعَنَاقُ، وَكَانَتْ غَيْرَ مَسْقُوفَةٍ، وَإِنَّمَا تُوضَعُ ثِيَابُهَا عَلَيْهَا، ثُمَّ يُسْدَلُ سَدْلًا عَلَيْهَا، وَكَانَ الرُّكْنُ الْأَسْوَدُ مَوْضُوعًا عَلَى سُورِهَا بَادِيًا، وَكَانَتْ ذَاتَ رُكْنَيْنِ كَهَيْئَةِ هَذِهِ الْحَلْقَةِ، فَأَقْبَلَتْ سَفِينَةٌ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ حَتَّى إِذَا كَانُوا قَرِيبًا مِنْ جُدَّةَ انْكَسَرَتِ السَّفِينَةُ، فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ لِيَأْخُذُوا خَشَبَهَا، فَوَجَدُوا رُومِيًّا عِنْدَهَا فَأَخَذُوا الْخَشَبَ، أَعْطَاهُمْ إِيَّاهَا، وَكَانَتِ السَّفِينَةُ تُرِيدُ الْحَبَشَةَ، وَكَانَ الرُّومِيُّ الَّذِي فِي السَّفِينَةِ نَجَّارًا، فَقَدِمُوا بِالْخَشَبِ، وَقَدِمُوا بِالرُّومِيِّ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: نَبْنِي بِهَذَا الْخَشَبِ بَيْتَ رَبِّنَا، فَلَمَّا أَنْ أَرَادُوا هَدْمَهُ إِذَا هُمْ بِحَيَّةٍ عَلَى سُورِ الْبَيْتِ مِثْلِ قِطْعَةِ الْجَائِزِ سَوْدَاءِ الظَّهْرِ، بَيْضَاءِ الْبَطْنِ، فَجَعَلَتْ كُلَّمَا دَنَا أَحَدٌ مِنَ الْبَيْتِ لِيَهْدِمَهُ أَوْ يَأْخُذَ مِنْ حِجَارَتِهِ، سَعَتْ إِلَيْهِ فَاتِحَةً فَاهَا، فَاجْتَمَعَتْ

---

(١) مسند أحمد (١٥٥٠٤) وصححه محققوه، والألباني في "صحيح السيرة" (ص٤٥).

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي في "مسنده" (١١٥)، وهو في "صحيح السيرة" للألباني(ص٤٤).

قُرَيْشٌ عِنْدَ الْحَرَمِ، فَعَجُّوا إِلَى اللَّهِ وَقَالُوا: رَبَّنَا لَمْ نُرَعْ، أَرَدْنَا تَشْرِيفَ بَيْتِكَ وَتَرْتِيبَهُ، فَإِنْ كُنْتَ تَرْضَى بِذَلِكَ، وَإِلَّا فَمَا بَدَا لَكَ فَافْعَلْ، فَسَمِعُوا خُوَارًا فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا هُمْ بِطَائِرٍ أَعْظَمَ مِنَ النّسْرِ، أَسْوَدِ الظَّهْرِ، وَأَبْيَضِ الْبَطْنِ وَالرِّجْلَيْنِ، فَغَرَزَ مَخَالِبَهُ فِي قَفَا الْحَيَّةِ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهَا يَجُرُّهَا، وَذَنَبُهَا أَعْظَمُ مِنْ كَذَا وَكَذَا سَاقِطٍ حَتَّى انْطَلَقَ بِهَا نَحْوَ أَجْيَادٍ، فَهَدَمَتْهَا قُرَيْشٌ، وَجَعَلُوا يَبْنُونَهَا بِحِجَارَةِ الْوَادِي، تَحْمِلُهَا قُرَيْشٌ عَلَى رِقَابِهَا، فَرَفَعُوهَا فِي السَّمَاءِ عِشْرِينَ ذِرَاعًا، فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَحْمِلُ حِجَارَةً مِنْ أَجْيَادٍ وَعَلَيْهِ نَمِرَةٌ، إِذْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ النَّمِرَةُ، فَذَهَبَ يَضَعُ النَّمِرَةَ عَلَى عَاتِقِهِ، فَبَدَتْ عَوْرَتُهُ مِنْ صِغَرِ النَّمِرَةِ، فَنُودِيَ يَا مُحَمَّدُ، خَمِّرْ عَوْرَتَكَ، فَلَمْ يُرَ عُرْيَانًا بَعْدَ ذَلِكَ، وَكَانَ بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَبَيْنَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَمْسُ سِنِينَ، وَبَيْنَ مَخْرَجِهِ وَبِنَائِهَا خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً.[١].

حديث عن مراحل بناء الكعبة من عهد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أَرَادَ بِنَاءَ الْبَيْتِ ضَاقَ بِهِ ذَرْعًا، فَلَمْ يَدْرِ مَا يَصْنَعُ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ السَّكِينَةَ: وَهِيَ رِيحٌ خَجُوجٌ[٢]، فَانْطَوَتْ فَجَعَلَ يَبْنِي عَلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ سَاقًا وَمَكَّةُ شَدِيدَةُ الْحَرِّ، فَلَمَّا بَلَغَ مَوْضِعَ الْحَجَرِ، قَالَ لِإِسْمَاعِيلَ اذْهَبْ فَالْتَمِسْ حَجَرًا فَضَعْهُ هَا هُنَا، فَجَعَلَ يَطُوفُ بِالْجِبَالِ فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ بِالْحَجَرِ، فَوَضَعَهُ فَجَاءَ إِسْمَاعِيلُ، فَقَالَ: مَنْ جَاءَ بِهَذَا؟ - أَوْ مِنْ أَيْنَ هَذَا؟، أَوْ مِنْ أَيْنَ أُتِيَ بِهَذَا؟ - فَقَالَ: جَاءَ بِهِ مَنْ لَمْ يَتَّكِلْ عَلَى بِنَائِي وَبِنَائِكَ فَبَنَاهُ، ثُمَّ انْهَدَمَ، فَبَنَتْهُ الْعَمَالِقَةُ، ثُمَّ انْهَدَمَ فَبَنَتْهُ جُرْهُمٌ، ثُمَّ انْهَدَمَ فَبَنَتْهُ قُرَيْشٌ، فَلَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَضَعُوا الْحَجَرَ تَشَاجَرُوا فِي وَضْعِهِ، فَقَالَ: أَوَّلُ مَنْ يَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْبَابِ فَهُوَ يَضَعُهُ، «فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِنْ قِبَلِ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ، فَأَمَرَ بِثَوْبٍ فَبُسِطَ فَوَضَعَ الْحَجَرَ فِي وَسَطِهِ، ثُمَّ أَمَرَ رَجُلًا مِنْ كُلِّ فَخْذٍ مِنْ أَفْخَاذِ قُرَيْشٍ أَنْ يَأْخُذَ بِنَاحِيَةِ الثِّيَابِ،

---

(١)أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" (٩١٠٦)، ومن طريقه إسحاق بن راهويه في "مسنده" (١٧٢٠)، والأزرقي في "أخبار مكة" (١/١٥٧)، وهو صحيح كما في "أنيس الساري" (٦/٣٩٢٤) رقم (٢٧٠٠).

(٢)أي شديدة، خفيفة، سريعة المر. "غريب الحديث" لابن قتيبة(٢/١٣٣)، "النهاية" لابن الأثير (٢/١١)

فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ فَوَضَعَهُ» سنده حسن[١].

سبب بناء قريش الكعبة

قال الذهبي في "تاريخ الإسلام" (١٧٤/١): قال موسى بن عقبة: إنما حمل قريشا على بناء الكعبة أن السيل كان يأتي من فوقها، من فوق الردم الذي صنعوه، فأخربه؛ فخافوا أن يدخلها الماء، وكان رجل يقال له: مليح سرق طيب الكعبة، فأرادوا أن يشيدوا بناءها، وأن يرفعوا بابها؛ حتى لا يدخلها إلا من شاءوا، فأعدوا لذلك نفقة وعمالا.اهـ

من أشار على قريش بالتحكيم؟

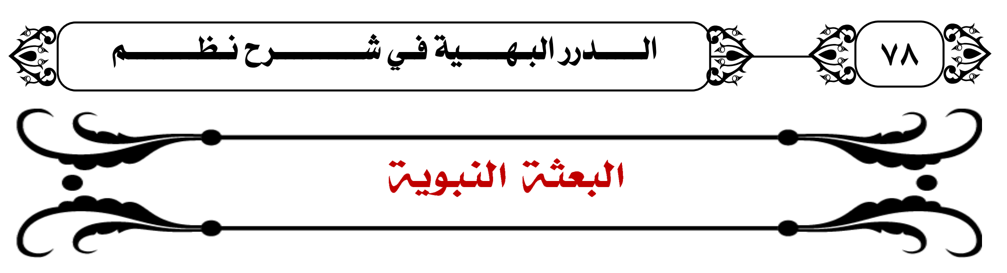
المشهور: أنه أبو أمية بن المغيرة المخزومي، وكان أمين قريش وأسنهم[٢].



---

(١)أخرجه الأزرقي في "أخبار مكة" (٦١/١)، والحاكم (١٦٨٤)، والبيهقي في "الشعب" (٣٧٠٤).

(٢)وهو والد أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأحد أجواد قريش المشهورين بالكرم، وكان يعرف بزاد الراكب؛ لأنه كان إذا سافر لا يتزود معه أحد، بل يكفي كل من سافر معه الزاد. "سيرة ابن هشام" (١٨٢/١)، "أعلام النبوة" للماوردي (٣١٣)، "السيرة الحلبية" (٢١٠/١)



٢٢-	وَبَعْـــــدَ عَامِ أَرْبَعِـــــينَ أُرْسِـــــلاَ	فِي يَـوْمِ الاثْنَـيْنِ يَقِينًـا فَـانْقُلاَ
٢٣-	فِي رَمَضَـــــانَ أَوْ رَبِيــــعِ الْأَوَّلِ	وَسُـــورةُ اقْــرَأْ أَوَّلُ الْمُـــنَزَّلِ

الشرح:

أي لما بلغ النبي ﷺ أربعين سنة من عمره أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، للناس كافة بشيرًا ونذيرا، وذلك يوم الاثنين يقينا لا خلاف في ذلك، في رمضان أو في ربيع الأول على خلاف بين العلماء، ونزل عليه أول ما نزل من القرآن الخمس الآيات الأول من سورة العلق.

عمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند البعثة

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالهِجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثٍ وَسِتِّينَ». متفق عليه [خ (٣٩٠٢) م (٢٣٥١)]

وفي لفظ للبخاري (٣٨٥١): «أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً، ثُمَّ أُمِرَ بِالهِجْرَةِ فَهَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ، فَمَكَثَ بِهَا عَشْرَ سِنِينَ، ثُمَّ تُوُفِّيَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وعَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَصِفُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ رَبْعَةً مِنَ القَوْمِ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلاَ بِالقَصِيرِ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ لَيْسَ بِأَبْيَضَ أَمْهَقَ، وَلاَ آدَمَ، لَيْسَ بِجَعْدٍ قَطَطٍ، وَلاَ سَبْطٍ رَجِلٍ أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ، فَلَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، وَقُبِضَ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعَرَةً بَيْضَاءَ» قَالَ رَبِيعَةُ: «فَرَأَيْتُ شَعَرًا مِنْ شَعَرِهِ، فَإِذَا هُوَ أَحْمَرُ فَسَأَلْتُ؟ فَقِيلَ: احْمَرَّ مِنَ الطِّيبِ». متفق عليه [خ (٣٥٤٧) م (٢٣٤٧)].

قال إبراهيم بن المنذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والذي لا يشك فيه أحد من علمائنا: أن رسول الله ﷺ ولد عام الفيل، وبُعث على رأس أربعين سنة من الفيل.اهـ "دلائل النبوة" للبيهقي (٧٩/١).

قال السهيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الروض الأنف" (٢٥٠/٢): ذَكَرَ ابْنُ إسْحَاقَ أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بُعِثَ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ مِنْ مَوْلِدِهِ عَلَيْهِ السّلَام وَهَذَا مَرْوِيّ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ، وَجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ وَقَبَاثِ ابْنِ أَشْيَمَ وَعَطَاءٍ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيّبِ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَهُوَ صَحِيحٌ عِنْدَ أَهْلِ السّيَرِ وَالْعِلْمِ بِالْأَثَرِ. اهـ

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "شرح مسلم" (٩٩/١٥): وهذا الذي ذكرناه: أنه بعث على رأس أربعين سنة هو الصواب المشهور الذي أطبق عليه العلماء.اهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "زاد المعاد" (٨٢/١): بعثه الله على رأس أربعين، وهي سن الكمال. اهـ

وقال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "عمدة القاري" (١٢٩/٢٤): وكان سن النبي ﷺ حين جاءه جبريل عليه السلام في غار حراء أربعين سنة على المشهور. اهـ[١]

يوم مبعثه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لا خلاف بين أهل العلم أنه يوم الاثنين؛ لما جاء عن أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين فقال:«ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بُعثت أو أنزل عليَّ فيه». رواه مسلم (١١٦٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "زاد المعاد" (١٨/١):ولا خلاف أن مبعثه ﷺ كان يوم الاثنين.اهـ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السيرة" (٣٩٢/١): وقال ابن عباس: ولد نبيكم ﷺ يوم الاثنين، ونبئ يوم الاثنين. وهكذا قال عبيد بن عمير، وأبو جعفر الباقر، وغير واحد من العلماء: أنه عليه الصلاة والسلام أوحي إليه يوم الاثنين. وهذا ما لا خلاف فيه بينهم. اهـ

وقال ابن جرير الطبري في "تاريخه" (٢٩٣/٢): وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل العلم. اهـ

---

(١)وانظر "البداية والنهاية" (٥/٣)، "سبل الهدى والرشاد" (٢٢٥/٢).



شهر مبعثه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اختلف العلماء في ذلك. **فقيل**: شهر رمضان، **وقيل**: ربيع الأول، **وقيل**: رجب[١].

القول الأول: في شهر مضان، وبه قال جمهور العلماء[٢] **واختاره كثير من العلماء، منهم**: الخطيب الشربيني في "السراج المنير" (٤١٣/٤)، والعيني في "عمدة القاري" (١٢٩/٢٤)، وابن حجر في "الفتح" (٣٥٦/١٢)،وأبو الحسنات اللكنوي في "التعليق الممجد" (٤٨٠/٣)، والقسطلاني في "إرشاد الساري"(٤٦٦/٨)، والزرقاني في "شرح المواهب"(٣٨٦/١)، والخضري في "نور اليقين"(ص٢٥).

القول الثاني: أنه في ربيع الأول، وبالقول هذا قال جماعة منهم: المسعودي وابن عبدالبر[٣].

ونسبه ابن القيم إلى الجمهور فقال: واختلف في شهر المبعث، فقيل: لثمان مضين من ربيع الأول سنة إحدى أربعين من عام الفيل. هذا قول الأكثرين، وقيل: بل كان ذلك في رمضان، واحتج هؤلاء بقول الله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] قالوا: أول ما أكرمه الله تعالى أن أنزل عليه القرآن، وإلى هذا ذهب جماعة... والأولون قالوا: إنما كان إنزال القرآن في رمضان جملة واحدة ليلة القدر إلى بيت العزة، ثم أنزل منجما بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة[٤]. اهـ

الجمع بين القولين

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الفتح" (٢٧/١): فائدة: وقع في تاريخ أحمد بن حنبل عن الشعبي: أن مدة فترة الوحي كانت ثلاث سنين. وبه جزم ابن إسحاق، وحكى البيهقي أن مدة الرؤيا

---

(١)قال العيني في "عمدة القاري" (١٢٩/٢٤): وكان سن النبي ﷺ حين جاءه جبريل عليه السلام في غار حراء أربعين سنة، على المشهور. وكان ذلك يوم الاثنين نهارًا في شهر رمضان في سابع عشره، وقيل: في سابعه، وقيل: في رابع عشرين، وقيل: في سابع عشرين شهر رجب، وقيل: في أول شهر ربيع الأول، وقيل: في ثامنه. اهـ

(٢) انظر: "الفتح" (٥٧٠/٦)، "البداية والنهاية" (٣٢٠/٢).

(٣) "فتح الباري" (٥٧٠/٦).

(٤) "زاد المعاد" (٧٧/١ – ٧٨).

كانت ستة أشهر. وعلى هذا فابتداء النبوة بالرؤيا وقع من شهر مولده، وهو ربيع الأول بعد إكماله أربعين سنة، وابتداء وحي اليقظة وقع في رمضان. اهـ

وقال البكري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تاريخ الخميس" (٢٨٠/١): قال بعض علماء الحديث: ابتداء الوحي إلى النبي ﷺ كان في المنام في ربيع الأول في السنة الحادية والأربعين، وابتداء الوحي إليه في اليقظة ونزول القرآن كان في رمضان في تلك السنة. وعن أنس بن مالك أنه قال: بعث رسول الله ﷺ على رأس أربعين. والصحيح من الروايات أن أول ما بدئ به النبي ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، كما في حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا. فإن المدة التي كان يوحى إليه في المنام فيها ستة أشهر إلى أن استعلن له جبريل. فقول النبي ﷺ الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة معناه: أن النبي ﷺ حين بعث أقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وأقام بالمدينة عشر سنين، فذلك ثلاث وعشرون سنة كاملة، فإذا قسمت مدة الوحي إليه في اليقظة وهي ثلاث وعشرون سنة إلى مدة الوحي إليه في المنام وهي ستة أشهر، وجدت مدة بعثه إلى حين وفاته على هذا ستة وأربعين جزءا، فاتضح معنى الحديث. اهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الزاد" (٨٢/١): أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من أمر النبوة الرؤيا، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. قيل: وكان ذلك ستة أشهر، ومدة النبوة ثلاث وعشرون سنة. فهذه الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة. والله أعلم.اهـ[١]

القول الثالث: أنه في رجب. نُسب إلى الحسين بن علي، وقال الحافظ ابن حجر: وهو شاذ.[٢]

قوله:«وسورة اقرأ أول المنزل»: أي الخمس الآيات الأول منها. هذا قول أكثر العلماء، ويدل عليه حديث بدء الوحي عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وفيه قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١)**فائدة**: عن علقمة بن قيس قال: إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام؛ حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحي بعد. "صحيح السيرة" للألباني (٨٧).

(٢)انظر: "الفتح" (٥٧٠/٦)، "الإشارة" لمغلطاي (ص٨٩)، "تاريخ الخميس"(٢٨٠/١).

مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءً فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ، اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجِئَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فِيهِ، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]- حَتَّى بَلَغَ - ﴿عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥] فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ... الخ. متفق عليه [البخاري (٦٩٨٢) ومسلم (١٦٠)]

قال القسطلاني في "المواهب" (١٢٣/١): والصحيح أن أول ما نزل عليه ﷺ من القرآن ﴿اقْرَأْ﴾ كما صح ذلك عن عائشة، وروي ذلك عن أبي موسى الأشعرى وعبيد بن عمير. قال النووى: وهو الصواب الذى عليه الجماهير من السلف والخلف.وأما ما روى عن جابر وغيره: أن أول ما نزل: ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾. فقال النووى: ضعيف، بل باطل، وإنما نزلت بعد فترة الوحي. وأما حديث البيهقى أنه الفاتحة- كقول بعض المفسرين- فقال البيهقي: هذا منقطع، فإن كان محفوظا فيحتمل أن يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ و﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، وقال النووى- بعد ذكر هذا القول- بطلانه أظهر من أن يذكر. انتهى.(١)



(١)وانظر: "شرح الزرقاني على المواهب" (٤١٢/١)، و"دلائل النبوة" للبيهقي (١٥٦/٢).

تعلمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوضوء والصلاة

٢٤- ثُـمَّ الْوُضُـوءَ وَالصَّـلَاةَ عَلَّمَـهْ   جِبْرِيـلُ وَهْيَ رَكْعَتَـانِ مُحْكَمَـهْ

الشرح: أي أن جبريل علم النبي ﷺ الوضوء والصلاة، وهما ركعتان في أول النهار، وركعتان آخره قبل الغروب. **ومستنده في ذلك**: زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَاهُ فِي أَوَّلِ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ، فَعَلَّمَهُ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْوُضُوءِ، أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ، فَنَضَحَ بِهَا فَرْجَهُ». [1]

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ : حدثني بعض أهل العلم: أن الصلاة حين افترضت على رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو بأعلى مكة، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت منه عين فتوضأ جبريل عليه السلام ورسول الله ﷺ ينظر إليه؛ ليُريه كيف الطهور للصلاة. ثم

---

(١) مختلف في صحته وضعفه: أخرجه الإمام أحمد (١٧٤٨٠)، وابن ماجه (٤٦٢)، والطبراني في "الكبير" (٤٦٥٧)، و"الأوسط" (٣٩٠١)، وصححه الألباني في "الصحيحة" (٨٤١). وانظر: "أنيس الساري" (١٣٣٢/٢)

وقد ضعف الحديث جماعة، منهم: ابن القطان في "بيان الوهم والإيهام" (٨١/٢)، وابن الجوزي في "العلل المتناهية" (٣٥٤/١)، وقال فيه أبو حاتم: هذا حديث كذب باطل. كما في "العلل لابن أبي حاتم" (١٠٤)، وابن عبد الهادي في كتابه "تعليقات على علل ابن أبي حاتم" (٣٤)، والبوصيري في "إتحاف الخيرة المهرة" (٣٤٠/١) و"مصباح الزجاجة" (٦٧/١)، وابن الخراط في "الأحكام الوسطى" (١٨٥/١)، وضعفه الأرنؤوط في "تحقيق المسند" (٢٥/٢٩)

وجاء من مسند أسامة بن زيد قال الهيثمي في "المجمع" (٢٤٢/١): رواه أحمد، وفيه رشدين بن سعد، وثقه هيثم بن خارجة وأحمد بن حنبل في رواية، وضعفه آخرون.اهـ

لكن قد تابع ابن لهيعة الليث بن سعد، كما عند الطبراني في "الأوسط" (٧٠١)، قال الألباني في "الصحيحة" (٤٩٦/٢): تابعه رشدين بن سعد عند أحمد وابنه والدارقطني، وهو في الضعف مثل ابن لهيعة، فأحدهما يقوي الآخر، لا سيما وله شاهد من حديث أبي هريرة.اهـ

توضأ رسول الله ﷺ كما رأى جبريل توضأ، ثم قام به جبريل فصلى وصلى رسول الله ﷺ بصلاته، ثم انصرف جبريل عليه السلام، فجاء رسول الله ﷺ خديجة فتوضأ لها ليريها كيف الطُّهور للصلاة كما أراه جبريل، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله ﷺ، ثم صلى بها رسول الله عليه الصلاة والسلام، كما صلى به جبريل، فصلت بصلاته[١].

قال السهيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا الحديث مقطوع في السيرة، ومثله لا يكون أصلا في الأحكام الشرعية، ولكنه قد روي مسندا إلى زيد بن حارثة يرفعه، غير أن هذا الحديث المسند يدور على عبد الله بن لهيعة وقد ضُعِّف.[٢] اهـ

لكن لا خلاف بين العلماء على أن الوضوء كان مفروضا للصلاة منذ أن فرضت على رسول الله ﷺ بمكة. قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "التمهيد" (٢٧٩/١٩): معلوم عند جميع أهل السير أن النبي ﷺ منذ افترضت عليه الصلاة بمكة لم يُصَلِّ إلا بوضوء مثل وضوئنا اليوم، وهذا ما لا يجهله عالم، ولا يدفعه إلا معاند، وفيما ذكرنا دليل على أن آية الوضوء نزلت ليكون فرضها المتقدم متلو في التنزيل. اهـ

ومما يدل على ذلك: حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: إِنَّ الْمَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ، فَتَعَاقَدُوا بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَى، وَنَائِلَةَ وَإِسَافٍ: لَوْ قَدْ رَأَيْنَا مُحَمَّدًا، لَقَدْ قُمْنَا إِلَيْهِ قِيَامَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَلَمْ نُفَارِقْهُ حَتَّى نَقْتُلَهُ، فَأَقْبَلَتِ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا تَبْكِي، حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: هَؤُلَاءِ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ تَعَاقَدُوا عَلَيْكَ، لَوْ قَدْ رَأَوْكَ، لَقَدْ قَامُوا إِلَيْكَ فَقَتَلُوكَ، فَلَيْسَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا قَدْ عَرَفَ نَصِيبَهُ مِنْ دَمِكَ. فَقَالَ: «يَا بُنَيَّةُ، أَرِينِي وَضُوءًا» فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمِ الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا رَأَوْهُ، قَالُوا: هَا هُوَ ذَا، وَخَفَضُوا أَبْصَارَهُمْ، وَسَقَطَتْ أَذْقَانُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، وَعَقِرُوا فِي مَجَالِسِهِمْ، فَلَمْ يَرْفَعُوا إِلَيْهِ بَصَرًا، وَلَمْ يَقُمِ إِلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلٌ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَامَ عَلَى رُءُوسِهِمْ، فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ، فَقَالَ: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ» ثُمَّ حَصَبَهُمْ بِهَا، فَمَا أَصَابَ رَجُلًا مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْحَصَى

---

(١) "سيرة ابن هشام" (٢٤٤/١).

(٢) "الروض الأنف" (١٣/٣).

حَصَاةٌ إِلَّا قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا[(١)].

الصلاة المفروضة قبل الإسراء

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الفتح" (٦٧٥/٩): كان رسول الله ﷺ قبل الإسراء يصلي قطعا، وكذلك أصحابه، ولكن اختُلف: هل افترض قبل الصلوات الخمس شيء في الصلوات أم لا؟ فيصح على هذا قول من قال: إن الفرض أولا كان صلاةً قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها. والحجة في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]. اهـ

وقال الحافظ ابن كثيررَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تفسيره" (٤٠٩/٧): وَكَانَتِ الصَّلَاةُ الْمَفْرُوضَةُ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ ثِنْتَيْنِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فِي وَقْتِ الْفَجْرِ، وَقَبْلَ الْغُرُوبِ فِي وَقْتِ الْعَصْرِ، وَقِيَامُ اللَّيْلِ كَانَ وَاجِبًا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَى أُمَّتِهِ حَوْلًا ثُمَّ نُسِخَ فِي حَقِّ الْأُمَّةِ وُجُوبُهُ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَسَخَ اللَّهُ ذَلِكَ كُلَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ، وَلَكِنْ مِنْهُنَّ صَلَاةُ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ، فَهُمَا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ اهـ

وقال القرطبيرَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تفسيره" (٣٧٢/١٨): في تفسير قوله تعالى:﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥] قال: هي صلاة كانت بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس، ركعتان غدوة، وركعتان عشية. فيكون هذا مما نُسخ والله أعلم. اهـ

قوله: «وهي ركعتان محكمة»:

هو قول جماعة من العلماء منهم مقاتل بن سليمان، وقتادة، وأبي إسحاق الحربي: أن الصلاة قبل الإسراء كانت ركعتين غدوة، وركعتين عشية، ولا يصح في ذلك دليل ولا أثر صحيح.

قال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "المسالك" (٣٦٥/١): اختلف العلماء هل كان رسول الله ﷺ يصلي قبل الإسراء أم لا؟ فقالت جماعة المحدثين: إن رسول الله ﷺ لم يكن يصلي قبل

(١)أخرجه الإمام أحمد (٣٤٨٥)،(٢٧٦٢)، وابن حبان (٦٥٠٢)، وأبو نعيم في "الدلائل" (١٣٩)، والحاكم (٥٨٣) وهو في "الصحيحة" للألباني(٢٨٢٤)، و" الصحيح المسند" للوادعي (٦٥١).

الإسراء صلاة مفروضة، إلا ما كان أُمر به من قيام الليل من تحديد ركعات معلومات، لا في وقت محصور. وقال: جماعة الفقهاء الذين ليسوا من أهل النقل للحديث مثل حبيب وغيره: إن رسول الله ﷺ كان يصلي ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي، ويصوم ثلاثة أيام من كل شهر، وتأول فيه قوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه: ١٣٠]، وقال: هي صلاة مكة، حين كانت الصلاة ركعتين غدوة وركعتين عشية، ولم يزل ذلك فرض الصلاة حتى أُسري برسول الله ﷺ، ففرضت الصلوات الخمس... وهذا الذي رواه عبد الملك ابن حبيب باطل لا أصل له عند جماعة المحدثين، ولا ثبت نقله. وقد تابعه عليه جماعة من أهل الفقه في مصنفاتهم، وهي لا تثبت بوجه ولا على حال. اهـ

وأورد الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الضعيفة"(٥٤١٠) حديث:«كان عليه الصلاة والسلام قبل الإسراء والمعراج يصلي ركعتين صباحا وركعتين مساء، كما كان يفعل النبي إبراهيم عليه السلام...» **ثم قال**: وهذا حديث لا أصل له... ولا أعرف لهذا الحديث إسنادا... نعم ذكر ابن سيد الناس في "عيون الأثر"(٩١/١): عن مقاتل بن سليمان: وفرض الله أول الإسلام الصلاة، ركعتين بالغداة، وركعتين بالعشي، ثم فرض الخمس ليلة المعراج. ثم ذكر نحوه عن الحربي (١٤٩/١)، ونقل عن ابن عبد البر أنه قال: لا يوجد هذا في أثر صحيح. ثم أشار ابن سيد الناس (١٥٢/١) إلى تضعيف قول الحربي. **قلت (الألباني)**: ومقاتل بن سليمان متروك شديد الضعف، قال الحافظ: كذبوه وهجروه ورُمي بالتجسيد... فمثله لا يكون حديثه إلا موضوعا، هذا لو وصله وأسنده، فكيف به وقد أرسله وأعضله[١]. اهـ

واحتج بعضهم بحديث عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، قَالَتْ: «فُرِضَتِ الصَّلاَةُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَفُرِضَتْ أَرْبَعًا، وَتُرِكَتْ صَلاَةُ السَّفَرِ عَلَى الأُولَى. رواه البخاري (٣٩٣٥).

ورواه مسلم(٦٨٥) بلفظ: «فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ، وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ».

---

(١) "الضعيفة" (٦٨٤/١١ – ٦٨٥)، وانظر له: "دفاع عن الحديث النبوي" (ص٤١).

قال الحافظ ابن عبد البر في "التمهيد" (٣٤/٨): ليس في حديث عائشة هذا دليل على صحة ما ذهب إليه من قال: إن الصلاة فُرضت ركعتين في أول النهار، وركعتين في آخره. وليس يوجد هذا في أثر صحيح، بل في حديث عائشة دليل على أن الصلاة التي فرضت ركعتين هي الصلوات الخمس، ثم زيد في صلاة الحضر، وأُقِرَّت في صلاة السَّفر. اهـ

وفي المسألة قول آخر وهو: أن الفرض كان صلاة الليل.

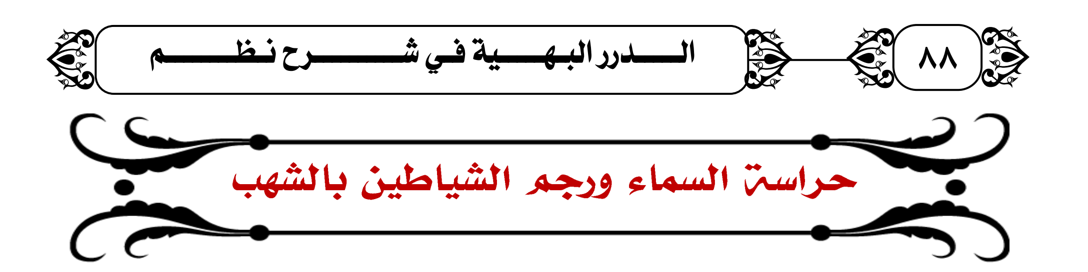
قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "التمهيد" (٣٥/٨): وقال جماعة من أهل العلم أن النبي ﷺ لم تكن عليه صلاة مفروضة قبل الإسراء إلا ما كان أُمر به من صلاة الليل على نحو قيام رمضان، من غير توقيت ولا تحديد لركعات معلومات، ولا لوقت محصور. اهـ

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الفتح" (٤٦٥/١).: ذهب جماعة إلى أنه لم يكن قبل الإسراء صلاة مفروضة، إلا ما كان وقع الأمر به من صلاة الليل من غير تحديد...وذكر الشافعي عن بعض أهل العلم: أن صلاة الليل كانت مفروضة، ثم نُسِخَت بقوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠]، فصار الفرض قيام الليل، ثم نُسخ ذلك بالصلوات الخمس. اهـ

واستدل لهذا القول: بما جاء عن سعد بن هشام قال: قلت لأم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَامَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا، وَأَمْسَكَ اللهُ خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا فِي السَّمَاءِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التَّخْفِيفَ، فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ». رواه مسلم (٧٤٦)[(١)]

---

(١)وانظر: "تفسير مقاتل بن سليمان" (١٤٣/١)، "الدر المنثور" (٤٢٩/١)، "السنن الكبرى" للبيهقي (٥٢٩/١)، "الأجوبة المرضية" للسخاوي (١١٦١/٣)، "سبل الهدى والرشاد" (٢٩٧/٢ – ٢٩٨)، "فتح المنعم شرح مسلم" (٤٣١/٢)، "التوضيح" لابن الملقن (٢٢٥/٥)، "فتح الباري" لابن رجب (٣٠٤/٢)، "مواهب الجليل" (٣٧٩/١)، "الإعلام بفوائد عمدة الأحكام" (٨٨/٤)، "مجموع فتاوى ابن تيمية" (٦٠٥/٧)، "الإشارة إلى سيرة المصطفى" (ص٩٠ – ٩١)، "عيون الأثر" (١٠٩/١)، "شرح الزرقاني على المواهب" (٤٣٩/١).



حراسة السماء ورجم الشياطين بالشهب

٢٥- ثُمَّ مَضَتْ عِشْــرُونَ يَوْمًـا كَامِلَـهْ فَرَمَــتِ الْجِــنَّ نُجُــومٌ هَائِلَــهْ

الشرح:

يعني مضت عشرون يوما من مبعثه ﷺ ، فرُمِيَ الجنُّ بالشهب العظيمة الكثيرة؛ حراسة للسماء من مسترقي السمع منهم، وقد كانوا يسترقون السمع قبل بعثته ﷺ.

وتحديد التاريخ بعشرين يوما بعد البعثة ليس فيه أثر يصح، ولكنه قول بعض أهل السير.

قال ابن قتيبة الدِّينَورِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ورأت قريش النجوم يرمى بها بعد عشرين يوما من مبعثه. اهـ(١)

وقال المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقيل: لم يكن انقضاض الكواكب إلا بعد مبعث النبي ﷺ، وهو آية من آياته، وأنه كان من مبعثه أن رأت قريش النجوم يرمى بها في السماء عشرين يوما.اهـ(٢)

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال العلماء بالسير: رأت قريش النجوم يرمى بها بعد عشرين يوما من مبعث رسول الله ﷺ. اهـ (٣)

وهل هذا القذف للشياطين بالشهب أمر حادث بعد البعثة أم كان سابقا عليها؟

قال العلامة المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد اختلف السلف: هل كانت الشياطين تقذف قبل المبعث، أو كان أمرا حدث لمبعث النبي ﷺ؟ وقيل: كان ذلك قبل المبعث، وإنما زادت بمبعث رسول الله ﷺ إنذارًا بحاله، وهو معنى قوله تعالى: ﴿مُلِئَتْ﴾ [الجن: ٨]، أي زيد في

---

(١) "المعارف" (١/١٥٠).

(٢) "إمتاع الأسماع" (٥/٦).

(٣) "صفوة الصفوة" (١/٣٦)، وقال مثله في "تلقيح فهوم أهل الأثر" (ص١٩).

حرسها، وهو قول الأكثرين. اهـ[١]

وقال القرطبي في "تفسيره" (٢١/٢٨٧) نحوه، ثم قال: والقول بالرمي أصح... ثم ذكر الحديث وقال: وهذا يدل على أن الرجم كان قبل المبعث. اهـ

ومما استدلوا به: ما رواه مسلم (٢٢٢٩) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَنْصَارِ، أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا» ثُمَّ قَالَ: الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ: قَالَ فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ، وَيُرْمَوْنَ بِهِ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ.

وأخرجه أحمد (٣/٣٧٢) (١٨٨٢) وفيه: قال معمر: قُلْتُ لِلزُّهْرِيِّ: أَكَانَ يُرْمَى بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَكِنْ غُلِّظَتْ حِينَ بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[٢]

قال ابن عادل رَحِمَهُ اللَّهُ في "اللباب في علوم الكتاب" (١٩/٤٢١): وهذا يدل على أن هذه الشهب كانت موجودة قبل البعث، وهو قول الأكثرين. اهـ

وقال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ في "تأويل مشكل القرآن" (ص٢٤٢): وهذا يدل على أن الرجم كان قبل مبعثه ﷺ، ولكنه لم يكن مثله الآن في شدة الحراسة قبل مبعثه، وكانت تسترق في بعض الأحوال، فلما بعث منعت من ذلك أصلا.اهـ[٣]

---

(١) "إمتاع الأسماع" (٥/٦).

(٢) وانظر "صحيح السيرة" للألباني (ص١٠٣).

(٣)ونقله الواحدي في "التفسير البسيط" (٢٢/٢٩٨)، والشوكاني في "فتح القدير" (٥/٣٦٧).

القول الثاني[(١)]: لم يكن يرمى بالنجوم من قبل البعثة، ومن الآثار الواردة في ذلك:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْجِنِّ وَمَا رَآهُمُ انْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ. وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ. فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا: مَا لَكُمْ. قَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ. قَالُوا: مَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ حَدَثَ. فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا. فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَانْطَلَقُوا يَضْرِبُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا. فَمَرَّ النَّفَرُ الَّذِينَ أَخَذُوا نَحْوَ تِهَامَةَ - وَهُوَ بِنَخْلٍ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ - فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ. وَقَالُوا: هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ. فَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا. فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾. متفق عليه [خ (٧٧٣) م (٤٤٩)]

قال الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (١٠٦/٦): فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مَا قَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّ الشُّهُبَ الَّتِي كَانَتْ أُرْسِلَتْ عَلَى الشَّيَاطِينِ حِينَئِذٍ وَمَنَعَتْهُمْ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ مِمَّا لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَهُ قَبْلَ ذَلِكَ.اهـ

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَتِ الْجِنُّ تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ يَسْتَمِعُونَ الْوَحْيَ، فَإِذَا سَمِعُوا الْكَلِمَةَ زَادُوا فِيهَا تِسْعًا، فَأَمَّا الْكَلِمَةُ فَتَكُونُ حَقًّا، وَأَمَّا مَا زَادُوا فَيَكُونُ بَاطِلًا، فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنِعُوا مَقَاعِدَهُمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِإِبْلِيسَ وَلَمْ تَكُنِ النُّجُومُ يُرْمَى بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ إِبْلِيسُ: مَا هَذَا إِلَّا لِأَمْرٍ حَدَثَ فِي الْأَرْضِ، فَبَعَثَ جُنُودَهُ، فَوَجَدُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ قَائِمًا يُصَلِّي، فَأَتَوْهُ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: هَذَا الْحَدَثُ الَّذِي حَدَثَ فِي الْأَرْضِ. أخرجه الترمذي (٣٣٢٤)، والنسائي في "الكبرى" (١١٥٦٢)، والطبراني في "الكبير"

---

(١)ذكر هذا القول عن أبي رجاء العطاردي، ونافع بن جبير، وعبد الملك بن سابور، والكلبي. وروي عن ابن عمر، وابن عباس، وأبي بن كعب. انظر "موسوعة التفسير بالمأثور" (٣٠٣/٢٢ وما بعدها).

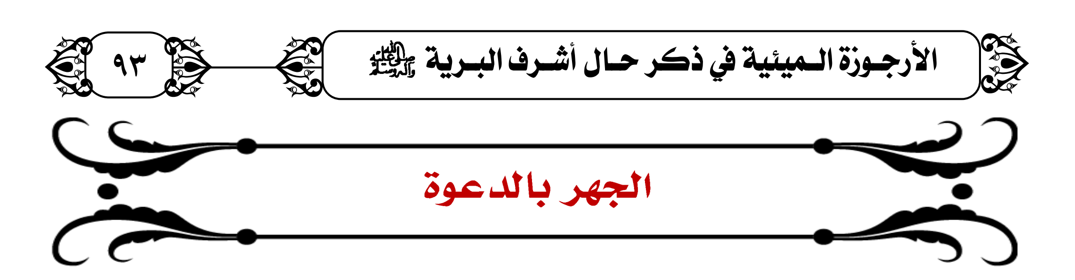
(١٢٤٣١)، وأبو يعلى (٢٥٠٢)، وهو في "صحيح السيرة" (ص١٠٠)، و"صحيح الترمذي" (٢٦٤٨) للألباني.

الجمع بين القولين

قال الإمام القرطبي في "تفسيره" (١٨/١٢-١٣): واختلف هل كان هذا القذف قبل المبعث أو بعده لأجل المبعث؟ على قولين... وقد يمكن الجمع بينهما أن يقال: إن الذين قالوا: لم تكن الشياطين تُرمى بالنجوم قبل مبعث النبي ﷺ ثم رُميت، أي لم تكن ترمى رميا يقطعها عن السمع، ولكنها كانت تُرمى وقتا ولا تُرمى وقتا، وتُرمى من جانب ولا تُرمى من جانب. ولعل الإشارة بقوله تعالى: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾﴾ [الصافات: ٨ - ٩] إلى هذا المعنى، وهو أنهم كانوا لا يُقذفون إلا من بعض الجوانب، فصاروا يُرمَون واصبا، وإنما كانوا من قبل كالمُتَجسسة من الإنس، يبلغ الواحد منهم حاجته ولا يبلغها غيره، ويَسْلم واحد ولا يَسْلم غيره، بل يُقْبَض عليه ويُعاقب ويُنكل. فلما بُعث النبي ﷺ زيد في حفظ السماء وأُعدت لهم شُهُب لم تكن من قبل؛ ليُدْحَرُوا عن جميع جوانب السماء، ولا يَقَرُّوا في مقعد من المقاعد التي كانت لهم منها، فصاروا لا يقدرون على سماع شيء مما يجري فيها، إلا أن يَخْتَطف أحد منهم بِخِفَّة حَرَكَةٍ خطفة فيتبعه شهاب ثاقب قبل أن ينزل إلى الأرض فيُلقيها إلى إخوانه فيحرقه، فبطلت من ذلك الكهانة، وحصلت الرسالة والنبوة. فإن قيل: إن هذا القذف إن كان لأجل النبوة فلِمَ دام بعد النبي ﷺ؟ فالجواب: أنه دام بدوام النبوة، فإن النبي ﷺ أخبر ببطلان الكهانة فقال: «ليس منا من تكهن». فلو لم تُحرس بعد موته لعادت الجن إلى تَسَمُّعِها وعادت الكهانة، ولا يجوز ذلك بعد أن بطل، ولأن قطع الحراسة عن السماء إذا وقع لأجل النبوة فعادت الكهانة دخلت الشبهة على ضعفاء المسلمين، ولم يُؤْمَن أن يظنوا أن الكهانة إنما عادت لتناهي النبوة، فصح أن الحكمة تقتضي دوام الحراسة، في حياة النبي عليه الصلاة والسلام وبعد أن توفاه الله إلى كرامته صلى الله عليه وعلى آله. اهـ

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "شرح مشكل الآثار" (٦/١١٠): إن الذي كانوا يُرمَون به في الجاهلية قد يحتمل أن يكون في خاص من الأوقات، ثم كان بعد مبعث النبي ﷺ في الأوقات كلها، ويدل على ذلك قول الله عز وجل في إخباره عن الجن بقولهم: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ [الجن: ٩] يعنون قبل أن يَرَوا الشهب التي رأوها بعد مبعث النبي ﷺ. ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ [الجن: ٩] أي أنه لا يستطيع مثل ما كان يستطيعه قبل ذلك من الاستماع مع الشهب التي حدثت، مما يمنع من ذلك، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦] إلى قوله: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩﴾ [الصافات: ٨- ٩]... وذلك كله بعد مبعث النبي ﷺ، وفي ذلك ما قد دل على أن ما كان من ذلك الجنس قبل مبعثه ﷺ لم يكن يَقطَعُهم عن المعاودة لما كانوا يُرمون من أجله، وأن ما حدث من ذلك بعد مبعث النبي ﷺ فبخلاف ذلك، ويؤكد ذلك ما حكى الله عز وجل من قوله: ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٨] ، أي أن الأمر الذي قد حرست به ليس مما كان قبل ذلك في شيء، وأنه قد مَنَعَنا مما كنا واصلين إليه قبل ذلك من ذلك الجنس. اهـ المراد





الجهر بالدعوة

٢٦- ثُـمَّ دَعَا فِي رَابِـعِ الْأَعْـوَامِ ... بِـالْأَمْرِ جَهْـرَةً إِلَى الْإِسْـلَامِ

الشرح:

يعني: أنه بعد فترة من الزمن، قيل: ثلاث سنوات مكث فيها متخفيا يدعو سرًّا، ثم في العام الرابع جهر بالدعوة أمام الناس جميعا حين جاء الوحي آمِرًا له بذلك في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

قال ابن إسحاق كما في "سيرة ابن هشام" (١/٢٦٢ – ٢٦٣): ثم إن الله عز وجل أمر رسوله ﷺ أن يصدع بما جاءه منه، وأن يبادي الناس بأمره، وأن يدعو إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين فيما بلغني من مبعثه. ثم قال الله تعالى له: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤] وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤- ٢١٥] وقال تعالى: ﴿وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحجر: ٨٩].

وقال الإمام أبو نعيم الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكان ﷺ فيما قاله عروة بن الزبير وابن شهاب ومحمد ابن إسحاق: من حين أُنزل عليه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] إلى أن كُلِّف الدعوة وإظهارها فيما أنزل عليه: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤] ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤] ثلاث سنين لا يظهر الدعوة إلا للمختصين به منهم: خديجة، وأبو بكر، وعلي، وزيد، وغيرهم رضي الله عنهم. ثم أعلن الدعوة وصدع بها بأمر الله نحو عشر سنين. اهـ[١]

---

(١) "دلائل النبوة" (ص٢٦٥).

تحديد تاريخ الجهر بالدعوة ومدة الدعوة السرية

أكثر علماء السير على أن مدة الدعوة السرية كانت ثلاث سنين، وفي العام الرابع من البعثة بدأ تاريخ الدعوة الجهرية. وهذا مما شاع ولكنه لم يثبت بدليل صحيح، وغاية ما ورد ضعيف من طريق الواقدي وهو متروك ولا يصح الاعتماد عليه في ذلك، ومما ورد:

١) **ما جاء عن عائشة** رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قالت: دعا رسول الله ﷺ سرا أربع سنين(١).

٢) **عن عبد الرحمن بن قاسم،** عن أبيه قال: بين أن نزلت النبوة على النبي ﷺ إلى أن أمر بإظهار الدُّعاء ثلاث سنين، فكان دعاؤه ثلاث سنين مستخفيا(٢).

٣) **عن عبد الله بن كعب بن مالك، وعاصم بن عمر بن قتادة، ويزيد بن رومان وغيرهم، قالوا:** أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث سنين من أول نبوته مستخفيا، ثم أعلن في الرابعة فدعا إلى الإسلام عشر سنين. اهـ(٣)

مسألة: هل كانت الدعوة سرية في بداية الأمر؟

لا ريب أنها كانت كذلك في بداية الأمر، بدلالة النصوص المعتبرة من القرآن والسنة. **فمن القرآن:** قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[الحجر: ٩٤] فهذه الآية تدل على أن النبي ﷺ ما زال مستخفيا حتى نزلت هذه الآية، وبهذا قال عامة المفسرين. **ومن السنة:** ما أخرجه البخاري (٣٢٦١) من حديث ابن عباس في قصة إسلام أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وفيه: أن النبي ﷺ قال له بعد أن أسلم: «يا أبا ذر، اكتم هذا الأمر وارجع إلى بلدك، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل».

---

(١)أخرجه البلاذري في "أنساب الأشراف" (١/١١٦). وهو من طريق الواقدي، وهو متروك مجمع على ضعفه.

(٢)المرجع السابق، وابن سعد في "الطبقات الكبرى" (١/١٥٦) ومن طريقه الطبري في "تاريخ الرسل والملوك" (٢/٣٢٢). وهو ضعيف مرسل، وفي سنده الواقدي.

(٣)أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (١/١٦٨) وأخرجه عن عبد الله بن كعب أبو نعيم في "الدلائل" (٢١٩) وهو من طريق الواقدي. انظر: "ما شاع ولم يثبت في السيرة" (ص٢٩).

وما أخرجه مسلم(٨٣٢)، من حديث أبي أمامة في قصة إسلام عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللهُ»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ»، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ، وَعَبْدٌ»، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: «إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي».

مراتب ترتيب الدعوة

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: في ترتيب الدعوة: ولها مراتب:

المرتبة الأولى: النبوة. **الثانية**: إنذار عشيرته الأقربين. **الثالثة**: إنذار قومه. **الرابعة**: إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله، وهم العرب قاطبة. **الخامسة**: إنذار جميع من بلغته دعوته، من الجن والإنس، إلى آخر الدهر.اهـ[١]

مراحل الدعوة خلال حياة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أربع مراحل:

الأولى: الدعوة سرًّا. واستمرت فترة قصيرة بين ٣ – ٤ سنوات، على قول الجمهور.

الثانية: الدعوة جهرًا، والكف عن القتال. واستمرت إلى الهجرة.

الثالثة: الدعوة جهرًا، مع قتال المبتدئين بالقتال. واستمرت إلى صلح الحديبية.

الرابعة: الدعوة جهرًا، مع قتال كل من يقف في سبيل سير الدعوة.

---

(١) "زاد المعاد" (٨٤/١).



المرحلة الأولى: الدعوة السرية

بدأت هذه المرحلة بعد النبوة بفترة لا تزيد عن أربعين يوما، من بعد أن أنزل على النبي ﷺ : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق: ١] وبه صار نبيا. ثم أنزل عليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ ﴾ [المدثر: ١- ٢] فأُمر بالإنذار، وبذلك صار رسولا نبيا.

عن أبي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُحَدِّثُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ - قَالَ فِي حَدِيثِهِ -: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقًا، فَرَجَعْتُ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَدَثَّرُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ ﴾ [المدثر:١-٥] فَاهْجُرْ - وَهِيَ الْأَوْثَانُ - قَالَ: «ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ». متفق عليه [خ(٣٢٣٨) م (١٦١)].

فاستجاب الرسول ﷺ لهذه الأوامر الإلهية التي صدرت له بالتبليغ، وقد لخصت هذه الآيات الكريمة مضمون الدعوة التي أنيط به تبليغها إلى الناس، **ففي قوله تعالى**:﴿ياأَيُّها الْمُدَّثِّرُ﴾ إشارة إلى أن زمن التدثر، والخلود إلى الراحة في المضجع، بين الزوجة والأبناء قد ولَّى، وجاء زمان المجاهدة بكل أبعادها المادية والمعنوية. **وفي قوله تعالى**: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ إشارة إلى تكليفه بأمر دعوة كل الناس إلى الإسلام. **وفي قوله تعالى**: {وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ} إشارة إلى أنه ليس في الوجود أكبر من الله تعالى خالق الخلق؛ ولذا عليه أن يُعلم الناس بهذه الحقيقة؛ ليتواضع الناس كلهم لله الكبير المتعال. **وفي قوله تعالى**:﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ إشارة إلى أن الداعية إلى الله لا بد أن يبدأ بتطهير نفسه ظاهرًا وباطنا، حتى يكون المثل الأعلى لمن يدعوهم إلى الطهارة بكل معانيها. **وفي قوله تعالى**: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ إشارة إلى أن التوحيد الخالص يقتضي عدم تعظيم أو تقديس أي شيء غير الخالق تبارك وتعالى، وأنه يجب ترك الأوثان التي تعبد من دون الله. **وفي قوله تعالى**: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ إشارة إلى

أن ما خصه الله به يوجب عليه التواضع، والتجمل بمكارم الأخلاق، وأشرف الآداب، فلا يَمُنّ، ولا يتكبر، ولا يعجب بنفسه، ولكن يعترف لله بالفضل والمنة، وليكون مثلًا أعلى للبشرية. **وفي قوله تعالى**: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ إشارة إلى أنه يجب الصبر للقيام بهذه الأمور، والوصول إلى الأهداف المرجوة، فلا بد من الصبر وتربية الأتباع على الصبر على كل أصناف أذى المعارضين.(١)

مضمون الدعوة السرية

وتركزت دعوته في مرحلة الاستخفاء على ثلاثة موضوعات، هي:

١) **التوحيد**: وهذا هو أساس دعوته ودعوة جميع المرسلين من قبله، وهي الغاية التي خلق الله الخلق لها، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٢) **الصلاة**: وهي من أوائل ما نزل من الأحكام، وهي صلة بين العبد وربه، ولذا فرض عليهم قيام الليل حولا، فقاموا حتى انتفخت أقدامهم، وذلك قبل فرض الصلوات الخمس في يوم الإسراء.

٣) **الدعوة إلى صلة الأرحام، ومكارم الأخلاق**: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِمَكَّةَ قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي، فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، فَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي، فَانْطَلَقَ الْآخَرُ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ .الخ متفق عليه [خ (٣٦٤٨) م (٢٤٧٤)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ». أخرجه أحمد(٨٩٥٢)، وهو في "الصحيح المسند" للوادعي(١٣٧٣)، و"الصحيحة" (٤٥) للألباني.

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ،

---

(١)انظر: "الجامع الصحيح للسيرة" (٧٦٦/٣ وما بعدها)، "السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية" (١٥١/١ وما بعدها).

فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللهُ»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ»، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ، وَعَبْدٌ»، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: «إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي». الخ رواه مسلم (٨٣٢)

قال ابن إسحاق في "السيرة" (١٤٧): كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا إلى الشعاب واستخفوا بصلاتهم عن قومهم، فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم واقتتلوا، فضرب سعد بن أبي وقاص رجلًا من المشركين بَلَحْيِ بعير فشجَّه، فكان أول دم أهريق في الإسلام[1].اهـ

وبهذه المحاور العامة كان الهدف جمع موضوعات الدعوة كلها: (عقيدة وشريعة، وسلوكا ومعاملة). وبها تصلح الحياة الدنيا والأخرى.

وسائل وأساليب الدعوة السرية

سلك النبي ﷺ مسلك الدعوة الفردية التي مبناها على الاتصال بالأقرب فالأقرب، ومن يلحظ منه قبول الدعوة والاستجابة لها، وقامت على ركيزة مهمة وهي: ألا يلفت الأنظار إلى الدعوة، وألا يؤجج الخصوم ضدها، وهذه مهمة شاقة بحاجة إلى دقة في التعامل مع النفوس، وصبر والتزام كبيرين، لا يقوم بحقها إلا من يسر الله له وفتح عليه، ولهذا قام بها النبي ﷺ من خلال الوسائل التالية:

---

(١)عن سعيد بن المسيب رَحِمَهُٱللَّهُ قال: إن سعد بن أبي وقاص أول من أهْرَاق دما في سبيل الله. أخرجه الحاكم (٦١١٤)

١) **القدوة الحسنة** في خلقه الكريم، وسيرته الحسنة، التي أثرت فيمن حوله ممن عرفوا صدقه وأمانته وكريم خلقه، فكان لها الأثر الكبير في قبولهم الدعوة.

٢) **القول المباشر** مع المستجيبين للدعوة ومن يرغب من الناس في الإسلام، إما بقصدهم إلى أماكنهم، وإما لمن كانوا يقصدونه في دار الأرقم الذي اتخذه ﷺ دارًا للدعوة، يستخفي فيها من أذى المشركين لمن استجاب له.

٣) **توثيق المدعوين صلتهم بالله تعالى،** وتعليمهم ما يقربهم إلى الله، وأن يقيموا الصلاة والتي هي من أعظم المعينات على الطاعة وأسباب الثبات عليها.

ميدان الدعوة في هذه المرحلة

لم يكن للدعوة مكان خاص في بدايتها، وإنما كان يعرض الإسلام على ألصق الناس به من أهل بيته وأصدقائه، ويعرضه على كل من يتوسم فيه خيرا ممن يعرفهم بحب الخير والحق ويعرفونه بالصدق والصلاح.

ثم حين لاقى بعض المستجيبين له عذابا وأذى، اتخذ النبي ﷺ دارًا يستخفي فيها مع المستجيبين للدعوة وهي دار الأرقم بن أبي الأرقم، يجتمع فيها بمن أسلم معه، فيعلمهم دينهم، ويقيمون فيها الصلاة بطمأنينة، ويتلو عليهم ما أنزل من القرآن، ويستمع لأخبارهم، وينظر في أمر دعوتهم.

سبب اتخاذ هذه الدار دون غيرها

لأمرين: **الأول**: ما يتعلق بصاحب الدار: وهو الأرقم بن أبي الأرقم بن الأسد بن عبد الله ابن عمر ابن مخزوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان فتى عمره عند إسلامه ستة عشر عاما، ولم يعرف إسلامه وما كان يخطر ببال قريش ذلك ولا أن يتم لقاء المسلمين في داره، خاصة وأنه من بني مخزوم، وهي التي تحمل لواء التنافس والحرب ضد بني هاشم آل رسول الله ﷺ، ولذا يستبعد أن يختفي في قلب صفوف العدو.

الثاني: ما يتعلق بمكان الدار: فكانت تقع على جبل الصفا بمكة، وهي منطقة تكتظ بالمارة، وتشتد فيها الحركة بصورة طبيعية، مما يصعب معه إدراك وجود حركة خاصة

بأناس تجتمع في هذه الدار وتنتفض منها، كما أن عملية الوصول إليها -رغم سريتها- لا تحتاج إلى كلفة ومشقة.

وخلاصة المقام: أن اتخاذها ميدانا للدعوة لأنه أبلغ في الاستخفاء.



السابقون الأوائل إلى الإسلام(١)

اتفق أهل الأثر وعلماء السير على أن أول الناس إيمانا به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الإطلاق خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وأقوالهم في ذلك متواترة منها:

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ اللهُ في "السير والمغازي" (ص: ١٣٢): كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله ﷺ وصدق ما جاء به.اهـ

وقَالَ ابْنُ شِهَابٍ رَحِمَهُ اللهُ: وَكَانَتْ خَدِيجَةُ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَصَدَّقَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قبل أن تفرض الصَّلَاةُ. "دلائل النبوة" للبيهقي (١٤٣/٢) و"السيرة النبوية" لابن كثير (٤٠٦/١)

وقال ابن سيد الناس في "عيون الأثر"(١١٠/١): وَأَوَّلُ النَّاسِ إِيمَانًا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلابٍ فِيمَا أَتَتْ بِهِ الآثَارُ وَذَكَرَهُ أَهْلُ السِّيَرِ وَالأَخْبَارِ مِنْهُمُ ابْنُ شِهَابٍ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمَا... وَهُوَ قَوْلُ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ وابن إسحق والواقدي والأموي وغيرهم.اهـ

وقال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في "الإصابة"(٦٠٠/٧): خديجة أول من صدقت ببعثته مطلقا.اهـ

وقال ابن عبدالبر رَحِمَهُ اللهُ في "الاستيعاب"(١٠٩٢/٣): واتفقوا على أن خديجة أول من آمن بالله ورسوله ﷺ وصدقه فيما جاء بِهِ.اهـ

---

(١)انظر: "عيون الأثر" (١١٠/١)، "البداية والنهاية" (٢٤/٣) "سبل الهدى والرشاد" (٣٠٠/٢) "تاريخ الإسلام" (١٣٧/١) "المقتفى من سيرة المصطفى" (ص:٥٣) "الرحيق المختوم مع زيادات" (ص:٣١) "الجامع الصحيح للسيرة النبوية" (٧٥٥/٣).

وقال في (١٨١٩/٤): لا يختلفون أن رَسُول اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لم يتزوج فِي الجاهلية غير خديجة، ولا تزوج عليها أحدًا من نسائه حَتَّى ماتت، ولم تلد له من المهارى غيرها، وهي أول من آمن باللَّه عَزَّ وَجَلَّ ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وهذا قول قتادة والزهري وعَبْد اللَّهِ بْن مُحَمَّد بْن عقيل وابن إِسْحَاق وجماعة، قَالُوا: **خديجة أول من آمن باللَّه من الرجال والنساء ولم يستثنوا أحدا**.اهـ

وقال ابن الأثير رَحِمَهُٱللَّهُ في "أسد الغابة" (٨٠/٧): خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي القرشية الأسدية أم المؤمنين زوج النبي ﷺ أول امرأة تزوجها، وأول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين، لم يتقدمها رجل ولا امرأة.اهـ[1]

وقال في "الكامل في التاريخ" (٦٥٥/١): اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي أَوَّلِ مَنْ أَسْلَمَ- يعني: من الرجال، مَعَ الِاتِّفَاقِ عَلَى أَنَّ خَدِيجَةَ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ إِسْلَامًا.اهـ

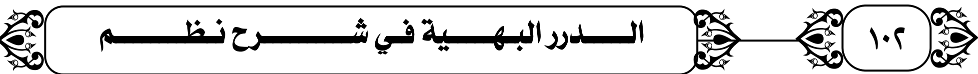
وقال السهيلي في "الروض الأنف" (٢٨٩/٢): وَلَا يَخْتَلِفُ أَنّ خَدِيجَةَ هِيَ أَوّلُ مَنْ آمَنَ بِاَللّهِ وَصَدّقَ رَسُولَهُ ﷺ.اهـ

ونقل الإمام النووي عن الإمام الثعلبي: اتفاق العلماء على ذلك، وإنما اختلافهم في أول من أسلم بعدها. "تهذيب الأسماء واللغات" (٣٤٤/١، و ٣٤١/٢).

ثم تلا خديجة بقية أهل بيته: بناته الأربع، وزيد بن حارثة مولاه، وزوجة زيد أم أيمن، وعلي رضي الله عنهم. ثم أبو بكر الصديق وهو أول من أسلم من خارج بيت النبي ﷺ من الرجال البالغين الأحرار، وكان رجلا تاجرا، ذا خلق ومعروف، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه، ممن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم على يديه أهل بيته وجمع من عظماء الصحابة، منهم: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وعثمان بن مَظْعون وأخواه قُدامة وعبدالله، وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب، وسعيد بن زيد وامرأته فاطمة بنت الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر، وأم الفضل وهي لبابة الكبرى بنت الحارث، وخباب بن

---

(١)ونقله الذهبي في "تاريخ الإسلام" (٥٣٩/١).



الأرت، وعُتبة بن غزوان، وعمير بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود.

ثم تسارع الناس من الفقراء إلى الدخول في الإسلام، وكان منهم: بلال بن رباح، ومسعود ابن ربيعة القاري، وسَلِيط بن عمرو، وأخوه حاطب، وعياش بن أبي ربيعة وامرأته أسماء بنت سَلامة، وخُنَيس بن حُذافة، وعامر بن ربيعة، وعبد الله بن جحش وأخوه أبوأحمد عبدُ بن جحش، وجعفر بن أبي طالب وامرأته أسماء بنت عميس، وحاطب بن الحارث وامرأته فاطمة بنت المُجَلِّل وأخوه حَطَّاب بن الحارث وامرأته فُكَيْهة بنت يسار، ومَعمر بن الحارث، والسائب بن مَظْعون، والمُطَّلب بن أَزهر وامرأته رملة بنت أبي عوف، ونُعيم بن عبد الله النَّحَام، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق، وخالد بن سعيد بن العاص وامرأته أميمة بنت خَلَف، وأبو حذيفة بن عُتبة، وواقد بن عبد الله، وخالد وعامر وعاقل وإياس بنو بُكَير بن عبد ياليل، وعمار بن ياسر، وصهيب بن سنان، ومصعب بن عمير، وعمرو بن سلمة، وأبو ذر جندب بن جنادة، وياسر وسمية والدا عمار، والمقداد بن الأسود، وأبو عبيدة بن الجراح، وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي.(١)



(١)انظر: "سيرة ابن هشام" (١/٢٤٥ وما بعدها).

من أحاديث الأوائل في الإسلام

عَنْ هَمَّامٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَمَّارًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا مَعَهُ، إِلَّا خَمْسَةُ أَعْبُدٍ، وَامْرَأَتَانِ وَأَبُو بَكْرٍ»(١). صحيح البخاري (٣٦٦٠)

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُوبَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنَعَهُ اللّٰه بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ، فَمَنَعَهُ اللّٰه بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ إِنْسَانٌ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلَالٌ، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللّٰهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، وَأَخَذُوا يَطُوفُونَ بِهِ شِعَابَ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ، أَحَدٌ.

أخرجه أحمد (٣٨٣٢)، وابن ماجه (١٥٠)، والحاكم (٥٢٣٨)، وابن حبان (٧٠٨٣). وحسنه شيخنا الوادعي في "الصحيح المسند"(٨٤٧)، والألباني في "صحيح السيرة" (ص١٢٢).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: انْطَلَقَ أَبُو ذَرٍّ وَنُعَيْمُ ابْنُ عَمِّ أَبِي ذَرٍّ، وَأَنَا مَعَهُمْ نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِالْجَبَلِ مُكْتَتِمٌ، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَيْنَاكَ نَسْمَعُ مَا تَقُولُ، وَإِلَى مَا تَدْعُو، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ» فَآمَنَ بِهِ أَبُو ذَرٍّ وَصَاحِبُهُ وَآمَنْتُ بِهِ، وَكَانَ عَلِيٌّ فِي حَاجَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَهُ فِيهَا. وَأُوحِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَصَلَّى عَلِيٌّ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ. أخرجه الحاكم (٤٥٨٦) وهو صحيح لغيره.(٢)

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: كُنْتُ رُبُعَ الْإِسْلَامِ أَسْلَمَ قَبْلِي ثَلَاثَةٌ وَأَنَا الرَّابِعُ أَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ

---

(١)قال الحافظ ابن حجر في "الفتح" (١/٣٠٠): الأعبد المذكورون هم: بلال، وزيد بن حارثة، وعامر بن فهيرة، وأبوفكيهة، وياسر والد عمار. والمرأتان: خديجة، وسمية والدة عمار، وأم أيمن. اهـ

(٢)انظر: "مختصر تلخيص الذهبي" (٣/١٣٢٦ – ١٣٣٠).

فَقُلْتُ لَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَرَأَيْتُ الِاسْتِبْشَارَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ أَنْتَ؟» فَقُلْتُ: إِنِّي جُنْدُبٌ رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ. أخرجه ابن حبان (٧١٣٤)، والطبراني في "الكبير" (١٦١٧)، والحاكم (٥٤٥٩). وصححه الألباني في "صحيح السيرة" (١٢٥)، و"التعليقات الحسان" (٢١٦/١٠) رقم (٧٠٩٠).

وعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ، قَالَ: «فَهَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟» فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ، فَمَسَحَ ضَرْعَهَا، فَنَزَلَ لَبَنٌ، فَحَلَبَهُ فِي إِنَاءٍ، فَشَرِبَ، وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: «اقْلِصْ» فَقَلَصَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، قَالَ: فَمَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: «يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ». قَالَ: فَأَخَذْتُ مِنْ فِيهِ سَبْعِينَ سُورَةً. أخرجه الإمام أحمد (٣٥٩٨، ٣٥٩٩) وحسنه شيخنا الوادعي في "الصحيح المسند" (٨٤١) والألباني في "صحيح السيرة" (١٢٤)

وعن سَعِيدَ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ يَقُولُ: «مَا أَسْلَمَ أَحَدٌ إِلَّا فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَسْلَمْتُ فِيهِ، وَلَقَدْ مَكُثْتُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَإِنِّي لَثُلُثُ الإِسْلَامِ». صحيح البخاري (٣٨٥٨)

وعن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أول من صلى مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي.

وفي لفظ: أول من أسلم مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي بن أبي طالب[١].

وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال أبو بكر: ألست أحق الناس بها؟ ألست أول من أسلم؟ ألست صاحب كذا؟ ألست صاحب كذا؟[٢].

وعن أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مُحَاوَرَةٌ، فَأَغْضَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ

---

(١)أخرجه أحمد (١٩٢٨٤)، والترمذي (٣٧٣٥)، وهو صحيح كما في "سلسلة الآثار الصحيحة" (٣٦/١) رقم (٢٢)، وصححه الألباني كما في "الضعيفة" (١٥١/٩) وانظر: "الاستيعاب" (١٠٩٠/٣ وما بعدها).

(٢)رواه الترمذي (٣٦٦٧)، وابن حبان (٦٨٦٣) وغيرهما، وهو في "صحيح الترمذي" (٢٨٩٨).

فَانْصَرَفَ عَنْهُ عُمَرُ مُغْضَبًا، فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى أَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَنَحْنُ عِنْدَهُ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ هَذَا فَقَدْ غَامَرَ» قَالَ: وَنَدِمَ عُمَرُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، فَأَقْبَلَ حَتَّى سَلَّمَ وَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَصَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الخَبَرَ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي، إِنِّي قُلْتُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ». صحيح البخاري (٤٦٤٠).

وأخرجه في رواية رقم (٣٦٦١) عَنْ عَائِذِ اللَّهِ أَبِي إِدْرِيسَ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ» فَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: «يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ» ثَلاَثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَثَّمَ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لاَ، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَمَعَّرُ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي» مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا.





فائدة: حديث ونظم العشرة المبشرين بالجنة

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ». أخرجه أحمد (١٦٧٥)، والترمذي (٣٧٤٧)، والنسائي في "الكبرى" (٨١٩٤)، وأبو يعلى (٨٣٥)، وابن حبان (٧٠٠٢)، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (٥٠)، و"التعليقات الحسان" (١٠/ ١١٦).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ:

لقد بشَّر الهادي مِنَ الصَّحْبِ زُمرةً ... بجنَّاتِ عَدْنٍ كلُّهُم فضلُه اشتهَرْ
سعيدٌ زُبيرٌ سَعْدُ طلحةُ عامرٌ ... أبو بكر عثمانُ ابن عوف عليٌّ عُمَرْ[1]

وفي رواية عنه قال:

لقد بَشّر الهادي من الصحب عَشْرَةً ... بجنات عدن كلهم قدره عَلِيّ
عتيقٌ سعيدٌ سعدُ عثمانُ طلحةٌ ... زبيرُ ابنُ عوفٍ عامرٌ عُمَرٌ عَلِيّ[2]

وقال الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ:

للمصطفى خير صحب نص أنهم ... في جنة الخلد نصا زادهم شرفا
هم طلحة وابن عوف والزبير إلى ... أبي عبيدة والسعدان والخلفا[3]

---

(١) "الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر" (٢/ ٨٥٠)، "المواهب اللدنية" (٢/ ٧٠٤).
(٢) "كشف الخفاء" للعجلوني (١/ ٣٩)، "اليواقيت والدرر شرح نخبة الفكر" (١/ ١٦٩).
(٣) "طبقات صلحاء اليمن" (ص: ٢٠).

المرحلة الثانية: الجهر بالدعوة (الدعوة الجهرية)

وبعد فترة من زمن الدعوة السرية جاء الأمر من الله عز وجل بالجهر بالدعوة، الجهر أمام الناس جميعا أنه ﷺ نبي مرسل، ونزل عليه قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤] ، ونزل قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ، فبدأ ﷺ بتنفيذ أمر ربه، فكان أول شيء فعله أن دعا جميع ذريته وأقاربه.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُولَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ ﴾ [المسد:١- ٢]. صحيح البخاري (٤٧٧٠)

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا». متفق عليه [خ (٢٧٥٣) م (٢٠٦)].

وعَنْه قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾، دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ،

أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا». صحيح مسلم (٢٠٤)

وعَنْ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ، وَزُهَيْرِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَا: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾، قَالَ: انْطَلَقَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إِلَى رَضْمَةٍ مِنْ جَبَلٍ، فَعَلَا أَعْلَاهَا حَجَرًا، ثُمَّ نَادَى «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافَاهْ إِنِّي نَذِيرٌ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْعَدُوَّ، فَانْطَلَقَ يَرْبَأُ أَهْلَهُ، فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ، يَا صَبَاحَاهُ». صحيح مسلم (٢٠٧)

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قَالَ: جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- أَوْ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فِيهِمْ رَهْطٌ كُلُّهُمْ يَأْكُلُ الْجَذَعَةَ، وَيَشْرَبُ الْفَرَقَ، قَالَ: فَصَنَعَ لَهُمْ مُدًّا مِنْ طَعَامٍ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، قَالَ: وَبَقِيَ الطَّعَامُ كَمَا هُوَ كَأَنَّهُ لَمْ يُمَسَّ، ثُمَّ دَعَا بِغُمَرٍ فَشَرِبُوا حَتَّى رَوَوْا، وَبَقِيَ الشَّرَابُ كَأَنَّهُ لَمْ يُمَسَّ - أَوْ لَمْ يُشْرَبْ - فَقَالَ: «يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنِّي بُعِثْتُ لَكُمْ خَاصَّةً وَإِلَى النَّاسِ بِعَامَّةٍ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ مَا رَأَيْتُمْ، فَأَيُّكُمْ يُبَايِعُنِي عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَصَاحِبِي؟» قَالَ: فَلَمْ يَقُمِ الَيْهِ أَحَدٌ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ وَكُنْتُ أَصْغَرَ الْقَوْمِ، قَالَ: فَقَالَ: «اجْلِسْ» قَالَ: ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذَلِكَ أَقُومُ إِلَيْهِ فَيَقُولُ لِي: «اجْلِسْ» حَتَّى كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى يَدِي. رواه أحمد (١٣٧١)، قال الهيثمي في "المجمع" (٣٠٢/٨): رجاله ثقات.اهـ وهو في "صحيح السيرة" (ص ١٣٦).

وقد بدأ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ النذارة بقضية كبرى، وحقيقة عظمى، أنذرهم يوم البعث والجزاء، أنذرهم عذاب الله الجبار لمن كذب واستكبر، وانطلق بعدها يدعو إلى الله تعالى ليلا ونهارا، سرا وجهرا، لا يصرفه عن ذلك صارف، ولا يرده عن ذلك راد، ولا يصده صاد، وكفار قريش في أول أمرهم غير مبالين بما يقول ويدعو إليه، إلى أن عاب آلهتهم وذكر آباءهم الذين ماتوا على الكفر، فانتصبوا لعداوته وعداوة من آمن معه، واتخذوا وسائل وأساليب لمواجهة هذه الدعوة، نجملها بما يلي:

أساليب المخالفين في مواجهة الدعوة

أولا: التشويه

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّ ضِمَادًا، قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ الله يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قَالَ فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ الله يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ» قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ، قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَعَلَى قَوْمِكَ»، قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي، قَالَ: فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سَرِيَّةً، فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ: هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً، فَقَالَ: رُدُّوهَا، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمُ ضِمَادٍ. صحيح مسلم (٨٦٨)

ذلك كان شأن الملأ من قريش في قولهم: ساحر كذاب مجنون؛ وهم يعلمون أنه ﷺ لم يكن بساحر، ولا كذاب، ولا شاعر، ولا كاهن. فحاروا ماذا يقولون فيه، فكل شيء يقولونه باطل. قال الله تعالى مخبرًا عنهم: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥] وقال: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الإسراء: ٤٧- ٤٨].

وعجبوا كذلك من دعوته إياهم إلى عبادة الله الواحد الأحد وقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧ ﴾ [ص: ٥ - ٧] فهذه طريقتهم في مقاومة هذه الحقيقة في نفوس الجماهير، تشويه ما جاء به النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من الحق.

هذا وما يلقاه الإسلام اليوم من حرب دعائية من خصومه، بحيث تسلط الأجهزة اليهودية والصليبية كل وسائلها الإعلامية المسموعة منها والمرئية لتشويه الإسلام وتصويره دينا إرهابيا متخلفًا متطرفًا، هو من تلك البؤرة الخبيثة الأولى التي توارثوها عبر العصور- قاتلهم الله أنى يؤفكون-.

ثانيًا: التهديد

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا» قَالَ: فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ ﴾ [العلق: ٦ - ١٣] - يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ - ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩ ﴾ [العلق: ١٤ - ١٩].

رواه مسلم (٢٧٩٧)

وعَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكَ، فَانْتَهَرَهُ النَّبِيُّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: لِمَ تَنْتَهِرُنِي يَا مُحَمَّدُ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا بِهَا رَجُلٌ أَكْثَرُ نَادِيًا مِنِّي، قَالَ: فَقَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾، قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «وَاللَّهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ، لَأَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ الْعَذَابِ». أخرجه الإمام أحمد (٢٣٢١)، والترمذي (٣٣٤٩)، والنسائي في "الكبرى" (١١٦٨٤)، وغيرهم، وهو في "صحيح السيرة" للألباني (١٤٤)

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ: وكان أبو جهل الفاسق الذي يغري بهم في رجال من قريش إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أنَّبَهُ وأَخْزَاه فقال: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفهن حلمك، ولنُفِيلَنَّ رأيك، ولنضعن شرفك. وإذا كان تاجرًا قال: والله لنكدسن تجارتك، ولنهلكن مالك. وإن كان ضعيفًا ضربه وأغرى به[1].

وأسلوب التهديد يمثل الحرب النفسية التي تنصب على المسلم؛ لتخور عزيمته، وتضعف نفسه، ويستسلم للطواغيت، ويتراجع ويفتن عن دينه، ومن ذلك: التهديد بالعذاب والسجن، والتهديد بقطع الرزق والإخراج من الوظيفة، والمؤمن الحق لا يرهبه التهديد، ولا يثنيه الوعيد، بل يمضي قدمًا على طريق الحق منطلقًا من قول الله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس:١٠٧] وقوله تعالى:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود: ٦]

تهديد أبي طالب

عَنْ عَقِيْلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يُؤْذِينَا فِي نَادِينَا وَفِي مَسْجِدِنَا فَانْهَهُ عَنْ إِيذَائِنَا. فَقَالَ لِي: يَا عُقَيْلُ، ائْتِنِي بِمُحَمَّدٍ، فَذَهَبْتُ فَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّ بني عَمِّكَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تُؤْذِيهِمْ فِي نَادِيهِمْ وَفِي مَسْجِدِهِمْ، فَانْتَهِ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَحَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «أَتَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ؟»، قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «مَا أَنَا بِأَقْدَرَ أَنْ أَدَعَ ذَلِكَ، مِنْكُمْ أَنْ تُشْعِلُوا مِنْهَا شُعْلَةً»

---

(١) "سيرة ابن هشام" (١/٣٢٠)

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: مَا كَذَبَنَا ابْنُ أَخِي قَطُّ ، فَارْجِعُوا. أخرجه البزار (٢١٧٠)، وأبو يعلى (٦٨٠٤)، والبيهقي في "الدلائل"(١٨٦/٢) وهو في "الصحيحة"(٩٢)

هذه هي عزيمة النبوة، وهي العزيمة الماضية القوية التي لا تتزحزح، والصبر الذي لا ينفد، والكفاح الذي لا يتردد؛ لأنها مرحلة التأسيس للعقيدة، وبناء صرح الرسالة، وإقامة دعائم هذه الدعوة إلى الهدى والحق، فلو وهنت هذه العزيمة شيئا وتخلت عن الصبر وداهنت وتخففت من النضال لنشر الحق، وجد خصومها مداخل إلى إعاقتها عن سيرها وعرقلة مسيرتها، فهكذا أعد النبي ﷺ نفسه مع علمه بما يملأ قلوب زعماء الوثنية من شرور ومفاسد وحقد دفين، وما زاده ذلك إلا صمودًا وقوة وعزة، تمثل ذلك بقوله: «أترون هذه الشمس». قالوا: نعم. قال: «فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تشعلوا منها شعلة»، إنها عزيمة النبوة.[1]

ثالثًا: التعذيب

بعد التشويه والتهديد، اشتدت ضراوة المشركين بالمستضعفين من المؤمنين، حتى ساموهم ألوانًا من العذاب، فكانوا يأخذونهم ويلبسونهم أدراع الحديد، ثم يصهرونهم في الشمس، وبلغ التعذيب مبلغا لا يُطاق، يُعذر فيه المؤمنون.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي حَكِيمُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: أَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَبْلُغُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْعَذَابِ مَا يُعْذَرُونَ بِهِ فِي تَرْكِ دِينِهِمْ؟ قَالَ: نَعَمْ وَاَللَّهِ، إنْ كَانُوا لَيَضْرِبُونَ أَحَدَهُمْ وَيُجِيعُونَهُ وَيُعَطِّشُونَهُ حَتَّى مَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْتَوِيَ جَالِسًا مِنْ شِدَّةِ الضُّرِّ الَّذِي نَزَلَ بِهِ، حَتَّى يُعْطِيَهُمْ مَا سَأَلُوهُ مِنْ الْفِتْنَةِ، حَتَّى يَقُولُوا لَهُ، آللَّاتُ وَالْعُزَّى إلَهُكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، حَتَّى إنَّ الْجُعَلَ لَيَمُرُّ بِهِمْ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَهَذَا الْجُعَلُ إلَهُكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، افْتِدَاءً مِنْهُمْ مِمَّا يَبْلُغُونَ مِنْ

---

(١)بتصرف من "الجامع الصحيح للسيرة" (٩٩٨/٤ – ٩٩٩).

جَهْدِهِ.[(١)]

صور من أذاهم للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ وَلَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا مَا وَارَى إِبِطُ بِلَالٍ». رواه أحمد (١٤٠٥٥)، والترمذي (٢٤٧٢)، وابن ماجه (١٥١) وصححه شيخنا الوادعي في "الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين" (٢٥٢٤) والألباني في "مشكاة المصابيح" (٥٢٥٣).

وعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ المُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا» فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨] الآيَةَ. رواه البخاري (٣٨٥٦).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ سَاجِدٌ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ، إِذْ جَاءَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِسَلَا جَزُورٍ، فَقَذَفَهُ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَخَذَتْهُ عَنْ ظَهْرِهِ، وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ ذَلِكَ، فَقَالَ: « اللهُمَّ، عَلَيْكَ الْمَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ: أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ - أَوْ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ شُعْبَةُ الشَّاكُّ -»، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ

---

(١) "سيرة ابن إسحاق" (ص١٩٣)، سيرة ابن هشام(١/ ٣٢٠)، ومن طريقه أخرجه البيهقي في "السنن الكبرى" (١٦٨٩٨) إلى قوله: حتى إنه ليعطيهم ما سألوه من الفتنة.. وفي الأثر: حكيم بن جبير، وهو ضعيف. لكن له شواهد يتقوى بها، ومنها: ما جاء عن خباب بن الأرت قال: لم يكن أحد إلا أعطى ما سألوه يوم عذبهم المشركون، إلا خبابا كانوا يضجعونه على الرضف، فلم يسمعوا منه شيئا. رواه أبونعيم في "الحلية" (١/١٤٤)، والطبراني في "الكبير" (٣٦٩٤)، انظر: "الصحيح من أحاديث السيرة النبوية" (ص: ٧١).

بَدْرٍ، فَأُلْقُوا فِي بِئْرٍ، غَيْرَ أَنَّ أُمَيَّةَ - أَوْ أُبَيًّا - تَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ فَلَمْ يُلْقَ فِي الْبِئْرِ. رواه مسلم (١٧٩٤)

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِكُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:« بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». متفق عليه [البخاري (٣٢٣١) ومسلم (١٧٩٥)]

رابعًا : الترغيب

انتقل المشركون إلى أسلوب الإغراء والمساومة، وهو أسلوب خطير، بل أضر من الترهيب.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا، فَقَالُوا: انْظُرُوا أَعْلَمَكُمْ بِالسِّحْرِ وَالْكَهَانَةِ، وَالشِّعْرِ، فَلْيَأْتِ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي قَدْ فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، فَلْيُكَلِّمْهُ وَلْيَنْظُرْ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ، قَالُوا: مَا نَعْلَمُ أَحَدًا غَيْرَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالُوا: أَنْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، فَأَتَاهُ عُتْبَةُ، فَقَالَ: يَــا مُحَمَّدُ، أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللَّهِ؟، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنْكَ فَقَدْ عَبَدُوا الْآلِهَةَ الَّتِي عِبْتَ، وَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْهُمْ فَتَكَلَّمْ حَتَّى نَسْمَعَ قَوْلَكَ، إِنَّا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا سَخْلَةً[1] قَطُّ أَشْأَمَ عَلَى قَوْمِكَ مِنْكَ، فَرَّقْتَ

---

(١)السخل: المولود المحبب إلى أبويه. وهو في الأصل ولد الغنم.

جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا، وَعِبْتَ دِينَنَا، فَفَضَحْتَنَا فِي الْعَرَبِ، حَتَّى لَقَدْ طَارَ فِيهِمْ أَنَّ فِي قُرَيْشٍ سَاحِرًا، وَأَنَّ فِي قُرَيْشٍ كَاهِنًا، وَاللَّهِ مَا نَنْتَظِرُ إِلَّا مِثْلَ صَيْحَةَ الْحُبْلَى[١] بِأَنْ يَقُومَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ بِالسُّيُوفِ حَتَّى نَتَفَانَى أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْحَاجَةُ جَمَعْنَا حَتَّى تَكُونَ أَغْنَى قُرَيْشٍ رَجُلًا، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْبَاءَةُ فَاخْتَرْ أَيَّ نِسَاءِ قُرَيْشٍ شِئْتَ فَنُزَوِّجُكَ عَشْرًا، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: «أَفَرَغْتَ»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت:١- ٢]، حَتَّى بَلَغَ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]» ، فَقَالَ عُتْبَةُ: حَسْبُكَ حَسْبُكَ، مَا عِنْدَكَ غَيْرُ هَذَا؟ قَالَ: «لَا»، فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ، فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ شَيْئًا أَرَى أَنَّكُمْ تُكَلِّمُونَهُ بِهِ إِلَّا كَلَّمْتُهُ، قَالُوا: هَلْ أَجَابَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي نَصَبَهَا بَنِيَّةً، مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾، قَالُوا: وَيْلَكَ يُكَلِّمُكَ رَجُلٌ بِالْعَرَبِيَّةِ لَا تَدْرِي مَا قَالَ، قَالَ: لَا، وَاللَّهِ مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ ذِكْرِ الصَّاعِقَةِ[٢].

وفي رواية: وإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك، فكنت رأسا ما بقيت...

وفيها: أمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه. ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم، وقال: أمسكت على فيه وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب؛ فخفت أن ينزل عليكم العذاب[٣].

---

(١)أي ما ننتظر إلا وقتا قليلا قدر ما تصبح الحبلى ثم تضع.

(٢)أخرجه عبد بن حميد كما في "المنتخب" (١١٢١)، وأبو يعلى في "مسنده" (١٨١٨)، والحاكم (٣٠٠٢)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" (٣٦٥٦٠). وصححه الألباني في "صحيح السيرة" (ص١٥٩). وقال الهيثمي في "المجمع" (٦/٢٠): رواه أبو يعلى وفيه الأجْلح الكندي، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات.اهـ

(٣)أخرجها البيهقي في "الدلائل" (٢/٢٠٢). انظر: "صحيح السيرة" للألباني (ص١٦١).

موقف عتبة ورأيه على قريش

في "سيرة ابن إسحاق" (ص٢٠٨): عن محمد بن كعب القرظي قال: فلما سمع عتبة ما سمع من رسول الله ﷺ قام ورجع إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بوجه غير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ فقال لهم: ورائي، إني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط، وما دريت ما أرد عليه، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، خلو بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كُفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. فقال: هذا رأيي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم[١].

لا تنازل

هذا هو مبدأ سيد البشر ﷺ أمامهم. لقد نثروا بين يديه خيارات مغرية: الزعامة.. المال.. السيادة عليهم، وهم سادة العرب شم الأنوف في الذرى أمام الجميع، لكنه ﷺ رفض ذلك كله. وكان بإمكانه أن يتزعمهم، ثم ينقلب عليهم إذا اشتد عوده وكثر أتباعه، كان بإمكانه أن يعقد هدنة معهم، ثم يأخذ من المال ما يتيح له أن يعد جيشا يحطم به كيانهم، لكنه الأمين الذي لا يخون ولن يخون مسلما ولا كافرا، مهما كانت الأسباب، ولو خانوه لا يخون، وهو القائل: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»[٢]

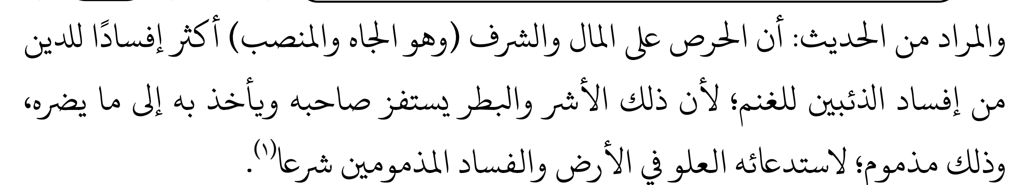
هناك من الناس من يتنازل عن عقيدته من أجل مكسب سياسي أو قليل من المال أو منصب. وهذه هي الفتنة التي حذر منها النبي ﷺ فقال: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»[٣].

---

(١)وقال الألباني: حسن مرسل. كما في حاشية "فقه السيرة" (ص١١٤)

(٢)رواه أبو داود (٣٥٣٥) وغيره عن أبي هريرة بسند حسن.

(٣)رواه أحمد (١٥٧٩٤) وغيره من حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



والمراد من الحديث: أن الحرص على المال والشرف (وهو الجاه والمنصب) أكثر إفسادًا للدين من إفساد الذئبين للغنم؛ لأن ذلك الأشر والبطر يستفز صاحبه ويأخذ به إلى ما يضره، وذلك مذموم؛ لاستدعائه العلو في الأرض والفساد المذمومين شرعا[١].

كم وكم من سقط من الدعاة على الطريق تحت بريق المال في الإغراء به، أو الخوف من ذهابه. والسعداء هم من ثبتوا أمام هذا الإغراء متأسين برسول الله ﷺ.

كم وكم من سقطوا في أوحال التنازل عن المبدأ والعقيدة الصحيحة أمام مغريات المناصب والوظائف والوزارات والكراسي.

وهكذا أيضا من المغريات المطروحة والفتن العريضة المعروضة فتنة النساء، فها هي قريش تعرض نساءها، يختار النبي ﷺ منهن ما يشاء أجملهن وأحسنهن.

فتنة عظيمة على الرجال، قال فيها النبي ﷺ :«ما تركت فتنة على أمتي أضر على الرجال من النساء»[٢]

والموقف الذي يجب أن يكون عليه الدعاة إلى الله أمام هذه الإغراءات هو موقف سيدالدعاة ﷺ ، لم يتنازل عن شيء من دعوته ولا عقيدته ﷺ.

خامسًا: التعجيز

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ، أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا، وَأَنْ يُنَحِّيَ الْجِبَالَ عَنْهُمْ، فَيَزْرَعُوا ، فَقِيلَ لَهُ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْتَأْنِيَ بِهِمْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ نُؤْتِيَهُمُ الَّذِي سَأَلُوا، فَإِنْ كَفَرُوا أُهْلِكُوا كَمَا أَهْلَكْتُ مَنْ قَبْلَهُمْ، قَالَ:«لَا، بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ». فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفًا ﴾ [الإسراء: ٥٩][٣].

(١)وانظر: "فيض القدير" (٥/٤٤٥ – ٤٤٦). وللحافظ ابن رجب رسالة نفيسة في شرح هذا الحديث وهي مدرجة في "مجموعة الرسائل المنيرية" (١/٣ – ١٨)

(٢)رواه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠)، عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣)أخرجه أحمد (٢٣٣٣)، والنسائي في "الكبرى" (١١٢٢٦)، وهو في "صحيح السيرة" للألباني (ص١٥٢).

وفي رواية: عَنه، قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا الصَّفَا ذَهَبًا، وَنُؤْمِنُ بِكَ، قَالَ: «وَتَفْعَلُونَ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَدَعَا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ، وَيَقُولُ: إِنْ شِئْتَ أَصْبَحَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَذَّبْتُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ، وَإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ لَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ، قَالَ: «بَلْ بَابُ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ»[1].

وقد بين رب العالمين أن طلبهم للآيات وخرق العادات كان على وجه العناد، لا على وجه طلب الهدى والرشاد؛ ولذلك لم يُجابوا إلى كثير مما طلبوا ولا ما إليه رغبوا؛ لعلم الحق سبحانه وتعالى أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا لاستمروا في طغيانهم يعمهون، ولظلوا في غيهم يترددون.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَاۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٩ - ١١١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [يونس:٩٦-٩٧] وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ

---

(١)رواه أحمد (٢١٦٦)، والطبراني في "الكبير"(١٢٧٣٦)، والحاكم (١٧٦)وهو في "الصحيحة" (٣٣٨٨).

ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴿٩٥﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٩٦﴾﴾ [الإسراء: ٩٠ - ٩٦].

سادسًا: القتل

قرروا بعد كل تلك المحاولات -لإيقاف الدعوة- قتل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ المُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا» فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨] الآيَةَ، رواه البخاري (٣٨٥٦)

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّ الْمَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ، فَتَعَاقَدُوا بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَى، وَنَائِلَةَ وَإِسَافٍ: لَوْ قَدْ رَأَيْنَا مُحَمَّدًا، لَقَدْ قُمْنَا إِلَيْهِ قِيَامَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَلَمْ نُفَارِقْهُ حَتَّى نَقْتُلَهُ، فَأَقْبَلَتِ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا تَبْكِي، حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: هَؤُلَاءِ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ تَعَاقَدُوا عَلَيْكَ، لَوْ قَدْ رَأَوْكَ، لَقَدْ قَامُوا إِلَيْكَ فَقَتَلُوكَ، فَلَيْسَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا قَدْ عَرَفَ نَصِيبَهُ مِنْ دَمِكَ. فَقَالَ: «يَا بُنَيَّةُ، أَرِينِي وَضُوءًا» فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمِ الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا رَأَوْهُ، قَالُوا: هَا هُوَ ذَا، وَخَفَضُوا أَبْصَارَهُمْ، وَسَقَطَتْ أَذْقَانُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، وَعَقِرُوا فِي مَجَالِسِهِمْ، فَلَمْ يَرْفَعُوا إِلَيْهِ بَصَرًا، وَلَمْ يَقُمِ إِلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلٌ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَامَ عَلَى رُءُوسِهِمْ، فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ، فَقَالَ: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ» ثُمَّ حَصَبَهُمْ بِهَا، فَمَا أَصَابَ رَجُلًا مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْحَصَى حَصَاةٌ إِلَّا قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا[1].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣٤٨٥)،(٢٧٦٢)، وابن حبان (٦٥٠٢)، وأبو نعيم في "الدلائل" (١٣٩)، والحاكم (٥٨٣)، وهو في "الصحيحة" (٢٨٢٤)، و"الصحيح المسند" للوادعي (٦٥١).

الهجرة إلى الحبشة

٢٧- وَأَرْبَعٌ مِنَ النِّسَا وَاثْنَا عَشَرْ ... مِنَ الرِّجَالِ الصَّحْبِ كُلٌّ قَدْ هَجَرْ

٢٨- إِلَى بِلَادِ الْحُبْشِ فِي خَامِسِ عَامْ ... وَفِيهِ عَادُوا ثُمَّ عَادُوا لاَ مَلاَمْ

الشرح:

يعني: أن جمعًا من الصحابة عددهم اثنا عشر رجلا وأربع نسوة هاجروا إلى بلاد الحبشة؛ فرارًا بدينهم، وذلك حين اشتد عليهم البلاء، وعظمت أذيتهم. وكان ذلك في رجب في العام الخامس من البعثة النبوية. **(وفيه)**: أي في نفس العام سمعوا بلاغا أن قريشا أسلمت وسكنت فتنة المؤمنين فـ **(عادوا)** ثم تبين لهم أن الخبر كاذب باطل، فمنهم من دخل مكة، ومنهم من عادوا إلى الحبشة. **(لا ملام)** عليهم في ذلك.

والهجرة الأولى تسمى الهجرة الأولى للحبشة، وعودهم إليه مرة أخرى تسمى الهجرة الثانية إلى الحبشة، وكانت في شوال من نفس العام الخامس من البعثة.

مسألة: عدد المهاجرين الهجرة الأولى، ومن هم؟

١) **ذكر الناظم هنا أنهم**: أربع نسوة واثنا عشر رجلا. وبه قال جمهور أهل السير.

٢) **وقيل**: هم أحد عشر رجلا وأربع نسوة. وبه قال الواقدي.

والخلاف بين هذا القول والذي قبله سببه عد ابن مسعود، فمنهم من جعله ممن هاجر الهجرة الثانية لا الأولى فجعلهم أحد عشر بدونه، كما فعل ابن إسحاق.

٣) **وقيل**: عشر رجال وأربع نسوة. وبه قال ابن إسحاق.

٤) **وقيل**: اثني عشر رجلا وخمس نسوة. وبه جزم العراقي.(١)

(١) "إمتاع الأسماع" (١١٦/٩)، "طبقات ابن سعد" (٢٠٤/١)، "الروض الأنف" (٢٠٢/٣) "سيرة ابن هشام" (٣٤٤/١)، "تاريخ الطبري" (٣٢٩/٢)، "فتح الباري" (٢٢٧/٧)، "المواهب اللدنية" (٢٤٠/١)، "سبل الهدى" (٣٦٣/٢)، "سيرة ابن كثير" (٣/٢)، "عيون الأثر" (١٣٥/١)، "المختصر الكبير" (ص٣٦).

أسماؤهم [١]

الرجال:

١) عثمان بن عفان بن أبي العاص، من بني أمية بن عبد شمس (قيل: هو أولهم).

٢) أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، من بني عبد شمس بن عبد مناف.

٣) أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال، من بني مخزوم ابن يَقَظَة.

٤) الزبير بن العوام بن خويلد، من بني أسد.

٥) مصعب بن عمير بن هاشم، من بني عبد الدار بن قصي.

٦) عبد الرحمن بن عوف، من بني زهرة بن كلاب.

٧) عثمان بن مَظْعون بن حبيب، من بني جُمَح بن عمرو.

٨) عامر بن ربيعة، من بني عدي بن كعب.

٩) أبو سَبرة بن أبي رُهْم العامري، من بني عامر بن لؤي (قيل: هو أولهم).

١٠) حاطب بن عمرو العامري، من بني عدي بن لؤي.

١١) سهيل بن وهب بن ربيعة، من بني الحارث بن فِهر.

١٢) عبد الله بن مسعود الهذلي، من هذيل حليف بني زهرة.

النساء:

١) رقية بنت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، مع زوجها عثمان بن عفان.

٢) سهلة بنت سهيل بن عمرو، مع زوجها أبي حذيفة بن عتبة، وولدت له فيها محمد.

٣) أم سلمة هند بنت أبي أمية أم المؤمنين، مع زوجها أبي سلمة بن عبد الأسد.

٤) ليلى بنت أبي حثمة، مع زوجها عامر بن ربيعة.

٥) أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو، مع زوجها أبي سبرة بن أبي رُهْم[٢].

---

(١) "المختصر الكبير"(٣٦)، "الروض الأنف"(٣/٢٠٣)، "سيرة ابن هشام"(١/٣٢٢)، "الأغصان الندية" (٨٠)، "عيون الأثر" (١/١٣٥)، "السيرة لابن كثير" (٢/٣).

(٢)ذكرها ابن عبد البر في "الدرر" (ص٤٩)، وابن سيد الناس في "عيون الأثر"(١/١٣٦) وقال: ولم يذكرها ابن إسحاق فهي خامسة لهن.اهـ



عدة المهاجرين الهجرة الثانية إلى الحبشة وإسلام حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٢٩- ثَلَاثَـةٌ هُـمْ وَثَمَـانُونَ رَجُـلْ ... وَمَعْهُـمُ جَمَاعَـةٌ حَـتَّى كَمُـلْ

٣٠- وَهُـنَّ عَشْـرٌ وَثَمَـانٍ ثُـمَّ قَـدْ ... أَسْـلَمَ فِي السَّـادِسِ حَمْـزَةُ الْأَسَـدْ

الشرح:

أي عدد المهاجرين الهجرة الثانية إلى الحبشة ثلاثة وثمانون رجلًا وثماني عشرة امرأة.

قال ابن القيم في "زاد المعاد"(٣/٢٣): ثُمَّ اشْتَدَّ الْبَلَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى مَنْ قَدِمَ مِنْ مُهَاجِرِي الْحَبَشَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَسَطَتْ بِهِمْ عَشَائِرُهُمْ، وَلَقُوا مِنْهُمْ أَذًى شَدِيدًا، فَأَذِنَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْخُرُوجِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَكَانَ خُرُوجُهُمُ الثَّانِي أَشَقَّ عَلَيْهِمْ وَأَصْعَبَ، وَلَقُوا مِنْ قُرَيْشٍ تَعْنِيفًا شَدِيدًا وَنَالُوهُمْ بِالْأَذَى، وَصَعُبَ عَلَيْهِمْ مَا بَلَغَهُمْ عَنِ النَّجَاشِيِّ مِنْ حُسْنِ جِوَارِهِ لَهُمْ، وَكَانَ عِدَّةُ مَنْ خَرَجَ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ ثَلَاثَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، إِنْ كَانَ فِيهِمْ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فَإِنَّهُ يُشَكُّ فِيهِ، قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ، وَمِنَ النِّسَاءِ تِسْعَ عَشْرَةَ امْرَأَةً.اهـ

(ومعهم جماعة حتى كمل): أي مع هؤلاء الذين خرجوا من مكة جماعة حتى كمل العدد مائة وواحد.

وضُبِطَت «حَتَّى كَمُلْ»: (حَـيٌّ كُمُل)، ضبطها بذلك الشيخ صالح العصيمي -حفظه الله- وقال في "شرحه للأرجوزة": هم (حيٌّ): أي قبيلة من الرجال الكُمَّل. وهم الأشعريون الذين خرجوا من اليمن برفقة أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنهم لما سمعوا بمخرج النبي ﷺ ابتغَوُا الوصول إليه، فركبوا البحر من اليمن، فألقتهم السفينة مع شدة الرياح إلى الحبشة، فأقاموا مع أصحاب النبي ﷺ المهاجرين هناك.

ثم نصر الله الإسلام بإسلام أسد الله وأسد رسوله ﷺ حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذلك في أواخر السنة السادسة من البعثة. وهو خير أعمام النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة، أرضعته مع النبي ﷺ ثويبة بلبن ابنها مسروح.

ذكر أسماء أصحاب الهجرة الثانية إلى الحبشة

١) جعفر بن أبي طالب، معه زوجته أسماء بنت عميس.

٢) عثمان بن عفان، معه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ.

٣) عمرو بن سعيد بن العاص، معه زوجته فاطمة بنت صفوان.

٤) خالد بن سعيد بن العاص، معه زوجته أمينة[١] بنت خلف بن أسعد الخزاعية.

٥) عبيد الله بن جحش[٢]، معه زوجته أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان.

٦) قيس بن عبد الله الأسدي، ومعه زوجته بركة بنت يسار.

٧) أبو حذيفة بن عتبة، ومعه زوجته سهلة بنت سهيل.

٨) جهم بن قيس، ومعه زوجته أم حرملة حرفلة[٣] بنت عبد الأسود.

٩) المطلب بن أزهر، ومعه زوجه رملة بنت أبي عوف.

١٠) الحارث بن خالد، ومعه زوجته رَيْطَة بنت الحارث.

١١) أبو سلمة بن عبد الأسد، ومعه زوجته أم سلمة بنت أبي أمية.

١٢) عياش بن أبي ربيعة، ومعه زوجته أسماء بنت سلامة.

١٣) حاطب بن الحارث بن معمر الجُمَحي، ومعه زوجته فاطمة بنت المجَلَّل.

١٤) حطاب بن الحارث بن معمر الجُمَحي، ومعه زوجته فكيهة بنت يسار.

١٥) سفيان بن معمر، ومعه زوجته حسنة أم شُرَحبيل.

---

(١)قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ هُمَيْنة بِنْتُ خَلَفٍ. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَلَدَتْ لَهُ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ سَعِيدَ بْنَ خَالِدٍ، وأَمَةَ بِنْتَ خَالِدٍ، فَتَزَوَّجَ أمةَ بَعْدَ ذَلِكَ الزبيرُ بْنُ الْعَوَّامِ، فَوَلَدَتْ لَهُ عمرو بن الزبير، وخالد بن الزبير. "سيرة ابن هشام" (١/ ٢٨١).

(٢)ولا يصح أنه تنصر في أرض الحبشة، بل الظاهر أنه مات على هجرته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويدل عليه: ما جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: هاجر عبيد الله بن جحش بأم حبيبة بنت أبي سفيان وهي امرأته إلى أرض الحبشة، فلما حضرته الوفاة أوصى إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. رواه ابن حبان(٦٠٢٧) وسنده صحيح. وانظر: "ما شاع ولم يثبت في السيرة" (٢٣٧ وما بعدها).

(٣)ويقال: حريملة.

١٦) عامر بن ربيعة، ومعه زوجته ليلى بنت أبي حثمة.

١٧) أبو سبرة بن أبي رهم، ومعه زوجته أم كلثوم بنت سهيل.

١٨) السكران بن عمرو، ومعه زوجته سودة بنت زمعة.

١٩) مالك بن زمعة، ومعه زوجته عمرة بنت السعدي[١].

٢٠) سليط بن عمرو، ومعه زوجته فاطمة بنت علقمة أم قهطم العامرية[٢].

٢١) عبد الله بن جحش.

٢٢) معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي.

٢٣) عتبة بن غزوان.

٢٤) الزبير بن العوام.

٢٥) الأسود بن نوفل بن خويلد القرشي، ابن أخي خديجة.

٢٦) يزيد بن زمعة.

٢٧) عمرو بن أمية بن الحارث.

٢٨) طليب بن عمرو بن وهب.

٢٩) مصعب بن عمير.

٣٠) سويبط بن سعد بن حرملة.

٣١) أبو الروم بن عمير.

٣٢) فراس بن النضر بن الحارث.

٣٣) عبد الرحمن بن عوف.

٣٤) عامر بن أبي وقاص.

٣٥) عبد الله بن مسعود الهذلي.

٣٦) عتبة بن مسعود الهذلي.

---

(١)ويقال: عميرة بنت أسعد بن وَقْدان.

(٢)وبقي من النساء: خُزيمة بنت جهم بن قيس العبدرية. هاجرت مع أبيها وأمها خولة بنت الأسود أم حرملة. انظر: "الإصابة" (٦٤/٨).

٣٧) المقداد بن عمرو.

٣٨) عمرو بن عثمان بن عمرو.

٣٩) شماس بن عثمان.

٤٠) هشام بن العاص.

٤١) هبار بن سفيان.

٤٢) عبد الله بن سفيان.

٤٣) هشام بن أبي حذيفة بن المغيرة.

٤٤) سلمة بن هشام بن المغيرة.

٤٥) معتب بن عوف الخزاعي.

٤٦) عثمان بن مظعون.

٤٧) السائب بن عثمان.

٤٨) قدامة بن مظعون.

٤٩) عبد الله بن مظعون.

٥٠) عثمان بن ربيعة.

٥١) الحارث بن حاطب.

٥٢) شرحبيل بن حسنة.

٥٣) خنيس بن حذافة.

٥٤) عبد الله بن الحارث.

٥٥) قيس بن حذافة.

٥٦) أبو قيس بن الحارث.

٥٧) عبد الله بن حذافة السهمي.

٥٨) الحارث بن الحارث بن قيس.

٥٩) معمر بن الحارث بن قيس.

٦٠) سعيد بن عمرو التيمي.

٦١) بشر بن الحارث بن بشر.

٦٢) سعيد بن الحارث بن قيس.

٦٣) السائب بن الحارث بن قيس.

٦٤) عمير بن رئاب بن حذيفة.

٦٥) مَحْمِيَة بن جَزْء الزُّبَيْدِي.

٦٦) معمر بن عبد الله بن نضلة.

٦٧) عروة بن عبد العزى.

٦٨) عدي بن نضلة بن عبد العزى.

٦٩) النعمان بن عدي.

٧٠) عبد الله بن مخرمة.

٧١) عبد الله بن سهيل بن عمرو.

٧٢) حاطب بن عمرو.

٧٣) سعد بن خولة.

٧٤) أبو عبيدة بن الجراح.

٧٥) سهيل بن بيضاء، وهو ابن وهب، منسوب لأمه.

٧٦) عمرو بن أبي سرح.

٧٧) عياض بن زهير.

٧٨) عمرو بن الحارث بن زهير.

٧٩) عثمان بن عبد غنم.

٨٠) سعد بن قيس.

٨١) الحارث بن عبد قيس.

٨٢) عبد الله بن عرفطة.

٨٣) إبراهيم بن الحارث بن خالد.

٨٤) تميم بن الحارث بن قيس.

٨٥) جابر بن سفيان بن معمر بن حبيب الجُمَحِي.

٨٦) جنادة بن سفيان بن معمر بن حبيب الجُمَحِي.

٨٧) خالد بن سفيان بن معمر بن حبيب الجُمَحِي.

٨٨) الحجاج بن الحارث بن قيس.(١)

٨٩) خالد بن حزام بن خويلد القرشي.

٩٠) ربيعة بن هلال بن مالك.

٩١) سفيان بن محمد بن حبيب الجُمَحِي.

٩٢) سعد بن خولة القرشي.

٩٣) سعيد بن عبد قيس بن لقيط القرشي الفهري.

٩٤) طُليب بن أزهر بن عبد عوف القرشي الزهري.

٩٥) عبد الله بن قيس بن سليم أبو موسى الأشعري.

٩٦) نبيهْ بن عثمان بن ربيعة القرشي.

٩٧) النعمان بن عدي بن نضلة.

٩٨) هاشم بن أبي حذيفة بن المغيرة(٢).

٩٩) عمار بن ياسر(٣).

---

(١)ذكره ابن عقبة وابن إسحاق، وأنكره الكلبي وابن بكار.

(٢)ويقال: اسمه هشام.

(٣)مختلف في هجرته، قال ابن الأثير في "أسد الغابة" (٤/ ١٢٢): واختلف في هجرته إِلَى الحبشة.اهـ وكذا قال النووي في "تهذيب الأسماء واللغات" (٢/ ٣٧)، وابن حجر في "الإصابة" (٤/ ٤٧٣)

قلت: قال ابن اسحاق في "السير والمغازي" (ص: ٢٢٨): وكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم، أو ولدوا بها نيفاً وثمانين رجلاً، إن كان عمار بن ياسر فيهم، وهو يشك فيه.اهـ وقال السهيلي في "الروض الأنف" (٣/ ١٣٢): عَمّارٌ لَمْ يُهَاجِرْ إلَى الْحَبَشَةِ: وَشَكّ ابْنُ إسْحَاقَ فِي عَمّارِ ابْنِ يَاسِرٍ: هَلْ هَاجَرَ إلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، أَمْ لَا. وَالْأَصَحّ عِنْدَ أَهْلِ السّيَرِ كَالْوَاقِدِيّ وَابْنِ عُقْبَةَ. وَغَيْرِهِمَا أَنّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ.اهـ

والراجح: ثبوت هجرته: قال ابن سعد في "الطبقات "(٣/ ١٨٩): قَالُوا: هَاجَرَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ=

١٠٠) هشام بن عتبة.

١٠١) عبد الله بن شهاب بن عبد الله القرشي الزهري.

١٠٢) عبد الله بن غافل الهذلي.

رضي الله عنهم وأرضاهم.

فائدة: بعض ثمرات مطالعة أخبار السلف

١) التأسي بهم.

٢) احتقار المرء عمله بالنظر إلى أعمالهم، فيمنع ذلك عنه العجب والغرور.

٣) طلب الرحمة، وحصول السكينة بذكرهم.

٤) فهم الكتاب والسنة فهما صحيحا بأقوالهم وأفعالهم.

٥) زوال الغربة التي نعيشها، بسفر القلب إليهم وهجرته معهم.

٦) حصول الأصالة التاريخية، بالنظر لمجدهم وعظيم أحوالهم.

٧) شحذ الهمم بسيرهم.

=الْهِجْرَةَ الثَّانِيَةَ.اهوقال ابن جرير الطبري في "تاريخه" (١١/ ٥٠٨): وكان عمار يكنى أبا اليقظان، وهاجر عمار ابن ياسر في قول جميع من ذكرت من أهل السير الى أرض الحبشة الهجرة الثانية.اهـ، وقال ابن عبد البر في "الاستيعاب" (٣/ ١١٣٦): وهاجر إِلَى أرض الحبشة، وصلى القبلتين، وَهُوَ من المهاجرين الأولين.اهـ، وقال سبط ابن الجوزي في "مرآة الزمان" (٦/ ٣٥٢): قال علماء السِّيَر: عمّار من الطبقة الأولى من المهاجرين، هاجر إلى الحبشة الهِجرَتَين، وقيل: الثانية، وشهد بدرًا وأُحدًا والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، ولم يشهد بدرًا.اهـ، وقال مغلطاي في "الإشارة"(ص: ١٢٧): ثم هاجر المسلمون الثانية إلى أرض الحبشة، وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلا-كان عمار بن ياسر فيهم -وثماني عشرة امرأة.اهـ

وكذا قال المزي في "تهذيب الكمال" (٢١/ ٢١٦)، والفاسي في "مستعذب الإخبار" (ص: ٣٥٠)، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٤/ ٢٠٧٠)، والبلاذري في "أنساب الأشراف" (١/ ٢١١)، والبُرِّي في "الجوهرة "(٢/ ٢٥٨) والصفدي في "الوافي بالوفيات" (٢٢/ ٢٣٢) والذهبي في "تاريخ الإسلام" (٢/ ٣٢٢).

وانظر:"زاد المعاد" (٣/ ٢٣)، "سيرة ابن هشام" (١/ ٢٨٦)، "إمتاع الأسماع" (١/ ٤٤)، "سبل الهدى والرشاد" (٢/٤٠٤)، "المواهب اللدنية" (١/ ١٥٣)، "السيرة الحلبية" (١/ ٤٧٧)، "شرح الزرقاني على المواهب" (٢/ ٣١)، "البداية والنهاية" (٣/ ٦٩)، "تاريخ دمشق" لابن عساكر (٤٣/ ٣٥٩).

٨) حبهم في الدنيا، واللحاق بهم في الآخرة.

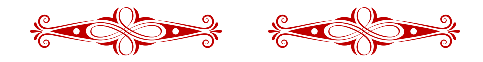
٩) الشوق لهم، والحنو لملاقاتهم.

قَالَ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عند ذِكْرِ الصَّالِحِينَ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ». "الورع للإمام أحمد" رواية المروزي (ص٨٦) رقم (٢٦٧). وبمثله قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ .أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٧/٢٨٥)، وابن المقرئ في "معجمه" (ص٧٥) رقم (١٤٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في "الصفدية" (٢/٢٦٩): يلتذ المؤمنون بمعرفة الله وذكره، بل ويلتذون بذكر الأنبياء والصالحين، ولهذا يقال: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، بما يحصل في النفوس من الحركة إلى محبة الخير والرغبة فيه والفرح به والسرور واللذة.اهـ

وقال ابن قدامة المقدسي في "مختصر منهاج القاصدين" (ص١١٢): كما أن الإنسان إذا لاحظ أحوال السلف في الزهد والتعبد، احتقر نفسه واستصغر عبادته، فيكون ذلك داعية إلى الاجتهاد، وبهذه الدقيقة يعرف سر قول القائل: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة.اهـ

وقال نجم الدين الغزي في "حسن التنبه لما ورد في التشبه" (٢/٥٣١): ومن فوائد ذكر الصالحين: أن العبد إذا ذكرهم رقَّ قلبه عند ذكرهم وأحبهم، وود أن يتأسى بهم، ونشط في العبادة والطاعة، ورغب في اللحاق بهم، وترحم عليهم ودعا لهم، ودعاء العبد لأخيه في ظهر الغيب يستدعي دعاء الملائكة لهم كذلك، ودعاء الملائكة عليهم السلام أقرب إلى الإجابة والقبول.اهـ



قوله: «أسلم في السادس حمزة الأسد»

يعني: في السنة السادسة من البعثة أسلم أبو عُمارة وأبو يعلى حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء[١]، أسد الله وأسد رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخير أعمامه وأخوه من الرضاعة، شهد بدرا، وصلى القبلتين، وهاجر بمهاجرة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقُتل يوم أحد.

وقيل: أسلم في السنة الثانية من البعثة.[٢]

تسميته : أسد الله وأسد رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وردت في ذلك آثار أصحها ما جاء عن سعد بن أبي وقاص قال: كان حمزة بن عبد المطلب يقاتل يوم أحد، بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقول: أنا أسد الله[٣].

وله شاهد من حديث عمير بن إسحاق قال: كان حمزة يقاتل بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسيفين ويقول: أنا أسد الله[٤].

وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٢٢٠٨) وفيه: ويقول: أنا أسدالله وأسد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الهيثمي في "المجمع" (٢٦٨/٩): رجاله إلى قائله رجال الصحيح.اهـ

---

(١)**تنبيه**: قصة إسلام حمزة بتفاصيلها المذكورة عند ابن إسحاق في "السيرة"، وابن سعد في "الطبقات" وغيرهما لا تصح. قال الدكتور أكرم ضياء العمري: وقد أسلم حمزة في وقت اشتدت فيه جرأة قريش على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن تفصيل قصة إسلامه لم تثبت من طريق صحيحة. اهـ "السيرة النبوية" (١٤٦/١)، وانظر: "ما شاع ولم يثبت في السيرة" (ص٥٢).

(٢)وبه جزم الحافظ ابن حجر في "الإصابة" (١٠٥/٢)، والصالحي في "سبل الهدى والرشاد" (٩٠/١١)، وصدر القول به: ابن عبد البر في "الاستيعاب" (٣٦٩/١)، وابن الأثير في "جامع الأصول" (٢٩٧/١٢)، والقسطلاني في "المواهب اللدنية" – مع شرح الزرقاني- (٤٦٧/٤)، والفاسي في "مستعذب الإخبار" (ص٣٢٨).

(٣)أخرجه الإمام الحاكم (٤٨٨٠).

(٤)أخرجه الحاكم (٤٨٧٥)، والطبراني (٢٩٥٣) وهو مرسل.




تسميته سيد الشهداء

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله[١].



مما فات الناظم ذكره

١) إسلام الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فالمرجح عند أهل السير أنه أسلم في هذه السنة السادسة من البعثة[٢] وكان أول سبب لإسلامه دعاء النبي ﷺ.

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: أبي جهل بن هشام، أو عمر بن الخطاب». فكان أحبهما إليه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي لفظ: «اللَّهُمَّ أعز الدين»[٣].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ خَاصَّةً»[٤]

---

(١)أخرجه الإمام الحاكم (٤٨٨٤)، وهو في "الصحيحة" (٣٧٤)، و"صحيح الجامع" (٣٦٧٥) و"الصحيح المسند من فضائل الصحابة" للعدوي (ص١٨٤)، وأخرجه الطبراني في "الأوسط" (٤٠٧٩) عن ابن عباس، وهو في "صحيح الجامع" (٣٦٧٦).

(٢)انظر: "السيرة النبوية الصحيحة" (١/١٧٧)، "فتح الباري" (٧/١٧٨).

(٣)أخرجه الإمام أحمد (٥٦٩٦)، والترمذي (٣٦٨١)، وابن حبان (٦٨٨١)، وصححه الألباني في "صحيح موارد الظمآن" (١٨٢٧)، و"صحيح السيرة" (ص١٩٣).

(٤)أخرجه ابن حبان (٢١٨٠)، وابن ماجه (١٠٥)، وهو في "الصحيحة" (٣٢٢٥).

الجمع بين الحديثين

قال الإمام الألباني في "الصحيحة" (٨٦٣/٧): ولا منافاة بين هذا الحديث وحديث ابن عمر... لاحتمال أن يكون هذا ما قاله ﷺ في أول الأمر، فلما رأى عناد أبي جهل وإصراره على معاداته ﷺ دعا لعمر خاصة، واستجاب الله دعاءه، وأعز الله به دينه كما هو معروف في سيرته، وهو ما صرح به عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: «مازلنا أعزة منذ أسلم عمر»[١].اهـ

وكان عمر رجلا قويا، يؤذي المسلمين ويشتد عليهم، ثم خلفت تلك الشدة رقة ورحمة، وها هو ابن عمه وزوج أخته فاطمة يروي شدته عليهم قبل الإسلام، وهو سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «والله لقد رأيتُني وإن عمر لموثِقي على الإسلام قبل أن يسلم عمر»[٢] **أي** أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ربطه بسبب إسلامه؛ إهانة له وإلزاما بالرجوع عن الإسلام[٣].

وعن أم عبد الله بنت أبي حثمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: وَاللَّهِ، إِنَّهُ لَنَرْتَحِلُ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَقَدْ ذَهَبَ عَامِرٌ فِي بَعْضِ حَاجَتِنَا، إِذْ أَقْبَلَ عُمَرُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيَّ وَهُوَ عَلَى شِرْكِهِ، قَالَتْ: وَكُنَّا نَلْقَى مِنْهُ الْبَلَاءَ أَذًى لَنَا وَشَرًّا عَلَيْنَا، فَقَالَتْ: فَقَالَ: إِنَّهُ لَانْطِلَاقٌ يَا أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَتْ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَاللَّهِ لَنَخْرُجَنَّ فِي أَرْضِ اللَّهِ، آذَيْتُمُونَا وَقَهَرْتُمُونَا، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَنَا مَخْرَجًا، قَالَتْ: فَقَالَ: صَحِبَكُمُ اللَّهُ، وَرَأَيْتُ لَهُ رِقَّةً لَمْ أَكُنْ أَرَاهَا، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ أَحْزَنَهُ فِيمَا أَرَى خُرُوجُنَا، قَالَتْ: فَجَاءَ عَامِرٌ مِنْ حَاجَتِنَا تِلْكَ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، لَوْ رَأَيْتَ عُمَرَ آنِفًا وَرِقَّتَهُ وَحُزْنَهُ عَلَيْنَا، قَالَ: أَطَمِعْتِ فِي إِسْلَامِهِ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: لَا يُسْلِمُ الَّذِي رَأَيْتِ حَتَّى يُسْلِمَ حِمَارُ الْخَطَّابِ، قَالَتْ: يَأْسًا لِمَا كَانَ يَرَى مِنْ غِلْظَتِهِ وَقَسْوَتِهِ عَنِ الْإِسْلَامِ[٤].

---

(١) "صحيح البخاري" (٣٦٨٤).

(٢) "صحيح البخاري" (٣٨٦٢).

(٣) "فتح الباري" (١٧٦/٧).

(٤)أخرجه الإمام أحمد في "الفضائل" (٣٧١)،والحاكم(٦٨٩٥)، وهو في "صحيح السيرة"(١٨٩).

عزة إسلام عمر، وعزة المسلمين بإسلامه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، لَمْ تَعْلَمْ قُرَيْشٌ بِإِسْلَامِهِ، فَقَالَ: «أَيْ أَهْلُ مَكَّةَ، أَنْشَأُ لِلْحَدِيثِ؟» فَقَالُوا: جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ الْجُمَحِيُّ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَأَنَا مَعَهُ أَتْبَعُ أَثَرَهُ، أَعْقِلُ مَا أَرَى، وَأَسْمَعُ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: «يَا جَمِيلُ، إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيْهِ كَلِمَةً حَتَّى قَامَ عَامِدًا إِلَى الْمَسْجِدِ، فَنَادَى أَنْدِيَةَ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ، فَقَالَ عُمَرُ: «كَذَبَ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ وَآمَنْتُ بِاللَّهِ وَصَدَّقْتُ رَسُولَهُ»، فَثَاوَرُوهُ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى رَكَدَتِ الشَّمْسُ عَلَى رُءُوسِهِمْ، حَتَّى فَتَرَ عُمَرُ وَجَلَسَ فَقَامُوا عَلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: «افْعَلُوا مَا بَدَا لَكُمْ، فَوَاللَّهِ لَوْ كُنَّا ثَلَاثَمِائَةِ رَجُلٍ لَقَدْ تَرَكْتُمُوهَا لَنَا أَوْتَرَكْنَاهَا لَكُمْ»، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ قِيَامٌ عَلَيْهِ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَيْهِ حُلَّةُ حَرِيرٍ وَقَمِيصٌ قَوْمَسِيٌّ، فَقَالَ: مَا بَالَكُمْ؟ فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ، قَالَ: فَمَهْ، امْرُؤٌ اخْتَارَ دِينًا لِنَفْسِهِ، أَفَتَظُنُّونَ أَنَّ بَنِي عَدِيٍّ تُسْلِمُ إِلَيْكُمْ صَاحِبَهُمْ؟ قَالَ: فَكَأَنَّمَا كَانُوا ثَوْبًا انْكَشَفَ عَنْهُ، فَقُلْتُ لَهُ بَعْدُ بِالْمَدِينَةِ: يَا أَبَتِ، مَنِ الرَّجُلُ الَّذِي رَدَّ عَنْكَ الْقَوْمَ يَوْمَئِذٍ؟ فَقَالَ: «يَا بُنَيَّ، ذَاكَ الْعَاص بْنُ وَائِلٍ»[(١)].

لقد كانت صدمة قوية على قريش، وكان ردهم على إسلام عمر عنيفا، حتى ذهبوا إليه وأجمعوا على قتله حتى سال بهم الوادي منطلقين إليه ليقتلوه، عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ اجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَ دَارِهِ، وَقَالُوا: صَبَا عُمَرُ وَأَنَا غُلَامٌ، فَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِي، فَجَاءَ رَجُلٌ عَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْ دِيبَاجٍ، فَقَالَ: قَدْ صَبَا عُمَرُ فَمَا ذَاكَ، فَأَنَا لَهُ جَارٌ، قَالَ: فَرَأَيْتُ النَّاسَ تَصَدَّعُوا عَنْهُ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: العَاصِ بْنُ وَائِلٍ. صحيح البخاري (٣٨٦٥)

وفي رواية، قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ فِي الدَّارِ خَائِفًا، إِذْ جَاءَهُ العَاصِ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ أَبُو عَمْرٍو، عَلَيْهِ حُلَّةُ حِبَرَةٍ وَقَمِيصٌ مَكْفُوفٌ بِحَرِيرٍ، وَهُوَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ، وَهُمْ حُلَفَاؤُنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ لَهُ: مَا بَالُكَ؟ قَالَ: زَعَمَ قَوْمُكَ أَنَّهُمْ سَيَقْتُلُونِي إِنْ أَسْلَمْتُ، قَالَ: لاَ سَبِيلَ إِلَيْكَ، بَعْدَ أَنْ قَالَهَا

---

(١) أخرجه ابن حبان (٦٨٧٩)، والحاكم (٤٤٩٣)، وهو في "الجامع الصحيح" (٢٤٣٥) لشيخنا الوادعي، و"صحيح السيرة" للألباني (١٩٢).

أَمِنْتُ، فَخَرَجَ العَاصِ فَلَقِيَ النَّاسَ قَدْ سَالَ بِهِمُ الوَادِي، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُونَ؟ فَقَالُوا: نُرِيدُ هَذَا ابْنَ الخَطَّابِ الَّذِي صَبَا، قَالَ: لاَ سَبِيلَ إِلَيْهِ فَكَرَّ النَّاسُ. صحيح البخاري (٣٨٦٤)

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن إسلام عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان فتحا، وإن هجرته كانت نصرا، وإن إمارته كانت رحمة، والله ما استطعنا أن نصلي عند الكعبة ظاهرين حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه[١].

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: أول من جهر بالإسلام عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٢].

ولم يكتف عمر بذلك، بل طلب من النبي ﷺ أن يعلن إسلامه في كل مجالس الكفر.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ عُمَرَ، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أَدَعُ مَجْلِسًا جَلَسْتُهُ فِي الْكُفْرِ إِلَّا أَعْلَنْتُ فِيهِ الْإِسْلَامَ، فَأَتَى الْمَسْجِدَ وَفِيهِ بُطُونُ قُرَيْشٍ، مُتَحَلِّقَةٌ، فَجَعَلَ يُعْلِنُ الْإِسْلَامَ، وَيَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَثَارَ الْمُشْرِكُونَ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ وَيَضْرِبُهُمْ، فَلَمَّا تَكَاثَرُوا عَلَيْهِ خَلَّصَهُ رَجُلٌ» فَقُلْتُ لِعُمَرَ: مَنِ الرَّجُلُ الَّذِي خَلَّصَكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ؟ قَالَ: «ذَاكَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ»[٣].

وعَنه قَالَ: لَمَّا طُعِنَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، أَبْشِرْ قَدْ دَعَا لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُعِزَّ اللهُ بِكَ الدِّينَ وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ، فَلَمَّا أَسْلَمْتَ كَانَ إِسْلَامُكَ عِزًّا، وَأَظْهَرَ اللهُ بِكَ الْإِسْلَامَ وَرَسُولَ اللهِ وَأَصْحَابَهُ، وَهَاجَرْتَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَكَانَتْ هِجْرَتُكَ فَتْحًا، ثُمَّ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ»[٤].

وعَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: وُضِعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى سَرِيرِهِ،

---

(١)أخرجه الإمام أحمد في "فضائل الصحابة" (٣٧٠، ٤٨٢)، والحاكم في "المستدرك" (٤٤٨٧)، وهو في "صحيح السيرة" (١٨٨).

(٢)أخرجه الطبراني في "الكبير" (١٠٨٩٠)، وقال الهيثمي في "المجمع" (٦٣/٩): إسناده حسن. وهو في "صحيح السيرة" (ص١٩٣).

(٣)أخرجه الطبراني في "الأوسط" (١٢٩٣)، وقال الهيثمي في "المجمع" (١٦٥/٩): رجاله ثقات.اهـ وهو في "صحيح السيرة" (ص١٩٣) للألباني.

(٤)أخرجه الطبراني في "الكبير" (١٠٦٢٣).

فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ يَدْعُونَ وَيُثْنُونَ وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ، قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ، وَأَنَا فِيهِمْ، قَالَ فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا بِرَجُلٍ قَدْ أَخَذَ بِمَنْكِبِي مِنْ وَرَائِي، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَتَرَحَّمَ عَلَى عُمَرَ، وَقَالَ: مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وَذَاكَ أَنِّي كُنْتُ أُكَثِّرُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «جِئْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو، أَوْ لَأَظُنُّ، أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَهُمَا»"[١].



٢) المقاطعة العامة والحصار الاقتصادي (حصار الشعب)

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ بِمِنًى: «نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ، حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ» وَذَلِكَ إِنَّ قُرَيْشًا وَبَنِي كِنَانَةَ تَحَالَفَتْ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ أَنْ لَا يُنَاكِحُوهُمْ وَلَا يُبَايِعُوهُمْ، حَتَّى يُسْلِمُوا إِلَيْهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَعْنِي بِذَلِكَ، الْمُحَصَّبَ. متفق عليه [٢]

لما فشلت قريش في استعادة المسلمين من الحبشة، ورأت الناس يدخلون في دين الله، ويتبعون رسول الله ﷺ و أَنَّ أمْرَ الإسْلَامِ يَنْتَشِرُ ويَعْلُو، وَأَنَّ أسَالِيبَهَا كُلَّهَا بَاءَتْ بِالفَشَلِ، وَلَمْ تَمْنَعْ مِنِ انْتِشَارِ الإِسْلَامِ، وَأَنَّ مُسَاوَمَتَهَا لِأَبِي طَالِبٍ، وَللنَّبِيِّ ﷺ مِنْ بَعْدِهِ قَدْ قُوبِلَتْ بِالرَّفْضِ، أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى المُقَاطَعَةِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ نَزَلُوا بَلَدًا أَصَابُوا بِهِ أَمْنًا وَقَرَارًا، وَأَنَّ النَّجَاشِيَّ قَدْ مَنَعَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ، وَأَنَّ عُمَرَ قَدْ أَسْلَمَ، فَكَانَ هُوَ وَحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَجَعَلَ الْإِسْلَامُ يَفْشُو فِي الْقَبَائِلِ، اجْتَمَعُوا

---

(١)متفق عليه [خ (٣٦٨٥) م (٢٣٨٩)]

(٢)متفق عليه: البخاري(١٥٩٠) ، ومسلم (١٣١٤) واللفظ له.

وَائْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ أَنْ يَكْتُبُوا كِتَابًا يَتَعَاقَدُونَ فِيهِ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ، وَبَنِي الْمُطَّلِبِ، عَلَى أَنْ لَا يُنْكِحُوا إِلَيْهِمْ وَلَا يُنْكحُوهُمْ، وَلَا يَبِيعُوهُمْ شَيْئًا، وَلَا يَبْتَاعُوا مِنْهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا لِذَلِكَ كَتَبُوهُ فِي صَحِيفَةٍ، ثُمَّ تَعَاهَدُوا وَتَوَاثَقُوا عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ عَلَّقُوا الصَّحِيفَةَ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ تَوْكِيدًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ كَاتِبُ الصَّحِيفَةِ مَنْصُورَ بْنَ عِكْرِمَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ هَاشِمِ بْن عَبْدِمَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ- قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ- فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَشُلَّ بَعْضُ أَصَابِعِهِ[١].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا فَعَلَتْ ذَلِكَ قُرَيْشٌ انْحَازَتْ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ إلَى أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَدَخَلُوا مَعَهُ فِي شِعْبِهِ وَاجْتَمَعُوا إلَيْهِ، وَخَرَجَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ أَبُو لَهَبٍ، عَبْدُالْعُزَّى بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إلَى قُرَيْشٍ، فَظَاهَرَهُمْ.اهـ[٢]

فَلَمَّا رَأَى أَبُو طَالِبٍ تَأَلُّبَ قُرَيْشٍ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَامَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وبَنِي المُطَّلِبِ، ودَعَاهُمْ إلى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ مَنْعِ ابْنِ أخِيهِ، وَحِيَاطَتِهِ والقِيَامِ دُونَهُ، فَأَجَابُوا إلى ذَلِكَ، وَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى أَنْ يُدْخِلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ شِعْبَهُمْ: شِعْبَ بَنِي هَاشِمٍ، ويَمْنَعُوهُ مِمَّنْ أَرَادَ قَتْلَهُ، فَأَجَابُوا لِذَلِكَ فَانْحَازَتْ بَنُو هَاشِمٍ، وبَنُو المُطَّلِبِ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَدَخَلُوا مَعَهُ فِي شِعْبِهِ، حَتَّى كُفَّارُهُمْ دَخَلُوا الشِّعْبَ حَمِيَّةً لِلرَّحِمِ، وَالقَرَابَةِ، وَلَمْ يَشُذَّ عَنْ هَذَا الإِجْمَاعِ إِلَّا أَبُو لَهَبِ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَدِ انْحَازَ إِلَى قُرَيْشٍ، وَفَارَقَ بَنِي هَاشِمٍ وبَنِي المُطَّلِبِ.

---

(١)قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ في "البداية والنهاية" (١٠٨/٣): وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: كَانَ الَّذِي كَتَبَ الصَّحِيفَةَ طَلْحَةُ بن أبي طلحة العبدوي. قُلْتُ: وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ مَنْصُورُ بْنُ عِكْرِمَةَ كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ، وَهُوَ الَّذِي شُلَّتْ يَدُهُ فَمَا كَانَ يَنْتَفِعُ بِهَا وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَقُولُ بَيْنَهَا: انْظُرُوا إِلَى مَنْصُورِ بْنِ عِكْرِمَةَ.اهـ

وقال الصالحي رَحِمَهُٱللَّهُ في "سبل الهدى والرشاد" (٣٧٧/٢): والذي كتب الصحيفة: قال ابن إسحاق: منصور بن عكرمة. قال ابن هشام: ويقال النضر بن الحارث. فدعا عليه رسول الله ﷺ فشلّت بعض أصابعه. وقال غيره: بغيض بن عامر. فشلّت يده. وقال غيره: هشام بن عمرو بن الحارث العامري وأسلم بعد ذلك. ويجمع بين هذه الأقوال باحتمال أن يكون كتب بها نسخ.اهـ

(٢) "سيرة ابن هشام" (٣٥٠/١- ٣٥١).

وكَانَ أَبُو طَالِبٍ يَخَافُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكَانَ إِذَا أَخَذَ النَّاسُ مَضاجِعَهُمْ، أَمَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَى فِرَاشَهُ حَتَّى يَرَاهُ مَنْ أَرَادَ بِهِ مَكْرًا، فَإِذَا نَامَ النَّاسُ، أَخَذَ أَحَدَ بَنِيهِ أَوْ إِخْوَتَهُ أَوْ بَنِي عَمِّهِ، فَأَضْجَعَهُ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأَمَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْتِيَ بَعْض فُرُشِهِمْ فَيَرْقُدَ عَلَيْهَا.

شدة الحصار

لَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالمُسْلِمُونَ فِي الشِّعْبِ ثَلَاثَ سِنِينَ، واشْتَدَّ عَلَيْهِمْ فِيهِنَّ البَلَاءُ وَالجَهْدُ ، فَقَدْ قَطَعَتْ عَنْهُمْ قُرَيْشٌ المِيرَةَ والمَادَّةَ، وَقَطَعَتْ عَلَيْهِمُ الأَسْوَاقَ، فكَانُوا لَا يَتْرُكُونَ طَعَامًا يَدْنُو مِنْ مَكَّةَ وَلَا بَيْعًا إِلَّا بَادَرُوا إِلَيْهِ فَاشْتَرَوْهُ دُونَهُمْ لِيَقْتُلَهُمُ الجُوعُ، وكَانَ أَبُو لَهَبٍ يَدُورُ بَيْنَ التُّجَّارِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: غَالُوا عَلَى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، حَتَّى لَا يُدْرِكُوا مَعَكُمْ شَيْئًا، وَأَنَا أَدْفَعُ لَكُمْ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، فَيَزِيدُونَ عَلَيْهِمْ فِي السِّلْعَةِ قِيمَتَهَا أَضْعَافًا حَتَّى يَرْجعَ الرَّجُلُ إِلَى أَطْفَالِهِ، وهُمْ يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الجُوعِ، ولَيْسَ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ يُطْعِمُهُمْ بِهِ، ويَغْدُو التُّجَّارُ عَلَى أَبِي لَهَبٍ فيُرْبِحُهُمْ، حَتَّى جَهِدَ المُؤْمِنُونَ، وَمَنْ مَعَهُمْ جُوعًا وَعُرْيًا، وحَتَّى سُمِعَ أَصْوَاتُ صِبْيَانِهِمْ مِنْ وَرَاءِ الشِّعْبِ، واضْطُرُّوا إِلَى أَكْلِ وَرَقِ الشَّجَرَ والجُلُودِ، وهَلَكَ مِنْهُمْ مَنْ هَلَكَ.

وَضُيِّقَ الحِصَارُ عَلَى المُسْلِمِينَ، وَانْقَطَعَ عَنْهُمُ العَوْنُ، وَقَلَّ الغِذَاءُ حَتَّى بَلَغَ الجَهْدُ أَقْصَاهُ، وسُمِعَ بُكَاءُ أَطْفَالِهِمْ مِنْ وَرَاءِ الشِّعْبِ، وعَضَّتْهُمُ الأَزَمَاتُ العَصِيبَةُ حَتَّى رَثَى لِحَالِهِمُ الخُصُومُ، ومَعَ اكْفِهْرَارِ الجَوِّ فِي وُجُوهِهِمْ، فَقَدْ تَحَمَّلُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ الوَيْلَاتِ.

وَقَدْ سَرَّ هَذَا الأَمْرُ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، وَكَانَ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَبْعَث إِلَى المُحْصُورِينَ طَعَامًا إِلَّا سِرًّا مُسْتَخْفِيًا مِمَّنْ أَرَادَ صِلَتَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانَ مِمَّنْ يَصِلُهُمْ حَكِيمُ بنُ حِزَامٍ ابْنُ أَخِي السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهِشَامُ بنُ عَمْرٍو العَامِرِيُّ وكَانَ أَوْصَلَهُمْ لِبَنِي هَاشِمٍ، فكَانَ يَأْتِي بِالبَعِيرِ لَيْلًا فَيُوقِرُهُ طَعَامًا، ثُمَّ يَضْرِبُهُ بِاتِّجَاهِ الشِّعْبِ، ويَتْرُكُ زِمَامَهُ لِيَصِلَ إِلَى المَحْصُورِينَ.

قال مُحَمَّد بن إِسْحَاق، حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ، عَنْ بَعْضِ، آلِ سَعْدٍ، عَنْ سَعْدٍ قَالَ: «كُنَّا قَوْمًا يُصِيبُنَا ظَلَفُ الْعَيْشِ بِمَكَّةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَشِدَّتُهُ، فَلَمَّا أَصَابَنَا الْبَلَاءُ اعْتَرَفْنَا

لِذَلِكَ وَمَرَنَّا عَلَيْهِ وَصَبَرْنَا لَهُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ خَرَجْتُ مِنَ اللَّيْلِ أَبُولُ، وَإِذَا أَنَا أَسْمَعُ بِقَعْقَعَةِ شَيْءٍ تَحْتَ بَوْلِي، فَإِذَا قِطْعَةُ جِلْدِ بَعِيرٍ، فَأَخَذْتُهَا فَغَسَلْتُهَا ثُمَّ أَحْرَقْتُهَا فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ حَجَرَيْنِ، ثُمَّ اسْتَفَفْتُهَا وَشَرِبْتُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ، فَقَوِيتُ عَلَيْهَا ثَلَاثًا».(١)

نقض الصحيفة وإنهاء المقاطعة

مَكَثَ بَنُو هَاشِمٍ وبَنُو المُطَّلِبِ بِالشِّعْبِ ثَلَاثَ سِنِينَ، حَتَّى بَلَغَ مِنْهُمُ الجَهْدُ وَالأَذَى مَبْلَغَهُ، ثُمَّ قَامَ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْ أَهْلِ المُرُوءَةِ، وَالضَّمَائِرِ، فِي مُقَدِّمَتِهِمْ: هِشَامُ بنُ عَمْرِو بْنِ رَبِيعَةَ، الذِي تَصِلُهُ بِبَنِي هَاشِمٍ صِلَةُ قَرَابَةٍ، وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِي قَوْمِهِ، وكَانَ قَدْ بَذَلَ جُهْدَهُ أَيَّامَ الحِصَارِ، فَقَدْ مَشَى إِلَى زُهَيْرِ بنِ أَبِي أُمَيَّةَ المُخْزُومِيِّ -وكَانَتْ أُمُّهُ عَاتِكَةَ بِنْتُ عَبْدِالمُطَّلِبِ- فَقَالَ: يَا زُهَيْرُ! أَقَدْ رَضِيتَ أَنْ تَأْكُلَ الطَّعَامَ، وَتَلْبَسَ الثِّيَابَ، وتَنْكِحَ النِّسَاءَ، وَأَخْوَالُكَ حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ، لَا يُبَاعُونَ وَلَا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ، وَلَا يَنْكِحُونَ وَلَا يُنْكَحُ إِلَيْهِمْ، أمَا إِنِّي أَحْلِفُ بِاللَّهِ لَوْ كَانُوا أَخْوَالَ أَبِي الحَكَمِ بنِ هِشَامٍ، ثُمَّ دَعَوتُهُ إلى مِثْلِ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ، مَا أَجَابَكُمْ إِلَيْهِ أَبَدًا، قَالَ: وَيْحَكَ يَا هِشَامُ! فَمَاذَا أَصْنَعُ؟ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَعِيَ رَجُلٌ آخَرُ لَقُمْتُ فِي نَقْضِهَا حَتَّى أَنْقُضَهَا، قَالَ: قَدْ وَجَدْتُ رَجُلًا، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ .قَالَ: أَنَا، قَالَ لَهُ زُهَيْرٌ: ابْغِنَا رَجُلًا ثَالِثًا. فَذَهَبَ إلى المُطْعِمِ بنِ عَدِيٍّ، فَقَالَ: يَا مُطْعِمُ! أَقَدْ رَضِيتَ أَنْ يَهْلِكَ بَطْنَانِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَأَنْتَ شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ، مُوَافِقٌ لِقُرَيْشٍ فِيهِ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ أَمْكَنْتُمُوهُمْ مِنْ هَذِهِ لَتَجِدُنَّهُمْ إِلَيْهَا مِنْكُمْ أَسْرَعُ، قَالَ: وَيْحَكَ! فَمَاذَا أَصْنَعُ؟ إِنَّمَا أنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، قَالَ: قَدْ وَجَدْتُ ثَانِيًا، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: أَنَا، قَالَ: ابْغِنَا ثَالِثًا، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: زُهَيْرُ بنُ أَبِي أُمَيَّةَ، قَالَ: ابْغِنَا رَابِعًا، فَذَهَبَ إلى أَبِي البَخْتَرِيِّ بنِ هِشَامٍ، فَقَالَ لَهُ نَحْوًا مِمَّا قَالَ لِلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ، فَقَالَ: وَهَلْ مِنْ أَحَدٍ يُعِينُ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ ، قَالَ: زُهَيْرُ بنُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَالمُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ، وَأَنَا مَعَكَ، قَالَ:

---

(١) "سيرة ابن اسحاق" (ص:١٩٤)، وأخرجه من طريقه أبو نعيم في "الحلية" (١/٩٣).

ابْغِنَا خَامِسًا. قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ سَمَّى لَهُ القَوْمَ. فَاتَّعَدُوا الحَجُونِ لَيْلًا بِأَعْلَى مَكَّةَ. فَاجْتَمَعُوا هُنَالِكَ، فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ، وتَعَاقَدُوا عَلَى القِيَامِ فِي الصَّحِيفَةِ حَتَّى يَنْقُضُوهَا، وَقَالَ زُهَيْرٌ: أَنَا أَبْدَؤُكُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَتَكَلَّمُ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا إِلَى أَنْدِيَتِهِمْ ، وغَدَا زُهَيْرُ بنُ أَبِي أُمَيَّةَ عَلَيْهِ حُلَّةٌ، فَطَافَ بِالبَيْتِ سَبْعًا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: يَا أَهْلَ مَكَّةَ! أَنَأْكُلُ الطَّعَامَ، ونَلْبَسُ الثِّيَابَ، وبَنُو هَاشِمٍ هَلْكَى لَا يُبَاعُونَ وَلَا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ؟ وَاللَّهِ لَا أَقْعُدُ حَتَّى تُشَقَّ هَذِهِ الصَّحِيفَةُ القَاطِعَةُ الظَّالِمَةُ.

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَكَانَ فِي نَاحِيَةِ المَسْجِدِ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ لَا تُشَقُّ، فَقَالَ زَمْعَةُ بنُ الأَسْوَدِ: أَنْتَ وَاللَّهِ أَكْذَبُ، مَا رَضِينَا كِتَابَهَا حَيْثُ كُتِبَتْ! .

فَقَالَ أَبُو البَخْتَرِيِّ: صَدَقَ زَمْعَةُ، لَا نَرْضَى مَا كُتِبَ فِيهَا، وَلَا نُقِرُّ بِهِ.

فَهُنَا قَامَ المُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ، فَقَالَ: صَدَقْتُمَا، وَكَذَبَ مَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ، نَبْرَأُ إلى اللَّهِ مِنْهَا، وَمِمَّا كُتِبَ فِيهَا، وَقَالَ هِشَامُ بنُ عَمْرٍو نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ.

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ: هَذَا أَمْرٌ قُضِيَ بِلَيْلٍ، تُشُووِرَ فِيهِ فِي غَيْرِ هَذَا المَكَانِ.

وكَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَخْبَرَ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَطْلَعَهُ عَلَى أمْرِ الصَّحِيفَةِ، وأَنَّهُ سَلَّطَ عَلَيْهَا الأَرَضَةَ فَلَحَسَتْ كُلَّ مَا كَانَ فِيهَا مَنْ جَوْرٍ، أَوْ ظُلْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ أَوْ بُهْتَانٍ ، وَلَمْ تَدَعْ فِيهَا اسْمًا لِلَّهِ إِلَّا أَثْبَتَتْهُ فِيهَا.

وبهذا انتهت المقاطعة وكَانَ خُرُوجُهُمْ مِنَ الشِّعْبِ فِي أَوَّلِ السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ البِعْثَةِ .

خرج أبو طالب مع قومه ومن ناصرهم بخروج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الشِّعب ظافراً منصوراً، مؤيّداً من الله تعالى بما أيّده به من معجزاته القاهرة، وآياته الباهرة، يتابع سيره في نشر دعوته، وتبليغ رسالته إلى الناس في محافلهم ومجتمعاتهم ومواسمهم وأسواقهم، يعرضها على كل شريف قوم يُذكر له.

ولقد دعا رسول الله ﷺ على قريش فحدثت فيهم مجاعة حتى أكلوا الميتة والجلود، فجاء أبوسفيان يسأل رسول الله ﷺ أن يدعوا لهم ويناشده الرحم، فقرأ الآيات:﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا

ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الدخان: ١٠ – ١٥]، وكان الرجل يرى ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان. فدعا رسول الله ﷺ ربه فكشف عنهم العذاب، فعادوا إلى الكفر.

في الصحيحين[1] عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: جَاءَ إِلَى عَبْدِ اللهِ رَجُلٌ فَقَالَ: تَرَكْتُ فِي الْمَسْجِدِ رَجُلًا يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ يُفَسِّرُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [الدخان: ١٠] قَالَ: يَأْتِي النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُخَانٌ، فَيَأْخُذُ بِأَنْفَاسِهِمْ حَتَّى يَأْخُذَهُمْ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ: اللهُ أَعْلَمُ، إِنَّمَا كَانَ هَذَا، أَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، «دَعَا عَلَيْهِمْ بِسِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ»، فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ، حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الْجَهْدِ، وَحَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اسْتَغْفِرِ اللهَ لِمُضَرَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا، فَقَالَ: «لِمُضَرَ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ» قَالَ: فَدَعَا اللهَ لَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ [الدخان: ١٥] قَالَ: فَمُطِرُوا، فَلَمَّا أَصَابَتْهُمُ الرَّفَاهِيَةُ، قَالَ: عَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [الدخان:١٠- ١١] ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ [الدخان: ١٦] قَالَ: يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ.[2]

---

(١) البخاري (٤٨٢١) ومسلم (٢٧٩٨) واللفظ له.

(٢) لأخبار المقاطعة انظر: "اللؤلؤ المكنون" (٣٩٢/١)، "سيرة ابن هشام" (٣٥٠/١)، "الإشارة" (ص:١٢٥)، "الجامع الصحيح للسيرة النبوية" (١٣٩١/٤)، "السيرة النبوية الصحيحة" (١٨٣/١)، "سبل الهدى" (٣٧٧/٢)، "مستعذب الإخبار" (ص:٢٢٠)، "البداية والنهاية" (١٠٧/٣)، "المواهب اللدنية" (١٤٧/١)، "تاريخ الخميس" (٢٩٧/١)، "السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة" (٣٥٩/١)، "الأغصان الندية" (ص:٩٥).

وفاة عمه أبي طالب وزوجه خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

٣١- وَبَعْدَ تِسْعٍ مِنْ سِنِي رِسَالَتِهْ ... مَاتَ أَبُو طَالِبِ ذُو كَفَالَتِهْ

٣٢- وَبَعْدَهُ خَدِيجَةٌ تُوُفِّيَتْ ... مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ ثَلَاثَةٍ مَضَتْ

الشرح:

أي بعد انتهاء العام التاسع من مبعثه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودخول العام العاشر، وفي أواخر هذه السنة العاشرة مات أبو طالب الذي كفل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من أربعين سنة يحوطه وينصره ويقوم برعايته، ثم ماتت بعده بثلاثة أيام فقط زوجه خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وذلك بعد خروجهما من الحصار الظالم، فحزن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهما حزنا شديدا؛ فهما نصيراه اللذان كانا يصدان عنه أذى قريش واعتداءاتهم عليه؛ لمكانتهما بين قريش. وكان أبو طالب يحميه عند بروزه الناس، وكانت خديجة تسليه عند رجوعه إلى بيته.[1]

هل يقال: عام الحزن؟

عُرف العام العاشر من البعثة عند المتأخرين بعام الحزن، ذلك أن هذا العام قد شهد وفاة أم المؤمنين خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأبي طالب عمّ رسول الله ﷺ وكان بين وفاتيهما أيام يسيرة، وذكروا أنه ﷺ لشدة حزنه سمى هذا العام عام الحزن.

فهل صح ذلك؟

لم تَرِدْ هذه التسمية في شيء من الأحاديث الصحيحة، بل ولا الضعيفة، ولا في شيء من كتب السيرة وشروحها، كسيرة ابن إسحاق وشرحها للسهيلي، ولم يذكر هذا اللفظ أحد ممّن كتب في السيرة كابن القيم والذهبي وابن كثير، ولا غيرهم من شرّاح الأحاديث كالنووي وابن حجر -رحمهم الله-.

(وإنما وقع في كلام بعض الإخباريين تسمية هذا العام: عام الحزن، وهو شيء لا يُعرف

(١) "الدلائل" للبيهقي(٢/٣٥٢)، "عيون الأثر" (١/٢٢٧).

عند محققي السيرة، ولا يناسب مقام الحزن في الشريعة؛ فإن مقام الحزن من المقامات المكروهة المغلوبة، لا من المقامات الممدوحة المطلوبة، ولا يُمدح العبد بحزنه)[١].

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعقيبه على البوطي في قوله: (ولقد أطلق النبي ﷺ على هذا العام (عام الحزن) لشدة ما كابد فيه من الشدائد في سبيل الدعوة) قال -رحمه الله-: من أي مصدر من المصادر الموثوقة أخذ الدكتور هذا الخبر؟ وهل إسناده -إن كان له إسناد- مما تقوم به الحجة؟ فإني بعد مزيد البحث لم أقف عليه ... والمصدر الوحيد الذي رأيته قد أورده إنما هو القسطَلاّني في "المواهب اللدنية" فلم يزد على قوله: (فيما ذكره صاعد) وصاعد هذا هو ابن عبيد البجلي كما قال الزرقاني في شرحه عليه فما حال صاعد هذا؟ إنه مجهول لا يُعرف، ولم يوثقه أحد، بل أشار الحافظ إلى أنه ليّن الحديث إذا لم يتابع، كما هو حاله في هذا الخبر. على أن قول القسطلاني: (فيما ذكره صاعد) يُشعر أنه ذكره معلقًا بدون إسناد فيكون معضلًا، فيكون الخبر ضعيفًا لا يصح، حتى ولو كان صاعد معروفًا بالثقة والحفظ، وهيهات هيهات. اهـ كلام الألباني[٢]

ومن ناحية المتن فيبعد أن يسميه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو أحد من أصحابه بذلك، وقد مّر عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمون من المحن والشدائد الكثيرة، قبل الهجرة وبعدها ولم يُنقل أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -على شدة حزنه- سما أيًا منها بأي اسم يدل على الحزن أو نحوه[٣].

ومنزلة الحزن ليست من المنازل المطلوبة ولا المأمور بنزولها ولا تليق بجنابه ﷺ.

قال الإمام ابن القيم: منزلة الحزن وليست من المنازل المطلوبة ولا المأمور بنزولها، وإن كان لابد للسالك من نزولها، ولم يأتِ الحزن في القرآن إلا منهيا عنه أو منفيا، فالمنهي عنه كقوله تعالى:﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٣٩] وقوله:﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ١٢٧] في غير موضع، وقوله:﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠] والمنفي كقوله:

(١)العصيمي في شرحه.

(٢)من كتابه "دفاع عن الحديث والسيرة" (ص ١٨).

(٣) انظر "ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية" (٦٧-٦٩).

﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨]، وسِرُّ ذلك أن الحزن موقف غير مُسيِّر، ولا مصلحة فيه للقلب، وأحب شيء إلى الشيطان أن يحزن العبد؛ ليقطعه عن سَيره، ويوقفه عن سلوكه. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [المجادلة: ١٠] ... فالحزن ليس بمطلوب ولا مقصود ولا فيه فائدة، وقد استعاذ منه النبي ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الهم والحزن» فهو قريب الهم...وكلاهما مضعف للقلب عن السير، مُفَتِّر للعزم.اهـ "مدارج السالكين"(١/٥٠٠-٥٠١) بتصرف.



مما فات الناظم ذكره:

خُرُوجُ الرَّسُول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَى الطَّائِفِ

لَمَّا ازْدَادَتْ وَطْأَةُ قُرَيْشٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، واشْتَدَّ أَذَاهَا لَهُ بَعْدَ أَنْ صَارَ وَحِيدًا بِلَا نَصِيرٍ يَحْمِيهِ ويُؤْوِيهِ مِنَ النَّاسِ، ولَمَّا زَهِدَتْ قُرَيْشٌ فِي الإِسْلَامِ، وانْصَرَفَتْ عَنْهُ، رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي قُرَيْشٍ لَمْ تَعُدْ مُجْدِيَةً، وبَدَأَ يُفَكِّرُ بِالخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهِ نَصِيرًا، وقَبُولًا، واسْتِجَابَةً لِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَخَرَجَ إِلَى الطَّائِفِ(١) حَيْثُ تَقْطُنُ ثَقِيفٌ، يَلْتَمِسُ نُصْرَتَهُمْ، والمَنَعَةَ بِهِمْ مِنْ قَوْمِهِ.

وَقَصَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الطَّائِفَ، إِمَّا لِأَنَّهُ المَرْكَزُ الثَّانِي لِلْقُوَّةِ والسِّيَادَةِ فِي الحِجَازِ بَعْدَ مَكَّةَ، أَوْ لِأَنَّ أَخْوَالَهُ مِنْ بَنِي ثَقِيفٍ مِنْ جِهَةِ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ، فَرَأَى أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الطَّائِفِ، يَلْتَمِسُ مِنْ ثَقِيفٍ النَّصْرَ والمَنَعَةَ لَهُ مِنْ قَوْمِهِ، وكَانَ يَرْجُو أَنْ يَهْدِيَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فَيَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِهِ. خرج رَسُول اللَّهِ ﷺ لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنْ شَوَّالَ سَنَةَ عَشْرٍ مِنَ البِعْثَةِ، وَمَعَهُ مَوْلَاهُ

---

(١)الطَّائِفُ بَلْدَةٌ مَعْرُوفَةٌ بَيْنَهَا وبَيْنَ مَكَّةَ اليَوْمَ (٨٠) كيلُو مِتر تَقْرِيبًا.

زَيْدُ بنُ حَارِثَةَ[١] مَاشِيًا عَلَى الأَقْدَامِ ذَهَابًا ورُجُوعًا. فَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ عَمَدَ إِلَى نَفَرٍ مِنْ ثَقِيفٍ، هُمْ يَوْمَئِذٍ سَادَةُ ثَقِيفٍ وأَشْرَافُهُمْ، وهُمْ إِخْوَةٌ ثَلَاثَةٌ: عَبْدُ يَالِيلَ بنُ عَمْرِو بنِ عُمَيْرٍ، ومَسْعُودُ بنُ عَمْرِو بنِ عُمَيْرٍ، وحَبِيبُ بنُ عَمْرِو بنِ عُمَيْرٍ، وعِنْدَ أَحَدِهِمُ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي جُمَحٍ، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ رَسُول اللَّهِ ﷺ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وكَلَّمَهُمْ بِمَا جَاءَهُمْ لَهُ مِنْ نُصْرَتِهِ عَلَى الإِسْلَامِ، والقِيَامِ مَعَهُ عَلَى مَنْ خَالفهُ مِنْ قَوْمِهِ. فَقَال أَحَدُهُمْ: هُوَ يَمْرُطُ ثِيَابَ الكَعْبَةِ إِنْ كَانَ اللَّهُ أَرْسَلَكَ. وقَال الثَّانِي: أَمَا وَجَدَ اللَّهُ أَحَدًا يُرْسِلُهُ غَيْرَكَ؟ وَقَالَ الثَّالِثُ: وَاللَّهِ لَا أُكَلِّمُكَ أَبَدًا، لَئِنْ كُنْتَ رَسُولًا مِنَ اللَّهِ كَمَا تَقُولُ لَأَنْتَ أَعْظَمُ خَطَرًا مِنْ أَنْ أَرُدَّ عَلَيْكَ الكَلَامَ، ولَئِنْ كُنْتَ تَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أُكَلِّمَكَ...

وقَالُوا لَهُ: اخْرُجْ مِنْ بَلَدِنَا، وأَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ وعَبِيدَهُمْ، فَجَعَلُوا يَسُبُّونَهُ ويَصِيحُونَ بِهِ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، وقَعَدُوا لَهُ صَفَّيْنِ عَلَى طَرِيقِهِ، وأَخَذُوا لَا يَرْفَعُ رِجْلَيْهِ وَلَا يَضَعُهُمَا إِلَّا رَضَخُوهُمَا بِالحِجَارَةِ حَتَّى أَدْمَوْهُمَا، وهُمْ فِي ذَلِكَ يَسْتَهْزِئُونَ ويَسْخَرُونَ، وكَانَ زَيْدُ بنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقِيهِ بِنَفْسِهِ حَتَّى لَقَدْ أَصَابَهُ شِجَاجٌ فِي رَأْسِهِ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ السُّفَهَاءُ حَتَّى أَلْجَؤُوهُ إِلَى حَائِطٍ لِعُتْبَةَ وشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ الحَائِطَ رَجَعَ عَنْهُ مَنْ كَانَ يَتْبَعُهُ مِنْ سُفَهَاءَ ثَقِيفٍ، وعَمَدَ إِلَى ظِلِّ شَجَرَةٍ مِنْ عِنَبٍ، فَجَلَسَ فِيهِ هُوَ وزَيْدُ بنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ثُمَّ عَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ، وهُوَ مَهْمُومٌ ومَحْزُونٌ، فَلَمْ يَسْتَفِقْ ﷺ إِلَّا وَهُوَ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فِي الصحيحين[٢] عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلَ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قال: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى

---

(١)هذا الذي رواه ابن سعد في "طبقاته" (١٠٢/١) عن جبير بن مطعم، وذكر موسى بن عقبة، وابن إسحاق في "السيرة" (٣٢/٢) وغيرهما: أنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج وحده ماشيًا، فيمكن الجمعُ أن زيدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لحِقَهُ بعد ذلك. انظر "شرح المواهب" (٥٠/٢).

(٢) البخاري (٣٢٣١) ومسلم (١٧٩٥).

مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ(١) ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ(٢)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

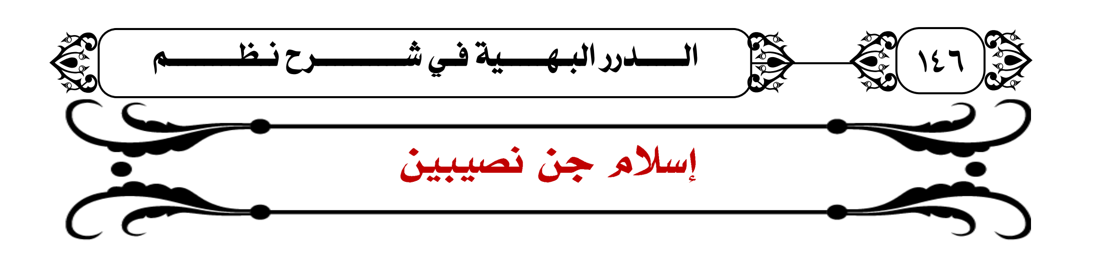
قال الحافظ في "الفتح"(٦/٣١٦): وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانُ شَفَقَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى قَوْمِهِ وَمَزِيدِ صَبْرِهِ وَحِلْمِهِ وَهُوَ مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾، وَقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.اهـ(٣)



(١)قَرْنُ الثعَالِبِ: هو مِيقَاتُ أهلِ نَجْدٍ، ويقال له: قرنُ المَنَازِلِ و يبعُدُ اليوم عن مكة (٨٠ كم) تقريبًا.

(٢)الأَخْشَبَانِ: الجَبَلَانِ المُطِيفَانِ بمكةَ، وهما أبو قُبَيْسٍ والأحمر، وهو جبل مُشرِفٌ وجهه على جبل قُعَيْقِعَان، والأخشبُ كل جبلٍ خَشِنٍ غَلِيظ الحجارة. انظر "النهاية" (٢/٣١).

(٣) "سيرة ابن هشام"(١/٤١٩)، "عيون الأثر"(١/١٥٥)، "إمتاع الأسماع" (٨/٣٠٥)، "الرحيق المختوم" (ص:١١٣)، "الموسوعة في صحيح السيرة النبوية - العهد المكي"(ص:٣٨٠)، "ما شاع ولم يثبت في السيرة" (ص:٦٥)، "الجامع الصحيح للسيرة النبوية" (٤/١٤٠٤)، "السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة" (١/١٧٨).



إسلام جن نصيبين

٣٣- وَبَعْـدَ خَمْسِـينَ وَرُبْـعٍ أَسْـلَمَا جِـنُّ نَصِـيبِينَ وعَادُوا فَاعْلَمَـا

الشرح:

يعني بعد خمسين وربع عام(ثلاثة أشهر) من مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسلم جن نصيبين[1].

وذلك في السنة الحادية عشرة من البعثة النبوية، وذلك عند منصرفه من الطائف.

قال محب الدين الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في "خلاصة سير سيد البشر" (ص: ٤٣): وَلما بلغ الْخمسين سنة وَثَلَاثَة أشهر قدمت عَلَيْهِ جن نَصِيبين فأسلموا.اهـ

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: فلما أتت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمسون سنة وثلاثة أشهر قدم عليه جن نصيبين فأسلموا.اهـ[2]

وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "جامع الأصول" (١٢/ ٩٣): وفيها- أي سنة خمسين من المولد- قدم عليه جنّ نَصِيبين بعد ثلاثة أشهر فأسلموا.اهـ

خبر قدومهم

قَالَ ابن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ: ثُمَّ إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ انْصَرَفَ مِنْ الطَّائِفِ رَاجِعًا إلَى مَكَّةَ، حِينَ يَئِسَ مِنْ خَيْرِ ثَقِيفٍ، حَتَّى إذَا كَانَ بِنَخْلَةَ[3] قَامَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ يُصَلِّي، فَمَرَّ بِهِ النَّفَرُ مِنْ الْجِنِّ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهُمْ- فِيمَا ذُكِرَ لِي- سَبْعَةُ نَفَرٍ مِنْ جِنِّ أَهْلِ نَصِيبِينَ، فَاسْتَمَعُوا لَهُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ وَلَّوْا إلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ، قَدْ آمَنُوا وَأَجَابُوا إلَى مَا سَمِعُوا. فَقَصَّ اللَّهُ خَبَرَهُمْ عَلَيْهِ ﷺ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ

---

(١)مدينة في تركيا تقع في أقصى شمال الجزيرة الفراتية على الحدود بين تركية وسورية.

(٢) "صفة الصفوة" (٣١٦/٤).

(٣)نخلة: معروفة الآن بوادي اليمانية، على طريق السيل، قريب الزيمة، وبجانبها نخلة الشامية، بينها وبين مكة المكرمة نحو (٥٠) كيلومترا.

ﭐلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ٢٩ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٠ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٣١ ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣١] وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴾ [الجن: ١] إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ مِنْ خَبَرِهِمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ.(١)

ثناء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِدَاوَةً لِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَتْبَعُهُ بِهَا، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» فَقَالَ: أَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: «ابْغِنِي أَحْجَارًا أَسْتَنْفِضْ بِهَا، وَلاَ تَأْتِنِي بِعَظْمٍ وَلاَ بِرَوْثَةٍ». فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ أَحْمِلُهَا فِي طَرَفِ ثَوْبِي، حَتَّى وَضَعْتُهَا إِلَى جَنْبِهِ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مَشَيْتُ، فَقُلْتُ: مَا بَالُ العَظْمِ وَالرَّوْثَةِ؟ قَالَ: «هُمَا مِنْ طَعَامِ الجِنِّ، وَإِنَّهُ أَتَانِي وَفْدُ جِنِّ نَصِيبِينَ، وَنِعْمَ الجِنُّ، فَسَأَلُونِي الزَّادَ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ لَهُمْ أَنْ لاَ يَمُرُّوا بِعَظْمٍ، وَلاَ بِرَوْثَةٍ إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَامًا». رواه البخاري (٣٨٦٠).

واختلف في عدتهم. فقيل: سبعة، وقيل: تسعة، وقيل: اثنى عشر، وليس في ذكر ذلك كبير فائدة.(٢)

---

(١) "سيرة ابن هشام" (٤٢١/١)

(٢) "الإشارة"(ص:١٣٤)، "دلائل النبوة" للبيهقي (٢٢٥/٢)، "عيون الأثر" (١٥٨/١)، "إمتاع الأسماع" (٧٠/٩)، "بهجة المحافل"(١٢٣/١)، "شرح الزرقاني على المواهب" (٥٦/٢)، "سبل الهدى" (٤٤٣/٢)، "السيرة الحلبية" (٥٠٤/١)، "مستعذب الإخبار" (ص:٢٢٢)،"تاريخ الإسلام" (١٩٧/١)، "سير أعلام النبلاء" (٢٤٠/١)، "الموسوعة في صحيح السيرة النبوية- العهد المكي"(ص:٤٧٩)، "المصباح المضي" (٢٦/١)، "ألفية السيرة النبوية" (ص:٦٤).

زواجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسودة وعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا

٣٤- ثُـمَّ عَلَى سَـوْدَةَ أَمْضَـى عَقْـدَهْ فِي رَمَضَـــانَ ثُـــمَّ كَانَ بَعْـــدَهْ

٣٥- عَقْـدُ ابْنَـةِ الصِّـدِّيقِ فِي شَـوَّالِ

الشرح:

أي بعد موت خديجة بفترة يسيرة بأيام، وفي شهر رمضان من السنة العاشرة من البعثة تزوج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سودة بنت زمعة، ومن نفس العام في شوال عقد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عائشة بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، وهذا قول أكثر أهل السير.

وقيل: كان عقده عليهما معا في شوال[١]. وقيل: تزوج سودة بعد موت خديجة بسنة، قبل الهجرة بأربع سنين[٢].

الخلاف في أيهما تزوج صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل: سودة أم عائشة؟

في المسألة قولان[٣]:

الأول: أنه تزوج سودة قبل عائشة، وهو قول ابن إسحاق وقتادة وأبي عبيدة وابن قتيبة والزهري.

الثاني: أنه تزوج عائشة قبل سودة، وهو قول عبد الله بن محمد بن عقيل[٤].

---

(١)قاله الدمياطي في "سيرته" ونقله الزرقاني عنه في "شرح المواهب" (٤٩/٢)، وقاله الدَّيار بَكري في تاريخ "الخميس" (٣٠٥/١).

(٢)ذكره ابن جماعة في "المختصر الكبير" (ص٩٢). وانظر: "السيرة الحلبية" (٤٩٠/١)، و"تاريخ الطبري" (٦٠٠/١١)، و"المنتظم" لابن الجوزي (٢٧٦/٥)، و"تاريخ الإسلام" (٢٨٨/٣).

(٣) "تهذيب الأسماء واللغات" (٣٤٨/٢).

(٤)واختاره ابن حجر في "الفتح" (٣١٢/٩) والصالحي في "سبل الهدى" (١٩٨/١١) والحسين المغربي في "البدر التمام" (٣٤٧/٧).

قال القسطلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وتزوجها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة بعد موت خديجة قبل أن يعقد على عائشة، هذا قول قتادة وأبي عبيدة، ولم يذكر ابن قتيبة غيره[١]، ويقال: تزوجها بعد عائشة. ويجمع بين القولين بأنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عقد على عائشة قبل سودة، ودخل بسودة قبل عائشة، والتزويج يطلق على كل منهما.اهـ[٢]

وقال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الفقهاء يقولون: تزوج عائشة قبل سودة، والمحدثون يقولون: تزوج سودة قبل عائشة. وقد يجمع بينهما بأنه عقد على عائشة ولم يدخل بها، ودخل بسودة.اهـ[٣]

وقال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الزهري: تزوجها قبل عائشة وهو بمكة، وبنى بها وهو بمكة أيضًا. وقال غيره: تزوج عائشة قبلها، وإنما بنى بسودة قبل عائشة لصغر عائشة.اهـ[٤]

وقال الصالحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال ابن كثير: والصحيح أن عائشة عقد عليها قبل سودة، ولم يدخل بعائشة إلا في السنة الثانية من الهجرة، وأما سودة فإنه دخل بها بمكة. وسبقه إلى ذلك أبو نعيم، وجزم به الجمهور ومنهم: قتادة وأبو عبيدة معمر بن المثنى والزهري في رواية عقيل، وقال عبد الله بن محمد بن محمد بن عقيل: تزوجها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد عائشة. روى القولان عن ابن شهاب. اهـ[٥]

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأكثر الروايات أنه تزوجها قبل عائشة، وفي بعض الروايات أنه تزوج عائشة ثم سودة، وهذا الحديث يؤكده، إلا أنه إنما بنى بعائشة بالمدينة، فيحتمل أن يكون عقد على سودة ثم على عائشة، وبنى بسودة بمكة لأن عائشة كانت صغيرة حينئذ.اهـ[٦]

---

(١) وبه قال الزهري كما في "تاريخ الخميس" (٣٠٥/١).

(٢) "المواهب اللدنية" (٤٩٥/١)

(٣) "التوضيح" لابن الملقن (٥٩٨/١٥)، "والفتح" (٢٢٥/٧).

(٤) "أسد الغابة" (٤٠/١).

(٥) "سبل الهدى" (١٩٨/١١)

(٦) "كشف المشكل" (٣٢٠/٤).





الترجيح:

الراجح أنه عقد على عائشة أولًا ثم على سودة، ودخل على سودة قبل عائشة بالاتفاق في مسألة الدخول بها[١] ويدل على ذلك حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قال الإمام أحمد في "مسنده"(٢٥٧٦٩) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ، وَيَحْيَى، قَالَا: لَمَّا هَلَكَتْ خَدِيجَةُ، جَاءَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَزَوَّجُ؟ قَالَ: «مَنْ؟» قَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكْرًا، وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا؟ قَالَ: «فَمَنِ الْبِكْرُ؟» قَالَتْ: ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْكَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: «وَمَنِ الثَّيِّبُ؟» قَالَتْ: سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ، آمَنَتْ بِكَ، وَاتَّبَعَتْكَ عَلَى مَا تَقُولُ. قَالَ: «فَاذْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ» ، فَدَخَلَتْ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أُمَّ رُومَانَ مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟ قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَتْ: انْتَظِرِي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى يَأْتِيَ، فَجَاءَ أَبُوبَكْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَ: وَهَلْ تَصْلُحُ لَهُ؟ إِنَّمَا هِيَ ابْنَةُ أَخِيهِ ، فَرَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: " ارْجِعِي إِلَيْهِ فَقُولِي لَهُ: «أَنَا أَخُوكَ، وَأَنْتَ أَخِي فِي الْإِسْلَامِ، وَابْنَتُكَ تَصْلُحُ لِي» ، فَرَجَعَتْ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: انْتَظِرِي وَخَرَجَ، قَالَتْ أُمُّ رُومَانَ: إِنَّ مُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ قَدْ كَانَ ذَكَرَهَا عَلَى ابْنِهِ، فَوَاللَّهِ مَا وَعَدَ وَعْدًا قَطُّ، فَأَخْلَفَهُ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ وَعِنْدَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ الْفَتَى، فَقَالَتْ يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ لَعَلَّكَ مُصْبِئُ صَاحِبَنَا مُدْخِلُهُ فِي دِينِكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، إِنْ تَزَوَّجَ إِلَيْكَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ: أَقَوْلُ هَذِهِ تَقُولُ، قَالَ: إِنَّهَا تَقُولُ ذَلِكَ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، وَقَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مِنْ عِدَتِهِ الَّتِي وَعَدَهُ فَرَجَعَ، فَقَالَ لِخَوْلَةَ: ادْعِي لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَتْهُ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ وَعَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، ثُمَّ خَرَجَتْ فَدَخَلَتْ عَلَى سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، فَقَالَتْ: مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكِ مِنَ الْخَيْرِ

---

(١) كما ذكر ابن الجوزي في "كشف المشكل" (٣٢٠/٤).

وَالْبَرَكَةِ؟ قَالَتْ: مَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخْطُبُكِ عَلَيْهِ، قَالَتْ: وَدِدْتُ ادْخُلِي إِلَى أَبِي فَاذْكُرِي ذَاكَ لَهُ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا، قَدْ أَدْرَكَتْهُ السِّنُّ، قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ الْحَجِّ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ، فَحَيَّتْهُ بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ فَقَالَتْ: خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ، قَالَ: فَمَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَخْطُبُ عَلَيْهِ سَوْدَةَ، قَالَ: كُفْءٌ كَرِيمٌ، مَاذَا تَقُولُ صَاحِبَتُكِ؟ قَالَتْ: تُحِبُّ ذَاكَ، قَالَ: ادْعُهَا لِي فَدَعَتْهَا، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّةُ إِنَّ هَذِهِ تَزْعُمُ أَنَّ مُحَمَّدَ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَرْسَلَ يَخْطُبُكِ، وَهُوَ كُفْءٌ كَرِيمٌ، أَتُحِبِّينَ أَنْ أُزَوِّجَكِ بِهِ، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: ادْعِيهِ لِي، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ، فَجَاءَهَا أَخُوهَا عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ مِنَ الْحَجِّ، فَجَعَلَ يَحْثِي عَلَى رَأْسِهِ التُّرَابَ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ: لَعَمْرُكَ إِنِّي لَسَفِيهٌ يَوْمَ أَحْثِي فِي رَأْسِي التُّرَابَ أَنْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ مِنَ الْخَزْرَجِ فِي السُّنْحِ، قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ بَيْتَنَا وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَنِسَاءٌ فَجَاءَتْ بِي أُمِّي وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ بَيْنَ عَذْقَيْنِ تَرْجَحُ بِي، فَأَنْزَلَتْنِي مِنَ الْأُرْجُوحَةِ، وَلِي جُمَيْمَةٌ فَفَرَقَتْهَا، وَمَسَحَتْ وَجْهِي بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ تَقُودُنِي حَتَّى وَقَفَتْ بِي عِنْدَ الْبَابِ، وَإِنِّي لَأَنْهَجُ حَتَّى سَكَنَ مِنْ نَفْسِي، ثُمَّ دَخَلَتْ بِي فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرٍ فِي بَيْتِنَا، وَعِنْدَهُ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَجْلَسَتْنِي فِي حِجْرِهِ، ثُمَّ قَالَتْ: هَؤُلَاءِ أَهْلُكِ فَبَارَكَ اللَّهُ لَكِ فِيهِمْ، وَبَارَكَ لَهُمْ فِيكِ، فَوَثَبَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، فَخَرَجُوا وَبَنَى بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِنَا، مَا نُحِرَتْ عَلَيَّ جَزُورٌ، وَلَا ذُبِحَتْ عَلَيَّ شَاةٌ، حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بِجَفْنَةٍ كَانَ يُرْسِلُ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَارَ إِلَى نِسَائِهِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي شَوَّالٍ، وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ، فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي؟». صحيح مسلم (١٤٢٣)

فمن مجموع الحديثين يتبين ما يلي:

١) أن شهر عقد سودة وعائشة كان شهرًا واحدًا وهو شوال.

٢) أن العقد بعائشة كان قبل العقد بسودة رضي الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أم المؤمنين سودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

هي أم الأسود سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر القرشية العامرية.كانت عند ابن عمها السكران ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أسلم قديما، وهاجر بها إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، ثم رجع بها إلى مكة، فمات بها قبل الهجرة. وقيل أنه مات بالحبشة. فلما حلت تزوجها النبي ﷺ وأصدقها أربعمائة درهم، وهي أول من دخل بها بعد خديجة، وانفردت به نحوا من ثلاث سنين أو أكثر، وكانت سيدة جليلة نبيلة، توفيت في آخر خلافة عمر بالمدينة في شوال سنة أربع وخمسين(١).

من مناقبها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

١) شدة اتباعها لأمر النبي ﷺ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِنِسَائِهِ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «هَذِهِ، ثُمَّ ظُهُورَ الْحُصْرِ»(٢)، قَالَ: فَكُنَّ كُلُّهُنَّ يَحْجُجْنَ إِلَّا زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، وَسَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ، وَكَانَتَا تَقُولَانِ: وَاللهِ لَا تُحَرِّكُنَا دَابَّةٌ بَعْدَ أَنْ سَمِعْنَا ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ(٣).

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "جامع الأصول"(٤٣٨/٣): (ظهور الحصر): كناية عن لزوم البيت وترك الخروج.اهـ

---

(١) "تاريخ الإسلام" (٢٨٨/٣).

(٢)أي: لا تَعُدْن تخرجن من بيوتكن وتلزمن الحصر، وهي جمع الحصير الذي يُبسط في البيوت. "النهاية" (٣٨٠/١)، وانظر: "نصب الراية" (٤/٣)

(٣)أخرجه الإمام أحمد (٢٦٧٥١)، وأبو يعلى (٧١٥٤)، وهو في "الصحيحة" (٢٤٠١).

٢) حرصها على البقاء في عصمة النبي ﷺ

فجعلت يومها لعائشة؛ إيثارًا منها لرضاه، وحبًّا في البقاء معه؛ لتكون من أزواجه في الدنيا والآخرة. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، وَكَانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا، غَيْرَ أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، تَبْتَغِي بِذَلِكَ رِضَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ». صحيح البخاري (٢٥٩٣)

وعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «يَا ابْنَ أُخْتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُفَضِّلُ بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْقَسْمِ، مِنْ مُكْثِهِ عِنْدَنَا، وَكَانَ قَلَّ يَوْمٌ إِلَّا وَهُوَ يَطُوفُ عَلَيْنَا جَمِيعًا، فَيَدْنُو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيسٍ، حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى الَّتِي هُوَ يَوْمُهَا فَيَبِيتَ عِنْدَهَا» وَلَقَدْ قَالَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ: حِينَ أَسَنَّتْ وَفَرِقَتْ أَنْ يُفَارِقَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَوْمِي لِعَائِشَةَ، فَقَبِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا، قَالَتْ: نَقُولُ فِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى وَفِي أَشْبَاهِهَا أُرَاهُ قَالَ: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾[النساء: ١٢٨]. أخرجه أبو داود (٢١٣٥) وصححه الألباني في "صحيح سنن أبي داود" (١٨٥٢)، وشيخنا الوادعي في "الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين" (٩٥/٣)(١٨١٠)

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: خشيت سودة أن يطلقها النبي ﷺ فقالت: لا تطلقني وأمسكني، واجعل يومي لعائشة. ففعل. فنزلت: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [النساء: ١٢٨] فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز. رواه الترمذي(٣٠٤٠)، وحسنه الحافظ في "الإصابة"(٣٣٠/٤)، والألباني في "الصحيحة" (٤٦٧/٣).

قال ابن القيم في "جلاء الأفهام"(٢٣٧):وهذا من خواصها: أنها آثرت بيومها حب النبي ﷺ تقربا إلى رسول الله ﷺ، وحبا له وإيثارا لمقامها معه، فكان يقسم لنسائه ولا يقسم لها، وهي راضية بذلك مؤثرة لرضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.اهـ



٣) حسن هديها وطريقتها وسمتها

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي مِسْلَاخِهَا[١] مِنْ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، مِنِ امْرَأَةٍ فِيهَا حِدَّةٌ، قَالَتْ: فَلَمَّا كَبِرَتْ، جَعَلَتْ يَوْمَهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعَائِشَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ جَعَلْتُ يَوْمِي مِنْكَ لِعَائِشَةَ، «فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، يَقْسِمُ لِعَائِشَةَ يَوْمَيْنِ، يَوْمَهَا وَيَوْمَ سَوْدَةَ». مسلم (١٤٦٣)

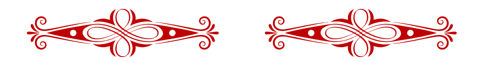
والمعنى: ليس هناك امرأة أحب أن أعمل عملها أكثر من سودة، فأحب أن أكون في مثل هديها وطريقتها. وقولها: (من امرأة فيها حدة) تعني: أنها كانت حادة الذهن والذكاء وقوة القريحة وضبط النفس. وهذا ما عُرِف من تاريخها: أنها كانت غير معروفة بسرعة الغضب، ومن دلائل قوة قريحتها وذكائها تنازلها عن يومها لعائشة، وهذا غاية في حسن التصرف والتسامح والحكمة[٢].

قال النووي في "شرح مسلم" (١٠/ ٤٨٠): المسلاخ هو الجلد. ومعناه أن أكون أنا هي. اهـ

وقال السنوسي: تمنت أن تكون على مثل حالها في الأوصاف التي استحسنت منها؛ لأنها كانت حديدة القلب حازمة الرأي مع عقل ودين. اهـ [٣]

قال الإمام الذهبي في "تاريخ الإسلام" (٣/٢٨٨): كانت سودة من سادات النساء.اهـ

وقال ابن كثير في "البداية والنهاية" (٨/٧٧): وكانت ذات عبادة وورع وزهادة.اهـ

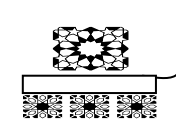
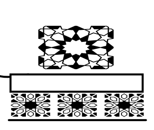


---

(١)مسلاخها: أي في جلدها. وحقيقة ذلك أن تكون هي؛ لأن أحدا لا يكون في جلد غيره ولا في غير جلده. وقيل: مسلاخ الإنسان: ثيابه. "إكمال المعلم" (٤/٦٦٦)، "كشف المشكل" (٤/٣٢٠).

(٢)بتصرف من "فتح المنعم بشرح صحيح مسلم" (٦/٢٨). وانظر: "كشف المشكل" (٤/٣٢٠)، "النهاية" لابن الأثير (٢/٣٨٩)، "شرح مسلم" للنووي (١٠/٣٠٢).

(٣) "الكوكب الوهاج" (١٦/١٢٣).

أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

هي أم المؤمنين أم عبدالله عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.

ولادتها: ولدت في مكة قبل الهجرة بسبع سنوات، ونشأت نشأة عظيمة في أعظم بيتين الأول بيت أبيها تسع سنوات ثم تسع سنوات في بيت النبوة، وهذه النشأة لا شك أنها نشأة عظيمة على الصلاح والتقى.تزوجها النبي ﷺ بمكة فعقد عليها وهي بنت ست سنين ودخل بها في المدينة وهي بنت تسع.

من فضائل أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

١) اختيار الله عز وجل لها لتكون زوج نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقد كان زواجها من الرسول ﷺ مسبوقًا برؤيا ووحي واختيار من الله عز وجل.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، جَاءَنِي بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكِ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ، فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، يُمْضِهِ». رواه مسلم بهذا اللفظ (٢٤٣٨) ورواه البخاري (٧٠١٢) بلفظ: «أُرِيتُكِ قَبْلَ أَنْ أَتَزَوَّجَكِ مَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُ المَلَكَ يَحْمِلُكِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَقُلْتُ لَهُ: اكْشِفْ، فَكَشَفَ فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَقُلْتُ: إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ، ثُمَّ أُرِيتُكِ يَحْمِلُكِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَقُلْتُ: اكْشِفْ، فَكَشَفَ، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَقُلْتُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ».

٢) محبة الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لها

وأدلة ذلك كثيرة منها: عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ:«عَائِشَةُ»،

فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ» فَعَدَّ رِجَالًا.
متفق عليه [البخاري ٣٦٦٢) ومسلم (٢٣٨٤)].

قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "سير أعلام النبلاء" (٢/١٤٢): وَمَا كَانَ -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- لِيُحِبَّ إِلاَّ طَيِّباً، وَقَدْ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيْلاً مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيْلاً، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ» ، فَأَحَبَّ أَفْضَلَ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِهِ، وَأَفْضَلَ امْرَأَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَمَنْ أَبْغَضَ حَبِيْبَيْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ فَهُوَ حَرِيٌّ أَنْ يَكُوْنَ بَغِيْضاً إِلَى اللهِ وَرَسُوْلِهِ، وَحُبُّهُ -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- لِعَائِشَةَ كَانَ أَمْراً مُسْتَفِيْضاً.اهـ

وعن عروة قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَقُلْنَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ، وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، وَإِنَّا نُرِيدُ الخَيْرَ كَمَا تُرِيدُهُ عَائِشَةُ، فَمُرِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ، أَوْ حَيْثُ مَا دَارَ، قَالَتْ: فَذَكَرَتْ ذَلِكَ أُمُّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَاكَ فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ لاَ تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا». صحيح البخاري (٣٧٧٥)

الشاهد: ما نزل الوحي على النبي ﷺ وهو في لحاف امرأة غيرها.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السير" (٢/١٤٣): وَهَذَا الجَوَابُ مِنْهُ دَالٌّ عَلَى أَنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى سَائِرِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ بِأَمْرٍ إِلَهِيٍّ وَرَاءَ حُبِّهِ لَهَا، وَأَنَّ ذَلِكَ الأَمْرَ مِنْ أَسْبَابِ حُبِّهِ لَهَا.اهـ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «يَا عَائِشَةُ هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلاَمَ»، فَقَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، تَرَى مَا لاَ أَرَى، تُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ. متفق عليه [البخاري(٣٢١٧) مسلم(٢٤٤٧)]

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "شرح مسلم"(١٥/٢٢١): وفي هذا الحديث فضيلة ظاهرة لعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا.اهـ

ومن علامات حبه ﷺ لها أنه كان يشرب ويأكل من موضع فيها:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ،

فَيَشْرَبُ، وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ(١) وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ». صحيح مسلم(٣٠٠)

ومن دلائل ذلك أيضا حبه أن يمرض ويموت في بيتها

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْأَلُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، يَقُولُ: «أَيْنَ أَنَا غَدًا، أَيْنَ أَنَا غَدًا» يُرِيدُ يَوْمَ عَائِشَةَ، فَأَذِنَ لَهُ أَزْوَاجُهُ يَكُونُ حَيْثُ شَاءَ، فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ حَتَّى مَاتَ عِنْدَهَا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَاتَ فِي اليَوْمِ الَّذِي كَانَ يَدُورُ عَلَيَّ فِيهِ، فِي بَيْتِي، فَقَبَضَهُ اللَّهُ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَبَيْنَ نَحْرِي وَسَحْرِي، وَخَالَطَ رِيقُهُ رِيقِي، ثُمَّ قَالَتْ: دَخَلَ عَبْدُالرَّحْمَنِ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمَعَهُ سِوَاكٌ يَسْتَنُّ بِهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ لَهُ: أَعْطِنِي هَذَا السِّوَاكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَأَعْطَانِيهِ، فَقَضِمْتُهُ، ثُمَّ مَضَغْتُهُ، فَأَعْطَيْتُهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَنَّ بِهِ، وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى صَدْرِي. متفق عليه [البخاري (٤٤٥٠) ومسلم (٢٤٤٣)]

وفي رواية قَالَتْ: تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَكَانَتْ إِحْدَانَا تُعَوِّذُهُ بِدُعَاءٍ إِذَا مَرِضَ، فَذَهَبْتُ أُعَوِّذُهُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ: «فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى، فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى»، وَمَرَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَفِي يَدِهِ جَرِيدَةٌ رَطْبَةٌ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُ بِهَا حَاجَةً، فَأَخَذْتُهَا، فَمَضَغْتُ رَأْسَهَا، وَنَفَضْتُهَا، فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ، فَاسْتَنَّ بِهَا كَأَحْسَنِ مَا كَانَ مُسْتَنًّا، ثُمَّ نَاوَلَنِيهَا، فَسَقَطَتْ يَدُهُ، أَوْ: سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ، فَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الآخِرَةِ. صحيح البخاري (٤٤٥١)

٣) شهادة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها أنها زوجته في الدنيا والآخرة

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ مِنْ أَزْوَاجِكَ فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «أَمَا إِنَّكِ مِنْهُنَّ» قَالَتْ: فَخُيِّلَ لِي أَنَّ ذَاكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرِي. أخرجه الحاكم (٦٧٤٣) وابن حبان (٧٠٩٦) وصححه الألباني في "الصحيحة"(٣/١٣٣)

وعن سَعِيدِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: حَدَّثَتْنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ

---

(١) العرق: هو العظم الذي عليه بقية من لحم.



فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: فَتَكَلَّمْتُ أَنَا فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي زَوْجَتِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟» قُلْتُ: بَلَى وَاللَّهِ، قَالَ: «فَأَنْتِ زَوْجَتِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» أخرجه الحاكم (٦٧٢٩) و ابن حبان (٧٠٩٥) وهو في "الصحيحة"(٢٢٥٥)

وقد أجمع الصحابة على ذلك لا خلاف بينهم ومما يدل على الإجماع:

عَنِ الحَكَمِ، سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ، قَالَ: لَمَّا بَعَثَ عَلِيٌّ، عَمَّارًا، وَالحَسَنَ إِلَى الكُوفَةِ لِيَسْتَنْفِرَهُمْ خَطَبَ عَمَّارٌ فَقَالَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهَا زَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ابْتَلاَكُمْ لِتَتَّبِعُوهُ أَوْ إِيَّاهَا». صحيح البخاري (٣٧٧٢)

الشاهد: أن عمارا خطب بهذا أمام الصحابة ولم ينكر عليه أو يرد قوله ذلك أحد فكان إجماعًا.

وعَنِ القَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَنَّ عَائِشَةَ اشْتَكَتْ، فَجَاءَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: «يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ تَقْدَمِينَ عَلَى فَرَطِ صِدْقٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى أَبِي بَكْرٍ». صحيح البخاري (٣٧٧١)

٤) كانت عابدة قانتة همها الآخرة راغبة عن الدنيا

عن عبد الله بن أبي قيس[١] قال: أرسلني مُدرِك إلى عائشة أسألها عن أشياء. قال : فأتيتها فإذا هي تصلي الضحى. فقلت: أقعد حتى تفرغ. فقالوا: هيهات. فانتظر ثم سألها بعض الأسئلة ثم قال: وقالت: عليكم بقيام الليل، فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه، فإن مرض قرأ وهو قاعد، وقد عرفت أن أحدكم يقول: بحسبي أن أقيم ما كُتب لي. وأنى له ذلك[٢].

وقولهم: (هيهات): أي بعد ذلك؛ لتطويلها الضحى. وهذا يدل على كثرة صلاتها وقيامها في الليل والنهار.

وعن القاسم بن محمد: أن عائشة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت تصوم الدهر ولا تفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطر. وفي رواية: أنها كانت تسرد الصوم[٣]

---

(١)هذا الصواب، وقيل عبد الله بن أبي موسى، وهو وهم من شعبة. انظر "المسند الجامع" (٦٨٧/١٩).

(٢)رواه الإمام أحمد (٢٤٩٤٥). قال الهيثمي في "المجمع" (٤٤/٨): رجاله رجال الصحيح.اهـ

(٣)أخرجه ابن سعد في "الطبقات" (٥٤/٨، ٥٩). ورجاله ثقات.

ولما خُيِّرَ أزواج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بُدِئَ بها، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة.

عن عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا أُمِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَخْيِيرِ أَزْوَاجِهِ، بَدَأَ بِي، فَقَالَ: «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا، فَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ»، قَالَتْ: قَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا لِيَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ، قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٨ – ٢٩] قَالَتْ: فَقُلْتُ: فِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ فَعَلَ أَزْوَاجُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ. متفق عليه [خ (٤٧٨٦) م(١٤٧٥)]

وعَنْها قَالَتْ: «مَا شَبِعْتُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ طَعَامٍ إِلَّا وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِيَ لَبَكَيْتُ مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ حَتَّى قُبِضَ». أخرجه أبو نعيم في "حلية الأولياء" (٤٦/٢) وهو حسن لغيره كما في "المنيحة بسلسلة الأحاديث الصحيحة" (٤٠٣/١)

٥) كريمة، سخية، جوادة

لا يكاد يقر مال بيدها حتى تنفقه على الفقراء والمساكين.

قال الإمام الذهبي في "السير" (١٩٨/٢): كانت أم المؤمنين من أكرم أهل زمانها، ولها في السخاء أخبار.اهـ

قلت: ومن هذه الأخبار:

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ أَحَبَّ البَشَرِ إِلَى عَائِشَةَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِهَا، وَكَانَتْ لاَ تُمْسِكُ شَيْئًا مِمَّا جَاءَهَا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ إِلَّا تَصَدَّقَتْ، فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: يَنْبَغِي أَنْ يُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهَا، فَقَالَتْ: «أَيُؤْخَذُ عَلَى يَدَيَّ، عَلَيَّ نَذْرٌ إِنْ كَلَّمْتُهُ»، فَاسْتَشْفَعَ إِلَيْهَا بِرِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَبِأَخْوَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً فَامْتَنَعَتْ، فَقَالَ لَهُ الزُّهْرِيُّونَ أَخْوَالُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْهُمْ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ، وَالمِسْوَرُ ابْنُ مَخْرَمَةَ: إِذَا اسْتَأْذَنَّا فَاقْتَحِمُ الحِجَابَ، فَفَعَلَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا بِعَشْرِ رِقَابٍ فَأَعْتَقَتْهُمْ، ثُمَّ لَمْ

تَزَلْ تُعْتِقُهُمْ حَتَّى بَلَغَتْ أَرْبَعِينَ، فَقَالَتْ: «وَدِدْتُ أَنِّي جَعَلْتُ حِينَ حَلَفْتُ عَمَلًا أَعْمَلُهُ فَأَفْرُغُ مِنْهُ». صحيح البخاري (٣٥٠٥)

وفي رواية له (٦٠٧٣) عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَوْفُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الطُّفَيْلِ هُوَ ابْنُ الحَارِثِ، - وَهُوَ ابْنُ أَخِي عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ لِأُمِّهَا - أَنَّ عَائِشَةَ، حُدِّثَتْ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ قَالَ: فِي بَيْعٍ أَوْ عَطَاءٍ أَعْطَتْهُ عَائِشَةُ: وَاللَّهِ لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ أَوْ لَأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: أَهُوَ قَالَ هَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَتْ: هُوَ لِلَّهِ عَلَيَّ نَذْرٌ، أَنْ لاَ أُكَلِّمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَبَدًا. فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا، حِينَ طَالَتِ الهِجْرَةُ، فَقَالَتْ: لاَ وَاللَّهِ لاَ أُشَفِّعُ فِيهِ أَبَدًا، وَلاَ أَتَحَنَّثُ إِلَى نَذْرِي. فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، كَلَّمَ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِيَغُوثَ، وَهُمَا مِنْ بَنِي زُهْرَةَ، وَقَالَ لَهُمَا: أَنْشُدُكُمَا بِاللَّهِ لَمَّا أَدْخَلْتُمَانِي عَلَى عَائِشَةَ، فَإِنَّهَا لاَ يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَنْذِرَ قَطِيعَتِي. فَأَقْبَلَ بِهِ المِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ مُشْتَمِلَيْنِ بِأَرْدِيَتِهِمَا، حَتَّى اسْتَأْذَنَا عَلَى عَائِشَةَ، فَقَالاَ: السَّلاَمُ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ أَنَدْخُلُ؟ قَالَتْ عَائِشَةُ: ادْخُلُوا، قَالُوا: كُلُّنَا؟ قَالَتْ: نَعَمِ، ادْخُلُوا كُلُّكُمْ، وَلاَ تَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُمَا ابْنَ الزُّبَيْرِ، فَلَمَّا دَخَلُوا دَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الحِجَابَ، فَاعْتَنَقَ عَائِشَةَ وَطَفِقَ يُنَاشِدُهَا وَيَبْكِي، وَطَفِقَ المِسْوَرُ وَعَبْدُالرَّحْمَنِ يُنَاشِدَانِهَا إِلَّا مَا كَلَّمَتْهُ، وَقَبِلَتْ مِنْهُ، وَيَقُولاَنِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَمَّا قَدْ عَلِمْتِ مِنَ الهِجْرَةِ، فَإِنَّهُ: «لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ» فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَى عَائِشَةَ مِنَ التَّذْكِرَةِ وَالتَّحْرِيجِ، طَفِقَتْ تُذَكِّرُهُمَا نَذْرَهَا وَتَبْكِي وَتَقُولُ: إِنِّي نَذَرْتُ، وَالنَّذْرُ شَدِيدٌ، فَلَمْ يَزَالاَ بِهَا حَتَّى كَلَّمَتْ ابْنَ الزُّبَيْرِ، وَأَعْتَقَتْ فِي نَذْرِهَا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَةً، وَكَانَتْ تَذْكُرُ نَذْرَهَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَتَبْكِي حَتَّى تَبُلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا.

وعن عروة بن الزبير قال: رأيتها تَصدَّق بسبعين ألفا، وإنها لتُرَقِّع جانب درعها[1].

وعَنْ أُمِّ ذَرَّةَ، وَكَانَتْ تَغْشَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: بُعِثَ إِلَيْهَا بِمَالٍ فِي غِرَارَتَيْنِ قَالَتْ: أُرَاهُ ثَمَانِينَ أَوْ مِائَةَ أَلْفٍ فَدَعَتْ بِطَبَقٍ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ صَائِمَةٌ فَجَلَسَتْ تُقْسِمُ بَيْنَ النَّاسِ فَأَمْسَتْ

---

(١)أخرجه ابن سعد في "الطبقات" (٥٣/٨)، وأبو نعيم في "الحلية" (٤٧/٢)، وصححه الذهبي في "السير" (١٨٦/٢).

وَمَا عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ دِرْهَمٌ فَلَمَّا أَمْسَتْ قَالَتْ: «يَا جَارِيَةُ هَلُمِّي فِطْرِي» فَجَاءَتْهَا بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ فَقَالَتْ لَهَا أُمُّ ذَرَّةَ: أَمَا اسْتَطَعْتِ مِمَّا قَسَمْتِ الْيَوْمَ أَنْ تَشْتَرِي لَنَا لَحْمًا بِدِرْهَمٍ نُفْطِرُ عَلَيْهِ قَالَتْ: «لَا تُعَنِّفِينِي لَوْ كُنْتِ ذَكَّرْتِينِي لَفَعَلْتُ»[١].

(٦) مباركة لم ينزل بها أمر إلا جعل الله لها منه مخرجا، وللمسلمين بركة

مثال ذلك: آية التيمم: نزلت بسببها فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ أَوْ بِذَاتِ الجَيْشِ انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي، فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى التِمَاسِهِ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، فَأَتَى النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَقَالُوا: أَلاَ تَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ؟ أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسِ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخِذِي قَدْ نَامَ، فَقَالَ: حَبَسْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسَ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي، فَلاَ يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَخِذِي، «فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا»، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الحُضَيْرِ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: فَبَعَثْنَا البَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ، فَأَصَبْنَا العِقْدَ تَحْتَهُ. متفق عليه [خ(٣٣٤)م (٣٦٧)]

وفي رواية عنها: أَنَّهَا اسْتَعَارَتْ مِنْ أَسْمَاءَ قِلاَدَةً فَهَلَكَتْ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي طَلَبِهَا، فَأَدْرَكَتْهُمُ الصَّلاَةُ، فَصَلَّوْا بِغَيْرِ وُضُوءٍ، فَلَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ شَكَوْا ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ آيَةُ التَّيَمُّمِ فَقَالَ: أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: جَزَاكِ اللَّهُ خَيْرًا، فَوَاللَّهِ مَا نَزَلَ بِكِ أَمْرٌ قَطُّ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ لَكِ مِنْهُ مَخْرَجًا، وَجَعَلَ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ بَرَكَةً. متفق عليه [البخاري (٣٧٧٣) مسلم (٣٦٧)]

- **ومن ذلك أيضا: حادثة الإفك:** فإنها قد عادت عليها وعلى المسلمين بالخيرات والبركات. كما أثبت ذلك الله سبحانه وتعالى في كتابه حيث قال: ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [النور: ١١]، ومن ثمار وفوائد هذه الحادثة:

---

(١) أخرجه ابن سعد في "الطبقات" (٥٣/٨)، وأبو نعيم في "الحلية" (٤٧/٢)، ورجاله ثقات.

١) أظهرت فضل عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا وذلك بتبرئتها بقرآن يُتلى إلى قيام الساعة.

٢) الابتلاء فيه رفع الدرجات والأجر العظيم، حيث ابتلى الله رسوله ﷺ كما ابتلى عائشة وصفوان بن المعطل، رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا فخرجوا من البلاء كالذهب الخالص.

٣) تعلم المؤمنين الكثير من الآداب السامية، ومنها: الحرص على سمعة المؤمنين، وحسن الظن بهم، ووجوب التثبت من الأقوال قبل نشرها، والنهي عن إشاعة الفاحشة بين المؤمنين، والحث على النفقة على الأقارب وإن أساءوا.

٤) بيان فضل الله على المؤمنين، ورأفته بهم، وغيرته عليهم، ودفاعه عنهم.

٥) أثبتت بشرية الرسول ﷺ وأنه لا يعلم الغيب، حيث عاش شهرا كاملا وهو لا يعلم شيئا عن حقيقة الأمر.

٦) أن هذه المحنة أظهرت المنافقين المندسين في صفوف المؤمنين.

٧) أن دعاة الإسلام مستهدفون، ومعرضون للاتهام والطعن من الناقمين والحاقدين. ومثل ذلك أيضا: مريم، ويوسف عليهما السلام[1].

٧) وجوب محبتها على كل أحد

عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت: أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِي فِي مِرْطِي، فَأَذِنَ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، وَأَنَا سَاكِتَةٌ، قَالَتْ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيْ بُنَيَّةُ أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ؟» فَقَالَتْ: بَلَى، قَالَ «فَأَحِبِّي هَذِهِ». رواه مسلم (٢٤٤٢).

٨) هي أفضل نساء الأمة بعد خديجة وفاطمة رضي الله عنهن

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ

---

(١)انظر: "إجلاء الحقيقة في سيرة عائشة الصديقة" (ص١٨٣ وما بعدها).

الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ». متفق عليه [البخاري (٣٤١١) مسلم (٢٤٣١)].

٩) دفاع الله عز وجل عنها ونزول آيات تتلى في شأنها وبراءتها مما رماها به أهل الإفك والبهتان

قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٣ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ١٦ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٢٠ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ٢٥



ﭐلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾ [النور: ١١ – ٢٦].

حتى استصغرت نفسها أن ينزل في شأنها قرآنا رضي الله عنها وأرضاها، ويكفيها بهذا شرفا وفضلا.- وسيأتي الحديث في موضعه عن هذه الحادثة إن شاء الله-.

قال الإمام الذهبي في "تذهيب تهذيب الكمال" (١٥٧/١١): ولو لَمْ يكن لها من الشرف إلَّا نزول براءتها في القرآن العظيم لكفاها ذلك.اهـ

١٠) سعة علمها

هي أعلم امرأة في هذه الأمة على الإطلاق، ولم تكن مكانتها العلمية وتفوقها العلمي أرفع وأسمى من عامة النساء فحسب، بل لا نحسبها قصرت عن شأو واحد من معاصريها بين الرجال والنساء على السواء في سرعة الفهم وقدرة التحصيل. والذكاء المتوقد والبديهة الواعية، باستثناء عدد من كبار الصحابة فقط، وقد شهد لها بسعة العلم عدد كبير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم ومن ذلك:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قَالَ: مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلاَّ وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا. سنن الترمذي(٣٨٨٣)

وعَنْ مُسْلِمٍ، قَالَ: سَأَلْنَا مَسْرُوقًا: كَانَتْ عَائِشَةُ تُحْسِنُ الْفَرَائِضَ؟ قَالَ: «وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَقَدْ رَأَيْتُ الْأَكَابِرَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ يَسْأَلُونَهَا عَنِ الْفَرَائِضِ». أخرجه الدارمي (١٨٨٩/٤) (٢٩٠١) و سعيد بن منصور في "سننه" (٢٨٧) والطبراني في "المعجم الكبير"(٢٩١)

وفي لفظ قال: «إي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ مَشْيَخَةَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْأَكَابِرَ يَسْأَلُونَهَا عَنِ الْفَرَائِضِ». "مصنف ابن أبي شيبة" (٢٣٩/٦) (٣١٠٣٧)

وقال الإمام الزُّهْرِيِّ رحمه الله: «لَوْ جُمِعَ عِلْمُ النَّاسِ كُلِّهِمْ، ثُمَّ عِلْمُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ لَكَانَتْ عَائِشَةُ أَوْسَعَهُمْ عِلْمًا» أخرجه الحاكم (٦٧٣٤)

وعَنْ عَطَاء بن أبي رباح قَالَ: «كَانَتْ عَائِشَةُ، أَفْقَهَ النَّاسِ وَأَعْلَمَ النَّاسِ وَأَحْسَنَ النَّاسِ رَأْيًا فِي الْعَامَّةِ». أخرجه الحاكم (٦٧٤٨)

وعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَقَدْ صَحِبْتُ عَائِشَةَ رَحِمَهَا اللَّهُ حَتَّى قُلْتُ قَبْلَ وَفَاتِهَا بِأَرْبَعِ سِنِينَ أَوْ خَمْسٍ: لَوْ تُوُفِّيَتِ الْيَوْمَ مَا نَدِمْتُ عَلَى شَيْءٍ فَاتَنِي مِنْهَا ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ كَانَ أَعْلَمَ بِآيَةٍ أُنْزِلَتْ وَلَا بِفَرِيضَةٍ وَلَا بِسُنَّةٍ وَلَا أَعْلَمَ بِشِعْرٍ وَلَا أَرْوَى لَهُ ، وَلَا بِيَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ وَلَا بِنَسَبٍ وَلَا بِكَذَا وَلَا بِكَذَا وَلَا بِقَضَاءٍ وَلَا بِطِبٍّ مِنْهَا. فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّهْ، الطِّبُّ مِنْ أَيْنَ عِلِمْتِيهِ؟ فَقَالَتْ: كُنْتُ أُمَرِّضُ فَيُنْعَتُ لِيَ الشَّيْءُ وَيَمْرَضُ الْمَرِيضُ فَيُنْعَتُ لَهُ فَيَنْتَفِعُ فَأَسْمَعُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ فَأَحْفَظُهُ. قَالَ عُرْوَةُ: فَلَقَدْ ذَهَبَ عَنِّي عَامَّةُ عِلْمِهَا لَمْ أَسْأَلْ عَنْهُ. "الشريعة" للآجري (١٨٩٨)، "سير أعلام النبلاء" (٢/١٨٣)، "معجم الشيوخ" للسبكي (ص: ٥٨٣)

وقال عنها الإمام الذهبي في "السير"(٢/١٣٥): أَفْقَهُ نِسَاءِ الأُمَّةِ عَلَى الإِطْلاَقِ.اهـ

وقال(٢/١٤٠): وَلاَ أَعْلَمُ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ وَلاَ فِي النِّسَاءِ مُطْلَقاً امْرَأَةً أَعْلَمَ مِنْهَا.اهـ

١١) من قذفها فقد كفر؛ لتصريح القرآن الكريم ببراءتها

قال تعالى:﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور: ٢٦].

وقد أجمع العلماء على أن من سب أم المؤمنين عائشة ورماها بما برأها الله منه أنه كافر.

نقل الإجماع غير واحد من العلماء، ومنهم:

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "شرح مسلم" (١٧/١١٧): براءة عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا من الإفك وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز، فلو تشكك فيها إنسان -والعياذ بالله- صار كافرًا مرتدًا بإجماع المسلمين.اهـ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تفسيره"(٦/٣٢) عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ﴾ الآية [النور: ٢٣]: قد أجمع العلماء قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن.اهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "زاد المعاد" (١/١٠٣): واتفقت الأمة على كفر قاذفها.اهـ

وقال القاضي أبو يعلى الفراءرَحِمَهُ ٱللَّهُ: من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر بلا خلاف، وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد، وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم.اهـ(١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيميةرَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذكر غير واحد من العلماء: اتفاق المسلمين على أن من قذفها بما برأها الله منه فقد كفر؛ لأنه مكذب للقرآن(٢).اهـ

وقال بدر الدين العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "عمدة القاري" (١٣/ ٢٣٥): براءة عائشة من الإفك وهي براءة قطعية بنص القرآن، فلو تشكك فيها إنسان صار كافرا مرتدا بإجماع المسلمين.اهـ

وقال العلامة بَـحْرَق الحضرميرَحِمَهُ ٱللَّهُ في "حدائق الأنوار" (ص٣٠٥): براءة عائشة مما قذفت به براءة قطعية بنص القرآن، حتى إن من يشك في براءتها فهو كافر بالإجماع.اهـ

ومن أقوال العلماء في ذلك أيضًا:

قال الإمام مالكرَحِمَهُ ٱللَّهُ: من سب أبا بكر وعمر جُلد، ومن سب عائشة قُتل. قيل له: لمَ يُقتل في عائشة؟ قال مالك: فمن رماها فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن قُتل.اهـ(٣)

وقال ابن القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في روايته عن مالك: لأن الله تعالى يقول: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧]. فمن عاد لمثله فقد كفر.اهـ(٤)

قال ابن حزمرَحِمَهُ ٱللَّهُ: قول مالك هاهنا صحيح، وهي ردة تامة، وتكذيب لله تعالى في قطعه ببراءتها.اهـ(٥)

وقال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : كل من سبها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم.اهـ(٦)

---

(١) "الصارم المسلول" (ص٥٦٦).

(٢) "الاستغاثة في الرد على البكري" (ص٣٧٠).

(٣) "مسند الموطأ" للجوهري (ص١١٢)

(٤) "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" (٢/٦٥٤).

(٥) "المحلى بالآثار" (١٢/٤٤٠)

(٦) "لمعة الاعتقاد" (ص٤٠).

- وقال الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من قذفها فقد كفر؛ لتصريح القرآن الكريم ببراءتها.اهـ[١]

وقال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النور: ١١] الآيات. نزلت في براءة عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا فيما قُذفت به. فاستدل به الفقهاء على أن قاذفها يُقتل؛ لتكذيبه نص القرآن، قال العلماء: قذف عائشة كفر؛ لأن الله سبح نفسه عند ذكره فقال: ﴿سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ﴾ [النور: ١٦]، كما سبح نفسه عند ذكر ما وصفه به المشركون من الزوجة والولد.اهـ[٢]

وقد نص فقهاء الإسلام من جميع المذاهب على مر العصور بذلك، وعلى سبيل المثال:

(١) من الحنفية:

قال الإمام ابن نجيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويكفر بقذفه عائشة.اهـ[٣]

وقال ابن عابدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا شك في تكفير من قذف السيدة عائشة.اهـ[٤]

(٢) من المالكية:

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أَهْلَ الْإِفْكِ رَمَوْا عَائِشَةَ الْمُطَهَّرَةَ بِالْفَاحِشَةِ فَبَرَّأَهَا اللَّهُ تَعَالَى فَكُلُّ مَنْ سَبَّهَا بِمَا بَرَّأَهَا اللَّهُ مِنْهُ مُكَذِّبٌ لِلَّهِ، وَمَنْ كَذَّبَ اللَّهَ فَهُوَ كَافِرٌ، فَهَذَا طَرِيقُ قَوْلِ مَالِكٍ، وَهِيَ سَبِيلٌ لَائِحَةٌ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ[٥].اهـ

(٣) من الشافعية:

قال السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما الوقيعة في عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا والعياذ بالله فموجبة للقتل؛ لأمرين:

---

(١) "الإجابة لما استدركت عائشة على الصحابة" (ص٢٩).

(٢) "الإكليل في استنباط التنزيل" (ص١٩٠)

(٣) "النجم الرائق" (١٩٦/٥).

(٤) "حاشية ابن عابدين" (٣٧٨/٦).

(٥) "الجامع لأحكام القرآن" (٢٠٦/١٢).



أحدهما: أن القرآن يشهد ببراءتها، فتكذيبه كفر، والوقيعة فيها تكذيب له. والثاني: أنها فراش النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والوقيعة فيها تنقيص له، وتنقيصه كفر.اهـ[١]

وقال الرملي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن أنكر صحبة أبي بكر أو رمى ابنته بما برأها الله منه كفر.اهـ[٢]

وقال العلامة البكري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكذلك يكفر من قذف عائشة؛ لأن القرآن نزل ببراءتها، ففي قذفها -حماها الله- تكذيب للقرآن.اهـ[٣]

(٤) من الحنابلة:

قال الحجاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن قذف عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا بما برأها الله منه كفر بلا خلاف.اهـ[٤]

وفاتها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا

توفيت ليلة الثلاثاء، السابع عشر من رمضان، سنة سبع وخمسين وقيل ثمان وخمسين.

عن ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: اسْتَأْذَنَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَبْلَ مَوْتِهَا عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ مَغْلُوبَةٌ، قَالَتْ: أَخْشَى أَنْ يُثْنِيَ عَلَيَّ، فَقِيلَ: ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ وُجُوهِ المُسْلِمِينَ، قَالَتْ: ائْذَنُوا لَهُ، فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدِينَكِ؟ قَالَتْ: بِخَيْرٍ إِنِ اتَّقَيْتُ، قَالَ: «فَأَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَنْكِحْ بِكْرًا غَيْرَكِ، وَنَزَلَ عُذْرُكِ مِنَ السَّمَاءِ» وَدَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ خِلاَفَهُ، فَقَالَتْ: دَخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَثْنَى عَلَيَّ، وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نِسْيًا مَنْسِيًّا. صحيح البخاري (٤٧٥٣). وأخرجه أحمد(٢٤٩٦) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ ذَكْوَانُ، حَاجِبُ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهُ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يَسْتَأْذِنُ عَلَى عَائِشَةَ، فَجِئْتُ وَعِنْدَ رَأْسِهَا ابْنُ أَخِيهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقُلْتُ: هَذَا ابْنُ عَبَّاسٍ يَسْتَأْذِنُ، فَأَكَبَّ

---

(١) "فتاوى السُّبْكي" (٢/٥٩٢).

(٢) "نهاية المحتاج" (٧/٤١٦).

(٣) "إعانة الطالبين" (٤/١٥٥).

(٤) "الإقناع" (٤/٢٩٩).

عَلَيْهَا ابْنُ أَخِيهَا عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ: هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ يَسْتَأْذِنُ، وَهِيَ تَمُوتُ، فَقَالَتْ: دَعْنِي مِنَ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: يَا أُمَّتَاهُ، إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ مِنْ صَالِحِي بَنِيكِ، لِيُسَلِّمْ عَلَيْكِ، وَيُوَدِّعْكِ، فَقَالَتْ: ائْذَنْ لَهُ إِنْ شِئْتَ، قَالَ: فَأَدْخَلْتُهُ، فَلَمَّا جَلَسَ، قَالَ: أَبْشِرِي، فَقَالَتْ: أَيْضًا فَقَالَ: «مَا بَيْنَكِ وَبَيْنَ أَنْ تَلْقَيْ مُحَمَّدًا ﷺ وَالْأَحِبَّةَ، إِلا أَنْ تَخْرُجَ الرُّوحُ مِنَ الجَسَدِ، كُنْتِ أَحَبَّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ يُحِبُّ إِلا طَيِّبًا، وَسَقَطَتْ قِلادَتُكِ لَيْلَةَ الْأَبْوَاءِ فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى يُصْبِحَ فِي الْمَنْزِلِ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ لَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣] ، فَكَانَ ذَلِكَ فِي سَبَبِكِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الرُّخْصَةِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ بَرَاءَتَكِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، جَاءَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، فَأَصْبَحَ لَيْسَ لِلَّهِ مَسْجِدٌ مِنْ مَسَاجِدِ اللَّهِ يُذْكَرُ فِيهِ اللَّهُ، إِلا يُتْلَى فِيهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ». فَقَالَتْ: «دَعْنِي مِنْكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا».

قال ابن كثير في "البداية والنهاية" (١٠١/٨):وَقَدْ كَانَتْ وَفَاتُهَا فِي هَذَا الْعَامِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ، وَقِيلَ: قَبْلَهُ بِسَنَةٍ، وَقِيلَ: بَعْدَهُ بِسَنَةٍ، وَالْمَشْهُورُ فِي رَمَضَانَ مِنْهُ وَقِيلَ: فِي شَوَّالٍ، وَالْأَشْهَرُ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ، وَأَوْصَتْ أَنْ تُدْفَنَ بِالْبَقِيعِ لَيْلًا، وَصَلَّى عَلَيْهَا أَبُو هُرَيْرَةَ بَعْدَ صَلَاةِ الْوِتْرِ، وَنَزَلَ فِي قَبْرِهَا خَمْسَةٌ، وَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ وَعُرْوَةُ ابْنَا الزُّبَيْرِ ابْنِ الْعَوَّامِ، مِنْ أُخْتِهَا أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، وَالْقَاسِمُ وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنَا أَخِيهَا مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَعَبْد اللَّهِ بْن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ عُمْرُهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعًا وَسِتِّينَ سَنَةً، لِأَنَّهُ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وعمرها ثمان عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَ عُمْرُهَا عَامَ الْهِجْرَةِ ثَمَانِ سنين أو تسع سنين، فالله أعلم ورضي الله تعالى عن أبيها وعن الصحابة أجمعين.اهـ

وأمرت أن تدفن بالبقيع قَالَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ: «ادْفِنِّي مَعَ صَوَاحِبِي، وَلاَ تَدْفِنِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي البَيْتِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُزَكَّى». صحيح البخاري (٧٣٢٧)

ومعناه: أن أُمدح به، وهذا من تواضعها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.[1]

---

(١)انظر: "سبل الهدى والرشاد" (١٨٢/١١)، "مرآة الزمان في تواريخ الأعيان" (٤٠٩/٧).

حادثة الإسراء والمعراج وفرض الصلوات الخمس

٣٥- وَبَعْـــدَ خَمْسِـــينَ وَعَامٍ تَـــالِ

٣٦- أُسْرِيْ بِـهِ وَالصَّـلَوَاتُ فُرِضَـتْ خَمْسًا بِخَمْسِينَ كَمَا قَدْ حُفِظَتْ

الشرح:

أي بعد بلوغه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العمر إحدى وخمسين سنة، أي في العام الثاني عشر من البعثة، وهذا قول أكثر العلماء ، أسري برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى سدرة المنتهى، ففرض الله عليه وعلى أمته الصلوات الخمس، وكان الإسراء والمعراج يقظة بروحه وجسده في ليلة واحدة.

وهذه الحادثة العظيمة اعتنى بها العلماء عناية كبيرة وذكروها في التفسير والعقائد والتاريخ والفقه والسير وأبواب كثيرة من العلم؛ لعظمتها فهي أعظم رحلة حادثة، ونجمل القول فيها فيما يلي:

الحكمة من هذه الرحلة

كانت مكافأة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومواساة له؛ ليذهب عن صدره الآلام والأحزان والروع والخوف، وذلك بعد الحصار الظالم الذي استمر ثلاث سنوات في شعب أبي طالب، وبعد وفاة الناصر الحميم أبي طالب والزوجة الوفية الأمينة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وبعد رحلة الطائف الأليمة. فكانت هذه الرحلة الربانية التي أكرم الله تبارك وتعالى فيها رسوله ﷺ ليربط على قلبه ويثبت فؤاده، وليكون من المؤمنين، وأن الله معه ولن يتخلى عنه، وأن الله ناصره.وكانت أيضًا فتنة للكافرين الذين زاد عنادهم وكفرهم، ولبعض ضعفاء الإيمان ممن زلزل الحادث إيمانهم فكفروا ولم يعودوا إلى حظيرة الإيمان حتى قتلوا.

زمن الإسراء والمعراج

اختلفوا في ذلك على أكثر من عشرة أقوال، والأرجح: أنه كان قبل الهجرة بسنة، أي في العام الثاني عشر من البعثة يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول. وبهذا قال أكثر العلماء وعليه المحققون منهم، ورجحه العلامة ابن عثيمين كما في "مجموع الفتاوى" (٦٩/٢٠) وحجتهم في ذلك: حديث جابر وابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ

قال الإمام الجوزقاني في "الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير" (٢٦٧/١)(١٢٢): أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَافِظُ، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى، إِمْلَاءً، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ، عَنْ سَلِيمِ بْنِ حَيَّانَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ مِينَا، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُمَا قَالَا: «وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَوْمَ الْفِيلِ، يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وَفِيهِ بُعِثَ، وَفِيهِ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ، وَفِيهِ هَاجَرَ، وَفِيهِ مَاتَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ».

في أي الشهور كانت الحادثة؟

اختلفوا في أي الشهور كانت على أقوال:

فقيل: في ربيع الأول: وهو قول الجمهور وبه جزم ابن الأثير، والنووي في "فتاويه" وابن سيد الناس وابن جماعة والأذرعي والزركشي والدميري وأبو شامة.

وقيل: في ربيع الآخر، في السابع عشر منه: قاله الحربي والنووي في القول الآخر من "فتاويه"، وهو قول الواقدي كما في "الطبقات" (٢١٤/١)، ورجحه ابن المنير في "شرح سيرة ابن عبد البر".

وقيل في رجب: حكاه ابن عبد البر، وقبله ابن قتيبة، وبه جزم النووي في الروضة تبعا للرافعي، واختار الحافظ عبد المغني المقدسي أنه في ليلة السابع والعشرين من رجب،

وقدمه ابن عطية في "المحرر الوجيز" (١٠/٢٥٧)، وابن الجوزي في "الوفا"(٢٢٢)، والسيوطي في "الآية الكبرى" (١١٢)، واختاره العلامة المنصورفوري[١].

وقيل: في رمضان: قاله الواقدي وقال: في سابع عشر منه، وابن سعد، ومغلطاي.

وقيل: في شوال: قاله الماوردي والسُّدي.

وقيل: في ذي القعدة: وبه قال السُّدِّي.

وقيل: في ذي الحجة: وبه جزم ابن فارس.[٢]

من أدلة ثبوت حادثة الإسراء والمعراج

قال الله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]

وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٧

---

(١)وأنكر هذا عدد من الأئمة: قال ابن حجر عن ابن دحية: وذكر بعض القصاص أن الإسراء كان في رجب. قال: وذلك كذب.اهـ "تبيين العجب" (ص٦)، وقال ابن رجب: ورُوي بإسناد لا يصح عن القاسم ابن محمد أن الإسراء بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في سابع وعشرين من رجب، وأنكر ذلك إبراهيم الحربي وغيره.اهـ "لطائف المعارف" (٢٣٣)، وقال ابن تيمية: لم يقم دليل معلوم لا على شهرها ولا على عشرها ولا على عينها، بل النقول في ذلك مختلفة ليس فيها ما يقطع به.اهـمن "زاد المعاد" لابن القيم (١/٥٨)، وقال أبو شامة: ذكر بعض القصاص أن الإسراء كان في رجب، وذلك عند أهل التعديل والتجريح عين الكذب.اهـ "الباعث" (ص٢٣٢)

(٢)انظر: "المواهب اللدنية"(١/١٦٢)، "بهجة المحافل" (١/١٣٠)، "سبل الهدى والرشاد"(٣/٦٥)، "تاريخ الخميس"(١/٣٠٧)، "السيرة الحلبية" (١/٥١٥)، "شرح الزرقاني على المواهب" (٢/٦٧)، "السيرة النبوية" لأبي شهبة (١/٤١٨)، "الرحيق المختوم" (١٢٤)، "عمدة القاري" (٤/٣٩)، "الأجوبة المرضية" للسخاوي (٢/٤٥٥)، "البداية والنهاية" (٣/١٣٥). "المختصر الكبير في سيرة الرسول" (ص:٤١)، "عيون الأثر" (١/١٧٢) "الإشارة" لمغلطاي(ص:١٣٥).

ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ [النجم: ١ - ١٨]

وقد فصل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هذه الرحلة تفصيلا دقيقا، وتواترت فيها الأحاديث. حتى قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية: وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، وأبي ذر، ومالك بن صعصعة، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وابن عباس، وشداد بن أوس، وأبي بن كعب، وعبد الرحمن بن قُرْط، وأبي حبة وأبي ليلى الأنصاريين، وعبد الله بن عمر، وجابر، وحذيفة، وبريدة، وأبي أيوب، وأبي أمامة، وسمرة بن جندب، وأبي الحمراء، وصهيب الرومي، وأم هانئ، وعائشة وأسماء ابنتي أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين. منهم من ساقه بطوله، ومنهم من اختصره على ما وقع في المسانيد، وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة، فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون، واعترض فيه الزنادقة الملحدون: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الصف: ٨].اهـ[1]

أصح حديث في الحادثة[2]

قال الإمام مسلم رحمه الله في "صحيحه" (١/١٤٥)(١٦٢): حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ»، قَالَ: «فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ»، قَالَ: «فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ»، قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

---

(١) "تفسير ابن كثير" (٤/١٠٥) ط. دار الكتاب العربي.

(٢) حديث حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس.اهـ قاله السيوطي في "الآية الكبرى" (ص:٤٥).

بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا هُوَ قَدِ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً ، قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».



الإسراء والمعراج بالروح والبدن

قال الحافظ ابن كثير في (٥/ ٤٣): ثُمَّ اخْتَلَفَ النَّاسُ: هَلْ كَانَ الْإِسْرَاءُ بِبَدَنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرُوحِهِ؟ أَوْ بِرُوحِهِ فَقَطْ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، فَالْأَكْثَرُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ أُسْرِيَ بِبَدَنِهِ وَرُوحِهِ يَقَظَةً لَا مَنَامًا، وَلَا يُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأَى قَبْلَ ذَلِكَ مَنَامًا، ثُمَّ رَآهُ بَعْدَهُ يَقَظَةً؛ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] فَالتَّسْبِيحُ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ، وَلَوْ كَانَ مَنَامًا لَمْ يَكُنْ فِيهِ كَبِيرُ شَيْءٍ وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَعْظَمًا، وَلَمَا بَادَرَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ إِلَى تَكْذِيبِهِ، وَلَمَا ارْتَدَّ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ. وَأَيْضًا فَإِنَّ الْعَبْدَ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعِ الروح والجسد، وَقَدْ قَالَ عَزَّ شَأْنُهُ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ



﴿بِعَبۡدِهِۦ﴾ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [الْإِسْرَاءِ: ٦٠] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: «هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أُرِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ، وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ: شَجَرَةُ الزَّقُّومِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النَّجْمِ: ١٧]، وَالْبَصَرُ مِنْ آلَاتِ الذَّاتِ لَا الرُّوحِ. وَأَيْضًا فَإِنَّهُ حُمِلَ عَلَى الْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ بَيْضَاءُ بَرَّاقَةٌ لَهَا لَمَعَانٌ، وَإِنَّمَا يَكُونُ هَذَا لِلْبَدَنِ لَا لِلرُّوحِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَحْتَاجُ فِي حَرَكَتِهَا إِلَى مَرْكَبٍ تَرْكَبُ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.اهـ

وقال الإمام الطحاوي: والمعراج حق، وقد أُسري بالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العُلا.

فقال العلامة ابن أبي العز في "شرح الطحاوية" (٢٧٣)عند شرح ذلك: وكان من حديث الإسراء أنه أسري بجسده في اليقظة على الصحيح... ومما يدل على أن الإسراء بجسده في اليقظة قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾، والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح، كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح، هذا هو المعروف عند الإطلاق وهو الصحيح، فيكون الإسراء بهذا المجموع، ولا يُمتنع ذلك عقلا، ولو جاز استبعاد صعود البشر لجاز استبعاد نزول الملائكة، وذلك يؤدي إلى إنكار النبوة، وهو كفر.اهـ

الحكمة من تقديم الإسراء إلى بيت المقدس قبل المعراج

قيل: كان ذلك إظهارا لصدق ودعوى الرسول ﷺ المعراج، حيث سألته قريش عن نعت بيت المقدس، فنعته لهم وأخبرهم عن عيرهم التي مر عليها في طريقه، ولو كان عروجه إلى السماء من مكة لما حصل ذلك إذ لا يمكن اطلاعهم على ما في السماء ولو أخبرهم عنه، وقد اطلعوا على بيت المقدس، فأخبرهم بنعته[1].

وقيل: ليجمع في تلك الليلة بين رؤية القبلتين.

(١)قاله ابن أبي العز في "شرح الطحاوية" (ص٢٧٧)

وقيل: لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الأنبياء قبله.

وقيل: ليجتمع بالأنبياء جملة(١).

هل رأى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه في هذه الليلة؟

اختلف العلماء في ذلك سلفا وخلفا، والحق هو ما عليه جمهورهم: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يرَ ربه رؤية عين. ويدل على ذلك أدلة، منها:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: قُلْتَ لِأَبِي ذرٍّ، لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: عَنْ أيِّ شيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدْ سَأَلْتُ، فَقَالَ: «رَأَيْتُ نُورًا». وفي رواية عَنْه ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ». (٢)

وعن مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي، وَلَا تُعْجِلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ١٣]؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»، فَقَالَتْ: أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا

---

(١) مختصرًا من شرح الراجحي على الطحاوية.

(٢) رواه مسلم (١٦١/١) (١٧٨). قيل: إن المراد بهذا النور هو الحجاب الذي ذكره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهت إليه بصره من خلقه». رواه مسلم (١٧٩) من حديث أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

﴿وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾ [الشورى: ٥١]؟ قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة: ٦٧]، قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]. صحيح مسلم (١٧٧) وهو بنحوه في البخاري (٤٨٥٥)

وفي رواية لمسلم (١٧٧) عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ، هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللهِ لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي لِمَا قُلْتَ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ.

ومما يدل على عدم وقوع الرؤية بالعين: أنها مقام رفيع، وميزة عظيمة، فلو أوتيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لذكرها واشتهر ذلك عنه، كما ذكر غيرها من النعم.

وأما الرؤية بقلبه فقد رآه:

عَنْ عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «رَآهُ بِقَلْبِهِ». رواه مسلم (١٧٦)

وعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١] ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، قَالَ: «رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ». رواه مسلم (١٧٦)

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: «رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِقَلْبِهِ، وَلَمْ يَرَهُ بِبَصَرِهِ» أخرجه النسائي في "الكبرى"(١١٤٧٢)وابن خزيمة في "كتاب التوحيد"(٥١٦/٢) والطبراني في "الأوسط"(١١٤١) واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٩١٤).

وهذا ما رجحه كثير من العلماء، ومنهم:

الناظم في "شرحه للطحاوية"(٢٧٥/١) قال: والصحيح أنه رآه بقلبه، ولم يره بعين رأسه.اهـ

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في "فتح الباري" (٤٧٤/٨): جاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة، وأخرى مقيدة. فيجب حمل مطلقها على مقيدها... وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس، ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر، وإثباته على رؤية

القلب.اهـ

وقال العلامة الشنقيطي في "أضواء البيان" (٣/٣٩٩): التحقيق الذي دلت عليه نصوص الشرع أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يره بعين رأسه، وما جاء عن بعض السلف من أنه رآه، فالمراد به: الرؤية بالقلب، كما في صحيح مسلم: أنه رآه بفؤاده مرتين، لا بعين الرأس. اهـ

وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تعليقه على الطحاوية" (ص٤٣): وأما رؤيته تعالى في الدنيا: فقد أخبر رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح أن أحدا منا لا يراه حتى يموت. رواه مسلم. وأما هو نفسه عليه الصلاة والسلام فلم يرد في إثباتها له ما تقوم به الحجة، بل قد صح عنه الإشارة إلى نفيها حين سئل عنها بقوله: «نور أنى أراه». ومع ذلك جزمت السيدة عائشة بنفيها، كما في الصحيحين. وهذا هو الأصل، فينبغي التمسك به.اهـ



موقف قريش، وتصديق أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ ممَنْ كَانَ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَعُوا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: أَوَ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوَ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ. رواه الحاكم (٤٤٠٧)، وهو صحيح لشواهده كما في "الصحيحة" (٣٠٦).

قال الألباني في "الصحيحة" (١/٦١٧): هذا وقد جزم الإمام أبو جعفر الطحاوي في "مشكل الآثار" (٢/١٤٥): بأن سبب تسمية أبي بكر بـ(الصديق): إنما هو سبقه الناس إلى تصديقه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إتيانه بيت المقدس من مكة، ورجوعه منه إلى

منزله بمكة في تلك الليلة، وإن كان المؤمنون يشهدون لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمثل ذلك إذا وقفوا عليه. اهـ

وعَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِي، وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ، فَظِعْتُ بِأَمْرِي، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ» فَقَعَدَ مُعْتَزِلًا حَزِينًا، قَالَ: فَمَرَّ بِهِ عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ» قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: «إِنَّهُ أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ» قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: «إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟» قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَلَمْ يُرِ أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ، مَخَافَةَ أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثَ إِنْ دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ تُحَدِّثُهُمْ مَا حَدَّثْتَنِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ» . فَقَالَ: هَيَّا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ حَتَّى قَالَ: فَانْتَفَضَتْ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ، وَجَاءُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا، قَالَ: حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ»، قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ، وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ، مُتَعَجِّبًا لِلْكَذِبِ زَعَمَ قَالُوا: وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا الْمَسْجِدَ؟ وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ، وَرَأَى الْمَسْجِدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ، فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّى الْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ»، قَالَ: «فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ أَوْ عُقَيْلٍ فَنَعَتُّهُ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ»[1]، قَالَ: «وَكَانَ مَعَ هَذَا نَعْتٌ لَمْ أَحْفَظْهُ» قَالَ: فَقَالَ الْقَوْمُ: أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَ.

---

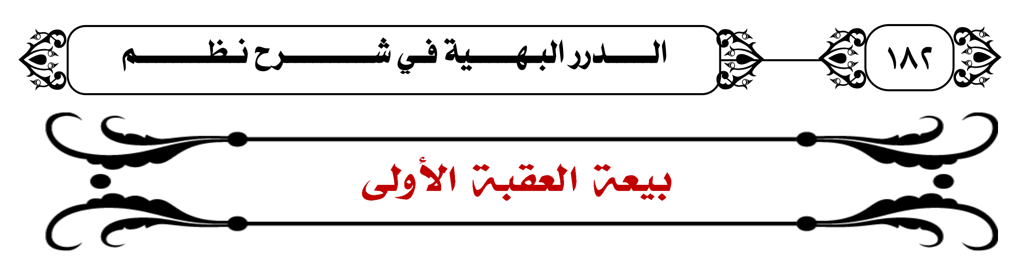
(١) وعن جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الحِجْرِ، فَجَلاَ اللَّهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ». متفق عليه [خ (٣٨٨٦) م (١٧٠)]

قال العيني في "عمدة القاري" (٢٠/١٧): قوله:«فجلا الله لي بيت المقدس»: أي كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته. ووقع في رواية: «فرفعه الله إلي أنظر إليه». قال بعضهم: يحتمل أنه حمل إلى موضع بحيث يراه، ثم أعيد. قلت: لا طائل في ذكر الاحتمال، بل قوله: «فرفعه الله» يدل قطعا على أن الله رفعه ووضعه بين يديه قطعا، والدليل عليه: ما روي عن ابن عباس:«فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه، حتى وضع عند دار عقيل، فنعتُّه وأنا أنظر إليه». وهذا أبلغ في المعجزة.اهـ



أخرجه أحمد (٢٨١٩)، وابن أبي شيبة (٣١٧٠٠)، والنسائي في "الكبرى" (١١٢٢١) وغيرهم، وصححه شيخنا الوادعي في "الجامع الصحيح" (٢٢٧٥) والألباني في "الصحيحة" (٣٠٢١).





بيعة العقبة الأولى

٣٧ وَالْبَيْعَةُ الْأُولَى مَعَ اثْنَيْ عَشَرَا   مِنْ أَهْلِ طَيْبَةٍ كَمَا قَدْ ذُكِرَا

الشرح:

أي كانت بيعة العقبة الأولى مع اثني عشر رجلاً من أهل طيبة أي المدينة النبوية، وكانت في العام الثاني عشر من البعثة، وسميت بيعة العقبة لأنها كانت في منزل مرتفع من الأرض في موضع بين منى ومكة.

بدء إسلام الأنصار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ

وذلك في السنة الحادية عشرة من البعثة.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إظْهَارَ دِينِهِ، وَإِعْزَازَ نَبِيِّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَإِنْجَازَ مَوْعِدِهِ لَهُ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي الْمَوْسِمِ الَّذِي لَقِيَهُ فِيهِ النَّفَرُ مِنَ الْأَنْصَارِ فَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ، كَمَا كَانَ يَصْنَعُ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ. فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَ الْعَقَبَةِ لَقِيَ رَهْطًا مِنْ الْخَزْرَجِ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتادة، عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ قَوْمِهِ قَالُوا: لَمَّا لَقِيَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ لَهُمْ:«مَنْ أَنْتُمْ؟» قَالُوا نَفَرٌ مِنْ الْخَزْرَجِ، قَالَ: «أَمِنْ مَوَالِي يَهُودَ؟» قَالُوا: نَعَمْ؛ قَالَ: «أَفَلَا تَجْلِسُونَ أُكَلِّمُكُمْ؟» قَالُوا: بلَى، فَجَلَسُوا مَعَهُ، فَدَعَاهُمْ إلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ الإِسلام، وَتَلَا عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ قال: وكان مما صنع الله لهم به فِي الْإِسْلَامِ، أَنَّ يَهُودَ كَانُوا مَعَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ، وَكَانُوا أهلَ كِتَابٍ وَعِلْمٍ، وَكَانُوا هُمْ أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد عَزُّوهم بِبِلَادِهِمْ. فَكَانُوا إذَا كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ قَالُوا لَهُمْ: إنَّ نَبِيًّا مبعوثٌ الآنَ، قَدْ أَظَلَّ زمانُه، نَتَّبِعُهُ فَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قتلَ عَادٍ وإرَم. فَلَمَّا كَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُولَئِكَ النَّفَرَ، وَدَعَاهُمْ إلَى اللَّهِ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: يَا قَوْمِ، تَعلمون وَاَللَّهِ إنَّهُ لَلنَّبِيُّ الَّذِي تَوَعَّدَكُمْ بِهِ يَهُودُ، فَلَا تسبِقَنَّكُم إلَيْهِ. فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إلَيْهِ، بِأَنْ صَدَّقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ

مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ الإِسلام، وَقَالُوا: إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قومَنا، وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنْ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ، فَعَسَى أَنْ يَجْمَعَهُمْ اللَّهُ بِكَ، فَسَنَقْدَمُ عَلَيْهِمْ، فَنَدْعُوهُمْ إِلَى أمرك، ونعرض عَلَيْهِمْ الَّذِي أَجَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ، فإن يجمعهم الله عليك فَلَا رَجُلَ أَعَزُّ مِنْكَ.

ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاجِعِينَ إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا.اهـ

قال ابن إسحاق: وهم فيما ذُكِر لي ستة نفر من الخزرج...

١) أسعد بن زرارة من بني النجار.

٢) وعوف بن الحارث وهو ابن عفراء من بني النجار.

٣) رافع بن مالك ويكنى أبو مالك العجلاني من بني زُرَيْق.

٤) قُطبة بن عامر- ويقال: ابن عمرو بن حديدة من بني سَلِمة.

٥) عُقْبَة بن عامر بن زياد، من بني حزام بن كعب.

٦) جابر بن عبد الله بن رئاب، من بني عُبيد بن عدي.[١]

قال الواقدي: هذا عندنا أثبت ما سمعنا فيهم وهو المُجْمَع عليه.اهـ[٢]

ولما كان العام المقبل، أقبل أولـــئك النفر ومعهم آخرون على رسول الله ﷺ، وبايعوه بعد أن استجاب لهم كثير من قومهم وأسلموا لله ربِّ العالمين، ولم يتخلف من الستة إلا جابر بن عبد الله بن رئاب.

نص البيعة

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ الْعَقَبَةَ الْأُولَى وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا فَبَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْتَرَضَ الْحَرْبُ، عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ، فَإِنْ وَفَّيْتُمْ فَلَكُمُ الْجَنَّةُ، وَإِنْ غَشِيتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَكُمْ ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَكُمْ. أخرجه ابن اسحاق كما في

---

(١) "سيرة ابن هشام" (٢/٥٤-٥٥).

(٢) "الطبقات لابن سعد" (١/١٠٥).



"سيرة ابن هشام" (٥٧/٢) ومن طريقه أخرجه أحمد في "مسنده" (٢٢٧٥٤) وهو صحيح[(١)].

أسماء أصحاب بيعة العقبة الأولى[(٢)]

عشرة من الخزرج وهم:

١) أسعد بن زرارة.
٢) عوف بن الحارث ابن عفراء.
٣) معاذ بن الحارث ابن عفراء.
٤) رافع بن مالك بن العجلان.
٥) قطبة بن عامر بن حديدة.
٦) ذكوان بن عبد القيس.
٧) عقبة بن عامر.
٨) عبادة بن الصامت.
٩) يزيد بن ثعلبة.
١٠) العباس بن عبادة بن نضله.

اثنان من الأوس، وهم:

١) أبو الهيثم مالك بن التيهان.
٢) عُوَيم بن ساعدة.

---

(١)لخبر البيعة راجع:"سيرة ابن هشام" (٤٣١/١)، "السيرة النبوية"لابن حبان (١٠٥/١)، "الفصول في السيرة" (ص:١٠٩)، "إمتاع الأسماع" (٥٠/١)،"بهجة المحافل"(١٣٤/١)، "سبل الهدى والرشاد" (١٩٤/٣)،"البداية والنهاية" (١٨١/٣)،"الكامل في التاريخ"(٦٨٩/١)،"اللؤلؤ المكنون"(٥٥٩/١)، "السيرة النبوية الصحيحة" (١٩٧/١)، "الموسوعة في صحيح السيرة النبوية - العهد المكي" (ص:٤٨٢)، "الإشارة إلى سيرة المصطفى"(ص:١٤٤).

(٢)انظر "سيرة ابن هشام" (٥٦/٢).

إرسال أول سفير في الإسلام

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَلَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُ الْقَوْمُ، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُمْ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقْرِئَهُمْ الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمَهُمْ الْإِسْلَامَ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، فَكَانَ يُسَمَّى الْمُقْرِئَ بِالْمَدِينَةِ: مُصْعَبٌ. وَكَانَ مَنْزِلُهُ عَلَى أَسْعَدِ ابْنِ زُرَارَةَ بْنِ عُدَسَ، أَبِي أُمَامَةَ[1].

ولم تخل حياة هذا المعلم الغريب من المعاناة، فهو بعيد عن مكة بعيد عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ظهره مكشوف للجميع، لا يملك شيئًا، لا أهلًا ولا مالًا ولا سلاحًا، كل ما يملكه رسالة ربه، هي زاده وهي سلاحه، يقتحم الأهوال بها، لا يأبه إن ضُرِب أو مات، فما خرج من مكة يبحث عن حطام الدنيا، بل كان حطام القلوب يجمعها على طاعة علام الغيوب.

أول جمعة في الإسلام

وقام مصعب بمهمته على أكمل وجه، وانتشر الإسلام بالمدينة، فأُقيمت أول جمعة في الإسلام بالمدينة المنورة وأَمَّ المسلمين فيها أسعد بن زرارة.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانَ قَائِدَ أَبِيهِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ بَصَرُهُ، عَنْ أَبِيهِ كَعْبِ ابْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ تَرَحَّمَ لِأَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، فَقُلْتُ لَهُ: إِذَا سَمِعْتَ النِّدَاءَ تَرَحَّمْتَ لِأَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، قَالَ: لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ جَمَّعَ بِنَا فِي هَزْمِ النَّبِيتِ مِنْ حَرَّةِ بَنِي بَيَاضَةَ فِي نَقِيعٍ، يُقَالُ لَهُ: نَقِيعُ الْخَضَمَاتِ، قُلْتُ: كَمْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: «أَرْبَعُونَ». أخرجه أبو داود (١٠٦٩) وهو في "صحيح سنن أبي داود" (٩٨٠).



(١) "سيرة ابن هشام" (١/٤٣٤).

قصة إسلام سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وبني عبد الأشهل

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَحَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ مُعَيْقِبٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ: أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ خَرَجَ بِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ يُرِيدُ بِهِ دَارَ بَنِي عَبْدِالْأَشْهَلِ، وَدَارَ بَنِي ظَفَرٍ، وَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِالْأَشْهَلِ ابْنَ خَالَةِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، فَدَخَلَ بِهِ حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ بَنِي ظَفَرٍ...عَلَى بِئْرٍ يُقَالُ لَهَا: بِئْرُ مَرَقٍ ، فَجَلَسَا فِي الْحَائِطِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمَا رِجَالٌ مِمَّنْ أَسْلَمَ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، يَوْمَئِذٍ سَيِّدَا قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَكِلَاهُمَا مُشْرِكٌ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا سَمِعَا بِهِ قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ لِأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ: لَا أَبَا لَكَ، انْطَلِقْ إِلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَدْ أَتَيَا دَارَيْنَا لِيُسَفِّهَا ضُعَفَاءَنَا، فَازْجُرْهُمَا وَانْهَهُمَا عَنْ أَنْ يَأْتِيَا دَارَيْنَا، فَإِنَّهُ لَوْلَا أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ مِنِّي حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُ كَفَيْتُكَ ذَلِكَ، هُوَ ابْنُ خَالَتِي، وَلَا أَجِدُ عَلَيْهِ مُقَدَّمًا، قَالَ: فَأَخَذَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ حَرْبَتَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَآهُ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، قَالَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: هَذَا سَيِّدُ قَوْمِهِ قَدْ جَاءَكَ، فَاصْدُقْ اللَّهَ فِيهِ، قَالَ مُصْعَبٌ: إِنْ يَجْلِسْ أُكَلِّمْهُ. قَالَ: فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّمًا، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمَا إِلَيْنَا تُسَفِّهَانِ ضُعَفَاءَنَا؟ اعْتَزِلَانَا إِنْ كَانَتْ لَكُمَا بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ، فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: أَوَتَجْلِسُ فَتَسْمَعَ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُفَّ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟ قَالَ: أَنْصَفْتَ، ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ وَجَلَسَ إِلَيْهِمَا، فَكَلَّمَهُ مُصْعَبٌ بِالْإِسْلَامِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَقَالَا: فِيمَا يُذْكَرُ عَنْهُمَا: وَاللَّهِ لَعَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي إِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَجْمَلَهُ! كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا فِي هَذَا الدِّينِ؟ قَالَا لَهُ: تَغْتَسِلُ فَتَطَّهَّرُ وَتُطَهِّرُ ثَوْبَيْكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ تُصَلِّي. فَقَامَ فَاغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ، وَتَشَهَّدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: إِنَّ وَرَائِي رَجُلًا إِنْ اتَّبَعَكُمَا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ، وَسَأُرْسِلُهُ إِلَيْكُمَا الْآنَ، سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ وَانْصَرَفَ إِلَى سَعْدٍ وَقَوْمِهِ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي نَادِيهِمْ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُقْبِلًا، قَالَ: أَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أُسَيْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى النَّادِي قَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: كلّمت الرجلَيْن، فو الله مَا رَأَيْتُ بِهِمَا بَأْسًا، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا، فَقَالَا: نَفْعَلُ مَا

أَحْبَبْتَ، وَقَدْ حُدِّثْتُ أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ لِيَقْتُلُوهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ ابْنُ خَالَتِكَ، لِيُخْفِرُوكَ .قَالَ: فَقَامَ سَعْدٌ مُغْضَبًا مُبَادِرًا، تَخَوُّفًا لِلَّذِي ذُكِرَ لَهُ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ، فَأَخَذَ الْحَرْبَةَ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَآهُمَا سَعْدٌ مُطْمَئِنَّيْنِ، عَرَفَ سَعْدٌ أَنَّ أُسَيْدًا إِنَّمَا أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمَا، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّمًا، ثُمَّ قَالَ لِأَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ: يَا أَبَا أُمَامَةَ، (أَمَا وَاللَّهِ) ، لَوْلَا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الْقَرَابَةِ مَا رُمْتَ هَذَا مِنِّي، أَتَغْشَانَا فِي دَارَيْنَا بِمَا نَكْرَهُ- وَقَدْ قَالَ أَسْعَدُ بْن زُرَارَةَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: أَيْ مُصْعَبُ، جَاءَكَ وَاللَّهِ سَيِّدُ مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ، إنْ يَتَّبِعْكَ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ مِنْهُمْ اثْنَانِ- قَالَ: فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: أَوَتَقْعُدُ فَتَسْمَعَ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا وَرَغِبْتَ فِيهِ قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟ قَالَ سَعْدٌ: أَنْصَفْتَ. ثُمَّ رَكَزَ الْحَرْبَةَ وَجَلَسَ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، قَالَا: فَعَرَفْنَا وَاللَّهِ فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، لِإِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: كَيْفَ تَصْنَعُونَ إذَا أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ وَدَخَلْتُمْ فِي هَذَا الدِّينِ؟ قَالَا: تَغْتَسِلُ فَتَطَّهَّرُ وَتُطَهِّرُ ثَوْبَيْكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ تُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، قَالَ: فَقَامَ فَاغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ، وَتَشَهَّدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ رَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ، فَأَقْبَلَ عَامِدًا إِلَى نَادِي قَوْمِهِ وَمَعَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ. قَالَ: فَلَمَّا رَآهُ قَوْمُهُ مُقْبِلًا، قَالُوا: نَحْلِفُ بالله لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ سَعْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي فِيكُمْ؟ قَالُوا: سَيِّدُنَا (وَأَوْصَلُنَا) وَأَفْضَلُنَا رَأْيًا، وَأَيْمَنُنَا نَقِيبَةً، قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّى تُؤْمِنُوا بالله وبرسوله. قَالَا: فوالله مَا أَمْسَى فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا وَمُسْلِمَةً، وَرَجَعَ أَسْعَدُ وَمُصْعَبٌ إِلَى مَنْزِلِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، حَتَّى لَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مُسْلِمُونَ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ دَارِ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وَخَطْمَةَ وَوَائِلٍ وَوَاقِفٍ، وَتِلْكَ أَوْسُ اللَّهِ، وَهُمْ مِنَ الْأَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ فِيهِمْ أَبُو قَيْسِ بْنُ الْأَسْلَتِ، وَهُوَ صَيْفِيٌّ، وَكَانَ شَاعِرًا لَهُمْ قَائِدًا يَسْتَمِعُونَ مِنْهُ وَيُطِيعُونَهُ، فَوَقَفَ



بِهِمْ عَنْ الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَمَضَى بَدْرٌ وَأُحُدٌ وَالْخَنْدَقُ[١].



قوله: (طيبة): هي المدينة وكان اسمها يثرب، فسماها الله ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ طيبة وطابة، ونهى أن تسمى يثرب؛ كراهية التثريب، وهو المبالغة في اللوم والتعنيف والتعيير. وقيل: يثرب من الثرب، وهو الفساد، وطابة وطيبة من الطيب[٢]. **وقيل**: سميت يثرب باسم رجل نزل بها أول، من العماليق وهو: يثرب بن قاين بن عَبِيل بن مهلايل.

وذكرت في القرآن بهذا الاسم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ [الأحزاب: ١٣]، وليس في هذا جواز تسميتها بذلك، وإنما ذكرها الله بهذا الاسم حاكيًا عن المنافقين وليس إقرارا لهم.

عن جابر بن سمرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى سمى المدينة طابة». رواه مسلم (١٣٨٥). [٣]

ورواه أحمد (٢٠٨٩٩)عنه قال: كانوا يقولون يثرب والمدينة، فقال النبي ﷺ:«إنَّ الله سماها طيبة»، وعند أبي داود الطيالسي في "مسنده" (٧٩٨) عنه قال: كانوا يسمون المدينة يثرب، فسماها رسول الله ﷺ طيبة.

وعن زيد بن ثابت رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «إنها طيبة –يعني المدينة–، وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة». رواه مسلم (١٣٨٤).

---

(١) "سيرة ابن هشام" (٤٣٥/١).

(٢)انظر: "جامع الأصول" لابن الأثير (٣٢٠/٩) و"النهاية" له (١٤٩/٣).

(٣)وهذه رواية الأكثرين عن شعبة، منهم: يحي القطان، وابن مهدي، ومعاذ العنبري، وغيرهم. انظر: "مستخرج أبي عوانة". ط. الجامعة الإسلامية (٣٥٣/١٠).

وسماها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة

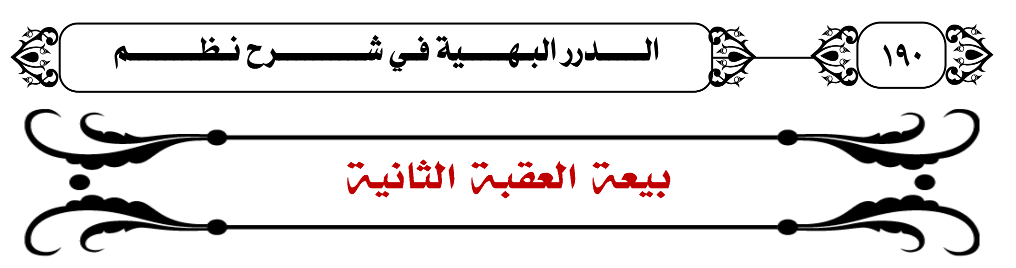
عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن أعرابيًا بايع رسول الله ﷺ على الإسلام، فأصابه وَعْك فقال: أَقِلْني بَيْعَتي. فأبى، ثم جاءه فقال: أَقِلْني بَيْعَتي. فأبى، فخرج فقال رسول الله ﷺ: «المدينة كالكير: تنفي خَبَثَها، ويَنْصَعُ طيبها». متفق عليه [البخاري (٧٢٠٩)، مسلم (١٣٨٣)].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال : قَالَ رَسُولُ ﷺ: «أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ القُرَى[1]، يَقُولُونَ يَثْرِبُ، وَهِيَ المَدِينَةُ، تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ». متفق عليه [البخاري(١٨٧١) ومسلم (١٣٨٢)]

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ:«اللّٰهُمَّ اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة». رواه البخاري (١٨٨٥).



(١)قوله: (تأكل القرى): أي ينصر الله الإسلام بأهل المدينة، ويفتح على أيديهم القرى ويغنمها إياهم، فيأكلونها، أي يأكلون أموال القرى، وهذا من باب الاتساع والاختصار وحذف المضاف.”جامع الأصول“ (٩/٣٢٠).



بيعة العقبة الثانية

٣٨- وَبَعْـــدَ ثِنْتَـــيْنِ وَخَمْسِـــينَ أَتَى ... سَـــبْعُونَ فِي الْمَوْسِـــمِ هَـــذَا ثَبَتَـــا

٣٩- مِـنْ طَيْبَـةٍ فَبَـايَعُوا ثُـمَّ هَجَـرْ ... مَكَّـةَ يَـوْمَ اثْنَـيْنِ مِـنْ شَـهْرٍ صَـفَرْ

الشرح:

يعني: بعد مضي ثنتين وخمسين سنة من مولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك في السنة الثالثة عشرة من البعثة النبوية، أتى سبعون رجلًا وامرأتان من الأوس والخزرج في موسم الحج، كما ثبت في الأحاديث الصحيحة، فبايعوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على النصرة والإيواء، وتسمى هذه البيعة بيعة العقبة الثانية.

ثم هجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة يوم الاثنين من شهر صفر، في العام الثالث عشر من البعثة، وقيل: كان ذلك في شهر ربيع الأول، وجمع بعضهم فقال: خرج في الثامن والعشرين من شهر صفر من مكة ووصل المدينة يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول.

شروط هذه البيعة

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَتْ بَيْعَةَ الْحَرْبِ، حِينَ أَذِنَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقِتَالِ شُرُوطًا سِوَى شَرْطِهِ عَلَيْهِمْ فِي الْعَقَبَةِ الْأُولَى، كَانَتْ الْأُولى عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَرْبِ، فَلَمَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ فِيهَا، وَبَايَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَقَبَةِ الْأَخِيرَةِ عَلَى حَرْبِ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، أَخَذَ لِنَفْسِهِ وَاشْتَرَطَ عَلَى الْقَوْمِ لِرَبِّهِ، وَجَعَلَ لَهُمْ عَلَى الْوَفَاءِ بِذَلِكَ الْجَنَّةَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَحَدَّثَنِي عُبَادَةُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِيهِ الْوَلِيدِ، عَنْ جَدِّهِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَكَانَ أَحَدَ النُّقَبَاءِ، قَالَ: بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْعَةَ الْحَرْبِ- وَكَانَ عُبَادَةُ مِنْ الِاثْنَيْ عَشَرَ الَّذِينَ بَايَعُوهُ فِي الْعَقَبَةِ الْأُولى عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ- عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي عُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَمَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ

لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ[1].

وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، يَتْبَعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بعُكَاظٍ وَمَجَنَّةَ، وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمِنًى، يَقُولُ: «مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي، وَلَهُ الْجَنَّةُ؟» حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، أَوْ مِنْ مِصْرَ - كَذَا قَالَ - فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ، فَيَقُولُونَ: احْذَرْ غُلَامَ قُرَيْشٍ، لَا يَفْتِنُكَ، وَيَمْشِي بَيْنَ رِجَالِهِمْ، وَهُمْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، حَتَّى بَعَثَنَا اللَّهُ لَهُ مِنْ يَثْرِبَ، فَآوَيْنَاهُ، وَصَدَّقْنَاهُ، فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنَّا فَيُؤْمِنُ بِهِ، وَيُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ، فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ، ثُمَّ ائْتَمَرُوا جَمِيعًا، فَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى نَتْرُكُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ؟ فَرَحَلَ إِلَيْهِ مِنَّا سَبْعُونَ رَجُلًا حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ، فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ، فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ حَتَّى تَوَافَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَامَ نُبَايِعُكَ، قَالَ: «تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا تَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي، فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ، وَأَزْوَاجَكُمْ، وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمُ الْجَنَّةُ»، قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، وَهُوَ مِنْ أَصْغَرِهِمْ، فَقَالَ: رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبْ أَكْبَادَ الْإِبِلِ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنَّ تَعَضَّكُمُ السُّيُوفُ، فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللَّهِ، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ جَبِينَةً، فَبَيِّنُوا ذَلِكَ، فَهُوَ أَعْذَرُ لَكُمْ عِنْدَاللَّهِ، قَالُوا: أَمِطْ عَنَّا يَا أَسْعَدُ، فَوَاللَّهِ لَا نَدَعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَدًا، وَلَا نَسْلُبُهَا أَبَدًا، قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا، وَشَرَطَ، وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ.

أخرجه أحمد (١٤٤٥٦) والحاكم (٤٢٥١) وابن حبان (٦٢٧٤) وحسنه شيخنا الوادعي في "الجامع الصحيح" (٢٤١٢) والألباني في "الصحيحة" (٦٣)

---

(١) "سيرة ابن هشام" (٤٥٤/١)، وحديث عبادة متفق عليه [البخاري (٧١٩٩) ومسلم (١٧٠٩)].

فضل هذه البيعة

قَالَ كَعْب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ العَقَبَةِ، حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإِسْلاَمِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ، أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا. متفق عليه [البخاري (٤٤١٨) مسلم ((٢٧٦٩)]

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في "فتح الباري" (٢٢١/٧): وَقَوْلُهُ: (وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ) لِأَنَّ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا، وَإِنْ كَانَ فَاضِلًا بِسَبَبِ أَنَّهَا أَوَّلُ غَزْوَةٍ نُصِرَ فِيهَا الْإِسْلَامُ، لَكِنَّ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ كَانَتْ سَبَبًا فِي فُشُوِّ الْإِسْلَامِ وَمِنْهَا نَشَأَ مَشْهَدُ بَدْرٍ، وَقَوْلُهُ: (أَذْكَرُ مِنْهَا) هُوَ أَفْعَلُ تَفْضِيلٍ بِمَعْنَى الْمَذْكُورِ أَيْ أَكْثَرُ ذِكْرًا بِالْفَضْلِ وَشُهْرَةً بَيْنَ النَّاسِ.اهـ(١)

حسن ترتيب شروط البيعتين

لقد كانت البيعة الأولى تأكيدًا على تطبيق الإسلام، حيث تضمن الالتزام بطاعة الله تعالى، واجتناب معصيته؛ لأن هذه البيعة لها أثر في البيعة التي تليها البيعة على النصرة والقتال، ذلك أن الذين لا يستطيعون الانتصار على شهواتهم وملذاتهم ولا ينقادون إلى الأمر والنهي ولا يصبرون على الطاعة والإنتهاء عن المعصية لا يمكن لهم أن ينتصروا في ميادين القتال والجهاد.(٢)

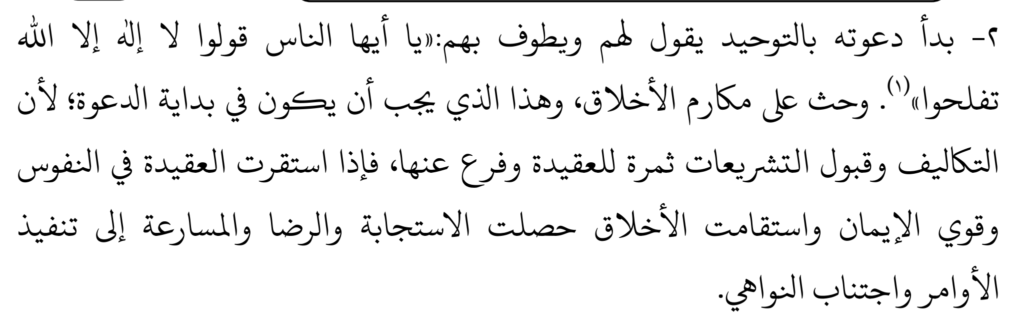
دروس وعبر

١- نلاحظ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثناء لقاءاته بالناس وعرض الإسلام عليهم يبدأ بتلاوة القرآن الكريم؛ وما ذاك إلا لعظمة تأثيره على النفوس، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

---

(١)لأخبار هذه البيعة راجع: "الإشارة" (ص:١٤٨)، "سيرة ابن هشام" (٤٣٨/١)، "جوامع السيرة" (ص:٥٨)، "دلائل النبوة" للبيهقي (٤٤٢/٢)، "الاكتفاء" (٢٦٤/١)، "عيون الأثر" (١٨٣/١)، "إمتاع الأسماع" (٥١/١)، "سبل الهدى والرشاد" (١٩٧/٣)، "الرحيق المختوم" (ص:١٣٣)، "المنتظم" (٣٤/٣)، "تاريخ الإسلام"(٢٩٧/١)، "البداية والنهاية" (٢٠٣/٣)، "سير أعلام النبلاء" (٣٠١/١).

(٢) "صحيح الأثر" (ص١٤٦).



٢- بدأ دعوته بالتوحيد يقول لهم ويطوف بهم:«يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»[١]. وحث على مكارم الأخلاق، وهذا الذي يجب أن يكون في بداية الدعوة؛ لأن التكاليف وقبول التشريعات ثمرة للعقيدة وفرع عنها، فإذا استقرت العقيدة في النفوس وقوي الإيمان واستقامت الأخلاق حصلت الاستجابة والرضا والمسارعة إلى تنفيذ الأوامر واجتناب النواهي.

٣- في استجابة الأنصار بيان فضلهم وحكمة من الله أن الدين لا يقوم على العصبية القبلية، فبينما خذلته قبيلته وأخرجته من بلده وجد عند غيرهم نصرة ومأوى.

٤- أن الدعاة إلى الله بحاجة إلى مد يد العون لهم وحمايتهم في دعوتهم من أذى أهل الباطل، فهذا خير البشر المؤيد من الله بملائكته وجنده يطلب حماية الأنصار له، فغيره من باب أولى.

٥- طلب الجنة ودفع مهرها الغالي يهون عند الصادقين، فهؤلاء الأنصار يعلمون وهم يعقدون هذه البيعة أن العرب سترميهم عن قوس واحدة، ولكنهم طلبوا الجنة.

٦- تهذيب العاطفة والحماس والعجلة، فها هو النبي ﷺ عندما استأذن الأنصار منه أن يميلوا على أهل منى منعهم وقال: لم أؤمر بذلك[٢].

أسباب الهجرة

١- شدة إيذاء المشركين من قريش للرسول ﷺ وللمسلمين، وقد بلغ الأذى نهايته في الفترة الأخيرة، بعد وفاة عمه وزوجه.

٢- بيعتا العقبة، وفي هاتين البيعتين وضح للرسول ﷺ أن الأوس والخزرج مخلصون له وللإسلام، وأن المدينة أصبحت مكانًا طيبًا يمكن أن تنمو فيه الدعوة الإسلامية.

---

(١)أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (١٥٩) وابن أبي شيبة (٨٢٢) والطبراني في "المعجم الكبير" (٨١٧٥) وابن حبان كما في "موارد الظمآن" (١٦٨٣) من حديث طارق المحاربي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو في "الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين" (٥٧).

(٢) "صحيح الأثر" (ص ١٥٤).

٣- المؤامرة الكبرى التي اتفق المشركون فيها على قتل رسول الله ﷺ والتخلص منه.[١]



تضحيات في سبيل الجنة

كلمة أسعد بن زرارة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - السابق-قال: قال أسعد بن زرارة - وهو أصغر السبعين إلا أنا-: رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، إِنَّا لَمْ نَضْرِبْ إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْمَطِيِّ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، إِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنْ تَعَضَّكُمُ السُّيُوفُ، فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى السُّيُوفِ إِذَا مَسَّتْكُمْ، وَعَلَى قَتْلِ خِيَارِكُمْ، وَعَلَى مُفَارَقَةِ الْعَرَبِ كَافَّةً، فَخُذُوهُ وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللَّهِ، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خِيفَةً فَذَرُوهُ، فَهُوَ أَعْذَرُ عِنْدَ اللَّهِ، قَالُوا: يَا أَسْعَدُ بْنَ زُرَارَةَ أَمِطْ عَنَّا يَدَكَ، فَوَاللَّهِ لَا نَذَرُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ، وَلَا نَسْتَقِيلُهَا، فَقُمْنَا إِلَيْهِ رَجُلًا رَجُلًا يَأْخُذُ عَلَيْنَا بِشُرْطَةِ الْعَبَّاسِ، وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ. مسند أحمد(٢٣/ ٢٣)

كلمة العباس بن عبادة بن نضلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ: أَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا اجْتَمَعُوا لِبَيْعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ الْأَنْصَارِيُّ، أَخُو بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ، هَلْ تَدْرُونَ عَلَامَ تُبَايِعُونَ هَذَا الرَّجُلَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّكُمْ تُبَايِعُونَهُ عَلَى حَرْبِ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ مِنْ النَّاسِ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ إِذَا نُهِكَتْ أَمْوَالُكُمْ مُصِيبَةً، وَأَشْرَافُكُمْ قَتْلًا أَسْلَمْتُمُوهُ، فَمِنْ الْآنَ، فَهُوَ وَاللَّهِ إنْ فَعَلْتُمْ خِزْيُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ عَلَى نَهْكَةِ الْأَمْوَالِ، وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ، فَخُذُوهُ، فَهُوَ

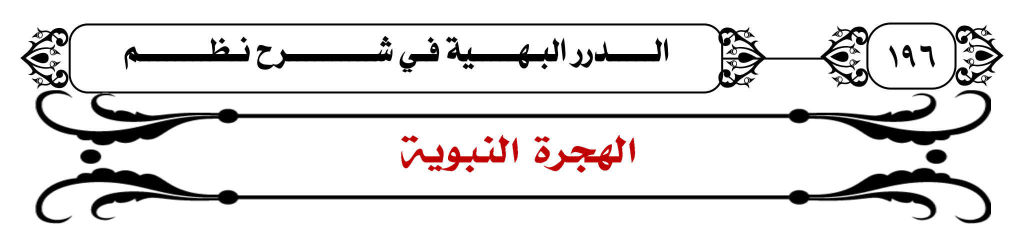
---

(١)انظر: "القول المبين في سيرة سيد المرسلين" ص (١٧٤)، "صحيح الأثر وجميل العبر" (١٥٥).

وَاللَّهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالُوا: فَإِنَّا نَأْخُذُهُ عَلَى مُصِيبَةِ الْأَمْوَالِ، وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ، فَمَا لَنَا بِذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ نَحْنُ وَفَّيْنَا (بِذَلِكَ) ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ. قَالُوا: ابْسُطْ يَدَكَ، فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعُوهُ. وَأَمَّا عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا قَالَ ذَلِكَ الْعَبَّاسُ إِلَّا لِيَشُدَّ الْعَقْدَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَعْنَاقِهِمْ. اهـ[١]



(١) "سيرة ابن هشام" (٤٤٦/١). وإسناد هذا الأثر حسن إلى عاصم بن عمر بن قتادة، وهو تابعي، ثقة، عالم بالمغازي، وقد روى عنه ابن إسحاق، وصرح بالتحديث.



الهجرة النبوية

٤٠- فَجَــاءَ طَيْبَــةَ الرِّضَــا يَقِينَــا إِذْ كَمَّــلَ الثَّــلَاثَ وَالْخَمْسِــينَا

٤١- فِي يَــوْمِ الاثْنَــيْنِ وَدَامَ فِيهَــا عَشْــرَ سِــنِينَ كُمَّــلًا نَحْكِيهَــا

الشرح:

يعني: جاء الرضا، وهو النبي ﷺ الموصوف بكمال الرضا بالله وعن الله جل وعلا ، جاء (طيبة) المدينة بعد أن أكمل الثلاث والخمسين من عمره يقينًا لا شك في ذلك ولا ريب، وذلك يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، ومكث فيها ﷺ عشر سنين كاملة، سيحكيها المؤلف ويبين حوادثها فيما يأتي من النظم.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بُعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاثة عشر سنة يُوحى إليه، ثم أُمِرَ بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين. متفق عليه[خ (٣٩٠٢) م (٢٣٥١)].

خبر الهجرة عند الأمم السابقة

كانت هجرة النبي ﷺ إلى طيبة من دلائل نبوته، ولما كان هذا الحدث عظيمًا وأمرًا مهمًا لإعلاء شأن الدين نوه الله بذكره، فأطلع بعض الأمم عليه، ومما يدل على ذلك:

حديث إسلام سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه قول الحبر له: وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى: يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ. رواه أحمد(٢٣٧٣٧) وهو في "الصحيح المسند"(٤٤٠) و"الصحيحة"(٨٩٤).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ سَأَلَ كَعْبَ الأَحْبَارِ: كَيْفَ تَجِدُ نَعتَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَاةِ؟ ، فَقَالَ كَعْبٌ: نَجِدُهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يُولَدُ بِمَكَّةَ، وَيُهَاجِرُ إِلَى

طَابَةَ، وَيَكُونُ مُلْكُهُ بِالشَّامِ، وَلَيْسَ بِفَحَّاشٍ وَلاَ صَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يُكَافِئُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، أُمَّتُهُ الحَمَّادُونَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي كُلِّ سَرَّاءٍ، وَيُكَبِّرُونَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ نَجْدٍ، يُوَضِّئُونَ أَطْرَافَهُمْ، وَيَأْتَزِرُونَ في أَوْسَاطِهِمْ، يَصُفُّونَ في صَلاَتِهِمْ كَمَا يَصُفُّونَ فِي قِتَالِهِمْ، دَوِيُّهُمْ في مَسَاجِدِهِمْ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يُسْمَعُ مُنَادِيهِمْ فِي جَوِّ السَّمَاءِ. أخرجه الدارمي (١/٤٥-٤٦) وفي رواية له (١/٤٤): مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجِرُهُ بِطَيْبَةَ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ.

إعلام الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكان الهجرة وأمره بها

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا اليَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ المَدِينَةُ يَثْرِبُ». متفق عليه [البخاري (٣٦٢٢) مسلم (٢٢٧٢)].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لِلْمُسْلِمِينَ: «إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ» وَهُمَا الحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ المَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ إِلَى المَدِينَةِ» . رواه البخاري (٣٩٠٥).

اللابتان: أرضان يركبها حجارة سود، والمدينة بين لابتين شرقية وغربية.

وسبق حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد». متفق عليه.



هجرة المسلمين قبل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)]

هاجر من هاجر إلى المدينة حين أذن بذلك رسول الله ﷺ، ورجع إلى المدينة بعض من كان هاجر إلى أرض الحبشة، وتجهّز أبو بكر مهاجرًا، فقال له رسول الله ﷺ: على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي. قال أبو بكر: هل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم.

فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعَلّف راحلتين كانتا عنده ورق السمر أربعة أشهر.

وبادر المسلمون إلى الهجرة، فكان أول من خرج إلى المدينة من أهل مكة: أبو سلمة بن عبدالأسد هو وامرأته أم سلمة، وكان قد قدم من الحبشة إلى مكة، فآذته قريشٌ فبادر بالهجرة إلى المدينة من حين أذن النبيّ ﷺ، ولكن أمّ سلمة احتبست دونه، ومُنِعَتْ من اللحاق به، وحيل بينها وبين ولدها، ثم خرجت بعد سنةٍ بولدها إلى المدينة، وشيعها عثمان ابن طلحة من مكة إلى أن رأت بلدة قباء بالمدينة، ثم تركها وعاد إلى مكة، وذلك قبل إسلامه فرضي الله عنه.

وقصتها عظيمة فهاكها:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي أَبو إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: لَمَّا أَجْمَعَ أَبُو سَلَمَةَ الْخُرُوجَ إِلَى الْمَدِينَةِ رَحَلَ لِي بَعِيرَهُ ثُمَّ حَمَلَنِي عَلَيْهِ، وَحَمَلَ مَعِي ابْنِي سَلَمَةَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ فِي حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجَ بِي يَقُودُ بِي بَعِيرَهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ رِجَالُ بَنِي الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ قَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا هَذِهِ نَفْسُكَ غَلَبْتَنَا عَلَيْهَا، أَرَأَيْتَ صَاحِبَتَكَ هَذِهِ؟ عَلَامَ نَتْرُكُكَ تَسِيرُ بِهَا فِي الْبِلَادِ؟ قَالَتْ: فَنَزَعُوا خِطَامَ الْبَعِيرِ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذُونِي مِنْهُ. قَالَتْ: وَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِالْأَسَدِ، رَهْطُ أَبِي سَلَمَةَ، فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ، لَا نَتْرُكُ ابْنَنَا عِنْدَهَا إِذْ نَزَعْتُمُوهَا مِنْ صَاحِبِنَا. قَالَتْ: فَتَجَاذَبُوا بَنِي سَلِمَةَ بَيْنَهُمْ حَتَّى خَلَعُوا يَدَهُ، وَانْطَلَقَ بِهِ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ، وَحَبَسَنِي بَنُو الْمُغِيرَةِ عِنْدَهُمْ، وَانْطَلَقَ زَوْجِي أَبُو سَلَمَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ. قَالَتْ: فَفَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ

---

(١) "صحيح الأثر وجميل العبر" (ص:١٥٥).

زَوْجِي وَبَيْنَ ابْنِي. قَالَتْ: فَكُنْتُ أَخْرُجُ كُلَّ غَدَاةٍ فَأَجْلِسُ بِالْأَبْطَحِ، فَمَا أَزَالُ أَبْكِي، حَتَّى أَمْسَى سَنَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا حَتَّى مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّي، أَحَدُ بَنِي الْمُغِيرَةِ، فَرَأَى مَا بِي فَرَحِمَنِي فَقَالَ لِبَنِي الْمُغِيرَةِ: أَلَا تُخْرِجُونَ هَذِهِ الْمِسْكِينَةَ، فَرَّقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَبَيْنَ وَلَدِهَا! قَالَتْ: فَقَالُوا لِي: الْحَقِي بِزَوْجِكِ إنْ شِئْتِ. قَالَتْ: وَرَدَّ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ إلَيَّ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنِي. قَالَتْ: فَارْتَحَلْتُ بَعِيرِي ثُمَّ أَخَذْتُ ابْنِي فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجْتُ أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَتْ: وَمَا مَعِي أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَتَبَلَّغُ بِمَنْ لَقِيتُ حَتَّى أَقْدُمَ عَلَى زَوْجِي، حَتَّى إذَا كُنْتُ بِالتَّنْعِيمِ لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، أَخَا بَنِي عَبْدِالدَّارِ فَقَالَ لِي: إلَى أَيْنَ يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ؟ قَالَتْ: فَقُلْتُ: أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَ: أَوَمَا مَعَكِ أَحَدٌ؟ قَالَتْ: فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، إلَّا اللَّهُ وَبُنَيَّ هَذَا. قَالَ: وَاللَّهِ مَا لَكِ مِنْ مَتْرَكٍ، فَأَخَذَ بِخِطَامِ الْبَعِيرِ، فَانْطَلَقَ مَعِي يهوى بى، فو الله مَا صَحِبْتُ رَجُلًا مِنْ الْعَرَبِ قَطُّ، أَرَى أَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ مِنْهُ، كَانَ إذَا بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَنَاخَ بِي، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي، حَتَّى إذَا نَزَلْتُ اسْتَأْخَرَ بِبَعِيرِي، فَحَطَّ عَنْهُ، ثُمَّ قَيَّدَهُ فِي الشَّجَرَةِ، ثُمَّ تَنَحَّى عَنِّي إلَى شَجَرَةٍ، فَاضْطَجَعَ تَحْتَهَا، فَإِذَا دَنَا الرَّوَاحُ، قَامَ إلَى بَعِيرِي فَقَدَّمَهُ فَرَحَلَهُ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي، وَقَالَ: ارْكَبِي. فَإِذَا رَكِبْتُ وَاسْتَوَيْتُ عَلَى بَعِيرِي أَتَى فَأَخَذَ بِخِطَامِهِ، فَقَادَهُ، حَتَّى يَنْزِلَ بِي. فَلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِي حَتَّى أَقْدَمَنِي الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا نَظَرَ إلَى قَرْيَةِ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءٍ، قَالَ: زَوْجُك فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ- وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ بِهَا نَازِلًا- فَادْخُلِيهَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إلَى مَكَّةَ. قَالَ: فَكَانَتْ تَقُولُ: وَاَللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْإِسْلَامِ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ آلَ أَبِي سَلَمَةَ، وَمَا رَأَيْتُ صَاحِبًا قَطُّ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ(١).

ثم خرج الناس أرسالًا يتبعُ بعضهم بعضًا

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ ابْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقْرِئَانِ النَّاسَ، فَقَدِمَ بِلَالٌ وَسَعْدٌ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، ثُمَّ قَدِمَ

---

(١) "سيرة ابن هشام" (٤٦٩/١) و سنده صالح للاعتبار، فيه سلمة بن عبد الله قال عنه ابن حجر في "التقريب": مقبول، ووثقه ابن حبان. وانظر: "الصحيح من أحاديث السيرة النبوية" (ص:١٣٨) و"السيرة النبوية الصحيحة" للعمري(٢٠٤/١).

عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ المَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى جَعَلَ الإِمَاءُ يَقُلْنَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَا قَدِمَ حَتَّى قَرَأْتُ: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى فِي سُوَرٍ مِنَ المُفَصَّلِ . صحيح البخاري (٣٩٢٥)



هجرة عمر بن الخطاب وعياش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا اجْتَمَعْنَا لِلْهِجْرَةِ اتَّعَدْتُ أَنَا وَعَيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَهِشَامُ بْنُ الْعَاصِي الْمَيْضَاةَ، مَيْضَاةَ بَنِي غِفَارٍ فَوْقَ سَرِفٍ وَقُلْنَا: أَيُّكُمْ لَمْ يُصْبِحْ عِنْدَهَا فَقَدِ احْتَبَسَ فَلْيَنْطَلِقْ صَاحِبَاهُ، فَحُبِسَ عَنَّا هِشَامُ بْنُ الْعَاصِ فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءَ وَخَرَجَ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ إِلَى عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَكَانَ ابْنَ عَمِّهِمَا وَأَخَاهُمَا لِأُمِّهِمَا حَتَّى قَدِمَا عَلَيْنَا الْمَدِينَةَ فَكَلَّمَاهُ فَقَالَا لَهُ: إِنَّ أُمَّكَ نَذَرَتْ أَنْ لَا تَمَسَّ رَأْسَهَا بِمِشْطٍ حَتَّى تَرَاكَ، فَرَقَّ لَهَا، فَقُلْتُ لَهُ: يَا عَيَّاشُ إِنَّهُ وَاللَّهِ إِنْ يُرِيدُكَ الْقَوْمُ إِلَّا عَنْ دِينِكِ فَاحْذَرْهُمْ فَوَاللَّهِ لَوْ قَدْ أَذَى أُمَّكَ الْقَمْلُ لَقَدِ امْتَشَطَتْ، وَلَوْ قَدِ اشْتَدَّ عَلَيْهَا حَرُّ مَكَّةَ أَحْسَبُهُ قَالَ: لَاسْتَظَلَّتْ. فَقَالَ: إِنَّ لِي هُنَاكَ مَالًا فَآخُذُهُ. قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَالًا فَلَكَ نِصْفُ مَالِي، وَلَا تَذْهَبْ مَعَهُمَا، قَالَ: فَأَبَى عَلَيَّ إِلَّا أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُمَا فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا أَبَى عَلَيَّ: أَمَا إِذْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ فَخُذْ نَاقَتِي هَذِهِ فَإِنَّهَا نَاقَةٌ ذَلُولٌ فَالْزَمْ ظَهْرَهَا، فَإِنْ رَابَكَ مِنَ الْقَوْمِ رَيْبٌ فَانْجُ عَلَيْهَا، فَخَرَجَ مَعَهُمَا عَلَيْهَا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ: وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَبْطَأْتُ بَعِيرِي هَذَا أَفَلَا تَحْمِلُنِي عَلَى نَاقَتِكَ هَذِهِ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَنَاخَ وَأَنَاخَا لِيَتَحَوَّلَ عَلَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَوْا بِالْأَرْضِ عَدَيَا عَلَيْهِ وَأَوْثَقَاهُ، ثُمَّ أَدْخَلَاهُ مَكَّةَ وَفَتَنَاهُ فَافْتُتِنَ، قَالَ: وَكُنَّا نَقُولُ: وَاللَّهِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِمَّنِ افْتُتِنَ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا، وَلَا

تُقْبَلُ تَوْبَةُ قَوْمٍ عَرَفُوا اللَّهَ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْكُفْرِ لِبَلَاءٍ أَصَابَهُمْ، قَالَ: وَكَانُوا يَقُولُونَ ذَلِكَ لِأَنْفُسِهِمْ فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ وَفِي قَوْلِنَا لَهُمْ وَقَوْلِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٥] قَالَ عُمَرُ: فَكَتَبْتُهَا فِي صَحِيفَةٍ وَبَعَثْتُ بِهَا إِلَى هِشَامِ بْنِ الْعَاصِي قَالَ هِشَامٌ: فَلَمْ أَزَلْ أَقْرَؤُهَا بِذِي طُوًى أَصْعَدُ بِهَا فِيهِ حَتَّى فَهِمْتُهَا، قَالَ: فَأُلْقِيَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا إِنَّمَا أُنْزِلَتْ فِينَا وَفِيمَا كُنَّا نَقُولُ فِي أَنْفُسِنَا، وَيُقَالُ: فِينَا فَرَجَعْتُ فَجَلَسْتُ عَلَى بَعِيرِي فَلَحِقْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ.[١]

وكان نزول المهاجرين بالعصبة بجانب قباء كما جاء في البخاري (٦٩٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ المُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ العُصْبَةَ - مَوْضِعٌ بِقُبَاءٍ - قَبْلَ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَؤُمُّهُمْ سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَكَانَ أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا».

وَهَكَذَا لَمْ يَمْضِ شَهْرَانِ أَوْ أَكْثَرُ عَلَى بَيْعَةِ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ بِمَكَّةَ مِنَ المُسْلِمِينَ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَوْ مَفْتُون مَحْبُوسٌ، أَوْ مَرِيضٌ، أَوْ ضَعِيفٌ عَنِ الخُرُوجِ[٢].



---

(١)أخرجه البزار (١٥٥) وابن هشام في "السيرة" (٤٧٤/١-٤٧٥)، وقال الهيثمي في "المجمع"(٦١/٦): رواه البزار ورجاله ثقات. وهو في "صحيح السيرة النبوية" للعلي (ص:١١٨).

(٢) "اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون" (٢٧/٢).

هجرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ (١)

ثُمَّ أَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ فِي الهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكُثَ بِمَكَّةَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالهِجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثٍ وَسِتِّينَ» متفق عليه [البخاري (٣٩٠٢)مسلم (٢٣٥١)].

حديث الهجرة من صحيح البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥/٥٨-٦١): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ، إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ المُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ القَارَةِ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَابَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُوبَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي، قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ وَلاَ يُخْرَجُ، إِنَّكَ تَكْسِبُ المَعْدُومَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ، فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلاَ يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ المَعْدُومَ وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ، وَقَالُوا: لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَلْيُصَلِّ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ،

---

(١)المرجع السابق(٢/٣٥).

وَلاَ يُؤْذِينَا بِذَلِكَ وَلاَ يَسْتَعْلِنْ بِهِ، فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَلاَ يَسْتَعْلِنُ بِصَلاَتِهِ وَلاَ يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ القُرْآنَ، فَيَنْقَذِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ المُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لاَ يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ القُرْآنَ، وَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ، عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَأَعْلَنَ بِالصَّلاَةِ وَالقِرَاءَةِ فِيهِ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَانْهَهُ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ، فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الِاسْتِعْلاَنَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي، فَإِنِّي لاَ أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ العَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ، وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ: «إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ» وَهُمَا الحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ المَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ إِلَى المَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ المَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ وَهُوَ الخَبَطُ، أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ، قَالَ: عُرْوَةُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، قَالَتْ: فَجَاءَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ» قَالَ أَبُوبَكْرٍ: فَخُذْ - بِأَبِي أَنْتَ يَارَسُولَ اللَّهِ - إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِالثَّمَنِ». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُوبَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمَنَا فِيهِ ثَلاَثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلاَمٌ شَابٌّ، ثَقِفٌ لَقِنٌ، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلاَ يَسْمَعُ أَمْرًا، يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلاَمُ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ، وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا، حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاَثِ، وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ، هَادِيَا خِرِّيتًا، وَالخِرِّيتُ المَاهِرُ بِالهِدَايَةِ، قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ العَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلاَثٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالدَّلِيلُ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَالِكٍ المُدْلِجِيُّ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشُمٍ يَقُولُ: جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ يَا سُرَاقَةُ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ، أُرَاهَا مُحَمَّدًا

وَأَصْحَابَهُ، قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلاَنًا وَفُلاَنًا، انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي المَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي، وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ، فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ البَيْتِ، فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ، حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الأَزْلاَمَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا: أَضُرُّهُمْ أَمْ لاَ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الأَزْلاَمَ، تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ لاَ يَلْتَفِتُ، وَأَبُوبَكْرٍ يُكْثِرُ الالْتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الأَرْضِ، حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالأَزْلاَمِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي وَلَمْ يَسْأَلاَنِي، إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا». فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ، فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّأْمِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ، وَسَمِعَ المُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ، فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ، أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِهِمْ، لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكِ اليَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ العَرَبِ، هَذَا جَدُّكُمُ الَّذِي

تَنْتَظِرُونَ، فَثَارَ المُسْلِمُونَ إِلَى السِّلاَحِ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِظَهْرِ الحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَامِتًا، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الأَنْصَارِ - مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ، حَتَّى أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأُسِّسَ المَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ، فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِرْبَدًا لِلتَّمْرِ، لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ غُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ: «هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ المَنْزِلُ». ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الغُلاَمَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ، لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا، فَقَالاَ: لاَ، بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا، وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ، وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ: «هَذَا الحِمَالُ لاَ حِمَالَ خَيْبَرْ، هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ»، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَهْ، فَارْحَمِ الأَنْصَارَ، وَالمُهَاجِرَهْ». فَتَمَثَّلَ بِشِعْرِ رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ لَمْ يُسَمَّ لِي قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَلَمْ يَبْلُغْنَا فِي الأَحَادِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَمَثَّلَ بِبَيْتِ شِعْرٍ تَامٍّ غَيْرَ هَذَا البَيْتِ.

استقبال الأنصار وفرحهم العظيم بقدوم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ ابْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقْرِئَانِ النَّاسَ، فَقَدِمَ بِلاَلٌ وَسَعْدٌ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ المَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى جَعَلَ الإِمَاءُ يَقُلْنَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَا قَدِمَ حَتَّى قَرَأْتُ: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى فِي سُوَرٍ مِنَ المُفَصَّلِ. رواه البخاري (٣٩٢٥).

وفي رواية لمسلم (٧٥) عنه قال: فَصَعِدَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ، وَتَفَرَّقَ الْغِلْمَانُ وَالْخَدَمُ فِي الطُّرُقِ، يُنَادُونَ: يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللهِ يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللهِ.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: إِنِّي لَأَسْعَى فِي الْغِلْمَانِ يَقُولُونَ: جَاءَ مُحَمَّدٌ، فَأَسْعَى فَلَا أَرَى شَيْئًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: جَاءَ مُحَمَّدٌ، فَأَسْعَى فَلَا أَرَى شَيْئًا، قَالَ: حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَصَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ، فَكَمَنَّا فِي بَعْضِ حِرَارِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ بَعَثَا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ لِيُؤْذِنَ بِهِمَا الْأَنْصَارَ، فَاسْتَقْبَلَهُمَا زُهَاءَ خَمْسِ مِائَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِمَا، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: انْطَلِقَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبُهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَخَرَجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ حَتَّى إِنَّ الْعَوَاتِقَ لَفَوْقَ الْبُيُوتِ يَتَرَاءَيْنَهُ، يَقُلْنَ أَيُّهُمْ هُوَ، أَيُّهُمْ هُوَ؟ قَالَ: فَمَا رَأَيْنَا مَنْظَرًا شَبِيهًا بِهِ يَوْمَئِذٍ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: «وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَوْمَ دَخَلَ عَلَيْنَا وَيَوْمَ قُبِضَ، فَلَمْ أَرَ يَوْمَيْنِ شَبِيهًا بِهِمَا». مسند أحمد (١٣٣١٨) وصححه شيخنا الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (١٠٤/١)

وعَنْه قَالَ: لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَقَالَ: مَا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْأَيْدِي حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا. أخرجه أحمد (١٣٨٣٠) والترمذي (٣٦١٨) وابن ماجه (١٦٣١) وصححه شيخنا في "الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين" (٣٧٠/٣).

وعن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: فَخَرَجَ النَّاسُ حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فِي الطُّرُقِ، وَعَلَى



الْبُيُوتِ مِنَ الْغِلْمَانِ وَالْخَدَمِ يَقُولُونَ: جَاءَ مُحَمَّدٌ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ انْطَلَقَ، فَنَزَلَ حَيْثُ أُمِرَ. أخرجه ابن حبان (٦٢٨١)بسند صحيح.

أخبار لم تثبت في استقبال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ولم يصح أن بنات المدينة خرجن بالدفوف يقلن: طلع البدر علينا.... الخ
فهذا خبر باطل معضل من طريق عبدالله بن محمد بن عائشة وقد ضعفه كثير من الأئمة.
وكذلك لا يصح أن بنات بني النجار خرجن يقلن:
نحن جواري بني النجار... يا حبذا محمدا من جار....الخ
فهذا خبر مكذوب من طريق إبراهيم بن صرمة وهو كذاب خبيث كما قال ابن معين، وقال ابن عدي: عامة حديثه منكر السند والمتن. وضعفه الدارقطني وغيرهم(١).



(١) "السلسلة الضعيفة" (١٤/١٩) حديث رقم (٦٥٠٨).



إكمال الصلاة الرباعية في الحضر وإقامة صلاة الجمعة

٤٢- أَكْمَلَ فِي الْأُولَى صَلَاةَ الْحَضَرِ مِنْ بَعْدِ مَا جَمَّعَ فَاسْمَعْ خَبَرِي

الشرح:

أي أكمل رسول الله ﷺ في السنة الأولى من الهجرة الصلاة الرباعية في الحضر، بعد أن فُرِضَتْ ركعتين فصارت الظهر أربعًا، والعصر أربعًا، والعشاء أربعًا، وبقيت في السفر كما هي على ما كانت عليه قبل الهجرة.

ففي الصحيحين عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قالت: «فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَفُرِضَتْ أَرْبَعًا، وَتُرِكَتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَى الأُولَى». هذا لفظ البخاري (٣٩٣٥)

ولفظ مسلم (٦٨٥) قَالَتْ: «فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ، وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ».

قوله: (من بعد ما جمع): أي صلى الجمعة في المدينة بعد قدومه إليها.

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده، ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة، وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك فالله أعلم أي ذلك كان. فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي -وادي رانوناء- فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة.[(١)]

(١) "سيرة ابن هشام" (١/٤٩٤). وفي خبر عروة في البخاري (٣٩٠٦) أنه قام فيهم بضع عشرة ليلة. وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ في "السيرة" (٢/٢٧١): وحكى موسى بن عقبة، عن مجمع بن يزيد بن حارثة أنه قال: أقام رسول الله ﷺ فينا اثنتين وعشرين ليلة. وقال الواقدي: ويقال: أقام فيهم أربع عشرة ليلة. اهـ



والمسجد معروف إلى اليوم باسم: مسجد الجمعة. ويقال له: مسجد عاتكة. وهذا هو المشهور عند أهل المغازي.[١]

قوله: (فاسمع خبري): أي سماع فهم وقبول.



عام إتمام صلاة الحضر

أكثر أهل السير على أن إتمام الصلاة كان في ظهر يوم الثلاثاء، لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر، أي بعد مقدمه المدينة بشهر، وذكر الواقدي أنه لا خلاف بين العلماء فيه من أهل الحجاز.

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تاريخه" (٢/٤٠٠): وفي هذه السنة –يعني الأولى من الهجرة– زيد في صلاة الحضر فيما قيل ركعتان، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين، وذلك بعد مقدم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة بشهر في ربيع الآخر لمضي اثنتي عشرة منه، زعم الواقدي أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه. اهـ

وقال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السيرة النبوية" (١/ ١٤٥): وكانت الصلاة ركعتين ركعتين... فأقرت صلاة المسافر وزيد في صلاة المقيم وذلك لاثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الآخر بعد قدومه عليه.اهـ

وقال القسطلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "المواهب اللدنية"(١/ ١٩٧): ولما كان بعد شهر من مقدمه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لاثنتى عشرة خلت من ربيع الآخر - قال الدولابى: يوم الثلاثاء، وقال السهيلى: بعد الهجرة بعام أو نحوه- زيد فى صلاة الحضر ركعتان ركعتان، وتركت صلاة الفجر لطول القراءة فيها، وصلاة المغرب لأنها وتر النهار، وأقرت صلاة السفر.اهـ

---

(١)قاله ابن سيد الناس في "عيون الأثر"(١/٢٢٢).

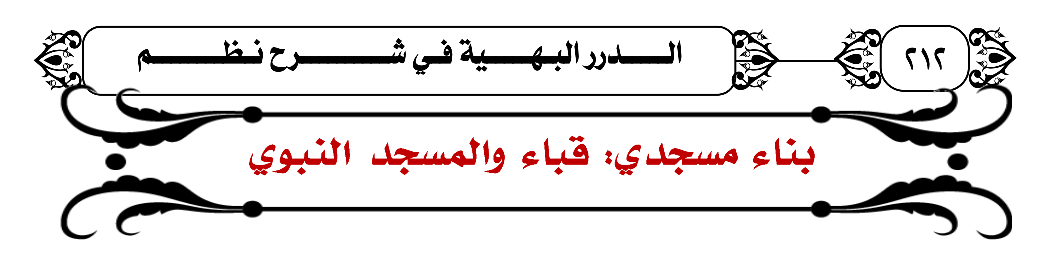
وقال ابن سيد الناس في "عيون الأثر"(٢٢٥/١): ونزل عليه تمام الصلاة بعد مقدمه بشهر.اهـ

وقال الصالحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "سبل الهدى "(٤٦/١٢): وفيها جعلت صلاة الحضر أربع ركعات، وكانت ركعتين بعد مقدمه بشهر لاثنتي عشرة من ربيع الآخر. اهـ

أول جمعة بعد جمعة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ جُمُعَةٍ جُمِّعَتْ بَعْدَ جُمُعَةٍ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسْجِدِ عَبْدِ القَيْسِ بِجُوَاثَى مِنَ البَحْرَيْنِ». صحيح البخاري (٨٩٢)





بناء مسجدي: قباء والمسجد النبوي

٤٣- ثُـــمَّ بَـــنَى الْمَسْـــجِدَ فِي قُبَـــاءِ وَمَسْـــجِدَ الْمَدِينَـــةِ الْغَـــرَّاءِ

الشرح:

أي: وفي هذه السنة الأولى من الهجرة والرابعة عشرة من البعثة بنى النبي ﷺ مسجد قباء في بني عمرو بن عوف حين نزوله عليهم، وهو أول مسجد بُنِي في الإسلام بالمدينة، بل أول مسجد جُعِل لعموم الناس في هذه الملة. وأول مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ بأصحابه جماعة ظاهرًا.

وفيها أيضًا بنى عليه الصلاة والسلام مسجد المدينة، في مربد تمر كان لغلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، اشتراه النبي ﷺ منهم، وكان ﷺ يشارك في بناء المسجد وينقل معهم اللبن وبلغت مدة بنائه اثنا عشر يوماً، بناه من اللبن والجريد.

وفي حديث الهجرة في "صحيح البخاري" (٣٩٠٦): عن ابن شهاب، عن عروة ابن الزبير قال: فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ ، ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مِرْبَدًا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته:«هذا إن شاء الله المنزل»، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدًا، فقالا: لا، بل نهبه لك يا رسول الله. فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبه، حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا.



مشاركة النبي ﷺ في بناء مسجد قباء

وقد شارك النبي ﷺ في بناء المسجد يحمل الحجارة معهم.

عَنِ الشَّمُوسِ بِنْتِ النُّعْمَانِ، قَالَتْ: نَظَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ قَدِمَ، وَنَزَلَ وَأَسَّسَ هَذَا الْمَسْجِدَ، مَسْجِدَ قِبَاءَ، فَرَأَيْتُهُ يَأْخُذُ الْحَجَرَ - أَوِ الصَّخْرَةَ - حَتَّى يَصْهَرَهُ الْحَجَرُ، وَأَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ التُّرَابِ عَلَى بَطْنِهِ وَسُرَّتِهِ، فَيَأْتِي الرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَيَقُولُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطِنِي أَكْفِكَ، فَيَقُولُ: «لَا خُذْ حَجَرًا مِثْلَهُ» حَتَّى أَسَّسَهُ وَيَقُولُ: «إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ يَؤُمُّ الْكَعْبَةَ» قَالَتْ: فَكَانَ يُقَالُ: إِنَّهُ أَقْوَمُ مَسْجِدٍ قِبْلَةً .(١)

فضل مسجد قباء

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْتِي مَسْجِدَ قُبَاءٍ كُلَّ سَبْتٍ، مَاشِيًا وَرَاكِبًا» وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «يَفْعَلُهُ». متفق عليه [البخاري (١١٩٣) مسلم (١٣٩٩)]

وعن أُسَيْدَ بْنِ ظُهَيْرٍ الأَنْصَارِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ كَعُمْرَةٍ». أخرجه الترمذي (٣٢٤) و ابن ماجه (١٤١١) وهو في "صحيح الجامع" (٣٨٧٢).

وعن سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ هَذَا الْمَسْجِدَ - مَسْجِدَ قُبَاءَ - فَصَلَّى فِيهِ كَانَ لَهُ عَدْلُ عُمْرَةٍ». أخرجه النسائي (٦٩٩)

وأخرجه ابن ماجه(١٤١٢) بلفظ: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءَ، فَصَلَّى فِيهِ صَلَاةً كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرَةٍ». وهو في الصحيحة (٣٤٤٦)

---

(١)أخرجه الطبراني في "الكبير" (٨٠٢)، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (١١/٤): رجاله ثقات.اهـ
وهو حديث حسن وله شواهد، منها: ما أخرجه البزار، عن عبدالرحمن بن عمرو بن حارثة الأنصاري: أن عمر كان يأتي مسجد قباء يوم الاثنين والخميس، فجاء يومًا فلم يجد فيه أحدًا من الناس، فقال: مالي لا أرى في هذا المسجد أحدًا من الناس، والذي نفسي بيده لقد رأيت رسول الله ﷺ لهو أسسه، وجبريل عليه السلام يؤم له الكعبة. "مسند البزار" (٣٠٣)، وفي سنده اضطراب كما في "التاريخ الكبير" للبخاري (١/٤٠١-٤٠٢).

ومن مناقبه العظيمة:

نزول قول الله عز وجل فيه: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨] وهذا قول جمهور العلماء.

قال الحافظ ابن حجر في "الفتح"(٧/ ٢٤٥): وقد اختلف في المراد بقوله تعالى: ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ ، فالجمهور على أن المراد به مسجد قباء، هذا هو ظاهر الآية.اهـ

ومما يدل على ذلك: عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُعن النبي ﷺ قال: «نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨] قال: كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم». أخرجه الترمذي (٣١٠٠)، وأبو داود (٤٤)، وابن ماجه (٣٥٧)، وصححه الألباني في "إرواء الغليل"(١/٨٤)رقم (٤٥).

إشكال وجوابه

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْن عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: مَرَّ بِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: كَيْفَ سَمِعْتَ أَبَاكَ يَذْكُرُ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟ قَالَ: قَالَ أَبِي: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْمَسْجِدَيْنِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟ قَالَ: فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ، فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: «هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا» لِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، قَالَ: فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ أَبَاكَ هَكَذَا يَذْكُرُهُ. رواه مسلم (١٣٩٨)

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَرَجُلًا مِنْ بَنِي خُدْرَةَ امْتَرَيَا فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، فَقَالَ الْعَوْفِيُّ: هُوَ مَسْجِدُ قُبَاءٍ وَقَالَ الْخُدْرِيُّ: هُوَ مَسْجِدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَيَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَسَأَلَاهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «هُوَ مَسْجِدِي هَذَا وَفِي ذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ ». رواه أحمد (١١٨٦٤)، وأبو يعلى (٩٨٥)، ومن طريقه ابن حبان (١٦٢٦)، وصححه الألباني في "التعليقات الحسان" (٣/٢٠٤).

فكيف الجمع بين الأحاديث الواردة في ذلك؟

الصحيح: أن المراد بالآية المسجدين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "منهاج السنة" (٢٤/٤): مسجد قباء أسس على التقوى، ومسجده ﷺ أيضًا أسس على التقوى وهو أكمل في ذلك، فلما نزل قوله تعالى: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨]، بسبب مسجد قباء، تناول اللفظ لمسجد قباء ولمسجده ﷺ بطريق الأولى.اهـ

وقال الحافظ ابن حجر في "الفتح"(٢٤٥/٧): والحق أن كلًا منهما أسس على التقوى، وقوله تعالى في بقية الآية:﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ يؤيد كون المراد مسجد قباء، وعند أبي داود بإسناد صحيح: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: نزلت: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ في أهل قباء. وعلى هذا فالسر في جوابه ﷺ بأن المسجد الذي أسس على التقوى مسجده رَفْعُ تَوَهُّم أن ذلك خاص بمسجد قباء، والله أعلم. قال الداودي وغيره: ليس هذا اختلافًا؛ لأن كلًّا منهما أسس على التقوى. وكذا قال السُّهَيْلِي، وزاد غيره: أن قوله تعالى: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ يقتضي أنه مسجد قباء؛ لأن تأسيسه كان في أول يوم حل النبي ﷺ بدار الهجرة، والله أعلم. اهـ

وقال أبو الحسن السمهودي في "وفاء الوفاء" (٢١/٢): وقد اختلف في المراد بقوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ فالجمهور على أن المراد به مسجد قباء، ولا ينافيه قوله ﷺ لمسجد المدينة:«هو مسجدكم هذا»؛ إذ كل منهما أسس على التقوى.اهـ

وقال (٢١/٢): لكن قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ يقضي أنه مسجد قباء؛ لأنه ليس المراد أول أيام الدنيا، بل أول أيام حلوله ﷺ بدار الهجرة، وذلك هو مسجد قباء، إلا أن يدعى أن النبي ﷺ شرع في تأسيس مسجد المدينة أيضًا من أول قدومه لها، أو يقال: المراد من أول يوم تأسيسه. وسيأتي في مسجد قباء أشياء صريحة في أنه المراد. فتعيين الجمع بأن كلا منهما يصدق عليه أنه أسس على التقوى من أول يوم تأسيسه كما هو معلوم، وأنهما المراد من

الآية. لكن يشكل عليه كون النبي ﷺ أراد رَفْعَ تَوَهُّم أن ذلك خاص بمسجد قباء، كما هو ظاهر ما فهمه السائل وتنويهًا بمزية مسجده الشريف لمزيد فضله والله أعلم. اهـ

وسئل الشيخ المحدث عبد المحسن العباد –حفظه الله-: ما المسجد الذي أسس على التقوى قباء أو المسجد النبوي؟ فأجاب: كل منهما أُسِّسَ على التقوى، أما مسجد قباء فقد جاء ذلك في القرآن، وأما مسجد النبي ﷺ فقد جاء ذلك في السنة، فكل منهما متصف بهذا الوصف، وكل منهما أسس على التقوى من أول يوم، ونظير هذا قول الله عز وجل:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] فإن هذه الآية جاءت في سياق الكلام مع أمهات المؤمنين، فهن داخلات فيها بنص القرآن، وقد جاء في السنة عن النبي ﷺ: أنه لما نزلت الآية جمع عليًا وفاطمة والحسن والحسين، وجعل عليهم كساء وقال:«هؤلاء أهلي». فهؤلاء من أهله وممن يدخل في هذه الآية كما جاء في السنة، وأمهات المؤمنين، جاء في القرآن كونهن من أهل بيته الذين يريد الله أن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا، وهذا مثل قصة مسجد قباء جاء في القرآن، وذكر مسجد النبي ﷺ جاء في السنة.اهـ من شرح سنن أبي داود.



نزول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند أخواله حتى بناء مسجده ومساكنه

لما عزم النبي ﷺ التحرك من قباء إلى المدينة، أرسل إلى أخواله بني النجار فجاؤوا متقلدي السيوف حرسًا له ﷺ ورافقوه حتى دخل المدينة، وتنازع الناس في أيهم ينزل عنده النبي ﷺ ، وكلما مر على ملأ طلبوا أن ينزل عليهم، فاختار النبي ﷺ النزول على أخواله بني النجار؛ إكرامًا لهم وصلة للرحم، فنزل فيهم في دار أبي أيوب الأنصاري، وبقي فيها حتى ابتنى مسجده ومساكنه.

عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، نزل في عُلْو المدينة في حي يقال لهم

بنو عمرو بن عوف، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، ثم أرسل إلى ملأ بني النجار. قال: فجاءوا متقلدي سيوفهم، كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رديفه، وملأ بني النجار حوله. حتى ألقى بفناء أبي أيوب، وكان يصلي حيث أدركته الصلاة فيصلي في مرابض الغنم، ثم أمر بالمسجد فأرسل إلى ملأ من بني النجار فجاءوا فقال: «يا بني النجار، ثامنوني بحائطكم هذا». قالوا: والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله عز وجل. قال أنس: وكانت فيه قبور المشركين، وكانت فيه خَرِب، وكان فيه نخل. فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فَنُبِشَت، وبالنخل فقطعت، وبالخرب فسُوِّيَت، فصفوا النخل قبلة المسجد، وجعلوا عضادتيه الحجارة، وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم وهم يقولون:

اللَّهُمَّ لا خير إلا خير الآخرة   فانصر الأنصار والمهاجرة[1]

وفي حديث البراء بن عازب الطويل عن الهجرة، وفيه: قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فقدمنا المدينة ليلًا فتنازعوا أيهم ينزل عليه رسول الله ﷺ ، فقال: «أنزل على بني النجار، أخوال عبدالمطلب؛ أُكرمهم بذلك». رواه مسلم (٧٥).

وفي حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في البخاري (٣٩١١): فركب نبي الله ﷺ وأبو بكر وحفوا دونهما بالسلاح، فقيل في المدينة: جاء نبي الله، جاء نبي الله ﷺ ، فأشرفوا ينظرون ويقولون: جاء نبي الله، جاء نبي الله، فأقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب... فقال نبي الله ﷺ :«أي بيوت أهلنا أقرب؟» فقال أبو أيوب: أنا يا رسول الله، هذه داري وهذا بابي. قال:«فانطلق، فهيئ لنا مقيلًا». قال: قوما على بركة الله. اهـ



(١)متفق عليه [خ (٣٩٣٢) م (٥٢٤)] وفي رواية للبخاري(٤٢٨): فاغفر للأنصار والمهاجرة.

صفة مسجد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان المسجد على عهد رسول الله ﷺ مبنيًا باللبن وسَقْفَه الجريد وعُمُده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئًا، وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشبًا، ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقَصَّة، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسَقَفَه بالساج[1]. رواه البخاري (٤٤٦).

قال الإمام الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأسسوا المسجد فجعلوا طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع، وفي هذين الجانبين مثل ذلك فهو مربع، ويقال: كان أقل من المائة. وجعلوا الأساس قريبًا من ثلاثة أذرع على الأرض بالحجارة، ثم بنوه باللبن وجعل قبلته إلى بيت المقدس، وجعل له ثلاثة أبواب: باب في مؤخره، وباب يقال له باب الرحمة وهو الباب الذي يدعى باب عاتكة، والباب الثالث الذي يدخل فيه رسول الله ﷺ وهو الباب الذي يلي آل عثمان، وجعل طول الجدار بسطة وعمده الجذوع وسقفه جريدا. اهـ"طبقات ابن سعد" (١٨٤/١).



(١)**القَصَّة**: الجير المحروق، **والساج**: خشب هندي.



بناء مساكنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورجوع عِدةٌ من مهاجري الحبشة

٤٤- ثُــمَّ بَــنَى مِــنْ حَــوْلِهِ مَسَــاكِنَهْ ... ثُـمَّ أَتَى مِـنْ بَعْـدُ فِي هَـذِي السَّـنَةْ

٤٥- أَقَـلُّ مِـنْ نِصْـفِ الَّذِيـنَ سَـافَرُوا ... إِلَى بِـلادِ الْحُـبْشِ حِـينَ هَـاجَرُوا

الشرح:

أي: لما فرغ النبي ﷺ من بناء المسجد بنى بيوتًا إلى جانبه لزوجتيه سودة وعائشة، بناها من اللبن، وسقفها بجذوع النخل والجريد، بنى لعائشة البيت الذي بابه شارع إلى المسجد، وجعل بيت سودة بجواره وهما أول بيتين، ولم تبن بيوت النبي ﷺ دفعة واحدة كما قد يفهم من النظم، ولكنه كان يبني عند حاجته، عند زواجه بواحدة يبني لها بيتًا. وأكثر الروايات أنها كانت شرقي المسجد (الجهة الشرقية)، وكانت هذه البيوت تتسم بالبساطة الشديدة والزهد عن مظاهر الدنيا وزخرفها، كل بيت تشمل غرفة وحجرة، وأبواب الحجر يسترها مسوح الشعر، قياس فتحة باب الحجرة كان ارتفاعه ثلاثة أذرع، واتساع الفتحة ذراع. وكانت شاهد على رفض النبي ﷺ للمظاهر الدنيوية وبهرجة الحياة وتفاخرها.

قال السهيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الروض الأنف" (٤/ ١٦٣): وَأَمّا بُيُوتُهُ عَلَيْهِ السّلَامُ فَكَانَتْ تِسْعَةً بَعْضُهَا مِنْ جَرِيدٍ مُطَيّنٍ بِالطّينِ وَسَقْفُهَا جَرِيدٌ وَبَعْضُهَا مِنْ حِجَارَةٍ مَرْضُومَةٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ مُسَقّفَةٌ بِالْجَرِيدِ أَيْضًا. وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ: «كُنْت أَدْخُلُ بُيُوتَ النّبِيّ عَلَيْهِ السّلَامُ وَأَنَا غُلَامٌ مُرَاهِقٌ فَأَنَالُ السّقْفَ بِيَدِي»[1]، وَكَانَتْ حُجَرُهُ - عَلَيْهِ السّلَامُ - أَكْسِيَةٌ مِنْ شَعْرٍ مَرْبُوطَةٌ فِي خَشَبِ عَرْعَرٍ وَفِي "تَارِيخِ الْبُخَارِيّ" أَنّ بَابَهُ - عَلَيْهِ السّلَامُ - كَانَ

(١)عن حُرَيْث بْنِ السَّائِبِ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: كُنْتُ أَدْخُلُ بُيُوتَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فَأَتَنَاوَلُ سُقُفَهَا بِيَدِي."صحيح الأدب المفرد" (٣٥١). قال ابن كثير في "البداية والنهاية"(٤/٥٤٥): إلا أنه قد كان الحسن البصري شكلًا ضخما طوالا.اهـ

يُقْرَعُ بِالْأَظَافِرِ أَيْ لَا حِلَقَ لَهُ وَلَمّا تُوُفِّيَ أَزْوَاجُهُ عَلَيْهِ السّلَامُ خُلِطَتْ الْبُيُوتُ وَالْحُجَرُ بِالْمَسْجِدِ وَذَلِكَ فِي زَمَنِ عَبْدِالْمَلِكِ فَلَمّا وَرَدَ كِتَابُهُ بِذَلِكَ ضَجّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِالْبُكَاءِ كَيَوْمِ وَفَاتِهِ عَلَيْهِ السّلَامُ وَكَانَ سَرِيرُهُ خَشَبَاتٌ مَشْدُودَةٌ بِاللّيفِ بِيعَتْ زَمَنَ بَنِي أُمَيّةَ فَاشْتَرَاهَا رَجُلٌ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ قَالَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ.اهـ[١]

وقال دَاوُدُ بْنُ قَيْسٍ: رَأَيْتُ الْحُجُرَاتِ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ مَغْشِيًّا مِنْ خَارِجٍ بِمُسُوحِ الشَّعْرِ، وَأَظُنُّ عَرْضَ الْبَيْتِ مِنْ بَابِ الْحُجْرَةِ إِلَى بَابِ الْبَيْتِ نَحْوًا مِنْ سِتِّ أَوْ سَبْعِ أَذْرُعٍ، وَأَحْزِرُ الْبَيْتَ الدَّاخِلَ عَشْرَ أَذْرُعٍ، وَأَظُنُّ سُمْكَهُ بَيْنَ الثَّمَانِ وَالسَّبْعِ نَحْوَ ذَلِكَ، وَوَقَفْتُ عِنْدَ بَابِ عَائِشَةَ فَإِذَا هُوَ مُسْتَقْبِلُ الْمَغْرِبَ.[٢]

قوله: (ثم أتى من بعد ... هاجروا):

يعني رجع طائفة من مهاجري الحبشة عددهم أقل من نصف الذين هاجروا إليها والذين كان عددهم نيفًا وثمانين رجلًا وثماني عشرة امرأة.

قال ابن جماعة في "المختصر الكبير"(ص٥٦): وبلغ أصحاب النبي ﷺ بالحبشة مهاجره إلى المدينة، فرجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلًا، ومن النساء ثمان نسوة، فمات منهم رجلان بمكة، وحُبس بمكة سبعة نفر، وانتهى البقية إلى النبي ﷺ بالمدينة.اهـ[٣]



(١)وانظر: "إمتاع الأسماع" (٩١/١٠)، "الطبقات الكبرى" (٣٨٧/١)، "سبل الهدى" (٣٤٨/٣)، "السيرة الحلبية" (١٢١/٢)، "السيرة النبوية" (ص:٩٧)، "اللؤلؤ المكنون" (١٦٦/٢)، "خلاصة الوفا" (٧١/٢).

(٢) "صحيح الأدب المفرد"(٣٥٢).

(٣)وانظر: "عيون الأثر"(١٣٩/١)،"المصباح المضيء" (٢٠/٢)،و"الطبقات" لابن سعد(١٦٢/١)، و"إمتاع الأسماع" (٣١٩/١)، و"سبل الهدى" (٣٩٤/٢).



المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

٤٦- وَفِيـــهِ آخَى أَشْرَفُ الْأَخْيَـــارِ بَـــيْنَ الْمُهَـــاجِرِينَ وَالْأَنْصَـــارِ

الشرح:

يعني: وفي هذا العام الأول من الهجرة عقد النبي ﷺ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار على المواساة بالمال والصدق في النصيحة، كَانُوا تِسْعِينَ رَجُلًا، نِصْفُهُمْ مِنَ المُهَاجِرِينَ، ونِصْفُهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ، وقِيلَ كَانُوا مِائَةً، فَآخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُمْ عَلَى الحَقِّ وَالمُوَاسَاةِ، ويَتَوَارَثُونَ بَعْدَ المَمَاتِ دُونَ ذَوِي رَحِمٍ. رَوَى الإِمَامُ البُخَارِيُّ في صَحِيحِهِ (٤٥٨٠) عَنْ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٣٣]، قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ المُهَاجِرُونَ لَمَّا قَدِمُوا المَدِينَةَ يَرِثُ المُهَاجِرُ الأَنْصَارِيَّ دُونَ ذَوِي رَحِمِهِ لِلْأُخُوَّةِ التي آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُمْ، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ نَسَخَتْ[1].

---

(١) قال الحافظ في "الفتح" (٨/ ٢٤٩): هَكَذَا وَقَعَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ أَنَّ نَاسِخَ مِيرَاثِ الْحَلِيفِ هَذِهِ الْآيَةُ وَرَوَى الطَّبَرِيُّ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ يُعَاقِدُ الرَّجُلَ فَإِذَا مَاتَ وَرِثَهُ الْآخَرُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ يَقُولُ إِلَّا أَنْ تُوصُوا لِأَوْلِيَائِكُمُ الَّذِينَ عَاقَدْتُمْ. وَمِنْ طَرِيقِ قَتَادَةَ: كَانَ الرَّجُلُ يُعَاقِدُ الرَّجُلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَيَقُولُ: دَمِي دَمُكَ وَتَرِثُنِي وَأَرِثُكَ. فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ أُمِرُوا أَنْ يُؤْتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنَ الْمِيرَاثِ وَهُوَ السُّدُسُ ثُمَّ نُسِخَ بِالْمِيرَاثِ فَقَالَ: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ وَمِنْ طُرُقٍ شَتَّى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ كَذَلِكَ وَهَذَا هُوَ الْمُعْتَمَدُ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ النَّسْخُ وَقَعَ مَرَّتَيْنِ: الْأُولَى: حَيْثُ كَانَ الْمُعَاقِدُ يَرِثُ وَحْدَهُ دُونَ الْعَصَبَةِ فَنَزَلَتْ: ﴿وَلِكُلٍّ﴾ وَهِيَ آيَةُ الْبَابِ، فَصَارُوا جَمِيعًا يَرِثُونَ. وعَلى هَذَا يتنزل حَدِيث ابن عَبَّاسٍ ثُمَّ نَسَخَ ذَلِكَ آيَةُ الْأَحْزَابِ وَخُصَّ الْمِيرَاثُ بِالْعَصَبَةِ وَبَقِيَ لِلْمُعَاقِدِ النَّصْرُ وَالْإِرْفَادُ وَنَحْوُهُمَا وَعَلَى هَذَا يَتَنَزَّلُ بَقِيَّةُ الْآثَارِ وَقَدْ تَعَرَّضَ لَهُ ابن عَبَّاسٍ فِي حَدِيثِهِ أَيْضًا لَكِنْ لَمْ يَذْكُرِ النَّاسِخَ الثَّانِيَ وَلَا بُدَّ مِنْهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.اهـ

وكانت هذه المؤاخاة في دار أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ففي الصحيحين[(١)] عن عاصم، عن أنس قال: «قَدْ حَالَفَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَالأَنْصَارِ فِي دَارِي».

قال السهيلي في "الروض الأنف" (٤/ ١٧٧): آخَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ حِينَ نَزَلُوا الْمَدِينَةَ، لِيُذْهِبَ عَنْهُمْ وَحْشَةَ الْغُرْبَةِ وَيُؤْنِسَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ الْأَهْلِ وَالْعَشِيرَةِ وَيَشُدّ أَزْرَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ فَلَمّا عَزّ الْإِسْلَامُ وَاجْتَمَعَ الشّمْلُ وَذَهَبَتْ الْوَحْشَةُ أَنْزَلَ الله سُبْحَانَهُ: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [الْأَنْفَالُ: ٧٥] أَعْنِي فِي الْمِيرَاثِ ثُمّ جَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ كُلّهمْ إخْوَةً فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] يَعْنِي فِي التّوَادّ وَشُمُولِ الدّعْوَة.اهـ

كان هذا الإخاءُ أساسًا لإخَاءٍ إسلامي عالَمِي فريدٍ من نوعه، ومقدمةً لنَهْضَة أمةٍ ذات دَعوة ورسالة، تنطلق لصِيَاغة عالمٍ جديد، قائمٍ على عقائِدَ صحيحة معينة، وأهدافٍ صالحة مُنْقِذَةٍ للعالم من الشَّقاء والتَّنَاحُر والانتحار، وعلى علاقات جديدة من الإيمان والإخَاء المعنوي والعمل المشترك، وكان هذا الإخاء المَحْدُود بين المهاجرين والأَنْصار طَلِيعَةً وشَرِيطَةً لاستئناف حياةٍ جديدة للعالم والإنسانية[(٢)].

عَقَدَ الأنصار عَقْد الإخاء بكل تسامح وإيثار، وهم أصحاب الأموال وأصحاب الديار، وعَقَدَ المهاجرون عَقْد الإخاء بكل عفة وزهد واستغناء، شاكرين لإخوانهم الأنصار حسن استقبالهم وكرم ضيافتهم، وضربوا أروع الأمثلة في البذل والإيثار والعفة والزهد.

قال الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة، فآخى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكان سعد ذا غنى فقال لعبد الرحمن بن عوف:

---

(١) البخاري (٢٢٩٤) مسلم (٢٥٢٩).

(٢) "السِّيرة النَّبويَّة" للندوي(١٩٨).

أقاسمك مالي نصفين وأزوجك. - وفي لفظ: قال سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالًا، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلت تزوجتها. فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق. فما رجع حتى استَفْضَل أَقِطًا وسمنًا، فأتى به أهل منزله فلم يلبث إلا يسيرًا حتى جاء رسول الله ﷺ وعليه وَضَر من صُفْرَة، فقال له رسول الله ﷺ: «مَهيم؟». قال: تزوجت امرأة من الأنصار. فقال:«ما سقت إليها؟» فقال: وزن نواة من ذهب –أو نواة من ذهب– قال: «أولم ولو بشاة». رواه البخاري (٣٧٨١، ٢٠٤٩)

فهذا الموقف من الصحابي الجليل سعد بن الربيع يوضح حجم الحب والمودة الذي كان بين الأنصار وبين إخوانهم الذين هاجروا إليهم.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَتِ الأَنْصَارُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلَ، قَالَ: «لاَ» فَقَالُوا: تَكْفُونَا المَئُونَةَ، وَنَشْرَكْكُمْ فِي الثَّمَرَةِ، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا. البخاري (٢٣٢٥)

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ الأَنْصَارَ إِلَى أَنْ يُقْطِعَ لَهُمُ البَحْرَيْنِ، فَقَالُوا: لاَ إِلَّا أَنْ تُقْطِعَ لِإِخْوَانِنَا مِنَ المُهَاجِرِينَ مِثْلَهَا، قَالَ: «إِمَّا لاَ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي، فَإِنَّهُ سَيُصِيبُكُمْ بَعْدِي أَثَرَةٌ». رواه البخاري (٣٧٩٤)

وقوله: (يقطع لهم البحرين): أي يخصص لهم ما يتحصل من جزيتها وخراجها.

فرفض الأنصار الاستئثار بشيء من الدنيا دون المهاجرين وهذه منقبة عظيمة لهم، ولم يعرف في تاريخ البشرية حدثًا كهذا الحدث العظيم من استقبال الأنصار للمهاجرين، بهذا الحب والبذل والسخاء والإيثار والتسابق إلى الإيواء والنصرة واحتمال الأعباء، فرضي الله عنهم وأرضاهم. واعترف المهاجرون بفضلهم حتى ظنوا أنهم ذاهبون بالأجر كله. عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ الْمُهَاجِرُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قَوْمٍ قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ أَحْسَنَ مُوَاسَاةً فِي قَلِيلٍ، وَلَا أَحْسَنَ بَذْلًا فِي كَثِيرٍ، لَقَدْ كَفَوْنَا الْمَئُونَةَ، وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَأِ، حَتَّى لَقَدْ حَسِبْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ قَالَ: «لَا، مَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ، وَدَعَوْتُمُ اللَّهَ لَهُمْ». أخرجه الإمام أحمد (١٣٠٧٥)، والترمذي (٢٤٧٨) وغيرهما.

مَنْ آخى بَيْنهُم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَقَالَ- فِيمَا بَلَغَنَا، وَنَعُوذُ باللَّه أَنْ نَقُولَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يُقلْ-: تَآخَوْا فِي اللَّهِ أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: هَذَا أَخِي، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ، وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ خَطِيرٌ وَلَا نَظِيرٌ مِنْ الْعِبَادِ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَخَوَيْنِ، وَكَانَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ ﷺ ، وَعَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَخَوَيْنِ، وَإِلَيْهِ أَوْصَى حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ حَيْنَ حَضَرَهُ الْقِتَالُ إنْ حَدَثَ بِهِ حَادِثُ الْمَوْتِ، وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ذُو الْجَنَاحَيْنِ، الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ، وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، أَخُو بَنِي سَلِمَةَ، أَخَوَيْنِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَوْمئِذٍ غَائِبًا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ، وَخَارِجَةُ بْنُ زُهَيْرٍ، أَخُو بَلْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، أَخَوَيْنِ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وَعِتْبَانُ بْنُ مَالِكٍ، أَخُو بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ أَخَوَيْنِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَرَّاحِ، وَاسْمُهُ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذِ بْنِ النُّعْمَانِ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، أَخَوَيْنِ. وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بْن الرَّبِيعِ، أَخُو بَلْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، أَخَوَيْنِ. وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَسَلَامَةُ بْن سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، أَخَوَيْنِ. وَيُقَالُ: بَلْ الزُّبَيْرُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، حَلِيفُ، بَنِي زُهْرَةَ، أَخَوَيْنِ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَأَوْسُ بْن ثَابِتِ بْنِ الْمُنْذِرِ، أَخُو بَنِي النَّجَّارِ، أَخَوَيْنِ. وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَكَعْبُ بْن مَالِكٍ، أَخُو بَنِي سَلِمَةَ، أَخَوَيْنِ. وَسَعْدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، وأُبَيُّ بْن كَعْبٍ، أَخُو بَنِي النَّجَّارِ: أَخَوَيْنِ وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمٍ، وَأَبُو أَيُّوبَ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ، أَخُو بَنِي النَّجَّارِ: أَخَوَيْنِ، وَأَبُوحُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرِ بْنِ وَقْشٍ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ: أَخَوَيْنِ. وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، حَلِيفُ بَنِي مَخْزُومٍ، وَحُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، أَخُو بَنِي عَبْدِ عَبْسٍ، حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ: أَخَوَيْنِ. وَيُقَالُ: ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ، أَخُو بَلْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، خَطِيبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ: أَخَوَيْنِ. وَأَبُو ذَرٍّ، وَهُوَ بُرَيْرُ بْنُ جُنَادَةَ الْغِفَارِيُّ،

الْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرٍو، الْمُعْنِقُ لِيَمُوتَ، أَخُو بَنِي سَاعِدَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِ: أَخَوَيْنِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَسَمِعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ: أَبُو ذَرٍّ: جُنْدَبُ بْن جُنَادَةَ.

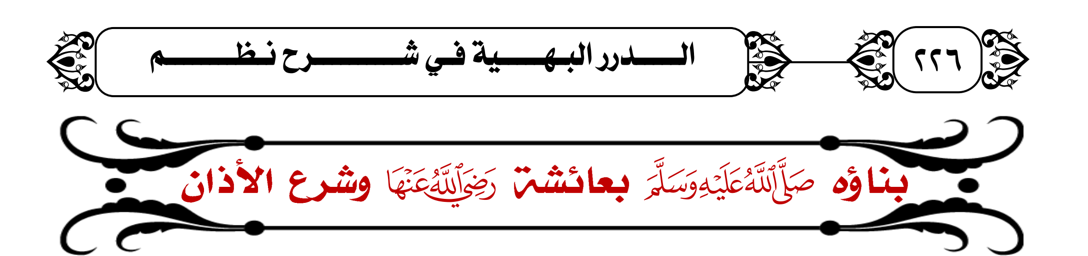
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ ، حَلِيفُ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى وَعُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ، أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، أَخَوَيْنِ، وَسَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ، عُوَيْمِرُ بْنُ ثَعْلَبَةَ، أَخُو بَلْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، أَخَوَيْنِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: عُوَيْمِرُ بْنُ عَامِرٍ، وَيُقَالُ: عُوَيْمِرُ بْنُ زَيْدٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَبِلَالٌ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ ، مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَبُو رُوَيْحَةَ ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَثْعَمِيُّ، ثُمَّ أَحَدُ الْفَزَعِ ، أَخَوَيْنِ. فَهَؤُلَاءِ مَنْ سُمِّيَ لَنَا، مِمَّنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آخَى بَيْنَهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِ.(١)



(١) "سيرة ابن هشام" (٥٠٤/١)، "الاكتفاء"(٢٩٨/١)، "عيون الأثر" (٢٣٠/١)، "السيرة الحلبية" (١٢٤/٢)، "البداية والنهاية"(٢٧٧/٣)، اللؤلؤ المكنون" (١٨٠/٢)، "المستخرج من كتب الناس للتذكرة" لابن منده (٢٠٧/١)، "شرح الزرقاني على المواهب" (١٩٢/٢)، "السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة" (٣٣٨/١)، "رحمة للعالمين" (ص:٩٢٣)، "الأغصان الندية" (ص:١٦١)، "السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية" (ص:٣٩١)، "فقه السيرة النبوية" لمنير الغضبان (ص:٣٥٨).



بناؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وشرع الأذان

٤٧- ثُـمَّ بَـنَى بِابْنَـةِ خَـيْرِ صَـحْبِهِ وَشُرِعَ الْأَذَانُ فَاقْتُـــدِي بِـــهِ

الشرح:

أي دخل النبي ﷺ بعائشة بنت أبي بكر الصديق خير صحب النبي ﷺ وأولاهم به وأحبهم إليه، وكان عمرها إذ ذاك تسع سنين، وكان قد عقد عليها في مكة وهي بنت ست سنين.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ، فَوُعِكْتُ فَتَمَرَّقَ شَعَرِي، فَوَفَى جُمَيْمَةً فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ، وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ، وَمَعِي صَوَاحِبُ لِي، فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا، لاَ أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَإِنِّي لَأُنْهِجُ حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفَسِي، ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي، ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فِي البَيْتِ، فَقُلْنَ عَلَى الخَيْرِ وَالبَرَكَةِ، وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ، فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ، فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضُحًى، فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ». متفق عليه [البخاري (٣٨٩٤) مسلم (١٤٢٢)]

وعنها قالت: «تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي شَوَّالٍ، وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ، فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي؟»، قَالَ: «وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَسْتَحِبُّ أَنْ تُدْخِلَ نِسَاءَهَا فِي شَوَّالٍ». مسلم(١٤٢٣)

وقد كانت في هذا السن قد أصبحت صالحة للوطء، وبالغة مبلغ النساء، قال النووي في "شرح مسلم" (٢٠٦/٩): قال الداودي: وكانت قد شبَّت شبابًا حسنًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.اهـ

سنة دخوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

الراجح: ما اختاره الناظم أنه في السنة الأولى من الهجرة بعد سبعة أشهر من مقدمه المدينة. وقيل: كان في السنة الثانية، على رأس ثمانية عشر شهرًا من مقدمه. ورد هذا القول كثير من العلماء.

قال الزرقاني رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح المواهب» (٣٨٢/٤-٣٨٣): وأعرس بها بالمدينة في شوال سنة اثنتين من الهجرة على رأس ثمانية عشر شهرًا فيما قاله بعضهم، وأخره في «الإصابة» و«الفتح»، وصدر بأنه بنى بها في السنة الأولى، وهو الذي يأتي عليه قوله: (ولها تسع سنين) كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عنها، أما على هذا القول الضعيف الذي قدمه المصنف وما كان ينبغي تقديمه - فيكون لها عشر سنين ونصف سنة، والظاهر: أنه مقدم عن محله، وأنه بعد قوله: (وقيل: بعد سبعة أشهر من مقدمه عليه الصلاة والسلام). وروى ابن سعد وغيره عنها قالت: أعرس بي على رأس ثمانية أشهر، وبهذا صدر في «الإصابة» و«العيون»، وفي مسلم عنها: تزوجني ﷺ في شوال، وبنى بي في شوال. قال في «الفتح»: وإذا ثبت أنه بنى بها في شوال من السنة الأولى قوي قول من قال: دخل بها بعد الهجرة بسبعة أشهر. وقد وهاه النووي في «تهذيبه»، وليس بواهٍ إذا عددنا من ربيع، وجزمه بأن دخوله بها كان في الثانية يخالف ما ثبت أنه دخل بها بعد خديجة بثلاث سنوات. اهـ

ومما يبين ذلك النظر في تواريخ حياتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حيث تروي كتب السير والتراجم: أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ماتت وعمرها (٦٣) سنة، وذلك عام (٥٧هـ)، فيكون عمرها قبل الهجرة (٦)، سنوات فإذا جبرت الكسور فيكون عمرها عام الهجرة (٨) سنوات، ويكون عمرها عند زواج النبي ﷺ منها بعد الهجرة بثمانية أشهر (٩) سنوات، فيتوافق هذا مع حديثها عن نفسها، وهي أخبر بشأنها من غيرها.[1]

---

(١)وانظر: «البداية والنهاية» (٢٣٠/٣)، «الإصابة» (٢٣٢/٨)، «السيرة الحلبية» (١٦٦/٢)، «اللؤلؤ المكنون» (١٣٥/٢).

قوله: «وشرع الأذان فاقتدي به»

يعني: في هذه السنة الأولى من الهجرة شرع الأذان، واقتدي بالنبي ﷺ فيه، وذلك لما اطمأن رسول الله ﷺ بالمدينة، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين والأنصار وكانوا قبل شرعية الأذان يتحينون وقت الصلاة، فيجتمعون لها في المسجد عند وقتها، ثم بدأت الدعوة لها كقول: «الصلاة جامعة».

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كَانَ المُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا المَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلاَةَ لَيْسَ يُنَادَى لَهَا، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ بُوقًا مِثْلَ قَرْنِ اليَهُودِ، فَقَالَ عُمَرُ: أَوَلاَ تَبْعَثُونَ رَجُلًا يُنَادِي بِالصَّلاَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا بِلاَلُ قُمْ فَنَادِ بِالصَّلاَةِ». متفق عليه [البخاري (٦٠٤) مسلم (٣٧٧)]

قال ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (١/١٨٩): أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الأَسْلَمِيُّ. أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ سُلَيْمٍ الْقَارِيُّ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ سُحَيْمٍ عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: وَحَدَّثَنَا عَبْدُالْحَمِيدِ ابْنُ جَعْفَرٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: وَحَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: وَحَدَّثَنَا مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالُوا: كان الناس في عهد النبي ﷺ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِالأَذَانِ يُنَادِي مُنَادِي النَّبِيِّ ﷺ: «الصَّلاةُ جَامِعَةٌ». فَيَجْتَمِعُ النَّاسُ.اهـ

ثم جاء عبد الله بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقص رؤياه في الأذان على رسول الله ﷺ، فأقره وشرع الأذان حينئذ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاقُوسِ لِيُضْرَبَ بِهِ لِلنَّاسِ فِي الْجَمْعِ لِلصَّلَاةِ طَافَ بِي وَأَنَا نَائِمٌ رَجُلٌ يَحْمِلُ نَاقُوسًا فِي يَدِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَتَبِيعُ النَّاقُوسَ؟ قَالَ: مَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: نَدْعُو بِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى، قَالَ: تَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، اللَّهُ أَكْبَرُ

اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ قَالَ: تَقُولُ: إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا رَأَيْتُ، فَقَالَ: «إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ، فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ» ، قَالَ: فَقُمْتُ مَعَ بِلَالٍ فَجَعَلْتُ أُلْقِيهِ عَلَيْهِ وَيُؤَذِّنُ بِهِ، قَالَ: فَسَمِعَ بِذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ فَخَرَجَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ يَقُولُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ الَّذِي أُرِيَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلِلَّهِ الْحَمْدُ». رواه أحمد (١٦٤٧٨)، وأبو داود (٤٩٩)، والدارمي (١٣١٧)، وصححه الشيخان الألباني في "صحيح سنن أبي داود" (٥١٢)، والوادعي في "الصحيح المسند"(٥٧٥).

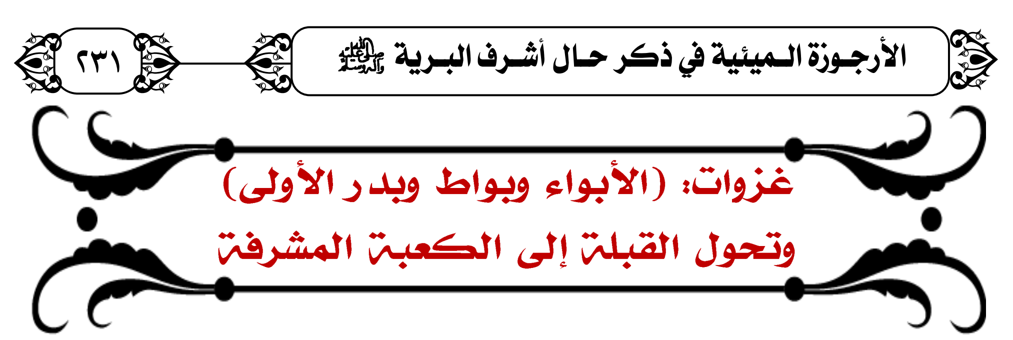
وعَنْ أَبِي عُمَيْرِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ عُمُومَةٍ لَهُ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: اهْتَمَّ النَّبِيُّ ﷺ لِلصَّلَاةِ كَيْفَ يَجْمَعُ النَّاسَ لَهَا، فَقِيلَ لَهُ: انْصِبْ رَايَةً عِنْدَ حُضُورِ الصَّلَاةِ فَإِذَا رَأَوْهَا آذَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ، قَالَ: فَذُكِرَ لَهُ الْقُنْعُ - يَعْنِي الشَّبُّورَ وَقَالَ زِيَادٌ: شَبُّورُ الْيَهُودِ - فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ، وَقَالَ: «هُوَ مِنْ أَمْرِ الْيَهُودِ» قَالَ: فَذُكِرَ لَهُ النَّاقُوسُ، فَقَالَ: «هُوَ مِنْ أَمْرِ النَّصَارَى» فَانْصَرَفَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مُهْتَمٌّ لِهَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأُرِيَ الْأَذَانَ فِي مَنَامِهِ، قَالَ: فَغَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَبَيْنَ نَائِمٍ وَيَقْظَانَ، إِذْ أَتَانِي آتٍ فَأَرَانِي الْأَذَانَ، قَالَ: وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَدْ رَآهُ قَبْلَ ذَلِكَ فَكَتَمَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا، قَالَ: ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تُخْبِرَنِي؟»، فَقَالَ: سَبَقَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ، فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا بِلَالُ، قُمْ فَانْظُرْ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ، فَافْعَلْهُ» قَالَ: فَأَذَّنَ بِلَالٌ، قَالَ أَبُو بِشْرٍ: فَأَخْبَرَنِي أَبُو عُمَيْرٍ، أَنَّ الْأَنْصَارَ تَزْعُمُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زَيْدٍ، لَوْلَا أَنَّهُ كَانَ يَوْمَئِذٍ مَرِيضًا لَجَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُؤَذِّنًا.أخرجه أبو داود (٤٩٨) وهو في "الصحيح المسند" (١٥١٤) و"صحيح سنن أبي داود" (٥١١)

فائدة نفيسة

لماذا لم يكن الأذان بلسان النبي ﷺ؟ أو ما هي الحكمة من كون الأذان جاء عن غيره وليس عنه ﷺ؟

قال السهيلي في "الروض الأنف" (١٨٤/٤): واقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الأذان على لسان غير النبي ﷺ من المؤمنين؛ لما فيه من التنويه من الله لعبده والرفع لذكره، فلأن يكون ذلك على غير لسانه أنوه به وأفخم لشأنه وهذا معنىً بَيِّنْ، فإن الله سبحانه وتعالى يقول:﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾ [الشرح: ٤] فمِن رَّفْعِ ذكره أن أشاد به على لسان غيره.اهـ





غزوات: (الأبواء وبواط وبدر الأولى) وتحول القبلة إلى الكعبة المشرفة

٤٨- وَغَــزْوَةُ الْأَبْــوَاءِ بَعْــدُ فِي صَــفَرْ ... هَــذَا وَفِي الثَّانِيَــةِ الْغَــزْوُ اشْــتَهَرْ

٤٩- إِلَى بُــوَاطٍ ثُــمَّ بَــدْرٍ وَرَجَــبْ ... تَحَــوُّلُ الْقِبْلَــةِ فِي نِصْــفِ رَجَــبْ

الشرح:

هذا شروع من المؤلف في ذكر مغازي النبي ﷺ، وهذه مرحلة من مراحل دعوته ﷺ، وهي: مرحلة الدعوة مع الإذن بالقتال.

مراحل تشريع القتال

أربع مراحل:

الأولى: الكف والإعراض والصفح وإعداد النفس، قبل خوض المعارك، وكان يوصي المسلمين بالصبر والتؤدة، وعدم مواجهة الكفار والمشركين، وهذا من حكمة الله العظيمة، ولو أمروا بالقتال قبل أن يشتد عودهم، وتصفو نفوسهم وهم قلة؛ لتكالب عليهم الأعداء فقضوا عليهم، ولكن نزل الأمر بالصبر، قال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم: ٦٠].

الثانية: مرحلة الهجرة، وذلك عندما لحق الأذى برسول الله ﷺ والصحابة بمكة أذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهم بالهجرة، فهاجروا أولاً إلى الحبشة ثم إلى المدينة بعد بيعتي العقبة. قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ

وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

الثالثة: الإذن بالقتال من غير إلزام فأُبيح لهم الدفاع عن النفس وتأميناً للدين ودفعاً للظلم الواقع عليهم. قال تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج: ٣٩] وقال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

الرابعة: الأمر بقتال الكفار كافة ومبادرة العدو؛ للتمكين للعقيدة من الانتشار دون عقبات ولصرف الفتنة عن الناس ولتفتح الأبواب أمام كل من يريد الدخول في الإسلام وليكون الدين كله لله قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٣٩] وقال تعالى:﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةًۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٣٦] وقال تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩].

وبعد ذلك بدأ النبي ﷺ بإرسال السرايا والخروج للغزوات.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا أُخْرِجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجُوا نَبِيَّهُمْ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ لَيَهْلِكُنَّ، فَنَزَلَتْ ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج: ٣٩] قَالَ: «فَعُرِفَ أَنَّهُ سَيَكُونُ قِتَالٌ» ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «هِيَ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْقِتَالِ». أخرجه أحمد (١٨٦٥)، والنسائي (٣٠٨٥)، والترمذي(٣١٧١).

أسباب الأمر بجهاد المشركين

يجب أن نعلم أن غزوات المسلمين ضد المشركين لم تكن لحبهم سفك الدماء أو لأن دين الإسلام دين قتل ودمار ولكن كانت لها أسباب محمودة أهمها:

١- مَنْعُ المشركين من نشر دين الحق ومحاربة هذه المهمة التي بعث الله لها رسوله ﷺ.

٢- الظلم الذي وقع على المسلمين من المشركين من هدم بيوتهم وأخذ أموالهم وإخراجهم من ديارهم.

٣- الاستفزازات التي مارسها المشركون ضد المسلمين فقد منعوا ضعفاءهم من الهجرة وحاولوا تقليب أهل المدينة على المسلمين وغير ذلك.[١]

فائدة: الفرق بين الغزوة والسرية والبعث

الغزوة: هي التي يقودها النبي ﷺ بنفسه ويشارك فيها[٢].

السرية: هي التي يرسلها النبي ﷺ ولا يكون فيها وسميت بذلك لأنها غالباً ترسل في الليل يقال: فلان سرى، أي مضى من الليل، قوامها من (٥-٤٠٠) وما زاد فهو جيش.

البعث: قيل: هو بمعنى السرية وفرق بعضهم فقال: البعث هو المجموعة من الجند يبعثها صاحب السرية، وقيل: البعث ما أرسل للدعوة للدين والسرية ما أرسل للقتال.



---

(١)مختصرًا من "الأغصان الندية" (ص١٥٧-١٥٨).

(٢)خرج عن هذا القيد غزوة مؤته فلم يخرج فيها النبي ﷺ ومع ذلك يعدها أهل السير من المغازي وذلك لعظمها أو لارتفاع معركتها له عليه الصلاة والسلام حتى شاهدها فكأنه حضرها بنفسه الشريفة ﷺ. "إنارة الدجى في مغازي خير الورى"(ص ٤٢٢) و"السيرة الحلبية" (٢١٣/٣).



تاريخ بداية قتال المشركين وسرية حمزة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

كان أول أمر القتال في رمضان من السنة الأولى من الهجرة وكانت سرية حمزة بن عبدالمطلب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى سيف البحر على رأس سبعة أشهر من الهجرة كانت بقيادة حمزة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في ثلاثين راكبا من المهاجرين وعقد له رسول الله ﷺ لواءًا أبيضًا وهو أول لواء عقد في الإسلام وحمله أبو مِرثد كَنَّاز بن الحُصَين الغَنَوي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ والهدف اعتراض عير لقريش جاءت من الشام تريد مكة وفيها أبو جهل - لعنه الله- في ثلاثمائة راكب من أهل مكة فبلغوا سيف البحر من ناحية العِيص فالتقوا حتى اصطفوا للقتال فمشى مجشي ابن عمرو الجهني -وكان حليفا للفريقين جميعا- إلى هؤلاء وإلى هؤلاء حتى حجز بينهم ولم يقتتلوا فتوجه أبو جهل في أصحابه وعيره إلى مكة وانصرف حمزة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأصحابه إلى المدينة[1].

أثر هذه السرية:

كانت نتائج هذه السرية على المعسكر الوثني سيئة للغاية حيث هزت كيان قريش وبثت الرعب في نفوس رجالها وفتحت أعينهم على الخطر المحدق بهم والذي أصبح يهدد طريق تجارتهم وبالتالي اقتصادهم.

أما المسلمون فقد كانت نتائجها عليهم إيجابية حيث تصاعدت الروح الحماسية بينهم وأعطتهم بعدا عميقا من الثقة بالنفس والجرأة على عدوهم ولأول مرة الوقوف في وجه عدوهم بقوة أبهرت قريش وأدهشتهم.



(١) "سيرة ابن هشام" (٢/٢٠٧) "الطبقات" لابن سعد (٢/٢٠١)، "اللؤلؤ المكنون" (٢/٢٨٧)، "السرايا والبعوث النبوية"(ص٨٦).

سرية عبيدة بن الحارث رضي الله عنه إلى رابغ[(١)]

وفي شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة بعث رسول الله ﷺ عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب وهو ابن عم رسول الله ﷺ عقد له رسول الله ﷺ راية بيضاء كان الذي حملها مِسْطَح بنُ أُثاثة في ستين رجلا من المهاجرين فلقى أبا سفيان بن حرب وقيل: عكرمة بن أبي جهل -وكان مشركا في ذلك الوقت- وهو في مائتين من أصحابه وهو على ماء يقال له: أحياء من بطن رابغ على عشرة أميال من الجحفة فترامى الفريقان بالنبل ولم يَسُلُّوا السيوف ولم يصطلحوا للقتال وإنما كانت بينهم المناوشة فرمى سعد بن أبي وقاص يومئذ بسهم فكان أول سهم رُمى به في الإسلام، قيل وكان في كنانته عشرون سهما فليس منها سهم إلا يقع فيجرح إنسانا أو دابة ثم انصرف هؤلاء على حاميتهم وهؤلاء على حاميتهم أي جماعتهم، وقال سعد لعبيدة: لو اتبعناهم لأصبناهم فإنهم قد ولوا مرعوبين قال: فلم يتابعني على ذلك فانصرفنا إلى المدينة.

وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البَهْرَاني الكندي، وعتبة بن غزوان بن جابر المازني، وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار.

سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخَرَّار[(٢)]

وفي ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من الهجرة بعث رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص إلى الخَرَّار (موضع قرب الجحفة) وعقد له لواءًا أبيض يحمله المقداد بن عمرو وبعثه في عشرين رجلاً من المهاجرين ليعترض عيراً لقريش وعهد إليه رسول الله ﷺ أن لا يجاوز الخَرَّار فخرجوا على أقدامهم يكمنون بالنهار ويسيرون بالليل حتى صبحوها فوجدوا العير قد مرت بالأمس فانصرفوا إلى المدينة ولم يلقوا كيدا.

---

(١)انظر: "مغازي الواقدي"(١/١٠)،"سيرة ابن هشام" (١/٥٩١-٥٩٢)، "إمتاع الأسماع" (١/٧٢)، "سبل الهدى والرشاد"(٦/١٣) ، "السيرة الحلبية" (٣/٢١٦)، "اللؤلؤ المكنون" (٢/٢٨٨).

(٢)انظر: المراجع السابقة.

غزوة الأبواء أو (وَدَّان) [١]

كانت في صفر في السنة الثانية من الهجرة وهي أول غزوة غزاها النبي ﷺ على القول الراجح. وهو قول جمهور أهل التاريخ والسير.

خرج النبي ﷺ ومعه سبعون من المهاجرين يحمل اللواء عمه حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الأبواء وذلك لاعتراض عير قريش فلم يلقَ كيدا وفي هذه الغزوة وادع مـخشي بن عمرو الضمري وكان سيد بني ضمرة على أن لا يغزو بني ضمرة ولا يغزوه ولا يُكَثِّرُوا عليه جمعا ولا يعينوا عدوا وكتب بينه وبينهم كتابا، وكانت غيبته في هذه الغزوة خمس عشر ليلة استخلف فيها على المدينة سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.[٢]

قوله: «هذا وفي الثانية الغزو اشتهر».

يعني: في هذه السنة الثانية من الهجرة اشتهر الغزو لأن المسلمين صار لهم شوكة وعضد وكُتِبَ عليهم القتال. وقيل: الضمير يدل على ما بعده يعني اشتهر الغزو إلى بواط ثم بدر وذلك لخروج النبي ﷺ إليها.



---

(١)الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا.. وودّان-بفتح الواو وتشديد الدال-: قرية جامعة من أعمال الفرع. والأبواء وودان: مكانان متقاربان ليس بينهما إلا ستة أميال أو ثمانية أميال. "معجم البلدان"(١/٩٢)، "صحيح السيرة النبوية" (ص:١٥٢).

(٢) "تاريخ الإسلام" (٢/٤٥)، "إمتاع الأسماع"(٨/٣٣٢)، "سبل الهدى والرشاد" (٤/١٤)، "الطبقات الكبرى" (٢/٥)، "البداية والنهاية" (٣/٢٤١)، "سير أعلام النبلاء"(١/٣٣٤)، "زاد المعاد"(٣/١٤٨)، "الإشارة"(ص:١٩٠)، "مغازي الواقدي" (١/١١)، "جوامع السيرة" (٧٦)، "الفصول في السيرة" (١٢١)، "العقد الثمين" (١/٣٨٤)، "اللؤلؤ المكنون" (٢/٢٩٤)، "صفوة السيرة" (ص٢١٨)، "تاريخ الخميس" (١/٣٦٣)، "المنتظم" (٣/٨٨)، "الأغصان الندية" (١٦٥).

غزوة بواط

كانت في شهر ربيع الأول في السنة الثانية خرج النبي ﷺ في مائتين من أصحابه يحمل اللواء سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لاعتراض عير لقريش فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير فبلغ بواط وهو جبل من جبال جهينة بقرب يَنْبع ثم رجع حين لم يعثر على القافلة ولم يلق حربا وكان قد استخلف على المدينة سعد بن معاذ وقيل: السائب بن عثمان بن مظعون[(١)].

غزوة بدر الأولى(سَفَوَان)

وكانت في جمادى الآخرة بعد غزوة العشيرة.[(٢)]
وقيل: كانت في ربيع الأول[(٣)].

---

(١) "مغازي الواقدي" (١٢/١)، "الطبقات الكبرى" (٥/٢)، "سيرة ابن هشام" (٥٩٨/١)، "زاد المعاد" (١٤٨/٣)، "الإشارة" (ص:١٩١)،"جوامع السيرة" (ص:٧٧)، "عيون الأثر" (٢٦٢/١)، "الروض الأنف" (٤٦/٥)، "الفصول" (ص:١٢٣)، "المقتفى" (ص:١٢٥)، "إمتاع الأسماع" (٣٣٤/٨)، "سبل الهدى" (١٥/٤)، "تاريخ خليفة" (ص:٥٧)،"تاريخ الإسلام" (٤٧/٢)،"البداية والنهاية" (٢٤٦/٣)،"اللؤلؤ المكنون" (٢٩٦/٢)،"سير أعلام النبلاء" (٣٣٤/١)، "تاريخ الخميس" (٣٦٣/١). "صفوة السيرة" (٢١٩).

(٢)بليال لا تبلغ العشر وبه قال جمع منهم: ابن إسحاق كما في "سيرة ابن هشام" (٦٠١/١)، وابن حزم في "جوامع السيرة" (ص٧٨)، والذهبي في "تاريخ الإسلام" (١٤/٢)، وابن سيد الناس في "عيون الأثر" (٢٦٣/١)، والثعالبي في "تفسيره" (١٤٠/٣)، والقرطبي في "تفسيره" (١٩٢/٤) وقال: هذا الذي لا يشك فيه أهل التواريخ والسير.اهـ، وابن عبد البر في "الدرر" (ص٩٨)، والحميري في "الاكتفاء"(٣٢١/١، ٥٦٩)، والديار بكري في "تاريخ الخميس"(٣٦٥/١)، والحلبي في "إنسان العيون" (١٧٧/٢)، والقسطلاني في "المواهب اللدنية" (٢٠٣/١)، وابن أبي زيد القيرواني في "الجامع" (ص٢٧١)، والدبيسي في "السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية" (٤٤٩)، ومحمد باشميل في "موسوعة الغزوات الكبرى" (١١٤/١)، وأكرم ضياء العمري في "السيرة النبوية الصحيحة" (٣٤٦/٢).

(٣)وبه قال الواقدي في"المغازي"(١٢/١)، وابن جماعة في"المختصر"(ص٥٨)، والمقريزي في"الإمتاع" (٣٢٦/٨)، وسبط ابن الجوزي في "مرآة الزمان" (١٩١/٣)، والفاسي في "العقد الثمين" (٣٨٥/١).



وسببها أن كُرْز بن جابر الفهري أغار على سَرْح المدينة أي ماشيتها من الإبل والمواشي فخرج رسول الله ﷺ يطلبه في سبعين رجلاً وحمل اللواء علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلم يدركه فعاد إلى المدينة وكان قد استخلف زيد بن حارثه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.[١]



تحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة[٢]

قوله: «....... ووجب تحول القبلة في نصف رجب».

يعني: في هذه السنة وجب على المسلمين تحويل القبلة في صلاتهم من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة وكان ذلك على قول جمهور العلماء في نصف شهر رجب من السنة الثانية وصح ذلك عن ابن عباس قال: صُرِف رسول الله ﷺ من الشام إلى القبلة فصلى إلى الكعبة في رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة. أخرجه الطبراني في "الكبير" (١٢٤٩٨) وقال الهيثمي في "المجمع"(١٤/٢): رجاله ثقات.اهـ

وصح عن ابن المسيب أنه حدد تاريخ تحويل القبلة إلى الكعبة بشهرين قبل بدر. أخرجه ابن سعد في "الطبقات" (٢٤٢/١)[٣]

---

(١) "مغازي الواقدي" (١٢/١)، "سيرة ابن هشام"(٦٠١/١)، "جوامع السيرة" (ص:٧٨)، "عيون الأثر" (٢٦٣/١)، "الروض الأنف"(٥١/٥)، "الفصول في السيرة" (ص:١٢٤)، "إمتاع الأسماع" (٣٣٦/٨)، "تاريخ الخميس"(٣٦٥/١)، "السيرة الحلبية" (١٧٧/٢)، "شرح الزرقاني على المواهب" (٢٣٦/٢)، "مستعذب الإخبار" (ص:٢٣٦)، "إنارة الدجى" (ص:١٠٢)، "تاريخ خليفة بن خياط" (ص:٥٧)، "تاريخ الإسلام" (٤٨/٢)، "البداية والنهاية"(٢٤٧/٣)، "العقد الثمين" (٣٨٥/١).

(٢) "جامع الأصول"(١٠/٢)، "الطبقات الكبرى"(١٨٦/١)، "إمتاع الأسماع"(٨١/٣)، "المنتظم" (٩٣/٣)، "صحيح السيرة النبوية" للعلي(ص:١٥٦)، "اللؤلؤ المكنون"(٣١١/٢).

(٣)فيكون في ١٧ رجب على الدقة، "السيرة النبوية الصحيحة" للعمري (٣٤٩/٢-٣٥٠).

عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ، سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:١٤٤]، فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الكَعْبَةِ ، وَقَالَ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ، وَهُمُ اليَهُودُ: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]، فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ مَا صَلَّى، فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الأَنْصَارِ فِي صَلاَةِ العَصْرِ نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ، فَقَالَ: هُوَ يَشْهَدُ: أَنَّهُ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّهُ تَوَجَّهَ نَحْوَ الكَعْبَةِ، فَتَحَرَّفَ القَوْمُ، حَتَّى تَوَجَّهُوا نَحْوَ الكَعْبَةِ. رواه البخاري (٣٩٩).

وأول صلاة صلاها النبي ﷺ إلى الكعبة صلاة الظهر في بني سلمة، وأول صلاة صلاها في المسجد النبوي العصر، وأول صلاة صلاها أهل قباء في مسجدهم الفجر عندما بلغهم خبر القبلة.

قال الحافظ ابن حجر في "الفتح"(١/٥٠٣): واختلفت الرواية في الصلاة التي تحولت القبلة عندها وكذا في المسجد فظاهر حديث البراء هذا أنها الظهر.اهـ

وقال(١/٩٧): وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا فِي بَنِي سَلِمَةَ لَمَّا مَاتَ بِشْرُ ابْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ الظُّهْرُ وَأَوَّلُ صَلَاةٍ صَلَّاهَا بِالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الْعَصْرِ وَأما الصُّبْح فَهُوَ من حَدِيث ابن عُمَرَ بِأَهْلِ قُبَاءٍ.اهـ

وهذا قول أكثر أهل السير والتفسير أول صلاة صلاها النبي ﷺ تجاه القبلة الظهر في بني سلمة ولهذا سمي مسجدهم بـ «مسجد القبلتين».

وفي المسألة خلاف:

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في "نيل الأوطار" (٢/ ١٩٥): وَفِي التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بِلَفْظِ: «فَصَلَّى رَجُلٌ مَعَهُ الْعَصْرَ». وَسَاقَ الْحَدِيثَ وَهُوَ مُصَرِّحٌ بِذَلِكَ فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ، وَلَيْسَ عِنْدَ مُسْلِمٍ تَعْيِينُ الصَّلَاةِ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ، وَفِي حَدِيثِ عُمَارَةَ بْنِ أَوْسٍ أَنَّ الَّتِي صَلَّاهَا النَّبِيُّ ﷺ إلَى الْكَعْبَةِ إحْدَى صَلَاتَيْ الْعَشِيِّ وَهَكَذَا فِي حَدِيثِ

عُمَارَةَ بْن رُوَيْبَةَ، وَحَدِيثِ تَوِيلَةَ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى: أَنَّهَا الظُّهْرُ.

وَالْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ: أَنَّ مَنْ قَالَ إِحْدَى صَلَاتَيْ الْعَشِيِّ شَكَّ هَلْ هِيَ الظُّهْرُ أَوْ الْعَصْرُ؟ وَلَيْسَ مَنْ شَكَّ حُجَّةً عَلَى مَنْ جَزَمَ، فَنَظَرْنَا فِيمَنْ جَزَمَ فَوَجَدْنَا بَعْضَهُمْ قَالَ: الظُّهْرُ، وَبَعْضَهُمْ قَالَ: الْعَصْرُ، وَوَجَدْنَا رِوَايَةَ الْعَصْرِ أَصَحَّ لِثِقَةِ رِجَالِهَا، وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ لَهَا فِي صَحِيحِهِ. وَأَمَّا حَدِيثُ كَوْنِهَا الظُّهْرَ فَفِي إِسْنَادِهَا مَرْوَانُ بْنُ عُثْمَانَ وَهُوَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ، وَأَمَّا رِوَايَةُ أَنَّ أَهْلَ قُبَاءَ كَانُوا فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ فَيُمْكِنُ أَنَّهُ أَبْطَأَ الْخَبَرَ عَنْهُمْ إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ. قَالَ ابْنُ سَعْدٍ فِي "الطَّبَقَاتِ" حَاكِيًا عَنْ بَعْضِهِمْ: إِنَّ ذَلِكَ كَانَ بِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: وَيُقَالُ «صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ مِنَ الظُّهْرِ فِي مَسْجِدِهِ بِالْمُسْلِمِينَ ثُمَّ أُمِرَ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَاسْتَدَارَ إِلَيْهِ وَكَانَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ» وَيَكُونُ الْمَعْنَى بِرِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ أَنَّهَا الْعَصْرُ: أَيْ أَنَّ أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا إِلَى الْكَعْبَةِ كَامِلَةً صَلَاةُ الْعَصْرِ.اهـ

موقف اليهود من تحول القبلة

عن البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ المَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ، أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ مِنَ الأَنْصَارِ، وَأَنَّهُ «صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ البَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلاَةٍ صَلَّاهَا صَلاَةَ العَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ» فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ البَيْتِ، وَكَانَتِ اليَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ، وَأَهْلُ الكِتَابِ، فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ البَيْتِ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ. وَكَانَ الَّذِي مَاتَ عَلَى القِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ قِبَلَ البَيْتِ رِجَالٌ قُتِلُوا، لَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .[البقرة: ١٤٣]. رواه البخاري(٤٠، ٤٤٨٦)، ومسلم(٥٢٥).

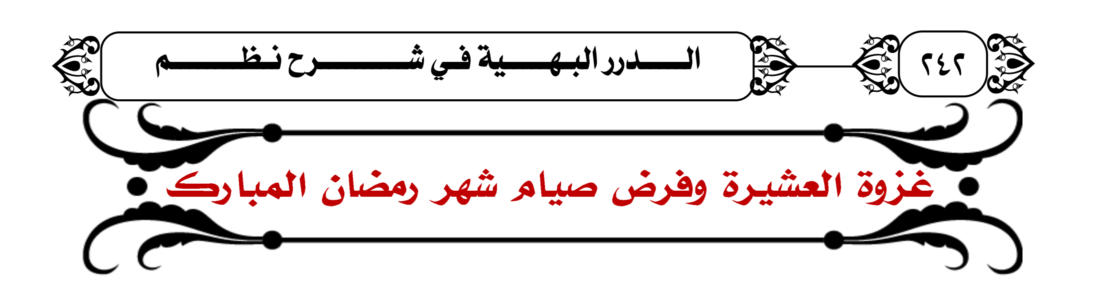
وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «صُرِفَتِ الْقِبْلَةُ عَنِ الشَّامِ إِلَى الْكَعْبَةِ فِي رَجَبٍ عَلَى رَأْسِ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، مِنْ مَقْدَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَأَتَى رَسُولُ اللهِ ﷺ رِفَاعَةُ بْنُ قَيْسٍ

وَقُرْدُمُ بْنُ عَمْرٍو وَكَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ، وَنَافِعُ بْنُ أَبِي نَافِعٍ، وَالْحَجَّاجُ ابْنُ عَمْرٍو حَلِيفُ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، وَالرَّبِيعُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ، وَكِنَانَةُ بْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ، فَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ! مَا وَلَّاكَ عَنْ قِبْلَتِكَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ؟ ارْجِعْ إِلَى قِبْلَتَكَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا نَتَّبِعْكَ، وَنُصَدِّقْكَ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ فِتْنَتَهُ عَنْ دِينِهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾- إِلَى قَوْلِهِ- ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾- أَيِ ابْتِلَاءً وَاخْتِبَارًا- ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾، يَقُولُ صَلَاتَكُمْ بِالْقِبْلَةِ الْأُولَى وَتَصْدِيقَكُمْ نَبِيَّكُمْ وَاتِّبَاعَكُمْ إِيَّاهُ إِلَى الْقِبْلَةِ الْآخِرَةِ أَيْ لِيُعْطِيَكُمْ أَجْرَهُمَا جَمِيعًا- ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾- إِلَى قَوْلِهِ- ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.[1]



(١)الخبر في "السير والمغازي" (ص: ٢٩٩) لابن إسحاق، و"سيرة ابن هشام"(١/٥٥٠) عنه، ومن طريقه أخرجه البيهقي في "الدلائل" (٢/٥٧٥) قال: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، أَوْ عِكْرِمَةُ شَكَّ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ به.

ومحمد بن أبي محمد ذكره ابن حبان في "الثقات" على قاعدته، وقال الذهبي في "الميزان": لا يعرف، وقال الحافظ في "التقريب": مجهول تفرد عنه ابن إسحاق. "أنيس الساري" (١٠/ ٢٢).



غزوة العشيرة وفرض صيام شهر رمضان المبارك

٥٠- مِـنْ بَعْدِ ذِي الْعُـشَيْرَ يَا إِخْوَانِي وَفَـرْضُ شَهْرِ الصَّـوْمِ فِي شَعْبَانِ

الشرح:

قوله: «من بعد ذي» يعني: بعد تلك الأحداث كانت غزوة العشيرة[1] وهذا الأصح كما سبق وكانت هذه الغزوة في جمادى الأولى على الصحيح وهو قول الأكثرين، وقيل: في جمادى الآخرة وجمع بين القولين بأنه خرج في جمادى الأولى فأقام جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة.

خرج عليه الصلاة والسلام في مائة وخمسين، وقيل: مائتين من المهاجرين على ثلاثين بعيرا يعترضون عيرا لقريش، فبلغ العشيرة من بطن ينبع فوجد العير قد مضت قبل ذلك بأيام.

وفيها وادع بني مُدْلِج وحلفائهم من بني ضمرة ثم رجع إلى المدينة ولم يحدث قتال.

وكان حامل اللواء حمزة بن عبد المطلب واستخلف النبي ﷺ على المدينة أبا سلمة بن عبدالأسد المخزومي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هل هذه الغزوة هي أول غزوة غزاها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ يَزِيدَ، خَرَجَ يَسْتَسْقِي بِالنَّاسِ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ اسْتَسْقَى، قَالَ: فَلَقِيتُ يَوْمَئِذٍ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ، وَقَالَ: لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ غَيْرُ رَجُلٍ - أَوْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ رَجُلٌ - قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: كَمْ غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: «تِسْعَ عَشْرَةَ»، فَقُلْتُ: كَمْ غَزَوْتَ أَنْتَ مَعَهُ؟ قَالَ: «سَبْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً»، قَالَ: فَقُلْتُ: فَمَا أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا؟ قَالَ: «ذَاتُ الْعُسَيْرِ أَوِ الْعُشَيْرِ». صحيح مسلم (١٢٥٤)

---

(١)ومن أسمائهما: العُشيرة، العُسيرة، العشيراء، العشير.

لهذا الحديث اختار بعض أهل السير أنها أول غزوة، والراجح أنها ثالث غزوة، بدليل ما رواه أحمد (١٩٢٨٢) عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَأَلْتُ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ: كَمْ غَزَا النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: «تِسْعَ عَشْرَةَ، وَغَزَوْتُ مَعَهُ سَبْعَ عَشْرَةَ، وَسَبَقَنِي بِغَزَاتَيْنِ».

فيظهر أن زيدًا أراد أن العشيرة أول غزوة شهدها مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليست أول غزوة على الإطلاق.

وصف عير قريش في هذه الغزوة

كانت هذه العير متوجهة إلى الشام جمعت فيها قريش أموالها ولم يبق بمكة قُرَشِي ولا قُرَشِيَّة له مثقال فصاعدا إلا بعث به في تلك العير إلا حويطب بن عبد العزى ويقال: إن في تلك العير خمسين ألف دينار وألف بعير وكان قائدها أبا سفيان وكان معه سبعة وعشرون رجلا وقيل: تسعة وثلاثون رجلا منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص وهي العير التي خرج إليها رسول الله ﷺ حين رجعت من الشام وكانت سببا لوقعه بدر الكبرى[١].

قوله: «وفرض شهر الصوم في شعبان»

وذلك في السنة الثانية من الهجرة بعد تحويل القبلة إلى الكعبة بشهر فتوفي رسول الله ﷺ وقد صام تسع رمضانات[٢].

---

(١) انظر: "السيرة" لابن هشام (٥٩٩/١)، " جوامع السيرة" (٧٨)، "دلائل النبوة" للبيهقي (٤٦٨/٥)، "الدرر في اختصار المغازي" (٩٧)، "عيون الأثر" (٢٦٢/١)، "إمتاع الأسماع" (٧٤/١)، "بهجة المحافل" (١٧٨/١)، "المواهب اللدنية" (٢٠٣/١)، "سبل الهدى والرشاد" (١٧/٤)، "السيرة الحلبية" (١٧٥/٢) "تاريخ الإسلام" (١٣/٢)، "تاريخ ابن خلدون" (٤٢٥/٢)، "نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز" (٢١٣/١)، "الكامل" لابن الأثير (٨/٢)، "تاريخ الخميس" (٣٦٣٨).

(٢) "تاريخ الطبري" (٢٦٥/٢)، "البداية والنهاية" (٣١١/٣).

مراحل فرض صيام شهر رمضان

الأولى: كان على التخيير بين صيامه وبين الإطعام عن كل يوم مسكين، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «كُنَّا فِي رَمَضَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَنْ شَاءَ صَامَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ فَافْتَدَى بِطَعَامِ مِسْكِينٍ»، حَتَّى أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]. رواه مسلم (١١٤٥).

الثانية: وجوب صيامه لكن إذا أفطر أحدهم أحل له سائر المفطرات إلى صلاة العشاء أو ينام قبلها فإذا نام حرم عليه المفطرات إلى الليلة القابلة فشق ذلك عليهم فنزل التخفيف بعد ذلك وأحل الطعام والشراب والجماع حتى يتبين الفجر الصادق.

عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَائِمًا، فَحَضَرَ الإِفْطَارُ، فَنَامَ قَبْلَ أَنْ يُفْطِرَ لَمْ يَأْكُلْ لَيْلَتَهُ وَلاَ يَوْمَهُ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنَّ قَيْسَ بْنَ صِرْمَةَ الأَنْصَارِيَّ كَانَ صَائِمًا، فَلَمَّا حَضَرَ الإِفْطَارُ أَتَى امْرَأَتَهُ، فَقَالَ لَهَا: أَعِنْدَكِ طَعَامٌ؟ قَالَتْ: لاَ وَلَكِنْ أَنْطَلِقُ فَأَطْلُبُ لَكَ، وَكَانَ يَوْمَهُ يَعْمَلُ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَتُهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: خَيْبَةً لَكَ، فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ غُشِيَ عَلَيْهِ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾[البقرة: ١٨٧] فَفَرِحُوا بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا، وَنَزَلَتْ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. رواه البخاري (١٩١٥).

الثالثة: وهي التي استقر عليها الشرع إلى يوم القيامة فأنزل الله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ ﴾ الآية [البقرة: ١٨٧].



غزوة بدر الكبرى

٥١- وَالْغَـزْوَةُ الْكُـبْرَى الَّتِي بِبَدْرِ ... فِي الصَّـوْمِ فِي سَابِـعِ عَشْـرِ الشَّهْـرِ

الشرح:

يعني: وفي هذه السنة الثانية من الهجرة في السابع عشر من شهر رمضان وفي يوم الجمعة وقعت أم الوقائع في تاريخ الإسلام الحربي وهي غزوة بدر الكبرى والتي وقعت ببدر وهي بلدة في أسفل وادي الصفراء تبعد عن المدينة مسافة مائة وخمسين كيلو تقريباً خرج فيها النبي ﷺ يطلب عيرا لقريش كانت راجعة من الشام يقودها أبو سفيان صخر بن حرب فلما علم بأمر خروج المسلمين استصرخ قريشاً ليحفظوا عيرهم فخرجت قريش تريد نجدة العير وعمد أبوسفيان فغير طريق القافلة ونجا من إدراك المسلمين له فجاءت قريش حتى نزلت ببدر تريد تأديب المسلمين وبعضهم رجع حين علم بنجاه القافلة.

وتلاقى المسلمون والمشركون في هذه الوقعة وحصل القتال ومَنَّ الله سبحانه على المسلمين بالنصر المبين وانهزم الكفار شر هزيمة وأسر منهم سبعون وقتل سبعون وغنم المسلمون غنائم عظيمة وكان ذلك اليوم يسمى«يوم الفرقان» كما سماه الله رب العالمين قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١].

مختصر الغزوة[١]

كانت في شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة، حيث جاءت الأخبار إلى رسول الله ﷺ أن قافلة قريش التي أفلتت من المسلمين في غزوة العشيرة -وهي ذاهبة إلى الشام-

(١)من "صحيح الأثر وجميل العبر" (ص:١٩٦-٢٠٣).

قد بدأت رحلة العودة إلى مكة بقيادة أبي سفيان، فندب رسول الله ﷺ من كان حاضرًا من أصحابه للخروج لتلقي القافلة، وقال عليه الصلاة والسلام:«هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها» ، وكان أبو سفيان لما اقترب من مناطق نفوذ المسلمين غربي المدينة، جعل يتحسس الأخبار حتى علم بخروج المسلمين لأخذ القافلة، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري وبعثه إلى مكة يستنفر قريشًا، لنجدة القافلة، فتجهزت قريش وخرجت لملاقاة المسلمين وهي تقول: أيظن محمَّد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي ، كلَّا والله ليعلمن غير ذلك.

لقد خرج رسول الله ﷺ من المدينة يريد قافلة قريش ومعه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا من أصحابه رضوان الله عليهم. لقد كان هدف المسلمين هو قافلة قريش لكن الله سبحانه وتعالى أراد لهم أمرًا آخر، أراد لهم التمكين في الأرض، والانتصار ممن حادَّ الله ورسوله ﷺ، فعن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد».

قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٨ ﴾ [الأنفال: ٥ – ٨].

وعند علم رسول الله ﷺ فوات عير قريش أراد الاستيثاق من أمر الأنصار الذين كانوا قد وعدوه في بيعة العقبة أن ينصروه داخل المدينة، فكان يقول: «أشيروا علي أيها الناس»، وهو يريد الأنصار، فقال له سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجل»، قال: «فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، وما تخلف منا

رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا، وإنا لَصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ في اللقاء. لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله». فَسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشَّطَهُ. ثم قال: «سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن انظر إلى مصارع القوم». فسار رسول الله ﷺ وأصحابه إلى بدر وهناك علم أن عير قريش قد نجت وأن جيشهم قد نزل ببدر، وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٢].

استنصار الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه وتضرعه إليه

عن ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩]. فأمده الله بالملائكة. رواه مسلم (١٧٦٣)[1].

---

(١) الحكمة من اشتراك الملائكة في القتال قال الحافظ في "الفتح"(٧/ ٣١٣): قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ سُئِلْتُ عَنْ الْحِكْمَةِ فِي قِتَالِ الْمَلَائِكَةِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ أَنَّ جِبْرِيلَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَدْفَعَ الْكُفَّارَ بِرِيشَةٍ مِنْ جَنَاحِهِ؟ فَقُلْتُ: وَقَعَ ذَلِكَ لِإِرَادَةِ أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَتَكُونَ الْمَلَائِكَةُ مَدَدًا عَلَى عَادَةِ مَدَدِ الْجُيُوشِ رِعَايَةً لِصُورَةِ الْأَسْبَابِ وَسُنَّتِهَا الَّتِي أَجْرَاهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي عِبَادِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ فَاعِلُ الْجَمِيعِ وَالله أعلم.اهـ.

عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «لَقَدْ رَأَيْتُنَا لَيْلَةَ بَدْرٍ، وَمَا مِنَّا إِنْسَانٌ إِلا نَائِمٌ، إِلا رَسُولَ ﷺ، فَإِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي إِلَى شَجَرَةٍ، وَيَدْعُو حَتَّى أَصْبَحَ». أخرجه أحمد (١١٦١)، والنسائي في "الكبرى" (٨٢٣) وهو في "الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين" (٢/ ٥٢٣)(١٥٣٢).

وفي رواية عنه قال: فَانْطَلَقْنَا تَحْتَ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ نَسْتَظِلُّ تَحْتَهَا، مِنَ الْمَطَرِ، وَبَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَقُولُ:«اللهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْفِئَةَ لَا تُعْبَدْ» قَالَ: فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ نَادَى: «الصَّلاةَ عِبَادَ اللهِ»، فَجَاءَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ الشَّجَرِ، وَالْحَجَفِ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَحَرَّضَ عَلَى الْقِتَالِ. أخرجه أحمد (٩٤٨)، وأبو داود (٢٦٦٥) وهو في "الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين" (٣/ ٢٨٤)(٢٠٥٦).

سير المعركة وبدء القتال

ولما بدأ القتال كان رسول الله ﷺ يباشر القتال بنفسه وفي ذلك يقول علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا. رواه أحمد (٦٥٤) وهو في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(٩٧٣).

وكعادة القتال في ذلك العصر فقد بدأت المعركة بالمبارزة، حيث خرج من قريش عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة، فتصدى لهم من المسلمين حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فقتلوهم وكبَّر المسلمون، ثم التحم الجيشان، ودارت الدائرة على قريش فُقتل أبو جهل بعد أن انقض عليه غلامان من الأنصار هما أبناء عفراء، معاذ بن عمرو بن الجموح، وأخوه معوذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، بعد أن دلهما عليه عبد الرحمن بن عوف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، حيث أخبراه أنهما يريدان قتل أبي جهل لأنه كان يسب رسول الله ﷺ وأخذ المشركون يتساقطون في أرض المعركة، حتى قُتِل منهم سبعون، وأسر سبعون، وفرّ الباقون تاركين خلفهم غنائم كثيرة.

هذا وقد أشكل موضوع الأسرى والغنائم على المسلمين، وفي ذلك يقول عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: (فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء الأسارى: فقال أبو بكر: يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية

فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب؟ قال: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنَّا فنضْرب أعناقهم، هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبوبكر. وأخذ رسول الله ﷺ الفداء، لكن القرآن نزل موافقًا لرأي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الأسرى، وأجاز تصرف النبي ﷺ في أخذ الفداء. قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[الأنفال: ٦٧-٦٨]. صحيح مسلم (٣/ ١٣٨٣)

ثم إن الله سبحانه وتعالى بمنِّه ولطفه بهذه الأمة أحل لها الغنائم، ولم تحل لأمة قبلها، قال تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٩]، وقال رسول الله ﷺ : «أُعطيتُ خمسًا لم يعطهن أحد قبلي ... وذكر منها: وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي» ، وكانت الأمم السابقة من أتباع الرسل يجمعون الغنائم في مكان ولا يأخذون منها شيئًا، فتأتي نار بقدر الله فتحرقها. وقد أمر رسول الله ﷺ بسحب قتلى المشركين إلى إحدى الآبار، فقُذفوا فيها. وكان رسول الله ﷺ إذا ظهر على قوم أقام بساحتهم ثلاثة أيام.

فلما كان اليوم الثالث مشى إلى البئر الذي طُرِح فيه قتلى المشركين «فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم فعَنْ أَبِي طَلْحَةَ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالعَرْصَةِ ثَلاَثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ اليَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: «يَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ، وَيَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لاَ أَرْوَاحَ لَهَا؟

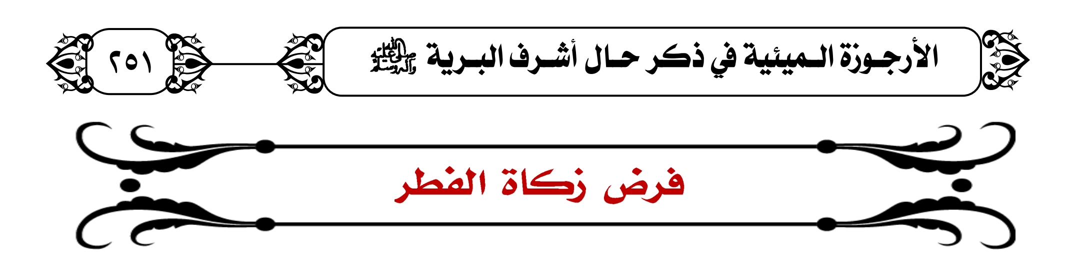
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ»، قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمُ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ، قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا. متفق عليه [البخاري (٣٩٧٦) ومسلم (٢٨٧٥)]

أما شهداء المسلمين وعدتهم أربعة عشر شهيدًا فقد دُفنوا في مصارعهم كما هي السنة في ذلك.

ثم ارتحل رسول الله ﷺ مؤيدًا منصورًا قرير العين بنصر الله، ومعه الأسرى والمغانم، ودخل المدينة، وقد خافه كل عدو بالمدينة وحولها، فأسلم كثير من الناس، وظهر النفاق، حيث دخل عبد الله بن أُبي المنافق وأصحابه في الإسلام ظاهرًا. وقد نزلت في قصة بدر سورة الأنفال بتمامها، وقد تضمنت ذكر مشاهد من المعركة وتوجيهات تربوية، ونداءات للمؤمنين، كما تضمنت جملة من البشارات والمؤيدات التي أيد الله بها رسوله ﷺ والمؤمنين، على طريقة القرآن في التربية بالأحداث، وفيها بيان لحكم الغنيمة وأنها من الحلال الطيب[1].



(١)وانظر: "سيرة ابن هشام" (٦٠٦/١)، "الروض الأنف"(٥٩/٥)، "الإشارة" (ص:١٩٧)، "الاكتفاء" (٣٢٤/١)، "عيون الأثر"(٢٨١/١)، "الفصول" (ص:١٢٨)، "إمتاع الأسماع" (٧٩/١)، "بهجة المحافل" (١٨٠/١)،"سبل الهدى" (١٨/٤)، "تاريخ الخميس"(٣٦٨/١)، "السيرة الحلبية"(١٩٧/٢)، "مستعذب الإخبار" (ص:٢٣٧)،"اللؤلؤ المكنون" (٣٢٩/٢)، "موسوعة الغزوات الكبرى"(١/١)، "تاريخ خليفة بن خياط" (ص:٥٧)، "الكامل في التاريخ" (١٢/٢)، "تاريخ الإسلام" (٥٠/٢)، "العقد الثمين" (٣٨٦/١).



فرض زكاة الفطر

٥٢- وَوَجَبَتْ فِيهِ زَكَاةُ الْفِطْرِ مِنْ بَعْدِ بَدْرٍ بِلَيَالٍ عَشْرِ

الشرح:

هذا هو المشهور عن عامة أهل السير أن زكاة الفطر وجبت في السنة الثانية من الهجرة في السابع والعشرين من رمضان من بعد بدر بليال عشر وتسمى هذه الزكاة: «زكاة الفطر» لأنها تتعلق بالفطر من صيام شهر رمضان المبارك[1].



(١) "تاريخ الطبري" (٢/١٨)، "عيون الأثر" (٢/٣٥٢)، "السيرة الحلبية"(٣/٥٢٢)، "شرح الزرقاني على المواهب" (٢/٢٥٤)،"البداية والنهاية"(٣/٤١٩)، "إمتاع الأسماع"(١/٧٩)، "الرصف لما روي عن النبي ﷺ من الفعل والوصف" (١/٦١)، "تلقيح فهوم أهل الأثر" (ص:٣٩)، "تاريخ الخميس" (١/٣٦٠)، "نهاية الإيجاز" (١/٢١٥)، "الكامل في التاريخ" (٢/١٢)، "تهذيب الأسماء واللغات"(١/٢٠)، "التاريخ المعتبر في أنباء من غبر" (١/١١٧)، "مغني المحتاج" (٢/١١١)، "كفاية النبيه في شرح التنبيه" (٤/٤٢٧).

فرض زكاة المال وموت رقية وزواج فاطمة وإسلام العباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ

٥٣- وَفِي زَكَـاةِ الْمَـالِ خُــلْفٌ فَــادْرِ ... وَمَــاتَتِ ابْنَــةُ النَّــبِيِّ الْـــبَرِّ

٥٤- رُقَــيَّةٌ قَـبْـلَ رُجُــوعِ السَّـــفْـرِ ... زَوْجَــةُ عُثْمَــانَ وعُـرْسُ الطُّهْرِ

٥٥- فَــاطِمَـةٍ عَــلَى عَلِيِّ الْـقَــدْرِ ... وَأَسْــلَمَ الْعَـــبَّاسُ بَعْـدَ الأَسْرِ

الشرح:

قوله: «وفي زكاة المال خُلف فادر»

يعني: في زكاة الأموال وهي الأصناف التي تجب فيها الزكاة اختلاف بين العلماء في تاريخ فرضها ووجوبها، (فادر) أي فاعلم ذلك.

والخلاف فيها طويل والراجح أنها فرضت تقديراً لأنصبتها وتعيينا للأموال الزكوية في المدينة، مع أن أصل فرضها كان بمكة.

قال ابن كثير في "تفسيره"(٥/٤٦٢):وَقَوْلُهُ:﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾ [المؤمنون:٤][١] الْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالزَّكَاةِ هَاهُنَا زَكَاةُ الْأَمْوَالِ، مَعَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ، وَإِنَّمَا فُرِضَتِ

---

(١)واختلف أهل العلم في المراد بالزكاة هنا على أقوال:

القول الأول: أن المراد بها زكاة الأموال الواجبة وهو اختيار الطبري في "جامع البيان" وعزاه ابن كثير والرازي للأكثرين، واستدلوا بما يلي:

١ - أن أصل الزكاة فرض بمكة قبل الهجرة، وأما الزكاة التي فرضت بالمدينة سنة اثنتين من الهجرة إنما هي ذات النصب والمقادير الخاصة.

٢ - أن هذِه اللفظة (الزكاة) قد اختصت في الشرع بهذا المعنى.

٣ - لو حملنا معنى الزكاة هنا على زكاة النفس من الشرك والدنس لكان شاملًا لجميع صفات المؤمنين المذكورة في أول هذِه السورة فيكون كالتكرار، والحمل على التأسيس والاستقلال أولى من غيره.

٤ - أن قوله: (فاعلون) معناها مؤدون وهي لغة فصيحة صريحة.

القول الثاني: أن المراد بها زكاة النفس أي تطهيرها من الشرك والدنس كقوله:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ =

الزَّكَاةُ بِالْمَدِينَةِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ الَّتِي فُرِضَتْ بِالْمَدِينَةِ إِنَّمَا هِيَ ذَاتُ النُّصُبِ وَالْمَقَادِيرِ الْخَاصَّةِ، وَإِلَّا فَالظَّاهِرُ أَنَّ أَصْلَ الزَّكَاةِ كَانَ وَاجِبًا بِمَكَّةَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ، وَهِيَ مَكِّيَّةٌ: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الْأَنْعَامِ: ١٤١].اهـ[1]

وقال (٨/ ٢٥٩): وَقَوْلُهُ:﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أَيْ: أَقِيمُوا صَلَاتَكُمُ الْوَاجِبَةَ عَلَيْكُمْ، وَآتُوا الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ. وَهَذَا يَدُلُّ لِمَنْ قَالَ: إِنَّ فَرْضَ الزَّكَاةِ نَزَلَ بِمَكَّةَ، لَكِنَّ مَقَادِيرَ النُّصُبِ والمَخْرَجِ لَمْ تُبَيَّن إِلَّا بِالْمَدِينَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.اهـ[2]

وقال ابن عاشور في "التحرير والتنوير" (٨-أ/ ١٢١): وَقَدْ فُرِضَتِ الزَّكَاةُ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ مَعَ فَرْضِ الصَّلَاةِ، أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، لِأَنَّ افْتِرَاضَهَا ضَرُورِيٌّ لِإِقَامَةِ أَوَدِ الْفُقَرَاءِ مِنَ الْمُسَلِمِينَ وَهُمْ كَثِيرُونَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ، لِأَنَّ الَّذِينَ أَسْلَمُوا قَدْ نَبَذَهُمْ أَهْلُوهُمْ وَمَوَالِيهِمْ، وَجَحَدُوا حُقُوقَهُمْ، وَاسْتَبَاحُوا أَمْوَالَهُمْ، فَكَانَ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ يَسُدَّ أَهْلُ الْجِدَةِ وَالْقُوَّةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

=واستدل هؤلاء بـما يلي:

١ - أن السورة مكية بلا خلاف -كما سبق- والزكاة فرضت بالمدينة فدل على أن قوله: ﴿لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ نزل قبل فرض الزكاة الواجبة فدل على أن المراد به غيرها.

٢ - أن المعروف في زكاة المال أن يعبر عن أدائها بالإيتاء كقوله: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ وهنا عبر بقوله (فاعلون) فدل على أن هذِه الزكاة: أفعال المؤمنين.

٣ - أن زكاة الأموال عادة ما تقرن في القرآن بالصلاة من غير فصل بينهما، وهنا فصل بينهما بجملة ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾.

القول الثالث: أن المراد زكاة النفوس، وزكاة الأموال جميعًا لعموم الآية وهذا اختيار الشيخ السعدي وهو الراجح جمعًا بين الأقوال والله أعلم.

انظر: "جامع البيان" للطبري (٤/١٨)، "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي (١٠٤/١٢)، "مفاتيح الغيب" للرازي (٧٩/٢٣-٨٥)، "أضواء البيان" للشنقيطي (٧٥٨/٥)، "كشف المشكلات"(٩١٦/٢)، "تيسير الكريم الرحمن" (ص ٤٩٧).

(١)لمزيد فائدة راجع معنى الآية في "أضواء البيان" (٤٩٤/١) ففيه مبحث نفيس لبيان اختلاف العلماء في تفسيرها والمراد منها.

(٢)وانظر: "البداية والنهاية" له (٤١٩/٣)، "تفسير الرازي"(١٦٤/١٣)، "مرعاة المفاتيح" (٢/٦).

خَلَّتَهُمْ. وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُ الزَّكَاةِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِمَّا نَزَلَ بِمَكَّةَ مِثْلُ سُورَةِ الْمُزَّمِّلِ وَسُورَةِ الْبَيِّنَةِ وَهِيَ مِنْ أَوَائِلِ سُوَرِ الْقُرْآنِ، فَالزَّكَاةُ قَرِينَةُ الصَّلَاةِ. وَقَوْلُ بَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ: الزَّكَاةُ فُرِضَتْ بِالْمَدِينَةِ، يَحْمِلُ عَلَى ضَبْطِ مَقَادِيرِهَا بِآيَةِ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِها﴾ [التَّوْبَة: ١٠٣] وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ، ثُمَّ تَطَرَّقُوا فَمَنَعُوا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْحَقِّ هُنَا الزَّكَاةَ، لأنّ هَذِه السّورة مَكِّيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ، وَإِنَّمَا تِلْكَ الْآيَةُ مُؤَكِّدَةٌ لِلْوُجُوبِ بَعْدَ الْحُلُولِ بِالْمَدِينَةِ، وَلِأَنَّ الْمُرَادَ مِنْهَا أَخْذُهَا مِنَ الْمُنَافِقِينَ أَيْضًا، وَإِنَّمَا ضُبِطَتِ الزَّكَاةُ. بِبَيَانِ الْأَنْوَاعِ الْمُزَكَّاةِ وَمِقْدَارِ النُّصُبِ وَالْمُخْرَجِ مِنْهُ، بِالْمَدِينَةِ، فَلَا يُنَافِي ذَلِكَ أَنَّ أَصْلَ وُجُوبِهَا فِي مَكَّةَ.اهـ

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الشرح الممتع" (٦/ ١٢):

مسألة: اختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ متى فرضت الزكاة؟ فقال بعض العلماء: إنها فرضت في مكة، واستدلوا بآيات الزكاة التي نزلت في مكة مثل: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧ ﴾ [فصلت: ٦- ٧]، ومثل: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥ ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥]، ومثل: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾[الروم: ٣٩]، وكقوله: ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ [الْأَنْعَام: ١٤١]. وقال بعضهم: ـ وهو أصح الأقوال ـ إن فرضها في مكة، وأما تقدير أنصبائها، وتقدير الأموال الزكوية، وتبيان أهلها فهذا في المدينة، وعليه فيكون ابتداء فرضها في مكة من باب تهيئة النفوس، وإعدادها لتتقبل هذا الأمر، حيث إن الإنسان يخرج من ماله الذي يحبه حباً جماً، يخرج منه في أمور لا تعود عليه ظاهراً بالنفع في الدنيا، فلما تهيأت النفوس لقبول ما يفرض عليها من ذلك، فرضه الله ـ تعالى ـ فرضاً مبيناً مفصلاً، وذلك في المدينة.اهـ وانظر له: "فتح ذي الجلال والإكرام" (١٠/٣)

ويؤيد ذلك ما جاء عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِصَدَقَةِ الْفِطْرِ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ الزَّكَاةُ، فَلَمَّا نَزَلَتِ الزَّكَاةُ لَمْ يَأْمُرْنَا، وَلَمْ يَنْهَنَا وَنَحْنُ نَفْعَلُهَا. أخرجه أحمد(٢٣٨٤٣) وابن ماجه(١٨٢٨) والنسائي(٢٥٠٧) وهو صحيح كما في "أنيس الساري" (٦٥١).

موت رقية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

قوله: «وماتت ابنه النبي البر رقية قبل رجوع السَّفْر زوجة عثمان»

الشرح:

يعني ماتت ابنه نبي الله ﷺ رقية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وذلك (قبل رجوع السَّفْر) أي الجيش الذين سافروا لغزوة بدر وقد كان النبي ﷺ سافر وهي مريضة وخلَّف عليها زوجها عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُمرضها.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ في "الاستيعاب" (٢٩٤/٤): وأما وفاة رقية فالصحيح أن عثمان تخلف عليها بأمر رسول الله ﷺ وهي مريضة في حين خرج رسول الله ﷺ إلى بدر وتوفيت يوم وقعة بدر ودفنت يوم ما جاء ابن حارثة بشيرا بما فتح الله عليهم ببدر.اهـ

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "البداية والنهاية" (٢٥٦/٥): وماتت رقية ورسول الله ﷺ ببدر ولما قدم زيد بن حارثة بالبشارة وجدهم قد ساووا التراب عليها وكان عثمان قد أقام عندها يمرضها فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره. اهـ

وقد صح عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: إِنَّمَا تَغيَّبَ عُثْمَانُ عَنْ بَدْرٍ، فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ ﷺ: «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ». رواه البخاري(٣١٣٠).

وأخبر عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن سبب تخلفه عن بدر فقال: وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنِّي تَخَلَّفْتُ يَوْمَ بَدْرٍ، فَإِنِّي كُنْتُ أُمَرِّضُ رُقَيَّةَ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى مَاتَتْ وَقَدْ ضَرَبَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَهْمِي، وَمَنْ ضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَهْمِهِ فَقَدْ شَهِدَ. رواه أحمد(٥٥٦) وهو في "الصحيح المسند" لشيخنا الوادعي (٩١٣).

وفي هذا منقبة عظيمة ومنزلة رفيعة لرقية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إذ أنه أذن لعثمان في أن يتأخر عن غزوة بدر التي هي أول معركة فاصلة بين جيش الإيمان وجيش الكفر لتمريضها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وضرب له بسهمه في الغنيمة وأجره عند الله

كمن حضر الغزوة إكراماً لها وتعظيماً لشأنها رَضِيَٱللَّهُعَنهَا وهي من مهاجرات الحبشة- كما سبق ذكره - وفي هذا لها من الفضل العظيم مالها.

زواج علي بفاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا

قوله: «وعرس الطهر فاطمة على علي القدر»

يعني: وفي هذه السنة الثانية من الهجرة وبعد غزوة بدر كان عرس الطاهرة العفيفة سيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ على علي بن أبي طالب عالي القدر والمنزلة رفيع المكانة ابن عم رسول الله ﷺ ورضي الله عنه.

وهذا على قول أكثر العلماء ويشهد له:

ما جاء في الصحيحين أن عليا رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: «كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ المَغْنَمِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الخُمُسِ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِيَ بِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاعَدْتُ رَجُلًا صَوَّاغًا مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ أَنْ يَرْتَحِلَ مَعِي، فَنَأْتِيَ بِإِذْخِرٍ أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَهُ مِنَ الصَّوَّاغِينَ، وَأَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَلِيمَةِ عُرُسِي». متفق عليه [البخاري (٢٠٨٩) مسلم(١٩٧٩)]

ففي الحديث دلالة على أن دخول عَلِيّ بفاطمة كان بعد غزوة بدر.

واختلفوا في أي شهر كان العقد عليها كما اختلفوا في أي شهر كان البناء بها فقيل: كان العقد في أوائل المحرم، وقيل: في صفر ، وقيل: في رجب، وقيل: في رمضان.

وأما البناء فقيل: كان في صفر، وقيل: في شوال، وقيل: في ذي الحجة، والأكثرون على أن العقد كان في صفر، والدخول بها بعد بدر.

كما اختلفوا في عمرها عند الزواج والأكثرون أنها تزوجت ولها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف وكان لعلي أربع وعشرون سنة وشهر ونصف وقيل غير ذلك.[1]

---

(١)انظر: "فتح الباري"(٣١٩/٦)، "البداية والنهاية"(٤١٧/٣)، "تاريخ الطبري" (٤١٠/٢)، "مرآة الزمان" (١٩٠/٣)، "الطبقات الكبرى" (١٨/٨)، "تاريخ ابن أبي خيثمة - السفر الثالث" (٣٨٨/١)، "تاريخ مولد العلماء ووفياتهم" (٦٤/١)، "تاريخ دمشق" (١٥٧/٣) ، "نور اليقين" (ص:١١٥)، "إنارة الدجى" (ص:٧٦٣)، "الأغصان الندية"(ص:٢٠٤)، "اللؤلؤ المكنون"(٤٩٨/٢).

أخبار هذا الزواج المبارك

تقدم الخطاب إلى النبي ﷺ للزواج من فاطمة وكلهم يحب أن ينال هذا الشرف العظيم وهو مصاهرة النبي الكريم والزواج بسيدة نساء العالمين ومن بين المتقدمين سيدا كهول أهل الجنة أبو بكر وعمر ولكن شاء الله أن تكون لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ خَطَبَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاطِمَةَ، فَقَالَ: «إِنَّهَا صَغِيرَةٌ» ، فَخَطَبَهَا عَلِيٌّ، فَزَوَّجَهَا مِنْهُ. رواه الإمام أحمد في "فضائل الصحابة"(١٠٥١) وابن حبان (٦٩٤٨) والنسائي (٣٢٢١) وهو في "الصحيح المسند" لشيخنا (١٤٨)

عنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خُطِبَتْ فَاطِمَةُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَتْ لِي مَوْلَاةٌ لِي: هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ فَاطِمَةَ قَدْ خُطِبَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَتْ: فَقَدْ خُطِبَتْ، فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَأْتِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَيُزَوِّجَكَ؟ فَقُلْتُ: وَعِنْدِي شَيْءٌ أَتَزَوَّجُ بِهِ؟ فَقَالَتْ: إِنَّكَ إِنْ جِئْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ زَوَّجَكَ، فَوَاللهِ مَا زَالَتْ تُرَجِّينِي حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ جَلَالَةٌ وَهَيْبَةٌ، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ أُفْحِمْتُ، فَوَاللهِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا جَاءَ بِكَ، أَلَكَ حَاجَةٌ؟» فَسَكَتُّ، فَقَالَ: «مَا جَاءَ بِكَ، أَلَكَ حَاجَةٌ؟» فَسَكَتُّ، فَقَالَ: «لَعَلَّكَ جِئْتَ تَخْطُبُ فَاطِمَةَ» ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «وَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ تَسْتَحِلُّهَا بِهِ؟» فَقُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «مَا فَعَلَتْ دِرْعٌ سَلَّحْتُكَهَا» - فَوَالَّذِي نَفْسُ عَلِيٍّ بِيَدِهِ إِنَّهَا لَحُطَمِيَّةٌ مَا ثَمَنُهَا أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ - فَقُلْتُ: عِنْدِي، فَقَالَ ﷺ: «قَدْ زَوَّجْتُكَهَا، فَابْعَثْ إِلَيْهَا بِهَا فَاسْتَحِلَّهَا بِهَا»، فَإِنْ كَانَتْ لَصَدَاقُ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. أخرجه ابن اسحاق في "السيرة"(ص ٢٤٦)، ومن طريقه البيهقي في "الدلائل" (١٦٠/٣) وسنده صحيح كما في "الصحيح من أحاديث السيرة" (ص٢٣٧).

مهر فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وجهازها

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما تزوج علي فاطمة قال له رسول الله ﷺ : «أعطها شيئاً» قال: ما عندي شيء قال: «أين درعك الحُطمية[1]». أخرجه أبو داود (٢١٢٥) والنسائي في

---

(١)الحطمية: العريضة الثقيلة وقيل: هي التي تكسر السيوف ويقال: هي منسوبة إلى بطن من=



"الكبرى" (٥٥٤٢) وابن حبان (٦٩٤٥).

وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جَهَّز رسول الله ﷺ فاطمة في خَميل وقربه ووسادة أَدَمٍ حَشوُها ليف الإِذْخِر»[1]. أخرجه الإمام أحمد (٦٤٣) وهو صحيح.[2]



إسلام العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قوله: «وأسلم العباس بعد الأسر».

يعني أن العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ أسلم بعد ما أُسِر يوم بدر وهذا ما عليه جمهور أهل السير. **وقيل**: قد كان أسلم قبل بدر وخرج مع المشركين مستكرهاً يوم بدر، لكن أنكره كثير من المحققين، قال الحافظ في "تهذيب التهذيب" (٥/ ١٢٣): ما وقع في رواية الواقدي أنه أسلم قبل بدر ليس بصحيح لأنه شهد بدرا مع المشركين وأسر فيمن أسر ثم فودي ففي الصحيح أنه قال بعد ذلك للنبي ﷺ إني فاديت نفسي وعقيلا فلو كان مسلما لما أسر ولا فودي.اهـ[3]

=عبدالقيس يقال لهم: حطمة بن محارب كانوا يعملون الدروع، قال ابن عيينة: وهي شر الدروع، ولهذا ذكرها علي في معرض الذم لها وتقليل ثمنها. باختصار من "ذخائر العقبى" (ص٢٧)

(١)الخميل: القطيفة من الصوف، الأدم: الجلد، الإذخر: حشيشة رطبة طيبة الرائحة.

(٢) "شرح الزرقاني على المواهب"(٤/٣٣٣)، "تاريخ الخميس"(١/٣١٦)، "سبل الهدى والرشاد" (١١/٣٧)، "بهجة المحافل" (١/١٧٦)، "ذخائر العقبى" (ص٢٧)، "السيرة" لابن كثير (٤/٦١١)، "السيرة النبوية" لابن حبان(١/١٥٢).

(٣)قضية إسلام العباس قضية في غاية الإشكال وطالما حيرت كثيرًا من العلماء ولم يخرجوا برأي قاطع وذلك لتضارب الروايات في إسلامه فقيل: قبل الهجرة وقيل: بعد الهجرة وقبل بدر، وقيل: بعد غزوة بدر مباشرة وهذا قول الأكثر، وقيل: قبل فتح خيبر ، وقيل: عام الفتح.

وانظر في ذلك: "الطبقات الكبرى" (٤/٢٢)، "الاستيعاب" (٢/٨١٢)، "تاريخ دمشق" لابن عساكر=

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ الَّذِي أَسَرَ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَبُو الْيَسَرِ بْنُ عَمْرٍو، وَهُوَ كَعْبُ بْنُ عَمْرٍو، أَحَدُ بَنِي سَلِمَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَسَرْتَهُ يَا أَبَا الْيَسَرِ؟» قَالَ: لَقَدْ أَعَانَنِي عَلَيْهِ رَجُلٌ مَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، وَلَا قَبْلُ، هَيْئَتُهُ كَذَا، هَيْئَتُهُ كَذَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ أَعَانَكَ عَلَيْهِ مَلَكٌ كَرِيمٌ» ، وَقَالَ لِلْعَبَّاسِ: «يَا عَبَّاسُ، افْدِ نَفْسَكَ، وَابْنَ أَخِيكَ عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ، وَحَلِيفَكَ عُتْبَةَ بْنَ جَحْدَمٍ» أَحَدُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ، قَالَ: فَأَبَى، وَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ مُسْلِمًا قَبْلَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا اسْتَكْرَهُونِي، قَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِشَأْنِكَ، إِنْ يَكُ مَا تَدَّعِي حَقًّا، فَاللَّهُ يَجْزِيكَ بِذَلِكَ، وَأَمَّا ظَاهِرُ أَمْرِكَ، فَقَدْ كَانَ عَلَيْنَا، فَافْدِ نَفْسَكَ» وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ عِشْرِينَ أُوقِيَّةَ ذَهَبٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، احْسُبْهَا لِي مِنْ فِدَايَ، قَالَ: «لَا، ذَاكَ شَيْءٌ أَعْطَانَاهُ اللَّهُ مِنْكَ» قَالَ: فَإِنَّهُ لَيْسَ لِي مَالٌ، قَالَ:«فَأَيْنَ الْمَالُ الَّذِي وَضَعْتَهُ بِمَكَّةَ، حَيْثُ خَرَجْتَ، عِنْدَ أُمِّ الْفَضْلِ، وَلَيْسَ مَعَكُمَا أَحَدٌ غَيْرَكُمَا، فَقُلْتَ: إِنْ أُصِبْتُ فِي سَفَرِي هَذَا، فَلِلْفَضْلِ، كَذَا وَلِقُثَمَ كَذَا، وَلِعَبْدِ اللَّهِ كَذَا؟». قَالَ: فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عَلِمَ بِهَذَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ غَيْرِي وَغَيْرُهَا، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. أخرجه الإمام أحمد (٣٣١٠)

وأخرجه الحاكم (٣٦٦/٣)عن عائشة وفي آخره قال العباس: وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنفال: ٧٠] فَأَعْطَانِي مَكَانَ الْعِشْرِينَ الْأُوقِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ عِشْرِينَ عَبْدًا كُلُّهُمْ فِي يَدِهِ مَالٌ يَضْرِبُ بِهِ مَعَ مَا أَرْجُو مِنْ مَغْفِرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

=(٢٧٣/٢٦)، "سير أعلام النبلاء "(٣٨٩/٣)، "تهذيب التهذيب" (١٢٢/٥)، "الوافي بالوفيات" (٣٦٠/١٦)، "تلقيح فهوم أهل الأثر"(ص:٩٧)، "تفسير القرطبي" (٤٩/٨)، "شرح مشكل الآثار"(٢٤٤/٨)، "مستدرك الحاكم" (٣٦٤/٣)، "الفتح" (٧٧/٧)، "إرشاد الساري" (٤٤٦/٢)، "كوثر المعاني الدراري" (١٠٠/١٢)، "الجوهر النقي" (١٠٦/٩)، "تحفة المحتاج" (٢٧٠/٩)، "شرح السير الكبير" (ص:١٤٨٨)، "ذخائر العقبى" (ص:١٩١)، "سبل الهدى والرشاد" (٩٨/١١)، "تاريخ الخميس" (١٦٥/١)، "إنارة الدجى" (ص:٧٦٦)، "البداية والنهاية" (٣٢٨/٤)، "تخريج الدلالات السمعية" (ص:١٦٣)، "صفة الصفوة" (١٩٣/١)، "بهجة المحافل" (١٧٧/١) "السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة" (٤٣٩/٢).

وأخرج الطبراني (١١٣٩٨) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ﴿ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ أُخِذَ مِنكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٧٠] قَالَ: كَانَ الْعَبَّاسُ يَقُولُ: «فِيَّ وَاللهِ أُنْزِلَتْ حِينَ أَخْبَرْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ إِسْلَامِي، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يُحَاسِبَنِي بِالْعِشْرِينَ أُوقِيَّةً الَّتِي وَجَدَ مَعِي فَأَبَى أَنْ يُحَاسِبَنِي بِهَا فَأَعْطَانِي اللهُ بِالْعِشْرِينَ أُوقِيَّةً عِشْرِينَ عَبْدًا كُلُّهُمْ تَاجِرَ بِمَالِي فِي يَدِهِ مَعَ مَا أَرْجُو مِنْ مَغْفِرَةِ اللهِ».

قال الهيثمي في "المجمع" (٧/٢٨): رواه الطبراني في "الأوسط" و"الكبير" باختصار، ورجال الأوسط رجال الصحيح غير ابن اسحاق وقد صرح بالسماع.اهـ

موقف الأنصار من فدية العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كان رجال من الأنصار استأذنوا رسول الله أن يترك فداء العباس فلم يأذن لهم.

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رِجَالًا مِنَ الأَنْصَارِ اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالُوا: ائْذَنْ لَنَا فَلْنَتْرُكْ لِابْنِ أُخْتِنَا عَبَّاسٍ فِدَاءَهُ قَالَ: «وَاللَّهِ لاَ تَذَرُونَ مِنْهُ دِرْهَمًا». رواه البخاري(٤٠١٧).

ولم يُعْفِ العباس من الفداء لأنه خشي أن يكون في ذلك محاباة له لكونه عمه، وفي هذا إرشاد للأمة أن تلتزم الجادة وتنتهج المساواة وتترك المحاباة حتى ولو مع الأقربين.

قال الحافظ في "فتح الباري" (٧/ ٣٢٢): قِيلَ وَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ مُحَابَاةً لَهُ لِكَوْنِهِ عَمَّهُ لَا لِكَوْنِهِ قَرِيبَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ فَقَطْ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْقَرِيبَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَظَاهَرَ بِمَا يُؤْذِي قَرِيبَهُ وَإِنْ كَانَ فِي الْبَاطِنِ يَكْرَهُ مَا يُؤْذِيهِ فَفِي تَرْكِ قَبُولِ مَا يَتَبَرَّعُ لَهُ الْأَنْصَارُ بِهِ مِنَ الْفِدَاءِ تَأْدِيبٌ لِمَنْ يَقَعُ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ.اهـ

إجلال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمه العباس ومكانته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلعَبَّاسِ: هَذَا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَجْوَدُ قُرَيْشٍ كَفًّا وَأَوْصَلُهَا. أخرجه الإمام أحمد (١٦١٠) وابن حبان (٧٠٥٢) وهو في "الصحيحة" (٣٣٢٦).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَرَ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَقِيلَ: مَنَعَ

ابْنُ جَمِيلٍ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَالْعَبَّاسُ عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللهُ، وَأَمَّا خَالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا، قَدِ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْتَادَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَمَّا الْعَبَّاسُ فَهِيَ عَلَيَّ، وَمِثْلُهَا مَعَهَا» ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ، أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ؟». صحيح مسلم (٩٨٣)

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُكْرِمُ أَحَدًا مَا يُكْرِمُ الْعَبَّاسَ». أخرجه الطبراني في "الأوسط" (٦٩٤٠)، وقال الذهبي في "السير" (٢/٩٢): إِسْنَادُهُ صَالِحٌ.اهـ

وأخرجه أبو بكر الشافعي في "الغيلانيات" (٢٦٦) بلفظ قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُجِلُّ أَحَدًا مَا يُجِلُّ الْعَبَّاسَ أَوْ يُكْرِمُ الْعَبَّاسَ».

وعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ لَهُ: يَا ابْنَ أُخْتِي، لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ تَعْظِيمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَمَّهُ أَمْرًا عَجِيبًا. أخرجه أحمد (٢٤٨٧٠) والحاكم في (٧٤٤٧)، وأبو يعلى (٤٩٣٦).

وعن ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرٍو، سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْم بَدْرٍ أُتِيَ بِأُسَارَى، وَأُتِيَ بِالعَبَّاسِ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثَوْبٌ، «فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ قَمِيصًا، فَوَجَدُوا قَمِيصَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ يَقْدُرُ عَلَيْهِ، فَكَسَاهُ النَّبِيُّ ﷺ إِيَّاهُ، فَلِذَلِكَ نَزَعَ النَّبِيُّ ﷺ قَمِيصَهُ الَّذِي أَلْبَسَهُ» قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ كَانَتْ لَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَدٌ فَأَحَبَّ أَنْ يُكَافِئَهُ. **البخاري (٣٠٠٨)**

ومن مناقب العباس العظيمة: أنه من آل البيت الكرام الذين وصى بهم النبي ﷺ

فعن زيد بن أرقم قال : قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا، بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: « أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. **مسلم (٢٤٠٨)**.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا»، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ. صحيح البخاري (١٠١٠)

في هذا الحديث دلالة على ما كان يعلمه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من مكانة العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند رسول الله ﷺ وإقرارهم له بعلو المكانة ورفعة المنزلة.

وفاته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

تُوفِّي يَوْم الْجُمُعَة لأَرْبَع عشرَة خلت من رَجَب سنة اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ فِي خلَافَة عُثْمَان وَهُوَ ابْن ثَمَان وَثَمَانِينَ سنة وَدفن بِالبَقِيعِ[1].



(١) "تلقيح فهوم أهل الأثر" (ص: ٩٧).

غزوة بني قينقاع وشرع الأضاحي

٥٦- وَقَيْـنُقَاعُ غَـزْوُهُمْ فِي الْإِثْـرِ وَبَـعْدُ ضَـحَّى يَـوْمَ عِيدِ النَّحْرِ

الشرح:

قوله: «وقينقاع غزوهم في الإثر»

يعني: غزا النبي ﷺ بني قينقاع في إثر غزوة بدر الكبرى وذلك في يوم السبت للنصف من شهر شوال من السنة الثانية من الهجرة[1] بسبب نقضهم للعهد. وكان النبي ﷺ حين قدم المدينة عاقد اليهود وسالمهم وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير، فكان بنو قينقاع أولهم نقضاً للعهد.

مختصر الغزوة

كان بنو قينقاع من أشجع يهود وكانوا صاغة وتجارا، فلما وقعت بدر أظهروا البغي والحسد، ونبذوا العهد مع الرسول ﷺ، وتوسعوا في استفزاز المسلمين؛ فغزاهم النبي ﷺ فاستخلف على المدينة أبا لبابة بشير بن عبد المنذر، وحمل اللواء حمزة بن عبدالمطلب، وحاصرهم المسلمون خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة حتى قذف الله عَزَّوَجَلَّ الرعب في قلوبهم، ونزلوا على حكم رسول ﷺ ، فأمر بهم فَكُتِّفُوا فشفع فيهم عبدالله بن أبي سلول لأنهم كانوا حلفائه فوهبهم له رسول الله ﷺ ، وأمر بهم أن يجلوا من المدينة بذراريهم ونسائهم وأمهلهم ثلاثة أيام، ووكل بإخراجهم عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فخرجوا إلى أذْرِعَات في الشام، وغنم المسلمون ما كان لهم من مال وقسمت بينهم الغنائم وكان الذي قبض أموالهم محمد بن مسلمه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.[2]

---

(١) "مغازي الواقدي" (١/١٧٦)، "السيرة النبوية" للعمري (١/٢٩٩).

(٢) اللؤلؤ المكنون (٢/٥٢٤ وما بعدها).





قال ابن هشام في "السيرة"(٢/ ٤٧): وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة عن أبي عون، قال: كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديًا، وشدّت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشرّ بينهم وبين بني قينقاع.اهـ

قال الشيخ الألباني-رحمه الله-: إسناده مرسل معلّق .. وأبو عون اسمه محمَّد بن عبدالله الثقفي الكوفي الأعور، مات سنة ١١٦ هـ، فهو تابعي صغير، فلم يُدرك الحادثة، وعبد الله بن جعفر المخرمي من شيوخ الإمام أحمد، مات سنة ١٧٠هـ. فبينه وبين ابن هشام مفاوز، فهو إسناد ضعيف ظاهر الضعف.اهـ(٢)

وقال العمري -حفظه الله تعالى-: وهذه الرواية ضعيفة، في إسنادها انقطاع بين ابن هشام وعبد الله بن جعفر المخرمي... ثم قال: إنها موقوفة على تابعي صغير مجهول الحال، هو أبوعون، ولكن يستأنس بها من الناحية التاريخية.اهـ(٣)

وروى أبو داود في "سننه" (٣٠٠١): عن محمَّد بن إسحاق قال: حدثني محمَّد بن أبي محمَّد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال: لما أصاب رسول الله ﷺ قريشًا يوم بدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال: يامعشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشًا، قالوا: يا محمد لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنّا نحن الناس

---

(١) "ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية" (ص:١٣٣- ١٣٤).

(٢) "دفاع عن الحديث النبوي والسيرة"(ص ٢٦)، "تخريج فقه السيرة" (ص ٢٤١).

(٣) " السيرة النبوية الصحيحة" (١/٣٠٠).

وأنك لم تلق مثلنا. فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾ قرأ مُصَرِّف (شيخ أبي داود) إلى قوله: ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ببدر ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾. وهو ضعيف من طريق محمَّد بن أبي محمَّد مولى زيد بن ثابت، قال عنه الحافظ في "التقريب": مجهول، تفرّد عنه ابن إسحاق.اهـ[(١)]

ولذا قال الشيخ الألباني في "ضعيف سنن داود" (ص ٢٩٨): ضعيف الإسناد.اهـ

أصح ما ورد في إجلاء اليهود من المدينة وحربهم

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: حَارَبَتِ النَّضِيرُ، وَقُرَيْظَةُ، فَأَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلاَدَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، إِلَّا بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ فَآمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجْلَى يَهُودَ المَدِينَةِ كُلَّهُمْ: بَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَهُمْ رَهْطُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِ المَدِينَةِ. متفق عليه [خ (٤٠٢٨) م (١٧٦٦)].[(٢)]



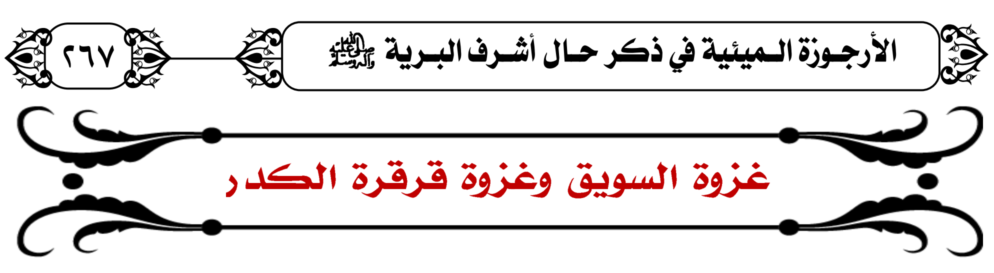
(١) "تقريب التهذيب" (٢٠٥/٢).

(٢) "زاد المعاد"(١٧٠/٣)، "الإشارة" (ص:٢٢٠)، "سيرة ابن هشام" (٤٧/٢)، "مغازي الواقدي" (١٧٦/١)، "السيرة النبوية" لابن حبان (٢٠٩/١)، "مرويات الإمام الزهري في المغازي" (٣٠٩/١)، "تاريخ الطبري" (٤٧٩/٢)، "البدء والتاريخ" (١٩٥/٤)، "المنتظم" (١٣٦/٣)، "تاريخ الإسلام" (١٤٥/٢)، "البداية والنهاية" (٤/٤)، "تاريخ ابن الوردي" (١١١/١)، "الطبقات الكبرى" (٢١/٢)، "جوامع السيرة" (ص:١٢١)، "دلائل النبوة" للبيهقي (١٧٣/٣)، "الروض الأنف" (٢٧٥/٥)، "الاكتفاء" (٣٦٥/١)، "عيون الأثر" (٣٤٣/١)، "الفصول في السيرة"(ص:١٤٢)، "المقتفى من سيرة المصطفى" (ص:١٣٥)، "إمتاع الأسماع" (٣٤٦/٨)، "سبل الهدى والرشاد" (١٧٩/٤)، "شرح الزرقاني على المواهب" (٣٤٨/٢).

قوله: «وبعد ضَحَّى يوم عيد النحر»: يعني: وبعد ذي القعدة وفي العاشر من ذي الحجة من السنة الثانية من الهجرة وفي يوم عيد الأضحى المبارك ضحى النبي ﷺ وشرع هذا النسك وهي أول أضحية ضحى رسول الله ﷺ ذبح كبشين أملحين أقرنين بيده[1].



(١) "السيرة" لابن حبان (٢١٢/١)، "إمتاع الأسماع" (١٢٤/١)، "شرح الزرقاني" (٣٥٦/٢)، "عيون الأثر" (٣٥٢/٢)، "صحيح وضعيف تاريخ الطبري" (١٠٢/٧)، "تاريخ التشريع الإسلامي" (ص:١٤٤)، "الأسئلة والأجوبة الفقهية" للسلمان (٥/٣)، "السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني" (ص:٦٩٦)، "منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري" (١٧٩/٥)، "الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم" (٣٩٧/٢٠)، "حاشية البجيرمي على الخطيب" (٣٢٩/٤)، "إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين" (٣٠١/١)، "الفقه على المذاهب الأربعة" (٦٤٣/١)، "الفقه الإسلامي وأدلته" للزحيلي (٢٧٠٢/٤).



غزوة السويق وغزوة قرقرة الكدر

٥٧- وَغَــزْوَةُ السَّــوِيقِ ثُــمَّ قَرْقَرَهْ وَالْــغَزْوُ فِي الثَّــالِثَةِ الْمُشْتَــهِرَهْ

الشرح:

يعني: وفي هذه السنة وقعت غزوتا السويق وقرقرة الكدر، واشتهر الغزو وتتابع في السنة الثالثة من الهجرة.

غزوة السويق

كانت هذه الغزوة يوم الأحد الخامس من ذي الحجة في السنة الثانية من الهجرة أي بعد بدر بشهرين وكسر.

وسببها: أن أبا سفيان حرم على نفسه الدهن ونذر ألا يمس رأسه ماءًا من جنابة حتى يثأر من رسول الله ﷺ وذلك بعد ما أصابهم يوم بدر فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر بيمينه فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له: «يتيب» بالمدينة على بريد أونحوه ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل فأتى حيي بن أخطب فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه فانصرف عنه إلى سَلاَّم بن مُشْكِمْ وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كنزهم فاستأذن عليه فأذن له فقرّاه وسقاه وبطن له من خبر الناس وخبر رسول الله ﷺ ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجلاً من قريش فأتوا ناحية منها يقال لها: «العريض» على ثلاثة أميال من المدينة فحرقوا في أصوار من نخل بها ووجدوا رجلاً من الأنصار اسمه معبد بن عمرو وحليفاً له في حرث لهما فقتلوهما ورأى أبو سفيان أنه قد بر بيمينه ثم هرب بمن معه. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج ومعه مائتين من المسلمين واستعمل على المدينة بشير بن عبدالمنذر فخرج حتى بلغ قرقرة الكُدر وجعل أبو سفيان وأصحابه يتخففون للهرب فيلقون جرب



السويق[١] فيأخذها المسلمون فسميت غزوة السويق ولم يلحقوهم وانصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة وكان غاب خمسة أيام، وقال المسلمين لرسول الله ﷺ حين رجع بهم يا رسول الله أتطمع أن تكون لنا غزوة قال: نعم.[٢]



غزوة قرقرة الكدر

كانت غزوة قرقرة الكُدْرفي نصف شهر المحرم من السنة الثالثة من الهجرة، ويقال لها أيضاً: قرارة الكدر.[٣]

خرج النبي ﷺ إليهم بسبب أنه بلغه أن بها جمعاً من غطفان وسليم يجمعون لحربه فسار إليهم فوجدهم قد فروا ولم يجد في المحال أحداً غير الرعاء وخمسمائة بعير وأرسل نفراً من أصحابه في أعلى الوادي واستقبلهم في بطن الوادي فوجد رعاء منهم غلام يقال له: يسار، فسأله عن الناس فقال: لا علم لي بهم إنما أُورِدُ لخمس وهذا يوم ربعي والناس ارتفعوا في المياه ونحن عزاب في الغنم، فانصرف رسول الله ﷺ وقد ظفر بالنَّعم وانحدر به إلى المدينة واقتسموا غنائمهم بصرار على ثلاثة أميال من المدينة، وكانت النعم خمسمائة بعير فأخرج خمسه، وقسم أربعة أخماسه على المسلمين فأصاب كل رجل منهم بعيرين وكانوا

---

(١)السويق: قمح أو شعير يقلى ثم يطحن فيتزود به ملتوتاً بماء أو سمن أو عسل.

(٢) "سبل الهدى"(١٧٤/٤)،"إمتاع الأسماع" (١٢٣/١)،"عيون الأثر"(٣٤٥/١)،"الدرر في اختصار المغازي والسير"(ص١٤٠)،"السيرة" لابن كثير (٥٤٠/٢)، "سيرة ابن إسحاق" (٣١٠)، "مغازي الواقدي" (١٨١/١)، "سيرة ابن هشام" (٤٤/٢)، "السيرة" لابن حبان (٢١١/١)، "جوامع السيرة" (١٢٠)، "دلائل النبوة" للبيهقي (١٦٤/٣)، "الروض الأنف" (٢٧١/٥)،"الاكتفاء"(٣٦٤/١)،"الكامل في التاريخ" (٣٢/٢).

(٣)والقرقرة: أَرْضٌ مَلْسَاءُ، وَالكدرُ: طَيْرٌ فِي أَلْوَانِهَا كُدْرَةٌ، عُرِفَ بِهَا ذَلِكَ الْمَوْضِعُ. وهي بناحية معدن بني سُليم قريب من الأرحضية وراء سد معونة وبين المعدن وبين المدينة ثمانية برد."عيون الأثر"(٣٤٧/١)

مئتي رجل، وصار يسار في سهم النبي ﷺ فأعتقه وذلك أنه رآه يصلي، وغاب رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة.

كان حامل اللواء علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم وقيل: سباع ابن عرفطة.(١)



(١) "عيون الأثر" (٣٤٧/١)، "المواهب اللدنية" (٢٣١/١)، "إمتاع الأسماع" (١٢٤/١)، "السيرة النبوية الصحيحة" (٣٧٤/٢)، "الإشارة إلى سيرة المصطفى" (ص:٢١٨)، "مغازي الواقدي" (١٨٢/١)، "الروض الأنف"(٢٧٠/٥)، "الطبقات الكبرى"(٢٣/٢)، "سير أعلام النبلاء" (٣٩٢/١)، "المقتفى من سيرة المصطفى"(ص:١٣٧)، "تاريخ الخميس" (٤٠٧/١)، "السيرة الحلبية"(٢٨٩/٢)، "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" (١٥٦/٣)، "تاريخ الإسلام"(١٥٤/٢)، "إنارة الدجى في مغازي خير الورى ﷺ" (ص:٢٣٥)، "اللؤلؤ المكنون" (٥٤٠/٢)، "الرصف لما روي عن النبي ﷺ من الفعل والوصف" (١٤٤/٢).

غزوات: (غطفان وبني سليم وأحد وحمراء الأسد) وزواج عثمان أم كلثوم والزواج بحفصة وزينب بنت خزيمة

٥٨-	فِي غَـطَفَانَ وَبَــنِي سُلَيْمِ	وَأُمُّ كُلْثُـومِ ابْنَةُ الْكَـــرِيمِ
٥٩-	زَوَّجَ عُـثْمَانَ بِهَـا وَحَـصَّهْ	ثُـمَّ تَـزَوَّجَ النَّـبِيُّ حَـفْصَهْ
٦٠-	وَزَيْنَبًا ثُـمَّ غَـزَا إِلَى أُحُدْ	فِي شَـهْرِ شَـوَّالٍ وَحَـمْرَاءِ الْأَسَدْ

الشرح:

قوله: «في غطفان»: يعني: غزوة غطفان، وغطفان قبيلة من مضر، وهي غزوة ذي أَمَرّ[(١)]، وتسمى أيضاً: أنمار.

مختصر غزوة غطفان

كانت هذه الغزوة في الثاني عشر من ربيع الأول، وقيل: في صفر.

وسببها: أنه بلغ رسول الله ﷺ أن جمعا من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الإغارة على المسلمين، جمعهم دعثور بن الحارث المحاربي فندب ﷺ المسلمين فاستخلف على المدينة عثمان بن عفان وخرج في أربعمائة وخمسين فارساً فلما سمعوا بخروج رسول الله ﷺ هربوا في رؤوس الجبال ورجع النبي ﷺ ولم يلق حرباً.

وذُكر أن النبي ﷺ أصابه مطر فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع تحتها وهم ينظرون إليه فقالوا لدعثور - وكان شجاعاً - : قد انفرد محمد فعليك به فأقبل ومعه سيف حتى قام على رأسه ﷺ فقال: من يمنعك مني؟ فقال: الله، فدفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده فأخذه النبي ﷺ فقال: من يمنعك مني؟ فقال: لا أحد وأنا أشهد أن

---

(١)بتشديد الراء من المرارة، وهو موضع به ماء بناحية «نجد» على ثلاث مراحل من المدينة- تبعد عن المدينة قرابة مئة كيلو- "مستعذب الإخبار" (ص:٢٤٩).

لا إله إلا الله وأنزل الله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[المائدة: ١١].

وكانت مدة غيبته ﷺ إحدى عشرة ليلة وقيل خرج في صفر وأقامه كله بنجد.

وذكر أنه أصاب منهم رجلاً يقال له: جبار الثعلبي وقيل: جبان، والأول أصح، أسلم وكان دليل النبي ﷺ إلى غطفان وضمه النبي ﷺ إلى بلال(١).



قوله:«وبني سليم»: يعني: بذلك غزوة بني سليم، وتسمى أيضا: غزوة بُحران، وبُحران موضع من ناحية الفُرْع وهو واد خَصب على مسافة مائة وخمسين كيلو من المدينة ولذا تسمى أيضًا هذه الغزوة: غزوة الفُرْع.

مختصر غزوة بني سليم

كانت بين شهري ربيع الآخر وجماد الأولى وقيل: خرج في السادس من جمادى الأولى.

وسببها: أنه بلغه ﷺ أن بها جمعًا من بني سُليم كثيرًا يجمعون لحرب المسلمين، فاستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وخرج في ثلاثمئة رجل من أصحابه فأسرع السير حتى وصل بُحران فوجدهم قد تفرقوا في مياههم فرجع ولم يلق كيدًا، وكانت غيبته عشر ليال.

---

(١) "مغازي الواقدي" (١/ ١٩٣)، "سيرة ابن اسحاق" (ص:٣١٢)، "سيرة ابن هشام" (٤٦/٢)، "السيرة النبوية " لابن حبان (٢١٥/١)، "جوامع السيرة" (ص:١٢١)، "دلائل النبوة" للبيهقي(١٦٧/٣)، "إمتاع الأسماع" (٣٥٢/٨- ٣٥٣)، "عيون الأثر"(٣٥٥/١)، "السيرة الحلبية" (٢٩٠/٢)، "السيرة النبوية الصحيحة" (٣٧٤/٢)، "الإشارة " (ص:٢٢٤)، "الدرر في اختصار المغازي والسير" (ص:١٤٠)، "الروض الأنف" (٢٧٤/٥)، "السيرة النبوية" لابن كثير (٣/٣)، "المقتفى من سيرة المصطفى"(ص:١٣٨)، "شرح الزرقاني على المواهب" (٣٧٨/٢)، "مستعذب الإخبار" (ص:٢٤٩)، "اللؤلؤ المكنون"(٥٤٢/٢)، "تاريخ الطبري" (٤٨٧/٢)، "تاريخ الإسلام" (١٤٣/٢)، "سير أعلام النبلاء"(٣٨٦/١).

وعلى هذا السياق يكون غزا بني سليم ثلاث مرات: مرة عقب بدر، وهذه الغزوة، وغزوة ذي أمر.

وبعضهم يجعلها في السنة الثانية من الهجرة وأنها هي غزوة الكُدْر.(١)



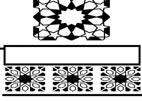
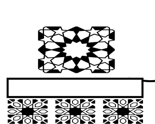
قوله: «وأم كلثوم ابنة الكريم زوج عثمان بها وخصه»: أي: زوج النبي ﷺ عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ابنته أم كلثوم رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وكان متزوجًا أختها رقية وماتت عنه في غزوة بدر. ففاز عثمان بهذه الخصوصية التي لم يشاركه فيها أحد حيث تزوج بابنتي رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ واحدة تلو الأخرى ولذا كان يلقب بذي النورين.



قوله: «ثم تزوج النبي حفصة»: أي: وفي هذه السنة الثالثة في شعبان تزوج النبي ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.



(١) "عيون الأثر"(١/٣٥٦)، "السيرة الحلبية" (٢/٢٩١)، "سبل الهدى والرشاد"(٤/١٧٢)، "السيرة للعمري (٢/٣٧٥)، "جوامع السيرة" (١٢١)، "إمتاع الأسماع" (٨/٣٥٤)، "المواهب اللدنية" (١/٢٣٩) "اللؤلؤ المكنون"(٢/٥٤٠)، "الرصف لما روي عن النبي ﷺ من الفعل والوصف" (٢/١٤٤).

أم المؤمنين حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

هي حَفْصَةُ العَدَوِيَّةُ أُمُّ المُؤْمِنِيْنَ - السِّتْرُ الرَّفِيْعُ حافظة المصحف الصحابية الجليلة الفاضلة الصالحة الكريمة- بِنْتُ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلَ بْنَ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ رِيَاحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطِ بْنِ رَزَّاحِ بْنِ عدي بن كعب بن لؤي.

وأمها زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح أخت عثمان بن مظعون.

ولدت قَبْلَ المَبْعَثِ بِخَمْسِ سِنِيْنَ وكانت قبل رَسُول اللَّهِ ﷺ تحت خنيس بن حذافة بْن قيس بْن عدي السهمي، فكانت عنده إلى أن ظهر الإسلام، فدخلا فيه، ثم هاجرت معه إلى المدينة، فمات عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهي في العشرين من عمرها، فلما تأيمت ذكرها عمر لأبي بكر وعرضها عَلَيْهِ فلم يرجع إليه أَبُو بَكْر كلمة، فوجد من ذلك عمر، ثم عرضها عَلَى عُثْمَان حين ماتت رقية بنت رَسُول اللَّهِ ﷺ فَقَالَ عُثْمَان: مَا أريد أن أتزوج اليوم. فخطبها رَسُول اللَّهِ ﷺ إِلَى عمر فتزوجها، فلقي أَبُو بَكْر عُمَر بْن الْخَطَّابِ فَقَالَ له: لا تجد علي فِي نفسك، فإن رَسُول اللَّهِ ﷺ كَانَ ذكر حفصة، فلم أكن لأفشي سر رَسُول اللَّهِ ﷺ، ولو تركها لتزوجتها[١].

وتزوجها رَسُول اللَّهِ ﷺ فِي سنة ثلاث من الهجرة على القول الصحيح وهو قول الجمهور.

---

(١)الحديث في صحيح البخاري (٤٠٠٥) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، يُحَدِّثُ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لاَ أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ «خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ» فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ، إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا.

من مناقبها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

١- أنها من السابقات إلى الإسلام ومن المهاجرات إلى المدينة مع زوجها الأول خنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢- لقبت حارسة القرآن الكريم ونالت هذا الشرف العظيم؛ لأن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أوصى بأن تودع الصحف التي جُمع فيها القرآن الكريم من الرقاع والعُسُب والجلود وغيرها عندها؛ لأنها أولى وأجدر من غيرها في ذلك؛ ولكونها زوجة رسول الله ﷺ وأم المؤمنين فضلًا على أنها حافظة لكتاب الله متمكنة من القراءة والكتابة حيث كان النبي ﷺ حريصًا على تعليمها، فعن الشِّفَاء بنتِ عبدِ الله، قالت: دخلَ عليَّ النبي ﷺ وأنا عندَ حفصةَ، فقال لي: «ألا تُعَلِّمين هذه رُقْيَةَ النملة، كما علَّمتِيها الكتابةَ». رواه أبوداود(٣٨٨٧) وأحمد (٢٧٠٩٥)، وصححه الألباني في "الصحيحة" (١٧٨)

وفي هذا الحديث إشارة واضحة إلى أنها كانت متعلمة للكتابة وهو أمر نادر بين النساء في تلك الفترة الزمنية، ومما أعانها على تمكنها من العلم حياتها في بيت العلم والنبوة فكانت إحدى فقيهات عصر الصحابة رضي الله عنهم. وقد روت عن رسول الله ﷺ ستين حديثًا، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة وانفرد مسلم بستة، وقد روى عنها جماعة من الصحابة والتابعين ومنهم أخوها عبد الله وابنه حمزة وزوجته صفيه وغيرهم.

كانت كثيرة الصيام والقيام والعبادة فعَظُمَ بهذا شأنها عند الله عزوجل، فعَنْ قَيْسِ بْنِ زَيْدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ طَلَّقَ حَفْصَةَ تَطْلِيقَةً فَأَتَاهَا خَالَاهَا قُدَامَةُ وَعُثْمَانُ ابْنَا مَظْعُونٍ، فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا طَلَّقَنِي عَنْ شِبَعٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ، فَتَجَلْبَبَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: «رَاجِعْ حَفْصَةَ فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ، وَإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ».[1]

---

(١)أخرجه الطبراني في "الكبير" (٩٣٤) والحاكم في "المستدرك" (٦٧٥٣) وأبو نعيم في "الحلية" (٢/٥٠) وقال الهيثمي في "المجمع" (٩/٢٤٥): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.اهـ وأخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط" (١٥١) عن أنس، قال الذهبي في "السير" (٢/٢٢٩): إِسْنَادُهُ صَالِحٌ.اهـ

وهو حديث حسن بمجموع طرقه كما في "الصحيحة" للألباني (٥/١٧) و"صحيح الجامع" (٤٣٥١).

ففي هذا الحديث منقبة عظيمة عالية لأم المؤمنين حفصة حيث الثناء عليها بكثرة الصيام والقيام والإخبار بأنها زوجة الرسول ﷺ في الجنة.

وفاتها:

توفيت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في شهر شعبان عام ٤٥ من الهجرة وهي ابنة ٦٣ سنة وصلى عليها والي المدينة مروان بن الحكم ودفنت بالبقيع، وقيل: ماتت سنة إحدى وأربعين في شهر جمادى الأولى وعمرها ستون سنة. وقيل: إنها ماتت في خلافة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.(١)



الزواج بأم المؤمنين بزينب بنت خزيمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

قوله: «وزينبا»

أي: وتزوج ﷺ بعد حفصة زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت تسمى أم المساكين لكثرة إطعامها المساكين، ولم تلبث عند النبي ﷺ إلا يسيرا، ثمانية أشهر، وقيل: شهرين، وقيل: ثلاثة، وقد بلغت ثلاثين سنة أو نحوها. وكانت قبله عند عبد الله بن جحش على قول الزهري، وقيل: عند الطفيل بن الحارث أو الحصين بن الحارث على قول ابن إسحاق.

وقال قتادة وأبو الحسن النسابة الجرجاني: عند الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب فطلقها فتزوجها أخوه عبيدة بن الحارث فقتل عنها يوم بدر شهيدًا، فتزوجها رسول الله ﷺ في

---

(١) "جامع الأصول"(٩٨/١٢)، "سيرة ابن اسحاق" (ص:٢٥٧)، "الطبقات الكبرى" (٦٥/٨)، "المقتفى" (١٠٣)، "إمتاع الأسماع" (٤٦/٦)،"سبل الهدى"(١٨٤/١١)،"المنتظم"(٢١٣/٥)،"مرآة الزمان" (٧٩/٧)، "معرفة الصحابة"لابن منده(ص:٩٤٧)،"معرفة الصحابة"لأبي نعيم(٣٢١٣/٦)،"الاستيعاب" (١٨١١/٤)، "أسد الغابة" (٦٧/٧)،"تهذيب الكمال" (١٥٣/٣٥)،"سير أعلام النبلاء"(٢٢٧/٢)،"الإصابة" (٨٥/٨)، "الأعلام" للزركلي (٢٦٤/٢)،"نساء النبي ﷺ" (ص:٦٩)، "سلم الوصول إلى طبقات الفحول" (٦٠/٢)، "التكميل في الجرح والتعديل" (٢٢٧/٤)، "الأغصان الندية" (ص:٢٢١)، "اللؤلؤ المكنون" (٥٥٨/٢).

رمضان في هذه السنة[١].



غزوة أحد

قوله: «ثم غزا إلى أحد في شهر شوال»

اتفق أهل السير على أن غزوة أحد[٢] كانت في السنة الثالثة من الهجرة في شوال، واختلفوا في تاريخ ذلك اليوم فالأكثرون على أنه يوم السبت من نصف شوال، وهو قول الجمهور.

سبب الغزوة:

أَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا رَجَعُوا مِنْ بَدْرٍ إلى مَكَّةَ، وَقَدْ أُصِيبُوا بِمُصِيبَةٍ لَمْ يُصَابُوا بِمِثْلِهَا، مِنْ قتلِ صَنَادِيدِهِمْ وَأَشْرَافِهِمْ، اتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَقُومُوا بِحَرْبٍ شَامِلَةٍ ضِدَّ المُسْلِمِينَ، تَشْفِي غَيْظَهَا، وَتَرْوِي غِلَّةَ حِقْدِهَا، وَأَخَذَتْ في الِاسْتِعْدَادِ لِخَوْضِ مِثْلِ هَذِهِ المَعْرَكَةِ العَظِيمَةِ مَعْرَكَةِ أُحُدٍ.
وَكَانَ عِكْرِمَةُ بنُ أَبِي جَهلٍ، وَصَفْوَانُ بنُ أُمَيَّةَ، وَأَبُو سُفْيَانَ بنُ حَرْبٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ أَبِي رَبِيعَةَ أَكْثَرَ زُعَمَاءَ قُرَيْشٍ نَشَاطًا، وَتَحَمُّسًا لِخَوْضِ هَذِهِ المَعْرَكَةِ.
وَأَوَّلُ مَا فَعَلُوهُ بِهَذَا الصَّدَدِ أَنَّهُمُ احْتَجَزُوا العِيرَ التِي كَانَ قَدْ نَجَا بِهَا أَبُو سُفْيَانَ وَالتِي كَانَتْ سَبَبًا لِمَعْرَكَةِ بَدْرٍ، وَقَالُوا لِلَّذِينَ كَانَتْ أَمْوَالُهُمْ فِيهَا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكُمْ ، وَقَتَلَ خِيَارَكُمْ، فَأَعِينُونَا بِهَذَا المَالِ عَلَى حَرْبِهِ، لعَلَّنَا أَنْ نُدْرِكَ مِنْهُ ثَأْرَنَا بِمَنْ أَصَابَ مِنَّا، فَأَجَابُوا لِذَلِكَ، وَكَانَتْ أَلْفَ بَعِيرٍ، وَالمَالُ خَمْسُونَ أَلْفَ دِينَارٍ[٣].

---

(١) "سبل الهدى"(١١/٢٠٥)، "تاريخ الخميس"(١/٤١٧)، "الطبقات الكبرى" (٨/١١٥)، "شرح الزرقاني" (٤/٣٩٣)، "نساء النبي ﷺ"(ص:٧٩)، "رحمة للعالمين" (ص:٤١٥)، "الأغصان الندية"(ص:٢٢٢).

(٢)عرفت هذه الغزوة باسم الجبل الذي وقعت عنده، ويقع في شمال المدينة... ويبعد عن المسجد النبوي خمسة أكيال ونصف الكيل. "السيرة النبوية الصحيحة"(٢/٣٧٨).

(٣) "اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون" (٢/٥٦٤).

مختصر غزوة أُحُد[(١)]

في شهر شوال من السنة الثالثة من الهجرة توجهت قريش في ثلاثة آلاف مقاتل إلى المدينة لقتال المسلمين انتقامًا لهزيمتها في غزوة بدر، واستعادةً لهيبتها ومكانتها التي اهتزت بين القبائل العربية في أعقاب بدر، وكذلك من أجل تأمين طريق تجارتها إلى الشام.

وجاءت الأخبار إلى رسول الله ﷺ فاستشار أصحابه في أن يتم قتال قريش داخل المدينة، فقالت الأكثرية: ما دُخل علينا فيها في جاهلية فكيف يدخل علينا في الإسلام؟ ورغبوا في ملاقاتهم خارج المدينة، فدخل رسول الله ﷺ بيته ولبس عدة الحرب، فلما خرج قالت الأنصار: ما كان لنا أن نخالفك، فاصنع ما شئت، فقال:«ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل»[(٢)].

ولما وصل كفار قريش إلى المدينة عسكروا عند جبل أحد فخرج لهم رسول الله ﷺ في جيش عدته ألف مقاتل، وفي الطريق إلى أحد تظاهر المنافق عبد الله بن أبي بن سلول بالغضب، وقال: أطاعهم وعصاني؛ لأنه كان من المؤيدين للقتال داخل المدينة، ورجع معه ثلث الجيش ممن كانوا على شاكلته من النفاق والشك.

وفي ميدان المعركة جعل رسول الله ﷺ جبل أحد خلفه، ووضع قوةً من الرماة بقيادة عبدالله بن جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على جبل عينين والذي عرف فيما بعد بجبل الرماة، لتأمين الحماية للجيش، ومنع المشركين من اقتحام صفوف المسلمين، وقال لهم: «لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا»[(٣)].

وبدأت المعركة بالمبارزة ثم التحم الجيشان، فدارت الدائرة على المشركين أول النهار فولوا مدبرين حتى انتهوا إلى نسائهم في مؤخرة الجيش، فلما رأى الرماة هزيمة قريش، قالوا: الغنيمة، الغنيمة، فنهاهم أميرهم وذكرهم عهد رسول الله ﷺ، فلم يستجيبوا له، وحسبوا

---

(١) "صحيح الأثر وجميل العبر"(ص:٢٠٧).

(٢)رواه أحمد (١٤٧٨٧).

(٣)رواه البخاري (٣٠٣٩).

أن ليس للمشركين رجعة، فذهبوا في طلب الغنيمة، وعندما رأى خالد بن الوليد ما فعل الرماة، استغل هذا الأمر وجاء إلى من بقي من الرماة فقتلهم، ثم التف على المسلمين، وعند ذلك كرَّ كفار قريش على المسلمين من كل اتجاه، فاضطرب المسلمون، واختل نظامهم، وثبت رسول الله ﷺ في مكانه، وأصيب ﷺ، وسالت الدماء من وجهه الشريف وأشيع أنه قُتل، فتراجع بعض المسلمين إلى المدينة، وقعد بعضهم عن القتال، واستُشهد سبعون صحابيًا منهم، حمزة ابن عبد المطلب، ومصعب بن عمير حامل اللّواء، وسعد بن الربيع رضوان الله عليهم جميعًا.

ولما برد القتال أشرف أبو سفيان على المسلمين ونادى: أفي القوم محمَّد؟ فقال رسول الله ﷺ: لا تجيبوه، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال ﷺ: لا تجيبوه، فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلا قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا. فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله أبقى الله لك ما يخزيك. قال أبو سفيان: اعلُ هُبل. فقال النبي ﷺ: أجيبوه. قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجل. قال أبو سفيان: لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم. فقال النبي ﷺ: أجيبوه. قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم. قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، وتجدون مُثلةً، لم آمر بها ولم تسؤني. فقال رسول الله ﷺ : أجيبوه. قالوا: ما نقول؟ قال قولوا: لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.(١)

ثم انسحبت قريش عائدة إلى مكة دون أن تستثمر نتيجة المعركة فلم تأخذ أسيرًا ولا غنيمة. وقد أنزل الله سبحانه وتعالى في هذه الغزوة آيات مباركات من سورة آل عمران فيها وصف لهذه الغزوة وتبيان لما فيها من الأحكام والحكم والغايات المحمودة، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى أمهاتها وأصولها، حيث افتتح القصة بقوله تعالى:﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٢١]، إلى تمام

(١)صحيح البخاري (٣٠٣٩).

ستين آية من سورة آل عمران.[١]



غزوة حمراء الأسد

كَانَتْ يَوْمَ الأَحَدِ بَعْدَ أُحُدٍ بِيَوْمٍ وَاحِدٍ فَقَطْ، وَكَانَ سَبَبُهَا مَا بَلَغَ الرَّسُولَ ﷺ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ بنِ حَرْبٍ أَنَّهُ يُرِيدُ الرُّجُوعَ بِقُرَيْشٍ إِلَى المَدِينَةِ لِيَسْتَأْصِلُوا مَنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ. عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا انْصَرَفَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ أُحُدٍ وَبَلَغُوا الرَّوْحَاءَ، قَالُوا: لَا مُحَمَّدًا قَتَلْتُمُوهُ، وَلَا الْكَوَاعِبَ أَرْدَفْتُمْ، وَبِئْسَ مَا صَنَعْتُمُ ارْجِعُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَنَدَبَ النَّاسَ فَانْتَدَبُوا حَتَّى بَلَغُوا حَمْرَاءَ الْأَسْدِ[٢] وَبِئْرَ أَبِي عِنَبَةَ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢]. أخرجه النسائي في "السنن الكبرى" (١١٠١٧)، وهو صحيح كما في "الصحيح من أحاديث السيرة النبوية" (ص: ٢٨٧)

---

(١) "السيرة النبوية الصحيحة" (٣٧٨/٢)، "الإشارة" (ص:٢٣٠)، "مغازي الواقدي"(١٩٩/١)، "سيرة ابن هشام" (٦٠/٢)،"السيرة النبوية" لابن حبان (٢١٨/١)، "جوامع السيرة"(ص:١٢٣)، "دلائل النبوة" للبيهقي (٢٠١/٣)،"الدرر"(ص:١٤٥)،"الروض الأنف" (٢٩٦/٥)، "البداية والنهاية"(١١/٤)، "الاكتفاء" (٣٧٠/١)، "عيون الأثر"(٥/٢)، "الفصول في السيرة"(ص:١٤٤)، "إمتاع الأسماع"(٣٥٥/٨)، "بهجة المحافل" (١٩٦/١)، "سبل الهدى والرشاد"(١٨٢/٤)، "تاريخ الخميس" (٤١٩/١)، "السيرة الحلبية" (٢٩٤/٢)، "شرح الزرقاني على المواهب" (٣٨٦/٢)، "مستعذب الإخبار" (ص:٢٥١)، "الرحيق المختوم" (٢٢٤)،"صحيح السيرة النبوية"للعلي (ص:٢٠٢)، "اللؤلؤ المكنون" (٥٦٣/٢)، "تاريخ خليفة بن خياط" (ص:٦٧)، "تاريخ الطبري" (٤٩٩/٢)، "المنتظم" (١٦١/٣)، "الكامل في التاريخ" (٣٩/٢)، "تاريخ الإسلام" (١٦٥/٢).

(٢)حمراءُ الأسَدِ: هو موضع على ثمانية أميال من المدينة. انظر "معجم البلدان" (١٨١/٣).

حَمَلَ لِوَاءَ المُسْلِمِينَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، وَاسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى المَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مَجْرُوحٌ فِي وَجْهِهِ، وَمَشْجُوجٌ فِي جَبْهَتِهِ، وَقَدْ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَهُوَ مُتَوَهِّنٌ مَنْكِبُهُ الأَيْمَنُ مِنْ ضَرْبَةِ ابْنِ قَمِئَةَ، وَرُكْبَتَاهُ مَجْحُوشَتَانِ ، وَخَرَجَ مَعَهُ جَمِيعُ مَنْ حَضَرَ القِتَالَ بِأُحُدٍ عَلَى مَا بِهِمْ مِنَ الجِرَاحِ وَالقَرْحِ.

وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدَلِيلُهُ فِي السَّيْرِ ثَابِتُ بنُ الضَّحَّاكِ الخَزْرَجِيُّ، حَتَّى عَسْكَرَ بِحَمْرَاءَ الأَسَدِ، وَأَقَامَ المُسْلِمُونَ بِذَلِكَ المَكَانِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، وَكَانُوا يُوقِدُونَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي النِّيرَانَ حَتَّى كَانَتْ تُرَى مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ.

وَلَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَمْرَاءَ الأَسَدِ مَعْبَدَ بنَ أَبِي مَعْبَدٍ الخُزَاعِيَّ، وَكَانَتْ خُزَاعَةُ مُسْلِمُهُمْ وَمُشْرِكُهُمْ هَوَاهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانُوا لَا يُخْفُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا كَانَ بِهَا، وَمَعْبَدٌ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ عَزّ عَلَيْنَا مَا أَصَابَكَ فِي أَصْحَابِكَ، وَلَوَدِدْنَا أَنَّ اللَّهَ عَافَاكَ فِيهِمْ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى لَقِيَ أَبَا سُفْيَانَ بنَ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ بِالرَّوْحَاءِ، وَقَدْ أَجْمَعُوا الرَّجْعَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو سُفْيَانَ مَعْبَدًا قَالَ: مَا وَرَاءَكَ يَا مَعْبَدُ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ خَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ يَطْلُبُكُمْ فِي جَمْعٍ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطُّ، يَتَحَرَّقُونَ عَلَيْكُمْ تَحَرُّقًا، قَدِ اجْتَمَعَ مَعَهُ مَنْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ فِي يَوْمِكُمْ، فِيهِمْ مِنَ الحَنَقِ عَلَيْكُمْ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطُّ، قَالَ أَبُوسُفْيَانَ: وَيْحَكَ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَى أَنْ تَرْتَحِلَ حَتَّى تَرَى نَوَاصِيَ الخَيْلِ، قَالَ: فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَجْمَعْنَا الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ لِنَسْتَأْصِلَ بَقِيَّتَهُمْ، قَالَ: فَإِنِّي أَنْهَاكَ عَنْ ذَلِكَ.

فَخَافَ أَبُو سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ فَأَسْرَعُوا إِلَى مَكَّةَ، وَعِنْدَ انْصِرَافِهِمْ مَرَّ بِأَبِي سُفْيَانَ رَكْبٌ مِنْ عَبْدِالقَيْسِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَيْنَ تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ المَدِينَةَ، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ المِيرَةَ ، قَالَ: فَهَلْ أَنْتُمْ مُبلِّغُونَ عَنِّي مُحَمَّدا رِسَالَةً أُرْسِلُكُمْ بِهَا إِلَيْهِ، وَأُحَمِّلُ لَكُمْ إِبِلَكُمْ غَدًا زَبِيبًا بِعُكَاظَ ، إِذَا وَافَيْتُمُوهَا؟ قَالُو: نَعَمْ، قَالَ: فَإِذَا وَافَيْتُمُوهُ، فَأَخْبِرُوهُ أَنَّا قَدْ أَجْمَعْنَا السَّيْرَ إِلَيْهِ، وَإِلَى أَصْحَابِهِ لِنَسْتَأْصِلَ بَقِيَّتَهُمْ. فَمَرَّ الرَّكْبُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ بِحَمْرَاءَ الأَسَدِ، فَأَخْبَرُوهُ بِالذِي قَالَهُ أَبُوسُفْيَانَ، فَقَالَ ﷺ: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ».

وَفِي هَذَا المَوْقِفِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾

[آل عمران: ١٧٢ – ١٧٤].

أَخْرَجَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٤٥٦٣)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ قَالَهَا: إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَمْرَاءَ الأَسَدِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَفِي يَوْمِ الأَرْبِعَاءَ عَادَ إِلَى المَدِينَةِ، وَقَدِ اسْتَرَدَّ المُسْلِمُونَ الكَثِيرَ مِنْ هَيْبَتِهِمْ، بَعْدَ أَنْ كَادَتْ تَتَزَعْزَعُ بِسَبَبِ غَزْوَةِ أُحُدٍ[١].

---

(١) "اللؤلؤ المكنون" (٦٨٧/٢)، "الطبقات الكبرى" (٣٧/٢)، "سير أعلام النبلاء" (٤٢٦/١)، "مغازي الواقدي" (٣٣٤/١)، "سيرة ابن هشام" (١٢١/٢)، "زاد المعاد" (٣/ ٢١٧)، "جوامع السيرة" (ص:١٤٠)، "دلائل النبوة" للبيهقي (٣١٢/٣)، "تاريخ الطبري"(٥٣٤/٢)، "المنتظم" (١٧٢/٣)، "الكامل في التاريخ" (٥٢/٢)، "تاريخ الإسلام" (٢٢٣/٢)، "البداية والنهاية"(٤٨/٤)، "الدرر"(ص:١٥٨)، "عيون الأثر" (٥٣/٢) ، "الإشارة" (ص:٢٣٧)، "المقتفى" (ص:١٤٥)، "إمتاع الأسماع" (١٧٨/١)، "بهجة المحافل" (٢١١/١)، "المواهب اللدنية"(٢٥٧/١)، "سبل الهدى" (٣٠٨/٤)، "تاريخ الخميس"(٤٤٧/١)، "السيرة الحلبية" (٣٤٩/٢)، "العقد الثمين" (٣٩٠/١)، "السيرة النبوية" للعمري (٢٥٦/٢)، "الأغصان الندية" (ص:٢٤٧).

تحريم الخمر وولادة الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

٦١- والْـخَمْــرُ حُــرِّمَتْ يَقِــينًا فَاسْمَعَنْ ... هَذَا وَفِيــهَا وُلِــدَ السِّبْــطُ الْحَسَنْ

يعني: وفي هذه السنة الثالثة بعد غزوة أحد حرم شرب الخمر، وهذا قول الجمهور[1] وتحريمها أمر متيقن لا شك فيه ولا ريب.

فاسمعن: أي استجب واسمع لأمر الله عَزَّوَجَلَّ سماع قبول وإذعان.

وفي هذه السنة أيضا ولد سبط رسول الله ﷺ الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ولد في نصف رمضان من السنة الثالثة من الهجرة على قول جمهور العلماء.

التدرج في تحريم الخمر[2]

كان شرب الخمر عادة أساسية عند رجالات العرب في الجاهلية، وكان يصعب على الواحد منهم ترك ذلك الأمر.

فلما جاء الإسلام، وجاء النبي ﷺ بالتشريع من عند العليم الخبير، لم يُحرم الخمر مرة واحدة بل كان ذلك تدريجيًا، تيسيرًا من الله تعالى على هؤلاء الذين تأصلت فيهم هذه العادة.

فأنزل الله تعالى أولاً: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٩]. فشربه بعض الناس وتركه البعض، فقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللَّهُمَّ بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت:

(١) "التحرير والتنوير" (٢٢/٧)، "تفسير القرطبي"(٢٨٥/٦)، "مجموع فتاوى ابن تيمية"(١٨٧/٣٤)

(٢) "الأغصان الندية شرح الخلاصة البهية" (ص:٢٥٣).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] فكان المنادي إذا أقام الصلاة قال: لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى، فقَالَ عُمَرُ: اللّٰهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا فَنَزَلَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾[المائدة: ٩٠ – ٩١] فقَالَ عُمَرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: انْتَهَيْنَا، انْتَهَيْنَا.اهـ[1]

آية تحريم الخمر

لا خلاف بين العلماء أن الخمر حرمت بنزول آية المائدة وهي قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠﴾ [المائدة: ٩٠].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَخْطُبُ بِالْمَدِينَةِ، قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُعَرِّضُ بِالْخَمْرِ، وَلَعَلَّ اللهَ سَيُنْزِلُ فِيهَا أَمْرًا، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَلْيَبِعْهُ وَلْيَنْتَفِعْ بِهِ»، قَالَ: فَمَا لَبِثْنَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْخَمْرَ، فَمَنْ أَدْرَكَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ وَعِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَلَا يَشْرَبْ، وَلَا يَبِعْ»، قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ النَّاسُ بِمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْهَا فِي طَرِيقِ الْمَدِينَةِ فَسَفَكُوهَا. رواه مسلم (١٥٧٨)

قال النووي في "شرح مسلم" (٣/١١): قَوْلُهُ ﷺ: «فَمَنْ أَدْرَكَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ»: أَيْ أَدْرَكَتْهُ حَيًّا وَبَلَغَتْهُ وَالْمُرَادُ بِالْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ الْآيَةَ.اهـ

---

(١)صحيح. أخرجه أحمد (٣٧٨)، وأبو داود (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٥٥٤٠)، وصحح إسناده الحاكم، ووافقه الذهبي، والشيخ أحمد شاكر، وصححه الألباني كذلك، ونقل الحافظ في "الفتح" (١٢٩/٨)، وقبله ابن كثير في "تفسيره"(٩٢/٢) عن ابن المديني تصحيحه للأثر.اهـ من "سلسلة الآثار الصحيحة"(٢٦١/٢).

الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا

سماه النبي ﷺ حسنا، فعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: لَمَّا وُلِدَ الْحَسَنُ سَمَّاهُ حَمْزَةَ، فَلَمَّا وُلِدَ الْحُسَيْنُ سَمَّاهُ بِعَمِّهِ جَعْفَرٍ، قَالَ: فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُغَيِّرَ اسْمَ هَذَيْنِ» فَقُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَمَّاهُمَا حَسَنًا وَحُسَيْنًا. أخرجه أحمد (١٣٧٠) وهو في "الصحيحة" (٢٧٠٩)

وكان يشبه النبي ﷺ عن أنس، قَالَ: «لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَشْبَهَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ». رواه البخاري (٣٧٥٢)

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ الحَارِثِ، قَالَ: صَلَّى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ العَصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ يَمْشِي، فَرَأَى الحَسَنَ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَحَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ، وَقَالَ: «بِأَبِي، شَبِيهٌ بِالنَّبِيِّ لاَ شَبِيهٌ بِعَلِيٍّ». وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ. رواه البخاري (٣٥٤٢)

قال الذهبي في "السير" (٣/٢٥٣): وَقَدْ كَانَ هَذَا الإِمَامُ سَيِّداً، وَسِيماً، جَمِيْلاً، عَاقِلاً، رَزِيناً، جَوَاداً، مُمَدَّحاً، خَيِّراً، دَيِّناً، وَرِعاً، مُحتشِماً، كَبِيرَ الشَّأْنِ.اهـ

من مناقبه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سُوقٍ مِنْ أَسْوَاقِ المَدِينَةِ، فَانْصَرَفَ فَانْصَرَفْتُ، فَقَالَ: «أَيْنَ لُكَعُ- ثَلاَثًا- ادْعُ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ». فَقَامَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَمْشِي وَفِي عُنُقِهِ السِّخَابُ[1]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَقَالَ الحَسَنُ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَالْتَزَمَهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ، وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ»، وَقَالَ أَبُوهُرَيْرَةَ: فَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، بَعْدَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ. متفق عليه [البخاري (٥٨٨٤) مسلم (٢٤٢١)].

وعن البَرَاءَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي

---

(١)السِّخَاب: خَيطٌ يُنْظم فيه خَرَز ، ويلْبَسه الصِّبيان والجَوَاري. وقيل: هو قِلادَة تُتَّخذ من قَرَنفُل، ومَحْلب، وَسُكّ ونحوه، وليس فيها من اللُّؤْلؤ والجوهر شيءٌ. "النهاية" (٢ /٨٨٤)، وترجم له البخاري فقال: بَاب السِّخَابِ لِلصِّبْيَانِ ، وذكر تحته هذا الحديث.

أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ». متفق عليه [البخاري (٣٧٤٩) مسلم(٢٤٢٢)]

وعن أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً، وَعَلَيْهِ أُخْرَى وَيَقُولُ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ». رواه البخاري (٢٧٠٤)

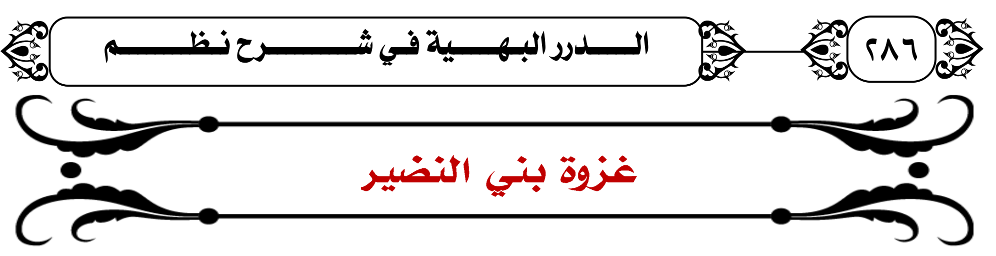
وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ». أخرجه أحمد (١٠٩٩٩)، والترمذي (٣٧٦٨)، والنسائي في "الكبرى" (٨١١٣)، وهو في "الصحيح المسند" للوادعي (٤٢١) و "الصحيحة" للألباني (٧٩٦).

وعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلَتْنِي أُمِّي: مُنْذُ مَتَى عَهْدُكَ بِالنَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: مُنْذُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَنَالَتْ مِنِّي وَسَبَّتْنِي، قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: دَعِينِي، فَإِنِّي آتِي النَّبِيَّ ﷺ فَأُصَلِّي مَعَهُ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ لَا أَدَعُهُ حَتَّى يَسْتَغْفِرَ لِي وَلَكِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْعِشَاءِ، ثُمَّ انْفَتَلَ فَتَبِعْتُهُ، فَعَرَضَ لَهُ عَارِضٌ فَنَاجَاهُ، ثُمَّ ذَهَبَ فَاتَّبَعْتُهُ فَسَمِعَ صَوْتِي فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» ، فَقُلْتُ: حُذَيْفَةُ، قَالَ: «مَا لَكَ؟» ، فَحَدَّثْتُهُ بِالْأَمْرِ، فَقَالَ: «غَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَلِأُمِّكَ» ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا رَأَيْتَ الْعَارِضَ الَّذِي عَرَضَ لِي قُبَيْلُ؟»، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَهُوَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يَهْبِطِ الْأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ، وَيُبَشِّرَنِي أَنَّ الْحَسَنَ، وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

أخرجه أحمد (٢٣٣٢٩) والترمذي (٣٧٨١) وهوصحيح كما في "الجامع الصحيح" لشيخنا الوادعي (١٩١) و"الصحيحة" للألباني (٢/٤٢٥).

وفاته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

سقي السم فمرض أربعين يوما، وتوفي في الخامس من ربيع الأول سنة تسع وأربعين من الهجرة، ودفن بجوار أمه فاطمة، وكان عمره ستة وأربعين عاما. "البداية والنهاية" (٨/٣٤)



غزوة بني النضير

٦٢- وَكَـانَ فِي الــرَّابِعَةِ الْغَـزْوُ إِلَى بَـــنِي النَّضِــيرِ فِي رَبِيـعٍ أَوَّلا

الشرح:

يعني كان في السنة الرابعة من الهجرة غزوة بني النضير في شهر ربيع الأول، هذا قول ابن إسحاق(١) والواقدي(٢)، وابن سعد(٣) وهو قول جمهور أهل السير(٤).(٥)

سبب ومختصر هذه الغزوة

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وروى ابن مردويه قصة بني النضير بإسناد صحيح إلى مَعْمر عن الزهري: أخبرني عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: كتب كفار قريش إلى عبد الله بن أُبيّ وغيره ممن يعبد الأوثان قبل بدر يهددونهم بإيوائهم النبي ﷺ وأصحابه ويتوعدونهم أن يغزوهم بجميع العرب، فهمّ ابن أُبيّ ومن معه بقتال المسلمين، فأتاهم النبي ﷺ فقال:«ما كادكم أحد بمثل ما كادتكم قريش، يريدون أن تلقوا بأسكم بينكم» فلما سمعوا ذلك عرفوا الحق فتفرقوا، فلما كانت وقعة بدر كتب كفار قريش بعدها إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة

---

(١) "تاريخ الإسلام" (٢/٢٤٥)، "عيون الأثر" (٢/٧٠).

(٢) "مغازي الواقدي"(١/٣٦٣).

(٣) "الطبقات الكبرى" (٢/٤٣).

(٤) "السيرة النبوية الصحيحة"(١/٣٠٥).

(٥)واختاره جماعة منهم: ابن عبدالبر في "الدرر" (ص:١٦٥)، والحافظ في "الفتح" (٨/٧٠)، وابن جماعة في "المختصر الكبير"(ص:٦٢)، والحلبي في "المقتفى" (ص:١٥٢)، ومغلطاي في "الإشارة"(ص:٢٤٢)، والمقريزي في "إمتاع الأسماع" (٨/٣٥٩) والقسطلاني في "المواهب" (١/٢٦٧) والديار بكري في "تاريخ الخميس" (١/٤٦٠) وابن الجوزي في "المنتظم" (٣/٢٠٣) والفاسي في "العقد الثمين" (١/٣٩٢).

والحصون، يتهددونهم، فأجمع بنو النضير على الغدر، فأرسلوا إلى النبي ﷺ: اُخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا، فإن آمنوا بك اتبعناك، ففعل، فاشتمل اليهود الثلاثة الخناجر فأرسلت امرأة من بني النضير إلى أخ لها من الأنصار مسلم تخبره بأمر بني النضير، فأخبر أخوها النبي ﷺ قبل أن يصل إليهم، فرجع، وصبّحهم بالكتائب فحاصرهم يومه، ثم عدا على بني قريظة فحاصرهم فعاهدوه، فانصرف عنهم إلى بني النضير، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا السلاح، فاحتملوا حتى أبواب بيوتهم، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم فيهدمونها، ويحملون ما يوافقهم من خشبها. وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام. وكذا أخرجه عبد بن حُميد في تفسيره عن عبد الرازق، وفي ذلك رد على ابن التين في زعمه أنه ليس في هذه القصة حديث بإسناد. قلت: فهذا أقوى مما ذكر ابن إسحاق من أنّ سبب غزوة بني النضير طلبه ﷺ أن يعينوه في دية الرجلين، لكن وافق ابن إسحاق جُلّ أهل المغازي، فالله أعلم. اهـ كلام ابن حجر من "فتح الباري"(٣٣١/٧، ٣٣٢)[١]

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ محمد بن مسلمة: «أن اخرجوا مِن بلدي فلا تساكنوني بها وقد هممتم بما هممتم بِهِ مِن الغدر وقد أجلتكم عشرا، فمن رئي بعد ذَلِكَ ضربت عنقه». فمكثوا عَلَى ذَلِكَ أياما يتجهزون وأرسلوا إلى ظهر لهم بذي الجدر وتكاروا مِن ناس مِن أشجع إبلا، فأرسل إليهم ابن أُبَيّ: لا تخرجوا مِن دياركم وأقيموا فِي حصنكم فإن معي ألفين مِن قومي وغيرهم مِن العرب يدخلون معكم حصنكم فيموتون عَن آخرهم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم مِن غطفان. فطمع حيي فيما قَالَ ابن أُبَيّ فأرسل إلى رسول الله ﷺ: إنا لا نخرج مِن ديارنا فاصنع ما بدا لك. فأظهر رَسُول اللَّهِ ﷺ التكبير وكبر المسلمون لتكبيره وَقَالَ: «حاربت يهود». فصار إليهم النَّبِيّ ﷺ فِي أصحابه فصلى العصر بفضاء بني النضير، وعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يحمل رايته. واستخلف عَلَى المدينة ابن أم مكتوم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فلما رأوا رسول الله ﷺ قاموا عَلَى حصونهم معهم النبل والحجارة واعتزلتهم

(١)وانظر: "ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية" (ص:١٠٢-١٠٣).

قريظة فلم تعنهم، وخذلهم ابن أُبَيّ وحلفاؤهم مِن غطفان فأيسوا مِن نصرهم، فحاصرهم رَسُول اللَّهِ ﷺ وقطع نخلهم فقالوا: نَحْنُ نخرج عَن بلادك. فَقَالَ: «لا أقبله اليوم ولكن اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة». فنزلت يهود عَلَى ذَلِكَ. وكان حاصرهم خمسة عشر يوما، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم، ثُمَّ أجلاهم عَن المدينة وولى إخراجهم مُحَمَّد بْن مسلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحملوا النساء والصبيان وتحملوا عَلَى ستمائة بعير.. فلحقوا بخيبر وحزن المنافقون عليهم حزنا شديدا. وقبض رَسُول اللَّهِ ﷺ الأموال والحلقة فوجد مِن الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة سيف وأربعين سيفا. وكانت بنو النضير صفيا لرسول الله ﷺ[١]. ولم يخمسها لأن الله أفاءها عليه ولم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب فأعطى رسول الله ﷺ أكثرها للمهاجرين ولم يعط الأنصار إلا سهل بن حنيف وأبي دجانة لفقرهما[٢].

وفيهم نزلت سورة الحشر كاملة

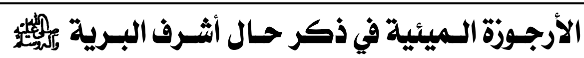
عَنْ سَعِيدٍ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سُورَةُ الحَشْرِ، قَالَ: قُلْ: سُورَةُ النَّضِيرِ. رواه البخاري (٤٨٨٣)، وعَنْه قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: سُورَةُ التَّوْبَةِ، قَالَ: «التَّوْبَةُ هِيَ الفَاضِحَةُ، مَا زَالَتْ تَنْزِلُ، وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ، حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهَا لَنْ تُبْقِيَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا ذُكِرَ فِيهَا»، قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ الأَنْفَالِ، قَالَ: «نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ»، قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ الحَشْرِ، قَالَ: «نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ». متفق عليه [البخاري (٤٨٨٢) مسلم(٣٠٣١)].[٣]

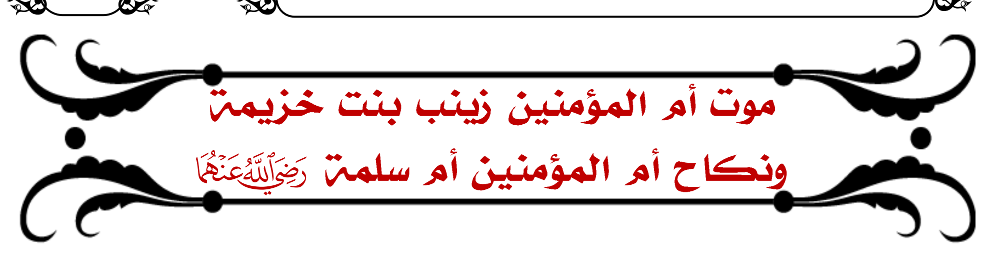
---

(١) "الطبقات الكبرى" (٢/٤٤-٤٥)

(٢) "صفوة السيرة" (٢٨٨-٢٩٣)، "اللؤلؤ المكنون" (٣/٣٤-٤٧).

(٣) "سيرة ابن هشام" (٢/١٩٠)، "السيرة النبوية" لابن حبان (١/٢٣٤)، "تاريخ الطبري" (٢/٥٥٠)، "المنتظم" (٣/٢٠٣)، "الكامل في التاريخ" (٢/٦٠)، "الطبقات الكبرى" (٢/٤٣)، "تاريخ الإسلام" (٢/١٤٨)،"تاريخ ابن الوردي" (١/١١٤)، "البداية والنهاية" (٤/٨٥)، "سير أعلام النبلاء" (١/٣٨٨)، "العقد الثمين" (١/٣٩٢)،"صحيح البخاري" (٥/٨٨)،"زاد المعاد" (٣/١١٥)، "شرح السنة"(١٣/٣٨٥)، "الإشارة"(ص:٢٤٢)، "مغازي الواقدي" (١/٣٦٣) ،"جوامع السيرة"(ص:١٤٤)، "دلائل النبوة" للبيهقي (٣/١٧٦)، "الدرر" (ص:١٦٤)،"الاكتفاء"(١/٤١٠)،"عيون الأثر" (٢/٧٠)،"إمتاع الأسماع" (١/١٨٨)=





٦٣- وبَعْدُ مَوْتُ زَيْنَبَ الْمُقَدَّمَهْ وَبَعْدَهُ نِكَاحُ أُمِّ سَلَمَهْ

الشرح:

يعني: وبعد غزوة بني النضير وفي شوال من هذه السنة الرابعة من الهجرة ماتت أم المؤمنين زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

المقدمة: أي التي تقدم ذكرها في الأبيات السابقة.

وبعد موت زينب تزوج النبي ﷺ أم سلمة المخزومية القرشية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

هي هند بنت أبي أمية، واسمه حذيفة، وقيل: سهل بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية، كانت ممن أسلم قديما وهاجرت مع زوجها أبي سلمة إلى الحبشة، وكانت من أجمل النساء وأشرفهن نسبا، وكان أبوها يلقب بزاد الراكب لأنه كان إذا سافر معه أحد لم يحمل معه طعام، بل كان هو يكفيهم فهو أحد أجواد العرب.

تزوجها النبي ﷺ بعد وفاة زوجها أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ متأثرا بجروحه بعد غزوة أحد وأسكنها بيت زينب بنت خزيمة بعد موتها رضي الله عنهن.

= "سبل الهدى والرشاد" (٣١٧/٤)، "تاريخ الخميس" (٤٦٠/١)، "السيرة الحلبية" (٣٥٦/٢)، "مستعذب الإخبار" (ص:٢٥٨)، "مرويات الإمام الزهري في المغازي" (٣١١/١)، "اللؤلؤ المكنون" (٣٦/٣)، "موسوعة الغزوات الكبرى" (٤٦/٣)، "ما شاع ولم يثبت في السيرة" (ص:١٠٢)، "إنارة الدجى" (ص:٣٢٧)، "السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة" (٣٩٩/٢).

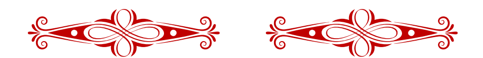
عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُوسَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: «أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ». صحيح مسلم (٩١٨)

ومن مناقبها:

عقلها البالغ والرأي الصائب، ومما يدل على ذلك إشارتها على النبي ﷺ يوم الحديبية حين أشارت إليه أن يخرج فيحلق وينحر هديه وذلك حين أمر أصحابه بذلك فلم يفعلوا، فلما فعل ذلك قاموا فنحروا وحلقوا.

وفاتها: في سنة إحدى وستين أو اثنتين وستين من الهجرة، وقيل: سنة تسع وخمسين[١].

عمرت تسعين سنة وهي آخر أمهات المؤمنين موتا[٢].



(١)قال الذهبي في "تاريخ الإسلام" (٧٤٢/٢): وَقَالَ بَعْضُهُمْ: تُوُفِّيَتْ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ، وَهُوَ غَلَطٌ، لِأَنَّ فِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ": أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ صَفْوَانَ دَخَلَ عَلَيْهَا فِي خِلافَةِ يَزِيدَ.اهـ

(٢) "معرفة الصحابة" لأبي نعيم (٣٢١٨/٦)، "الاستيعاب" (١٩٢٠/٤)، "تهذيب الكمال" (٣٦٥/٣٥)، "سير أعلام النبلاء" (٢٠١/٢)، "الطبقات الكبرى" (٨٦/٨)، "تاريخ الإسلام" ت بشار (٧٤١/٢)، "نساء النبي ﷺ" (ص:٨٣)، "المنتظم"(٣١٩/٥)، "التكميل في الجرح والتعديل" (٣١٨/٤)، "الوافي بالوفيات" (٢٢٩/٢٧)، "كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين" (ص:٩٢)، "صحيح الأثر وجميل العبر" (ص:٣٠٧)، "رحمة للعالمين" (ص:٤١٥)، "سلم الوصول إلى طبقات الفحول" (٣٩٤/٣).



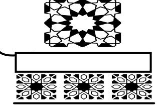
الزواج بزينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وغزوتي بدر الآخرة والأحزاب

٦٤- وَبِنْـــتِ جَــحْشٍ ثُــمَّ بَدْرُ الْمَوْعِدِ وَبَـعْدَهَا الْأَحْـــزَابُ فَاسْمَعْ وَاعْدُدِ

الشرح:

أي: وفي هذه السنة الرابعة تزوج النبي ﷺ بأم المؤمنين زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقيل: بل كان ذلك في السنة الثالثة، وقيل: بل في الخامسة، والأول أشهر(١).

وفيها: كانت غزوة بدر الآخرة بدر الموعد لأنهم تواعدوا إليها بعد أحد، ثم كانت غزوة الأحزاب وهي غزوة الخندق، وقيل: بل كانت في السنة الخامسة من الهجرة وهو قول الجمهور.



أم المؤمنين زَيْنَب بِنْت جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

هِيَ السَّيِّدَةُ الجَلِيلَةُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشِ بنِ رِئَابٍ الأَسَدِيَّةُ، أُمُّهَا السَّيِّدَةُ أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِالمُطَّلِبِ عَمَّةُ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَتْ زَيْنَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَدِيمَةَ الإِسْلَامِ، وَمِمَّنْ هَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ، وَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بعْدَ أَنْ طَلَّقَهَا زَوْجُهَا زَيْدُ بنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "البداية والنهاية" (١٠٤/٧): تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قِيلَ: كَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ، وَقِيلَ: أَرْبَعٍ وَهُوَ الْأَشْهَرُ، وَقِيلَ: سَنَةِ خَمْسٍ.اهـ

وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في "تاريخ الإسلام" (٢١٢/٣): تزوجها النّبيّ ﷺ سنة ثلاث، وقيل: سنة خمس، وقيل: سنة أربعٍ وهو أصح.اهـ

الحِكْمَةُ من زواجها بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كَانَ المُرَادُ مِنْ هَذَا الزَّوَاجِ: إِبْطَالُ حُرْمَةِ زَوْجَةِ الِابْنِ المُتَبَنَّى، وَالقَضَاءُ عَلَى عَنْجَهِيَّةِ الجَاهِلِيَّةِ بِالِاعْتِزَازِ بِالأَحْسَابِ وَالأَنْسَابِ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ زَوَّجَهَا مِنْ حِبِّهِ وَمَوْلَاهُ زَيْدِ بن حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذِي كَانَ يُدْعَى قَبْلَ إِبْطَالِ التَّبَنِّي بِزَيْدِ بن مُحَمَّدٍ، فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا[1] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا كُنَّا نَدْعُوهُ إِلَّا زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ حَتَّى نَزَلَ القُرْآنُ»، ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾[الأحزاب: ٥].

فَلَمَّا خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِزَيْدِ بنِ حَارِثَةَ ظَنَّتْ أَنَّهُ يُرِيدُهَا لِنَفْسِهِ، فَلَمَّا عَلِمَتْ أَنَّهُ يُرِيدُهَا لِزَيْدٍ أَبَتْ، فَقَدْ أَخْرَجَ الإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي "تَفْسِيرِهِ"(١٩/١١٢) قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: ثني أَبِي، قَالَ: ثني عَمِّي، قَالَ: ثني أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ انْطَلَقَ يَخْطُبُ عَلَى فَتَاهُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، فَدَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ الْأَسَدِيَّةِ فَخَطَبَهَا، فَقَالَتْ: لَسْتُ بِنَاكِحَتِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَانْكِحِيهِ» ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُؤَامِرُ فِي نَفْسِي فَبَيْنَمَا هُمَا يَتَحَدَّثَانِ أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى رَسُولِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] قَالَتْ: قَدْ رَضِيتَهُ لِي يَارَسُولَ اللَّهِ مُنْكِحًا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَتْ: إِذَنْ لَا أَعْصِي رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَنْكَحْتُهُ نَفْسِي.اهـ

فَمَكَثَتْ زَيْنَبُ عِنْدَ زَيْدٍ ، قَرِيبًا مِنْ سَنَةٍ، ثُمَّ جَاءَ زَيْدٌ يَشْكُوهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَنَّهَا كَانَتْ تُؤْذِيهِ بِلِسَانِهَا، وتَتَعَاظَمُ عَلَيْهِ بِشَرَفِهَا.

فَقَدْ أَخْرَجَ البُخَارِيُّ فِي "صَحِيحِهِ" (٧٤٢٠) عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقِ اللَّهَ، وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ»، قَالَ أَنَسٌ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا لَكَتَمَ هَذِهِ، قَالَ: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ:

---

(١)البخاري(٤٧٨٢) ومسلم (٢٤٢٥)

زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ.

فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوصِي زَيْدًا بِإِمْسَاكِهَا، ثُمَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُحَمِّلَ نَبِيَّهُ ﷺ - بَعْدَ ذَلِكَ فِيمَا يَحْمِلُ مِنْ أَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ- مُؤْنَةَ إِزَالَةِ آثَارِ نِظَامِ التَّبَنِّي، فَيَتَزَوَّجَ مِنْ مُطَلَّقَةِ مُتَبَنَّاهُ زَيْدِ بنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويُوَاجِهَ المُجْتَمَعَ بِهَذَا العَمَلِ، الذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُوَاجِهَ المُجْتَمَعَ بِهِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ إِبْطَالِ عَادَةِ التَّبَنِّي فِي ذَاتِهَا.

فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَحْيِي أَنْ يَأْمُرَ زَيْدًا بِطَلَاقِهَا، وَكَانَ يَخْشَى النَّاسَ أَنْ يَعِيبُوا عَلَيْهِ، وَيَقُولُوا: تَزَوَّجَ امْرَأَةَ ابْنِهِ بِالتَّبَنِّي. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧]

أَخْرَجَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي "صَحِيحِهِ" (١٧٧) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا مِنَ الوَحْيِ، لَكَتَمَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ أَخْرَجَ الإِمَامُ مُسْلِمٍ فِي "صَحِيحِهِ" (١٤٢٨) عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِزَيْدٍ: «فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ»، قَالَ: فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّى أَتَاهَا وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي، حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَهَا، فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي، وَنَكَصْتُ عَلَى عَقِبِي، فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ: أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَذْكُرُكِ، قَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي، فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ.

وَأَوْلَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَنَى بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ. فَقَدْ أَخْرَجَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي "صَحِيحِهِ" (١٤٢٨) عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: «مَا أَوْلَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ أَكْثَرَ - أَوْ أَفْضَلَ - مِمَّا أَوْلَمَ عَلَى

زَيْنَب»، فَقَالَ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ: بِمَا أَوْلَمَ؟ قَالَ: «أَطْعَمَهُمْ خُبْزًا وَلَحْمًا حَتَّى تَرَكُوهُ».

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فِي "صَحِيحِ البُخَارِيِّ" (٤٧٩٤) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أَوْلَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَنَى بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَأَشْبَعَ النَّاسَ خُبْزًا وَلَحْمًا.

وَأَخْرَجَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ فِي "صَحِيحِهِ" (٤٧٩٣) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بُنِيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ، فَأُرْسِلْتُ عَلَى الطَّعَامِ دَاعِيًا فَيَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، فَدَعَوْتُ حَتَّى مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُو، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُوهُ، قَالَ: «ارْفَعُوا طَعَامَكُمْ».

وَأَخْرَجَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي "صَحِيحِهِ" (١٤٢٨) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَدَخَلَ بِأَهْلِهِ، قَالَ: فَصَنَعَتْ أُمِّي أُمُّ سُلَيْمٍ حَيْسًا، فَجَعَلَتْهُ فِي تَوْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أَنَسُ، اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَقُلْ: بَعَثَتْ بِهَذَا إِلَيْكَ أُمِّي وَهِيَ تُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَتَقُولُ: إِنَّ هَذَا لَكَ مِنَّا قَلِيلٌ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنَّ أُمِّي تُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَتَقُولُ: إِنَّ هَذَا لَكَ مِنَّا قَلِيلٌ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «ضَعْهُ»، ثُمَّ قَالَ: «اذْهَبْ، فَادْعُ لِي فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا، وَمَنْ لَقِيتَ»، وَسَمَّى رِجَالًا، قَالَ: فَدَعَوْتُ مَنْ سَمَّى، وَمَنْ لَقِيتُ، قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: عَـدَدَ كَمْ كَانُوا؟ قَالَ: زُهَاءَ ثَلَاثِمِائَةٍ، وَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَنَسُ، هَاتِ التَّوْرَ»، قَالَ: فَدَخَلُوا حَتَّى امْتَلَأَتِ الصُّفَّةُ وَالْحُجْرَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِيَتَحَلَّقْ عَشَرَةٌ عَشَرَةٌ، وَلْيَأْكُلْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِمَّا يَلِيهِ»، قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، قَالَ: فَخَرَجَتْ طَائِفَةٌ، وَدَخَلَتْ طَائِفَةٌ، حَتَّى أَكَلُوا كُلُّهُمْ، فَقَالَ لِي: «يَا أَنَسُ، ارْفَعْ»، قَالَ: فَرَفَعْتُ، فَمَا أَدْرِي حِينَ وَضَعْتُ كَانَ أَكْثَرَ، أَمْ حِينَ رَفَعْتُ.

من فضائل أم المؤمنين زينب بنت جحش رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا

١- من السابقات الأول إلى الإسلام والهجرة إلى الله ورسوله ﷺ.

٢- طول يدها في الصدقة والإنفاق في سبيل الله: عن عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا» قَالَتْ: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا، قَالَتْ: فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَبُ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصدَّقُ. صحيح مسلم (٢٤٥٢)

وعَنْها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لِأَزْوَاجِهِ: «أَسْرَعُكُنَّ لُحُوقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَكُنَّا إِذَا اجْتَمَعْنَا فِي بَيْتِ إِحْدَانَا بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ نَمُدُّ أَيْدِيَنَا فِي الْجِدَارِ نَتَطَاوَلُ، فَلَمْ نَزَلْ نَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى تُوُفِّيَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وَكَانَتِ امْرَأَةً قَصِيرَةً وَلَمْ تَكُنْ أَطْوَلَنَا، فَعَرَفْنَا حِينَئِذٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إِنَّمَا أَرَادَ بِطُولِ الْيَدِ الصَّدَقَةَ قَالَ: «وَكَانَتْ زَيْنَبُ امْرَأَةً صَنَّاعَةَ الْيَدِ فَكَانَتْ تَدْبُغُ وَتَخْرُزُ وَتَصَدَّقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». أخرجه الحاكم في "المستدرك"(٦٧٧٦)

٣- كانت كريمة الأخلاق موصوفة بالبر والتقوى والورع: قَالَتْ عَائِشَةُ، فَأَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ. وَأَتْقَى لِلَّهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى. صحيح مسلم (٢٤٤٢)

٤- نزول القرآن بشأنها وشهادة الله لها بالإيمان: ففيها نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

٥- زوجها الله من فوق سبع سماوات بنص في كتابه بلا ولي ولا شاهد ولا عقد ولا تقدير صداق وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]

وفي الترمذي(٣٢١٣) عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾[الأحزاب: ٣٧] قَالَ: فَكَانَتْ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ

تَقُولُ: «زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ».

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "زاد المعاد"(١٠٨/١): ومن خصائص زينب أن الله سبحانه كان هو وليها الذي زوجها لرسوله ﷺ من فوق سماواته.اهـ

٦- **نزول آية الحجاب في زواجها**: ففي حديث وليمتها...عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَجَلَسَ طَوَائِفُ مِنْهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ وَزَوْجَتُهُ مُوَلِّيَةٌ وَجْهَهَا إِلَى الْحَائِطِ، فَثَقُلُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَلَّمَ عَلَى نِسَائِهِ، ثُمَّ رَجَعَ، فَلَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ رَجَعَ، ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ ثَقُلُوا عَلَيْهِ، قَالَ: فَابْتَدَرُوا الْبَابَ، فَخَرَجُوا كُلُّهُمْ، وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّى أَرْخَى السِّتْرَ، وَدَخَلَ وَأَنَا جَالِسٌ فِي الْحُجْرَةِ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى خَرَجَ عَلَيَّ، وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَرَأَهُنَّ عَلَى النَّاسِ:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَنَا أَحْدَثُ النَّاسِ عَهْدًا بِهَذِهِ الْآيَاتِ. وَحُجِبْنَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ. صحيح مسلم (١٤٢٨)

وفي البخاري(٤٧٩٢) قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَنَا أَعْلَمُ النَّاسِ بِهَذِهِ الآيَةِ: آيَةِ الحِجَابِ، لَمَّا أُهْدِيَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَانَتْ مَعَهُ فِي البَيْتِ صَنَعَ طَعَامًا وَدَعَا القَوْمَ، فَقَعَدُوا يَتَحَدَّثُونَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْرُجُ ثُمَّ يَرْجِعُ، وَهُمْ قُعُودٌ يَتَحَدَّثُونَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فَضُرِبَ الحِجَابُ وَقَامَ القَوْمُ.

وفاتها: توفيت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا سنة عشرين للهجرة في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سنة عشرين وهي ابنة ثلاث وخمسين سنة، وصلى عليها عمر ودفنت بالبقيع، وهي أول من مات من أزواجه بعد وفاته، وأول من جعل على جنازته النعش.[1]

(١)"شرح النووي على مسلم" (٢٢٧/٩)، "إكمال المعلم" (٥٩٨/٤)، "تاريخ الطبري" (٥٦٢/٢)، "تاريخ الإسلام"(٢١١/٣)،"الإشارة"(٢٥٢)،"إمتاع الأسماع"(٢٥٥/١،٥٧/٦)، "المقتفى" (ص:١٠٥)، "بهجة المحافل" (٢٨٩/١)، "البدء والتاريخ" (١٢/٥)، "حدائق الأنوار" (٣١٦)، "سبل الهدى والرشاد" (٢٠١/١١)، "شرح الزرقاني=

غزوة بدر الموعد (الآخرة)[١]

كانت فِي شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ أَلْفٌ وَخُمْسُمِائَةِ رَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ إِلَى بَدْرٍ لِمَوْعِدِهِ الذِي وَاعَدَ بِهِ أَبَا سُفْيَانَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى المَدِينَةِ: عَبْدَاللَّهِ بنَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقيل: عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَتْ بَدْرٌ مُجْتَمَعًا يَجْتَمعُ فِيهِ العَرَبُ، وَسُوقًا مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، فَخَرَجَ الصَّحَابَةُ بِبَضَائِعَ لَهُمْ وَتِجَارَاتٍ.

أَمَّا أَبُو سُفْيَانَ فَقَدْ خَرَجَ فِي أَلْفَيْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَمَعَهُمْ خَمْسِينَ فَرَسًا، وَكَانَ كَارِهًا لِلْخُرُوجِ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مَرِّ الظَّهْرَانِ ، وَقِيلَ: عُسْفَانَ ، ثُمَّ أَلْقى اللَّهُ تَعَالَى فِي قَلْبِهِ الرُّعْبَ، فَرَأَى أَنْ يَرْجِعَ، فَقَالَ لِمَنْ مَعَهُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ هَذَا العَامَ عَامُ جَدْبٍ ، وَلَا يُصْلِحُكُمْ إِلَّا عَامٌ خِصْبٌ، تَرْعَوْنَ فِيهِ الشَّجَرَ، وَتَشْرَبُونَ فِيهِ اللَّبَنَ، وَإِنِّي رَاجِعٌ فَارْجِعُوا، فَرَجَعَ النَّاسُ.

ثُمَّ أَرْسَلَ أَبُو سُفْيَانَ نُعَيْمَ بنَ مَسْعُودٍ الأَشْجَعِيَّ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ: إِنِّي قَدْ وَاعَدْتُ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ أَنْ نَلْتَقِي بِبَدْرٍ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ الوَقْتُ، وَهَذَا عَامُ جَدْبٍ، وَإِنَّمَا يُصْلِحُنَا عَامٌ خَصْبٌ، وَأَكْرَهُ أَنْ يَخْرُجَ مُحَمَّدٌ وَلَا أَخْرُجَ فَيَجْتَرِئَ عَلَيْنَا، وَقَدْ جَعَلْتُ لَكَ عِشْرِينَ بَعِيرًا عَلَى أَنْ تَقْدُمَ المَدِينَةَ فتخَذِّلَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ عَنِ الخُرُوجِ لِبَدْرٍ، فَوَافَقَ نُعَيْمُ بنُ مَسْعُودٍ عَلَى ذَلِكَ، فَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى قَدِمَ المَدِينَةَ، فَوَجَدَ النَّاسَ يَتَجَهَّزُونَ، فَقَالَ لَهُمْ: لَيْسَ هَذَا بِرَأْيٍ، أَلَمْ يَخْرُجْ مُحَمَّدٌ فِي نَفْسِهِ، أَلَمْ يَقْتُلْ أَصْحَابَهُ، وَأَخْبَرَهُمْ بِجَمْعِ أَبِي سُفْيَانَ لَهُمْ، وَمَا مَعَهُ

=على المواهب» (٤/٤٠٩)، «فقه السيرة النبوية» لمنير الغضبان (ص:٦٦٢)، «رحمة للعالمين» (ص:٤١٨)، «اللؤلؤ المكنون» (٣/٦٧)، «المنتظم» (٣/٢٢٥)،«البداية والنهاية» (٧/١٠٤)،«مرآة الزمان» (٥/٣٣٧)،«الطبقات الكبرى» (٨/٨٠)، «معرفة الصحابة» لابن منده (ص:٩٦٠)، «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦/٣٢٢٢)، «الاستيعاب» (٤/١٨٤٩)، «أسد الغابة» (٧/١٢٦)، «تهذيب الكمال» (٣٥/١٨٤)، «سير أعلام النبلاء» (٢/٢١١)، «الإصابة» (٨/١٥٣)، «نساء النبي ﷺ»(ص:٩١)، «التكميل في الجرح والتعديل» (٤/٢٤٦)، «سلم الوصول» (٢/١١٨)، «العقد الثمين» (٦/٣٩٢)، «قلادة النحر» (١/١٨٠).

(١)تُسمى بدر المَوْعِد للمُوَاعدة عليها مع أبي سفيان يوم أُحد وتُسَمَّى غزوة بدرٍ الصغرى لعدم وقوع حَرْبٍ فيها، وتسمى بدر الآخرة لأنها آخر الثلاث الوقائع التي وقعت في هذا المكان بدر. «شرح المواهب» (٢/٥٣٥).

مِنَ العُدَّةِ وَالسِّلَاحِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرُجَنَّ، وَإِنْ لَمْ يَخْرُجْ مَعِيَ أَحَدٌ».

فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ إِلَى بَدْرٍ، فَأَقَامَ بِهَا ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ يَنْتَظِرُ أَبَا سُفْيَانَ لِمِيعَادِهِ، فَأَتَاهُ مَخْشِيُّ بنُ عَمْرٍو الضَّمْرِيُّ -وَهُوَ الذِي كَانَ وَادَعَ الرَّسُولَ ﷺ عَلَى بَنِي ضَمْرَةَ فِي غَزْوَةِ وَدَّانٍ- فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! وَاللَّهِ إِنَّا كُنَّا قَدْ أُخْبِرْنَا أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْكُمْ أَحَدٌ، فَمَا الذِي جَاءَ بِكَ إِلَى هَذَا المَوْسِمِ؟ أَجِئْتَ لِلِقَاءِ قُرَيْشٍ عَلَى هَذَا المَاءِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ، يَا أَخَا بَنِي ضَمْرَةَ، وَإِنْ شِئْتَ مَعَ ذَلِكَ رَدَدْنَا إِلَيْكَ مَا كَانَ بَيْنَنَا وبَيْنَكَ، ثُمَّ جَالَدْنَاكَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وبَيْنَكَ. فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ، مَا لَنَا بِذَلِكَ مِنْكَ مِنْ حَاجَةٍ. وبَاعَ المُسْلِمُونَ فِي تِلْكَ المُدَّةِ مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ التِّجَارَاتِ، فَرَبِحُوا.

أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ فِي "السُّنَنِ الكُبْرَى"(١١٠١٧) عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا انْصَرَفَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ أُحُدٍ وَبَلَغُوا الرَّوْحَاءَ، قَالُوا: لَا مُحَمَّدًا قَتَلْتُمُوهُ، وَلَا الْكَوَاعِبَ أَرْدَفْتُمْ، وَبِئْسَ مَا صَنَعْتُمُ ارْجِعُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَنَدَبَ النَّاسَ فَانْتَدَبُوا حَتَّى بَلَغُوا حَمْرَاءَ الْأَسْدِ وَبِئْرَ أَبِي عِنَبَةَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، وَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَوْعِدُكَ مَوْسِمُ بَدْرٍ حَيْثُ قَتَلْتُمْ أَصْحَابَنَا، فَأَمَّا الْجَبَانُ فَرَجَعَ، وَأَمَّا الشُّجَاعُ فَأَخَذَ أُهْبَةَ الْقِتَالِ وَالتِّجَارَةِ، فَلَمْ يَجِدُوا بِهِ أَحَدًا وَتَسَوَّقُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٧٤]. وإسناده صحيح كما في "أنيس الساري"(٤٣٨٣/٦)

ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ، وَقَدْ سَمِعَ النَّاسُ بِمَسِيرِهِ، وَبَلَغَ قُرَيْشًا أَمْرُهُ، وَكَانَ الذِي أَخْبَرَ قُرَيْشًا مَعْبَدُ بنُ أَبِي مَعْبَدٍ الخُزَاعِيُّ، فَإِنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِبَدْرٍ، ثُمَّ خَرَجَ سَرِيعًا إِلَى مَكَّةَ، فَأَخْبَرَهُمْ بِخَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمُوَافَاتِهِ بَدْرًا فِي أَصْحَابِهِ.[١]

---

(١) "سيرة ابن هشام"(٢٣١/٣)، "الطبَّقَات الكُبْرى"(٢٧٩/٢)، "دلائل النبوة" للبيهقي(٣٨٤/٣)، "البداية والنهاية"(٤٦٩/٤)، "شرح المواهب" (٥٣٥/٢)، عن "اللؤلؤ المكنون"(٥٠/٣).

قوله: «وبعدها الأحزاب»:

أي: وبعد بدر الموعد غزوة الأحزاب في هذا العام الرابع من الهجرة وهذا قول الزهري ومالك وموسى بن عقبة، وقيل: وقعت في شوال سنة خمس، كما قال ابن إسحاق وجمهور العلماء وهو الصحيح[1].

غزوة الأحزاب

سببها: أن نفرًا من أشراف يهود بني النضير الذين أجلاهم رسول الله ﷺ من المدينة منهم: سلَّام بن مِشْكَم، وسلام بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع، خرجوا إلى مكة، واجتمعوا بأشراف قريش، وحرضوهم على حرب رسول الله ﷺ، ووعدوهم بالقتال معهم، وأفتوهم بأن دينهم خير من دين محمد ﷺ، وأنهم أولى بالحق منه، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥١-٥٢].

ثم اتجهوا إلى قبيلة غطفان فأجابوهم ودعا المشركون قبائل بني أسد وبني سُليم وبني مرة وأشجع فخرج من خرج معهم وسارت معهم الأحابيش ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة فساروا في جمع عظيم بلغ عددهم عشرة آلاف وَقَادُوا مَعَهُمْ ثَلَاثَمِائَةِ فَرَسٍ، وَكَانَ مَعَهُمْ أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةِ بَعِيرٍ، وسماهم الله تعالى (الأحزاب).

---

(١) وقيل: لا فرق بين القولين، قال العمري في "السيرة النبوية الصحيحة" (٤١٨/٢): وقد جرت غزوة الأحزاب في شوال سنة خمس، وهو قول جمهور العلماء ومنهم ابن إسحق والواقدي ومن تابعهم ، ونقل عن الزهري ومالك بن أنس وموسى بن عقبة أنها سنة أربع ، ولا اختلاف بين القولين في الحقيقة، لأن القائلين أنها سنة أربع كانوا يعدون التاريخ من المحرم الذي وقع بعد الهجرة ويلغون الأشهر التي قبل ذلك إلى ربيع الأول، فتكون غزوة بدر عندهم في السنة الأولى وأحد في الثانية والخندق في الرابعة، وهو مخالف لما عليه الجمهور من جعل التاريخ من المحرم سنة الهجرة. فإذاً لا اختلاف بين المؤرخين في أن الخندق في السنة الخامسة.اهـ وانظر: "صحيح السيرة النبوية" للعلي (ص:٢٦٤).

حفر الخندق

لما سمع رسول الله ﷺ بالمشركين وما أجمعوا له من الأمر استشار أصحابه فأشير عليه بحفر الخندق[١] في المنطقة الوحيدة المكشوفة أمام الغزاة

فشَرَعَ الْمُسْلِمُونَ فِي حَفْرِ الخَنْدَقِ فِي جَوٍّ بَارِدٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحْفِرُ مَعَهُمْ بِنَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ، وَيَحْمِلُ التُّرَابَ بِنَفْسِهِ تَرْغِيبًا لِلْمُسْلِمِينَ فِي الْأَجْرِ وَتَنْشِيطًا لَهُمْ، فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا[٢] عَنْ أَنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الخَنْدَقِ فَإِذَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنَ النَّصَبِ وَالْجُوعِ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّ العَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ».

فَقَالُوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مُجِيبِينَ لَهُ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا ... عَلَى الجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا.

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا[٣] عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ، وَخَنْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الْخَنْدَقِ حَتَّى وَارَى عَنِّي التُّرَابُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ وَكَانَ كَثِيرَ الشَّعْرِ، فَسَمِعْتُهُ يَرْتَجِزُ بِكَلِمَاتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، وَهُوَ يَنْقُلُ مِنَ التُّرَابِ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَوَلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

إِنَّ الْأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ... وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

ثُمَّ يَمُدُّ صَوْتَهُ بِآخِرِهَا.

---

(١) واشتهر أنها مشورة سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهذا مما شاع في السيرة ولم يثبت بسند صحيح. انظر: "ما شاع ولم يثبت في السيرة" (١٦٢).

(٢) البخاري (٤٠٩٩) ومسلم (١٨٠٥).

(٣) البخاري (٤١٠٥) ومسلم (١٨٠٣).

وواصَلَ الْمُسْلِمُونَ عَمَلَهُمْ فِي حَفْرِ الْخَنْدَقِ بِجِدٍّ وَنَشَاطٍ مُسْتَعْجِلِينَ يُبادِرُونَ قُدُومَ الْعَدُوِّ، فَكَانُوا يَعْمَلُونَ فِيهِ طَوَالَ النَّهَارِ وَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ فِي الْمَسَاءِ، وَقَدْ كَانُوا يُقَاسُونَ وَهُمْ يَحْفِرُونَ الْخَنْدَقَ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ، وَأَصَابَهُمْ جَهْدٌ شَدِيدٌ، حَتَّى رَبَطُوا عَلَى بُطُونِهِمُ الْحِجَارَةَ مِنَ الْجُوعِ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: إِنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ، فَقَالَ: «أَنَا نَازِلٌ». ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ، أَوْ أَهْيَمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي إِلَى البَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبَحَتِ العَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي البُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ، وَالبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلاَنِ، قَالَ: «كَمْ هُوَ» فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ: «كَثِيرٌ طَيِّبٌ»، قَالَ: «قُلْ لَهَا: لاَ تَنْزِعِ البُرْمَةَ، وَلاَ الخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ»، فَقَالَ: « قُومُوا» فَقَامَ المُهَاجِرُونَ، وَالأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «ادْخُلُوا وَلاَ تَضَاغَطُوا» فَجَعَلَ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ البُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: «كُلِي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ».
صحيح البخاري (٤١٠١)

فحفروا الخندق بطول خمسة آلاف ذراع وعرض تسعة أذرع وعمقه من سبع أذرع إلى عشر وكان على كل عشرة من المسلمين حفر أربعين ذراعاً واستمر حفره ثلاثة أيام متتالية وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف خرج بهم رسول الله ﷺ. فتحصن بالجبل من خلفه - جبل سلع - وبالخندق أمامه، وأمر بالنساء والذراري فجعلوا في آطام المدينة.

وانطلق حيي بن أخطب إلى بني قريظة، فدنا من حصنهم فأبى كعب بن أسد أن يفتح له. فلم يزل يكلمه حتى فتح له، فلما دخل الحصن قال: جئتك بعز الدهر، جئتك بقريش

وغطفان وأسد، على قادتها لحرب محمد. قال: بل جئتني والله بذل الدهر جئتني بجهام قد أراق ماءه؛ فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيء.

فلم يزل حتى نقض العهد الذي بينه وبين رسول الله ﷺ ودخل مع المشركين. وسر بذلك المشركون، وشرط كعب على حيي أنهم إن لم يظفروا بمحمد أن يجيء حتى يدخل معهم في حصنهم فيصيبه ما يصيبهم فشرط ذلك ووفى له.

وبلغ رسول الله ﷺ الخبر فبعث إليهم السعدين - سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة - وخوات بن جبير، وعبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ليتعرفوا الخبر فلما دنوا معهم وجدوهم على أخبث ما يكون، وجاهروهم بالسب، ونالوا من رسول الله ﷺ، فانصرفوا ولحنوا لرسول الله ﷺ لحنا.

فعظم ذلك على المسلمين فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر أبشروا، يا معشر المسلمين» .

واشتد البلاء ونجم النفاق. واستأذن بعض بني حارثة رسول الله ﷺ في الذهاب إلى المدينة. وقالوا: إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ. وأقام المشركون محاصرين رسول الله ﷺ شهرا، ولم يكن بينهم قتال لأجل الخندق، إلا أن فوارس من قريش - منهم عمرو بن عبد ود - أقبلوا نحو الخندق. فلما وقفوا عليه قالوا: إن هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها. ثم تيمموا مكانا ضيقا منه وجالت بهم خيلهم في السبخة ودعوا إلى البراز؛ فانتدب لعمرو: علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فبارزه فقتله الله على يدي علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وانهزم أصحابه.

ولما طالت هذه الحال على المسلمين أراد رسول الله ﷺ أن يصالح عيينة بن حصن والحارث بن عوف - رئيسي غطفان - على ثلث ثمار المدينة وينصرفا بقومهما. وجرت المفاوضة على ذلك. واستشار رسول الله ﷺ السعدين. فقالا: إن كان الله أمرك: فسمعا وطاعة، وإن كان شيئا تحب أن تصنعه صنعناه. وإن كان شيئا تصنعه لنا، فلا. لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة الأوثان وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعا. أفحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك، نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلا السيف. فصوب رأيهما، وقال «إنما هو شيء أصنعه لكم لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة» .

دُعاءُ الرَّسُولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الأحْزابِ

وَفِي هَذِهِ الْغَمْرَةِ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْمَخَاوِفِ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ لَا يَنْفَكُّونَ عَنِ الدُّعَاءِ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا(١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْأَحْزَابِ، فَقَالَ: «اللهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ».

هَزِيمَةُ الأحْزَابِ

وَقَدِ اسْتَجَابَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دُعَاءَ رَسُولِهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْأَحْزَابِ رِيحًا شَدِيدَةً فِي لَيْلَةٍ شَاتِيَةٍ بَارِدَةٍ، فَجَعَلَتْ تَكْفَأُ قُدُورَهُمْ، وَتُطْفِئُ نِيرَانَهُمْ، وَتَهْدِمُ خِيَامَهُمْ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَمْ يَكَدْ يَهْتَدِي إِلَى رَحْلِهِ، فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا(٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ».

وَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مَعَ الرِّيحِ جُنْدًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ تزلزلُهُمْ، وَتُلْقِي الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَامْتَلَأَتْ قُلُوبُ الْأَحْزَابِ رُعْبًا وَخَوْفًا وَهَلَعًا، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب:٩].

وأصبح هَمُّ كلّ واحد منهم العودةَ إلى دياره، فانصرفوا مخذولين خائفين لم ينالوا شيئًا، وعند ذلك قال رسول الله ﷺ مبشرًا أصحابه حِينَ أَجْلَى الله الأَحْزَابَ عَنْهُ: «الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ». رواه البخاري (٤١١٠) عن سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.(٣)

---

(١)البخاري (٤١١٥) ومسلم (١٧٤٢) (٢١).

(٢)البخاري (١٠٣٥) ومسلم (٩٠٠)

(٣) "صفوة السيرة"(٣٠٦)، "مختصر سيرة الرسول ﷺ"(١٧٣)، "السيرة النبوية الصحيحة"(٤١٨/٢)=

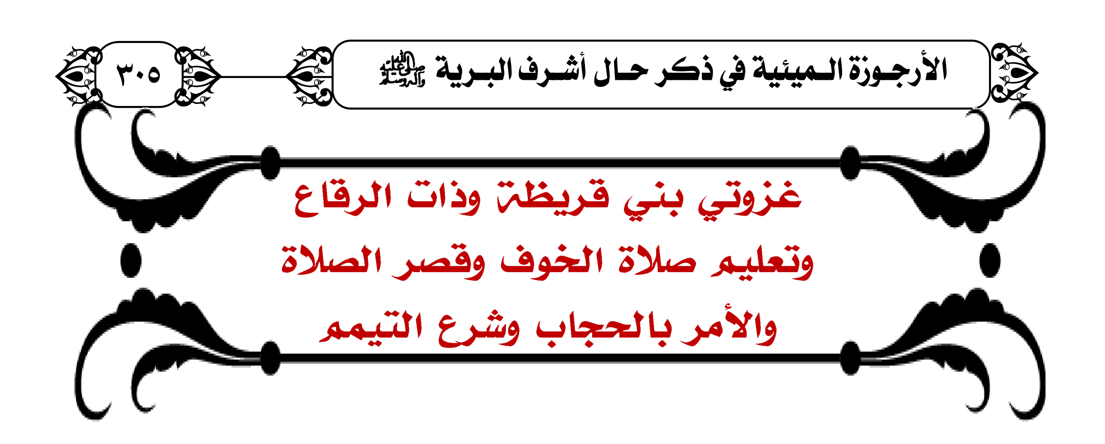


قوله: «**فاسمع**»: أي استمع سماع فهم واستيعاب أخبار هذه المغازي العظيمة.

قوله: «**واعدد**»: أي أتقن حفظ تواريخها وما يذكر فيها من أعداد.



= "الإشارة إلى سيرة المصطفى "(٢٥٩)، "مغازي الواقدي "(٤٤٠/٢)، "سيرة ابن هشام "(٢١٤/٢)، "السيرة النبوية " لابن حبان (٢٥٤/١)، "جوامع السيرة" (ص:١٤٧)، "دلائل النبوة" للبيهقي(٣٩٢/٣)، "الدرر في اختصار المغازي والسير"(١٦٩)، "عيون الأثر"(٨٣/٢)، "إمتاع الأسماع" (٢٢١/١)، "سبل الهدى والرشاد "(٣٦٣/٤)، "تاريخ الخميس"(٤٧٩/١)، "السيرة الحلبية"(٤١٥/٢)، "شرح الزرقاني"(١٧/٣)، "تاريخ الإسلام"(٢٥١/٢)، "البداية والنهاية"(٩٢/٤).



غزوتي بني قريظة وذات الرقاع وتعليم صلاة الخوف وقصر الصلاة والأمر بالحجاب وشرع التيمم

٦٥- ثُمَّ بَنِي قُرَيْظَةٍ وَفِيهِمَا ... خُلْفٌ وَفِي ذَاتِ الرِّقَاعِ عُلِمَا

٦٦- كَيْفَ صَلاَةُ الْخَوْفِ وَالْقَصْرُ نُمِي ... وَآيَةُ الْحِجَابِ وَالتَّيَمُّمِ

الشرح:

قوله: «ثم بني قريظة»: أي وفي هذه السنة الرابعة كانت غزوة بني قريظة؛ وذلك لنقضهم العهد في غزوة الخندق، وإعانتهم المشركين على حرب الرسول ﷺ.

غزوة بني قريظة

الأمر بغزو بني قريظة

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ؟ وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ قَالَ: فَإِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ. متفق عليه [البخاري (٤١١٧) مسلم (١٧٦٩)]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الأَحْزَابِ: «لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ» فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ العَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ. متفق عليه [البخاري (٩٤٦) ومسلم (١٧٧٠)]

وفي هذا دلالة على شدة غضب الله عز وجل على بني قريظة؛ لأنهم ارتكبوا جرمًا كبيرا وفعلًا شنيعًا قبيحًا، حين عاونوا المشركين يوم الأحزاب، ونقضوا العهد مع النبي ﷺ، وخانوه في وقت عصيب.

قال الإمام ابن القيمرَحِمَهُ ٱللَّهُ في"زاد المعاد" (١١٧/٣): وأما قريظة فكانت أشد اليهود عداوة لرسول الله ﷺ وأغلظهم كفرا؛ ولذا جرى عليهم ما لم يجر على إخوانهم من بني قينقاع والنضير.اهـ

مختصر الغزوة

خرج الرسول ﷺ في ثلاثة آلاف مقاتل معهم ستة وثلاثون فرسًا، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وضرب الحصار عليهم مدة خمس وعشرين ليلة على الأرجح، وضيق عليهم الخناق حتى عظم عليهم البلاء، وأيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم، حتى يناجزهم فرغبوا أخيرًا في الاستسلام وقبول حكم الرسول ﷺ فيهم. وعندما نزلوا على حكم الرسول ﷺ فيهم أحب أن يكل الحكم فيهم إلى سعد بن معاذ؛ لأنه أحد رؤساء الأوس وهم حلفاؤهم، فحكم فيهم سعد قال: تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، وتقسم أموالهم، فقال النبي ﷺ:«قضيت بحكم الله». متفق عليه[1]، عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فأمر بهم رسول الله ﷺ فكُتفوا وجعلوا في ناحية وكانوا أربعمائة، وجعلت النساء والذراري بمعزل عن الرجال في ناحية، ولم ينجُ إلا بعضهم. وجمعت الأسرى في دار رملة بنت الحارث ودار أسامة بن زيد، ثم أمر رسول الله ﷺ أن تحفر لهم الخنادق في سوق المدينة، ثم جيء بهم أرسالًا تضرب أعناقهم، ويلقون في تلك الخنادق. ولم تقتل منهم امرأة إلا واحدة؛ لقتلها خلاد بن سويد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حيث ألقت عليه برحى.

ثم قسم الرسول ﷺ أموالهم وذراريهم بين المسلمين، وكانت الغنائم من السلاح والثياب وغيرها، ومنها: ألف وخمسمائة سيف، وألف وخمسمائة ترس، وثلاث مائة درع، وألف

---

(١)البخاري (٤١٢١) مسلم (١٧٦٨).

رمح، وجعل للفارس ثلاثة أسهم؛ للفرس سهمان ولفارسه سهم، وأُسْهم للراجل سهم واحد.

مصير سبي بني قريظة

بيع السبي واشتري بهم سلاحًا وخيلاً، واصطفى النبي ﷺ من نسائهم ريحانة بنت عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأسلمت وقد توفي عنها رسول الله ﷺ وهي في ملك يمينه، وكان ذلك باختيارها. وقيل: بل أعتقها وتزوجها.(١)



غزوة ذات الرقاع

قوله: «وفي ذات الرقاع»

أي: غزوة ذات الرقاع، سميت بذلك؛ لأن شدة الحر نقبت أقدام أصحاب النبي ﷺ، فشدوا عليها عصائب من الرِّقاع. وقيل: لأنهم رقعوا راياتهم. وقيل: بشجرة تعرف بذات الرقاع. وقيل: بجبل أرضه متلونة. وقيل: لأن صلاة الخوف كانت بها، فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها.(٢)

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ، بَيْنَنَا بَعِيرٌ

---

(١) لأخبار هذه الغزوة راجع: "الدرر"(ص:١٧٨)، "عيون الأثر" (٢/١٠٠)، "الإشارة"(ص:٢٦١)، "مغازي الواقدي" (٢/٤٩٦)، "سيرة ابن هشام" (٢/٢٣٣)، "سبل الهدى والرشاد" (٥/٣)، "السيرة النبوية"لابن حبان (١/٢٦٢)، "تاريخ الإسلام" (٢/٣٠٧)، "البداية والنهاية" (٤/١٣٣)، "العقد الثمين" (١/٣٩٥)، "الكامل في التاريخ" (٢/٧٠)، "اللؤلؤ المكنون" (٣/١٩٦)، "الرحيق المختوم" (ص:٢٨٨)، "صحيح السيرة النبوية" للعلي (ص:٢٨١).

(٢)وتسمى أيضاً: غزوة الأعاجيب؛ لما وقع فيها من أعاجيب، و غزوة محارب، وغزوة بني ثعلبة، وغزوة بني أنمار. "الإشارة " (ص: ٢٤٦)

نَعْتَقِبُهُ، فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا، وَنَقِبَتْ قَدَمَايَ، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي، وَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أَرْجُلِنَا الخِرَقَ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ، لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ الخِرَقِ عَلَى أَرْجُلِنَا»، وَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا ثُمَّ كَرِهَ ذَاكَ، قَالَ: مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أَذْكُرَهُ، كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ. متفق عليه [البخاري (٤١٢٨) مسلم (١٨١٦)]

سبب الغزوة ومختصرها

سببها هو ما بلغ رسول الله ﷺ أن جموعًا من بني محارب أو أنمار وبني ثعلبة من غطفان قد أجمعوا على حربه ﷺ، فخرج رسول الله ﷺ في أربعمائة من أصحابه، وقيل: سبعمائة. واستعمل على المدينة عثمان بن عفان، وقيل: أبا ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومضى رسول الله ﷺ إليهم حتى وصل بلدة نخلة وهي قريبة من مكة، فهربت الأعراب إلى رؤوس الجبال، ولم يجد إلا نسوة فأخذهن، وهذا الهروب عجيب عجيب؛ جيش صغير، وظروفه صعبة، وفي ديار العدو الذي يعرف مداخله ومخارجه، وهم بالأعداد الكبيرة، فما الذي جعلهم يهربون؟!!! إنه تأييد الله لعباده المؤمنين بقذف الرعب في قلوب عدوهم، قال تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [آل عمران: ١٥١] وقال عليه الصلاة والسلام :«نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ». متفق عليه[١] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم لقي جمعاً منهم فتقارب الناس ولم يكن بينهم قتال . وقد أخاف الناس بعضهم بعضا وحضرت صلاة العصر وخاف المسلمون أن يغير عليهم المشركون ، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه صلاة الخوف . ثم انصرف راجعاً إلى المدينة وقد غاب عنها خمس عشرة ليلة ، وتركت هذه الغزوة أثراً لا يُمحى من قلوب غطفان.[٢]

---

(١)البخاري (٣٣٥) مسلم (٥٢١)

(٢) "مغازي الواقدي"(٣٩٥/١)، "سيرة ابن هشام"(٢٠٣/٢)، "عيون الأثر"(٧٦/٢)، "الدلائل" للبيهقي (٣٦٩/٣)، "الفصول في السيرة"(ص:١٥٨)، "الروض الأنف"(١٧٥/٦)، "السيرة الحلبية" (٣٦٦/٢)، "الإشارة"(ص:٢٤٦)، "السيرة النبوية" لابن حبان (٢٤٩/١)، "الاكتفاء" (٤١٤/١)، "المقتفى" (ص:١٥٤) "إمتاع الأسماع" (١٩٦/١)، "جوامع السيرة" (ص:١٤٥)، "بهجة المحافل"(٢٣٢/١)، "سبل الهدى=

تاريخ الغزوة :

أُخْتُلِفَ في تاريخ هذه الغزوة على أقوال :

الأول : أنها في السنة الرابعة وهو قول أكثر أهل السير وهو اختيار الناظم .

الثاني : أنها في السنة الخامسة وهو قول ابن سعد والواقدي وابن حبان والنووي وغيرهم .

الثالث : أنه في السنة السابعة بعد غزوة خيبر وهو قول البخاري وتبعه ابن كثير وابن القيم وابن حجر وغيرهم. وهو الصواب أن ذات الرقاع كانت بعد خيبر وذلك لأمور منها:

١- أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهدها، وأبو هريرة لم يسلم إلا في سنة سبع عام خيبر.(١)

٢- أن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شهدها مع أنه قد ثبت أن أول مشاهده الخندق، سنة خمس من الهجرة(٢).

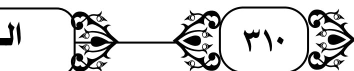
٣- شهود أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للغزوة، وهو إنما قدم من الحبشة عام خيبر سنة٧هـ.(٣)

=والرشاد"(١٧٥/٥)، "تاريخ الخميس"(٤٦٣/١)، "شرح الزرقاني على المواهب"(٥٢١/٢)، "مستعذب الإخبار"(ص:٢٦١)، "تاريخ الطبري" (٥٥٥/٢)، "تاريخ الإسلام" (٢٤٦/٢)، "البداية والنهاية"(٩٥/٤)، "إنارة الدجى"(ص:٣٤٠)، "الرحيق المختوم" (ص:٣٤٨)، "مرويات الإمام الزهري في المغازي" (٤٢٧/١)، "صحيح الأثر وجميل العبر"(ص:٢٢٠)، "صحيح السيرة النبوية" للعلي (ص:٣٧٠)، "سير أعلام النبلاء" (٤٣٨/١)، "العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين" (٣٩٣/١).

(١)انظر: "صحيح البخاري" مع "الفتح" (٤٢٦/٧ رقم (٤١٣٧) ، و"مسند أحمد" (٨٢٦٠) و"سنن أبي داود" (١٢٤٠) ، و"سنن النسائي" (١٧٣/٣- ١٧٤) ، و"صحيح ابن خزيمة" (١٣٦١) ، و"شرح معاني الآثار "(٣١٤/١) ، و"المستدرك" للحاكم (٣٣٨/١) ، و"السنن الكبرى" للبيهقي (٢٦٤/٣).

(٢)انظر ذلك في "صحيح البخاري"رقم (٩٤٣) ورقم (٤١٣٢) ، و"سنن الدارمي" (١٥٢١)، "المعجم الكبير" للطبراني (١٣١١٤) ، و"سنن البيهقي" (٢٦٠/٣) ، و"دلائل النبوة" له (٣٧٩/٣)

(٣)انظر: "صحيح البخاري"مع"الفتح" (٤١٧/٧ رقم: ٤١٢٨)، هذه الأمور وغيرها ذكرها الحافظ بمعناها في "الفتح" (٤١٧/٧) ، ثم قال رحمه الله بعد ذكره للخلاف في ذلك: فالأولى الاعتماد على ما ثبت في الحديث الصحيح.اهـ ويقصد بذلك وقوعها بعد خيبر.



تعليم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الخوف

قوله : «وفي ذات الرِّقاع علما كيف صلاة الخوف»:

يعني: أن في هذه الغزوة عُلِّمَ النبي ﷺ كيفية صلاة الخوف وهذا قول أكثر أهل السير أن صلاة الخوف شرعت في غزوة ذات الرقاع.

قال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تفسيره"(١٠٥/٢) : وأعظم الروايات والأحاديث على أن صلاة الخوف إنما نزلت الرخصة فيها في غزوة ذات الرقاع.اهـ

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تفسيره"(١٠٥/٢): واتفق العلماء على أن هذه الآية شرعت صلاة الخوف وأكثر الآثار تدل على أن مشروعيتها كانت في غزوة ذات الرقاع.اهـ

وقال الشيخ محمد الإثيوبي -حفظه الله- في "ذخيرة العقبى"(٩٦/١٧): اختلف في أي سنة شرعت صلاة الخوف فقال الجمهور : إن أول ما صليت في غزوة ذات الرقاع.اهـ

ودليله ما في الصحيحين[١] عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِذَاتِ الرِّقَاعِ، فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَسَيْفُ النَّبِيِّ ﷺ مُعَلَّقٌ بِالشَّجَرَةِ، فَاخْتَرَطَهُ، فَقَالَ: تَخَافُنِي؟ قَالَ: «لاَ»، قَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «اللَّهُ» فَتَهَدَّدَهُ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، وَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَصَلَّى بِطَائِفَةٍ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ تَأَخَّرُوا، وَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الأُخْرَى رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعٌ، وَلِلْقَوْمِ رَكْعَتَانِ.



قصر الصلاة الرباعية

قوله : «والقصر نمي»

أي قصر الصلاة الرباعية رُفِعَ ونُقِلَ عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن ذلك كان في السنة الرابعة،

---

(١)البخاري (٤١٣٦) ومسلم(٨٤٣).

وبهذا قال أكثر العلماء.[١]



فرض الحجاب

قوله : «وآية الحجاب»:

يعني: وفي هذه السنة نزلت آية الحجاب، وقيل: سنة ثلاث، وقيل: سنة خمس وهو الراجح وذلك في ذي القعدة صبيحة الزواج بأم المؤمنين زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قال ابن الأثير في "أسد الغابة" (٢٩/١): وفي سنة خمس نزلت آية الحجاب في ذي القعدة.اهـ

وقال ابن كثير في "تفسيره" (٤٥١/٦): وَكَانَ وَقْتُ نُزُولِهَا فِي صَبِيحَةِ عُرْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، الَّتِي تَوَلَّى اللَّهُ تَعَالَى تَزْوِيجَهَا بِنَفْسِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي ذِي الْقِعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ، فِي قَوْلِ قَتَادَةَ وَالْوَاقِدِيِّ وَغَيْرِهِمَا.اهـ

وقال القاسمي في "محاسن التأويل" (١٠٢/٨): وكان وقت نزولها- يعني آية الحجاب- في صبيحة عرس رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش، التي تولى الله تزويجها بنفسه تعالى. وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة (في قول قتادة والواقديّ وغيرهما) وزعم أبوعبيدة معمر بن المثنى، وخليفة بن خياط أن ذلك كان في سنة ثلاث. فالله أعلم.اهـ[٢]

---

(١)انظر: "بهجة المحافل" (٢٢٦/١)، "السيرة الحلبية"(٣٧٦/٢)، "المواهب اللدنية" (٣٧٧/٣)، "إرشاد الساري" (٢٨٨/٢)، "سبل الهدى" (٦٣/١٢)"شرح المواهب" للزرقاني (١٥٧/١١)، "فتح الباري" (٤٦٥/١)،"عمدة القاري"(١١٦/٧)،"المختصر الكبير"(٦٢)،"نيل الأوطار" (٣٥٥/١)، "مرعاة المفاتيح" (٤١٣/٤)،"فقه الإسلام شرح بلوغ المرام" (١٣٥/٢) "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (٧٤٨/٦)، "حاشية الجمل على شرح المنهج" (٥٨٨/١).

(٢)انظر: "الفتح"(٤٦٢/٨)، "عمدة القاري"(٢٨٤/٢)، "المختصر الكبير"(ص:٦٢)، "الإشارة" (ص:٢٥٢)، "إمتاع الأسماع"(٢٠٢/١)، "السيرة الحلبية"(٤٤٨/٣)، "التوضيح لشرح الجامع الصحيح"(١٢٢/٤)=

شرح التيمم

قوله : «والتيمم»:

أي: وفي هذه السنة الرابعة نزلت آية التيمم وهذا خلاف ما عليه أكثر أهل العلم أن نزول آية التيمم كان في غزوة بني المصطلق، والراجح أنها في شعبان سنة خمس من الهجرة. رجح ذلك الحافظ ابن حجر في "الفتح" (١٩٦/٨) بكلام نفيس فراجعه.

ويدل على ذلك ما جاء في الصحيحين(١) عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ(٢)، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ أَوْ بِذَاتِ الجَيْشِ انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي، فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى التِمَاسِهِ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، فَأَتَى النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَقَالُوا: أَلاَ تَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ؟ أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسِ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخِذِي قَدْ نَامَ، فَقَالَ: حَبَسْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسَ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي، فَلاَ يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَخِذِي، «فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا»، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الحُضَيْرِ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: فَبَعَثْنَا البَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ، فَأَصَبْنَا العِقْدَ تَحْتَهُ.

فائدة : ما هي آية التيمم ؟

آية التيمم هي الآية السادسة من سورة المائدة على الأصح من أقوال العلماء وهي قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ

= "العقد الثمين" (٣٩٤/١)، "فتح القدير" (٣٤٤/٤)، "حسن الأسوة" (ص:٢٠٣).

(١) البخاري (٣٣٤) مسلم (٣٦٧).

(٢) قال الحافظ في "الفتح" (٤٥٨/٨): هي غزوة بني المصطلق.اهـ

وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [المائدة:٦][1]

ويدل عليه حديث عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، سَقَطَتْ قِلَادَةٌ لِي بِالْبَيْدَاءِ وَنَحْنُ دَاخِلُونَ المَدِينَةَ، فَأَنَاخَ النَّبِيُّ ﷺ، وَنَزَلَ فَثَنَى رَأْسَهُ فِي حِجْرِي رَاقِدًا، أَقْبَلَ أَبُوبَكْرٍ فَلَكَزَنِي لَكْزَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: حَبَسْتِ النَّاسَ فِي قِلَادَةٍ فَبِي المَوْتُ، لِمَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ أَوْجَعَنِي، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَيْقَظَ وَحَضَرَتِ الصُّبْحُ، فَالْتُمِسَ المَاءُ فَلَمْ يُوجَدْ، فَنَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ﴾ [المائدة: ٦] الآيَةَ ، فَقَالَ أُسَيْدُ ابْنُ حُضَيْرٍ: لَقَدْ بَارَكَ اللَّهُ لِلنَّاسِ فِيكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَرَكَةٌ لَهُمْ. رواه البخاري (٤٦٠٨)

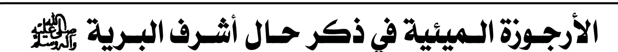
قال الحافظ ابن حجررَحِمَهُٱللَّهُ في "فتح الباري" (١/ ٤٣٤): قَوْلُهُ: «فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ» قَالَ ابن الْعَرَبِيِّ: هَذِهِ مُعْضِلَةٌ مَا وَجَدْتُ لِدَائِهَا مِنْ دَوَاءٍ لِأَنَّا لَا نَعْلَمُ أَيَّ الْآيَتَيْنِ عَنَتْ عَائِشَة. وقَالَ ابن بَطَّالٍ: هِيَ آيَةُ النِّسَاءِ أَوْ آيَةُ الْمَائِدَةِ. وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: هِيَ آيَةُ النِّسَاءِ وَوَجَّهَهُ بِأَنَّ آيَةَ الْمَائِدَةِ تُسَمَّى آيَةَ الْوُضُوءِ وَآيَةُ النِّسَاءِ لَا ذِكْرَ فِيهَا لِلْوُضُوءِ فَيُتَّجَهُ تَخْصِيصُهَا بِآيَةِ التَّيَمُّمِ، وَأَوْرَدَ الْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ هَذَا الْحَدِيثَ عِنْدَ ذِكْرِ آيَةِ النِّسَاءِ أَيْضًا وَخَفِيَ

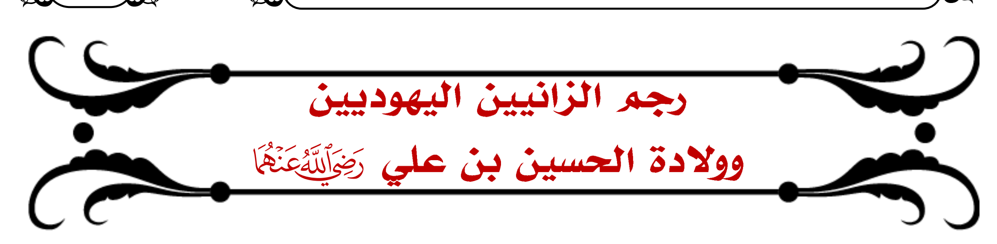
---

(١)قال ابن العربي في "أحكام القرآن"(٢/٤٧): ذكر العلماء أن هذه الآية من أعظم آيات القرآن مسائل وأكثرها أحكاماً في العبادات وبحق ذلك فإنها شطر الإيمان كما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ:«الطهور شطر الإيمان» ولقد قال بعض العلماء : إن فيها ألف مسألة واجتمع أصحابنا في مدينة السلام فتتبعوها فبلغوها ثمانين مسألة.اهـ وقال السيوطي في "الإكليل"(١٠٨): هذه الآية أصل في الطهارات كلها؛ ففيها الوضوء والغسل والتيمم.اهـوقال الرازي في "تفسيره" (٣١٧/١١): اعلم أن هذه الآية أصل كبير معتبر في الشرع وهو أن الأصل في المضار أن لا تكون مشروعة.اهـ وقال السعدي في "تفسيره" (٢٢٢) : هذه آية عظيمة قد اشتملت على أحكام كثيرة – ثم ذكرها-.اهـ

عَلَى الْجَمِيعِ مَا ظَهَرَ لِلْبُخَارِيِّ مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا آيَةُ الْمَائِدَةِ بِغَيْرِ تَرَدُّدٍ لِرِوَايَةِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ إِذْ صَرَّحَ فِيهَا بِقَوْلِهِ فَنَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ الْآيَةَ. اهـ







رجم الزانيين اليهوديين
وولادة الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

٦٧- قِيلَ: وَرَجْمُهُ الْيَهُودِيَّيْنِ   وَمَوْلِدُ السِّبْطِ الرِّضَا الْحُسَيْنِ

الشرح:

يعني: ومن حوادث هذه السنة الرابعة رجم رسول الله ﷺ اليهودي واليهودية الزانيين المحصنين، وبهذا قال كثير من أهل السير(١).

قصة الرجم:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِيَهُودِيٍّ وَيَهُودِيَّةٍ قَدْ زَنَيَا، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى جَاءَ يَهُودَ، فَقَالَ: «مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ عَلَى مَنْ زَنَى؟» قَالُوا: نُسَوِّدُ وُجُوهَهُمَا، وَنُحَمِّلُهُمَا، وَنُخَالِفُ بَيْنَ وُجُوهِهِمَا، وَيُطَافُ بِهِمَا، قَالَ: «فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»، فَجَاءُوا بِهَا فَقَرَءُوهَا حَتَّى إِذَا مَرُّوا بِآيَةِ الرَّجْمِ وَضَعَ الْفَتَى الَّذِي يَقْرَأُ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، وَقَرَأَ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَمَا وَرَاءَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ وَهُوَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مُرْهُ فَلْيَرْفَعْ يَدَهُ، فَرَفَعَهَا فَإِذَا تَحْتَهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَرُجِمَا، قَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ: كُنْتُ فِيمَنْ رَجَمَهُمَا، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَقِيهَا مِنَ الْحِجَارَةِ بِنَفْسِهِ. متفق عليه [البخاري (٣٦٣٥) مسلم (١٦٩٩)]



(١) "أسد الغابة"(١/٢٩)، "السيرة الحلبية"(٢/١٦٢)، "نهاية الإيجاز"(١/٢٦٨)، "تاريخ الخميس" (١/٤٦٧) "الإشارة"(ص:٢٥٤)، "عيون الأثر"(٢/٣٥٢)، "إمتاع الأسماع"(١/٢٠٢)، "سبل الهدى والرشاد"(١٢/٦٣)، "المنتظم" (٣/٢٠٦)، "تاريخ الإسلام" (٢/٢٥٦)، "سير أعلام النبلاء"(١/٤٤٣)، "العقد الثمين" (١/٣٩٤).

مولد سبط رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحسين بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا

قوله : «ومولد السبط الرضى الحسين»

يعني: وفي هذه السنة وفي شهر شعبان ولد سبط رسول الله ﷺ وَرَيْحَانتُهُ المرضي عند الله وعند عباده الصالحين أَبُو عَبْدِ اللهِ، الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ هَاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ بنِ قُصَيٍّ القُرَشِيُّ، الهَاشِمِيُّ[1].

من فضائل الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

الحسين من أفاضل صغار الصحابة وقد وردت في فضائله أحاديث كثيرة منها ما هو مفردٌ به ومنها ما كانت مشتركة مع أخيه الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ومنها :

عَنْ يَعْلَى بن مرة الْعَامِرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى طَعَامٍ دُعُوا لَهُ، قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمَامَ الْقَوْمِ، وَحُسَيْنٌ مَعَ غِلْمَانٍ يَلْعَبُ، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْخُذَهُ. قَالَ: فَطَفِقَ الصَّبِيُّ يَفِرُّ هَاهُنَا مَرَّةً، وَهَاهُنَا مَرَّةً، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُضَاحِكُهُ حَتَّى أَخَذَهُ. قَالَ: فَوَضَعَ إِحْدَى يَدَيْهِ تَحْتَ قَفَاهُ، وَالْأُخْرَى تَحْتَ ذَقْنِهِ، فَوَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ، فَقَبَّلَهُ وَقَالَ: «حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ». أخرجه أحمد (١٧٥٦١) وابن ماجه (١٤٤) والبخاري في "الأدب المفرد"(٣٦٤) وغيرهم وهو في "الصحيحة" (١٢٢٧).

وعَنْ عَطَاءٍ، أَنَّ رَجُلًا أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يَضُمُّ إِلَيْهِ حَسَنًا وَحُسَيْنًا، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا؛ فَأَحِبَّهُمَا». أخرجه أحمد(٢٣١٣٣) وهو في "الجامع الصحيح" لشيخنا الوادعي (٢/٥٥٨) (١٥٧٨)

وعَنْ البَرَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَبْصَرَ حَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا» سنن الترمذي(٣٧٨٢) وهو في "صحيح الترمذي"(٢٩٧٦)

---

(١) "سير أعلام النبلاء" (٣٤٨/٤).

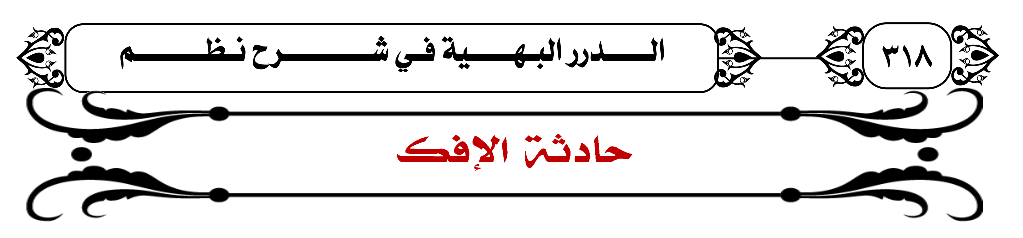
وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي نُعْمٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ العِرَاقِ سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ دَمِ البَعُوضِ يُصِيبُ الثَّوْبَ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا يَسْأَلُ عَنْ دَمِ البَعُوضِ وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا». رواه البخاري(٣٧٥٣) والترمذي (٣٧٧٠) واللفظ له

وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ». أخرجه أحمد (١٠٩٩٩)، والترمذي (٣٧٦٨)، والنسائي في "السنن الكبرى" (٨١١٣)، وهو في "الصحيح المسند" للوادعي (٤٢١) و "الصحيحة" للألباني (٧٩٦).

وفاته : قتل مظلوماً في كربلاء من بلاد العراق في العاشر من محرم سنة إحدى وستين من الهجرة وعمره ستة وخمسون سنة.[1]



(١) "جامع الأصول"(٢٩٤/١٢)، "المنتظم"(٣٣٥/٥)، "مرآة الزمان"(١١٦/٨)، "سبل الهدى والرشاد" (٧١/١١)، "تاريخ الإسلام" (٥٩/٥)، "البداية والنهاية" (٢٢٣/٨)، "سمط النجوم العوالي"(١٩٠/٣)، "سير السلف الصالحين" لإسماعيل الأصبهاني (ص:٣٤٨)، "تاريخ دمشق" لابن عساكر (١١١/١٤)، "أسد الغابة" (٢٤/٢)، "بغية الطلب في تاريخ حلب"(٢٥٦٢/٦)، "تهذيب الأسماء واللغات" (١٦٢/١)، "تهذيب الكمال" (٣٩٥/٦)، "تهذيب التهذيب" (٣٤٥/٢)، "الوافي بالوفيات" (٢٦٢/١٢)، "قلادة النحر" (٣٩٢/١)، "المقفى الكبير" (٣٢٠/٣)، "تذهيب تهذيب الكمال" (٣٣٧/٢)، "جامع المسانيد والسنن" (٤٥٥/٢)، "الإصابة"(٦٧/٢)، "سير أعلام النبلاء" (٣٤٨/٤)، "تقريب التهذيب"(١٧٧/١)، "خلاصة تهذيب الكمال"(٢٢٨/١)، "الكاشف" (٢٣٢/١)، "تاريخ البخاري الكبير" (٣٨١/٢) ، "الجرح والتعديل" (٢٤٩/٣)، "تجريد أسماء الصحابة" (١٣١/١) ، "الاستيعاب" (٣٩٢/١)، "شذرات الذهب" (١٠/١، ١٦) ، "الثقات" (٦٨/٣).



حادثة الإفك

٦٨- وَكَانَ فِي الْــخَامِسَةِ اسْمَـــعْ وَثِـقِ ... اَلْإِفْـــكُ فِي غَـــزْوِ بَـنِي الْمُـصْطَلِقِ

الشرح:

أي: في السنة الخامسة وقعت حادثة الإفك الذي رميت به أم المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وأنزل الله عز وجل برائتها بآيات تتلى في كتاب الله عز وجل.

وكانت هذه الحادثة في غزوة بني المصطلق وهم بطن من خزاعة، والمصطلق هو جدهم الذي ينسبون إليه وهو لقب له واسمه: جَذِيمَة بن سعد بن عمر بن ربيعة.

حديث حادثة الإفك من صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُٱللَّهُ

قال البخاري رحمه الله (١١٦/٥)(٤١٤١): حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ ابْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، حِينَ قَالَ لَهَا: أَهْلُ الإِفْكِ مَا قَالُوا، وَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنْ حَدِيثِهَا، وَبَعْضُهُمْ كَانَ أَوْعَى لِحَدِيثِهَا مِنْ بَعْضٍ، وَأَثْبَتَ لَهُ اقْتِصَاصًا، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمُ الحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَنِي عَنْ عَائِشَةَ، وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ، قَالُوا: قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيُّهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الحِجَابُ، فَكُنْتُ أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ، دَنَوْنَا مِنَ المَدِينَةِ قَافِلِينَ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي، فَلَمَسْتُ صَدْرِي، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، قَالَتْ: وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا

يُرَحِّلُونِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ عَلَيْهِ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَهْبُلْنَ، وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ العُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ القَوْمُ خِفَّةَ الهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الجَمَلَ فَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ دَاعٍ وَلاَ مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي، غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ المُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ مَا تَكَلَّمْنَا بِكَلِمَةٍ، وَلاَ سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، وَهَوَى حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا، فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الجَيْشَ مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ وَهُمْ نُزُولٌ، قَالَتْ: فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَ الإِفْكِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، قَالَ عُرْوَةُ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ كَانَ يُشَاعُ وَيُتَحَدَّثُ بِهِ عِنْدَهُ، فَيُقِرُّهُ وَيَسْتَمِعُهُ وَيَسْتَوْشِيهِ، وَقَالَ عُرْوَةُ أَيْضًا: لَمْ يُسَمَّ مِنْ أَهْلِ الإِفْكِ أَيْضًا إِلَّا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَمِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، فِي نَاسٍ آخَرِينَ لاَ عِلْمَ لِي بِهِمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ عُصْبَةٌ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِنَّ كِبْرَ ذَلِكَ يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، قَالَ عُرْوَةُ: كَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عِنْدَهَا حَسَّانُ، وَتَقُولُ: إِنَّهُ الَّذِي قَالَ:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ، لاَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لاَ أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ»، ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَذَلِكَ يَرِيبُنِي وَلاَ أَشْعُرُ بِالشَّرِّ، حَتَّى خَرَجْتُ حِينَ نَقَهْتُ، فَخَرَجْتُ مَعَ أُمِّ مِسْطَحٍ قِبَلَ المَنَاصِعِ، وَكَانَ مُتَبَرَّزَنَا، وَكُنَّا لاَ نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، قَالَتْ: وَأَمْرُنَا أَمْرُ العَرَبِ الأُوَلِ فِي البَرِّيَّةِ قِبَلَ الغَائِطِ، وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا، قَالَتْ: فَانْطَلَقْتُ أَنَا

وَأُمُّ مِسْطَحٍ، وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رُهْمِ بْنِ المُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِمَنَافٍ، وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ، خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ المُطَّلِبِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ بَيْتِي حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟ فَقَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ وَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قَالَتْ: وَقُلْتُ: مَا قَالَ؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ، قَالَتْ: فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تِيكُمْ»، فَقُلْتُ لَهُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، قَالَتْ: فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ، مَاذَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ قَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ، هَوِّنِي عَلَيْكِ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، لَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَوَلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي، قَالَتْ: وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ ابْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الوَحْيُ، يَسْأَلُهُمَا وَيَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلَكَ، وَلاَ نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: «أَيْ بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ؟». قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ غَيْرَ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ، وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي». قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْذِرُكَ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الخَزْرَجِ، وَكَانَتْ أُمُّ حَسَّانَ بِنْتَ عَمِّهِ مِنْ فَخِذِهِ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ، قَالَتْ: وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ،

فَقَالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لاَ تَقْتُلُهُ، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ. فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدٍ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُاللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ المُنَافِقِينَ، قَالَتْ: فَثَارَ الحَيَّانِ الأَوْسُ، وَالخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى المِنْبَرِ، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ، حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ، قَالَتْ: فَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ كُلَّهُ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ.

قَالَتْ: وَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي، وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا، لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، حَتَّى إِنِّي لَأَظُنُّ أَنَّ البُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، فَبَيْنَا أَبَوَايَ جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي، فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لاَ يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»، قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِّي فِيمَا قَالَ: فَقَالَ أَبِي: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ: قَالَتْ أُمِّي: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ: لاَ أَقْرَأُ مِنَ القُرْآنِ كَثِيرًا: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ: لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ، لاَ تُصَدِّقُونِي، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ، لَتُصَدِّقُنِّي، فَوَاللَّهِ لاَ أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[يوسف: ١٨] ثُمَّ تَحَوَّلْتُ وَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي حِينَئِذٍ بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَى، لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا، فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَهُ، وَلاَ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ، حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ البُرَحَاءِ، حَتَّى

إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِنَ العَرَقِ مِثْلُ الجُمَانِ، وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ مِنْ ثِقَلِ القَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَسُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ». قَالَتْ: فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ، فَإِنِّي لاَ أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَتْ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ العَشْرَ الآيَاتِ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا، بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ لِزَيْنَبَ: «مَاذَا عَلِمْتِ، أَوْ رَأَيْتِ». فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالوَرَعِ، قَالَتْ: وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ، فِيمَنْ هَلَكَ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: «فَهَذَا الَّذِي بَلَغَنِي مِنْ حَدِيثِ هَؤُلاَءِ الرَّهْطِ» ثُمَّ قَالَ عُرْوَةُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: " وَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ لَيَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَشَفْتُ مِنْ كَنَفِ أُنْثَى قَطُّ، قَالَتْ: ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وأخرجه مسلم(٢٧٧٠)

إِقَامَةُ الحدِّ على مَنْ أشَاعَ حَدِيث الإِفْكِ

لَمَّا نَزَلَتْ بَرَاءَةُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، خرج رَسُول اللَّهِ ﷺ إِلَى المَسْجِدِ، فَخَطَبَ النَّاسَ، وَتَلَا عَلَيْهِمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ القُرْآنِ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ أَمَرَ بِمِسْطَحِ بنِ أُثَاثَةَ، وَحَسَّانِ بن ثَابِتٍ، وَحَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَكَانُوا مِمَّنْ أَفْصَحَ بِالفَاحِشَةِ، فَضُرِبُوا حَدَّ القَذْفِ ثَمَانِينَ جَلْدَةً.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَمَّا نَزَلَ عُذْرِي، قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ، وَتَلَا الْقُرْآنَ، فَلَمَّا نَزَلَ أَمَرَ بِرَجُلَيْنِ وَامْرَأَةٍ، فَضُرِبُوا حَدَّهُمْ». أخرجه أحمد (٢٤٠٦٦)، والترمذي (٣١٨١)، وابن ماجه (٢٥٦٧)، وهو في "صحيح الترمذي"(٢٥٤٢)

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ عَمْرَةَ ابْنَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الْقُرْآنُ خَرَجَ ، فَجَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَتَلَا عَلَى النَّاسِ مَا أَنْزَلَ اللهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١] قَالَ ، ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَمَرَ بِرَجُلَيْنِ وَامْرَأَةٍ ، فَضُرِبُوا حَدَّهُمْ ثَمَانِينَ ثَمَانِينَ ، وَهُمُ الَّذِينَ تَوَلَّوْا كِبَرَ ذَلِكَ وَقَالُوا بِالْفَاحِشَةِ حَسَّانُ، وَمِسْطَحٌ، وَحَمْنَةُ. أخرجه الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٤٠٩/٧) (٢٩٦٣)[1]

وَتُرِكَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ المُنَافِقُ، وَلمْ يُحَدَّ، مَعَ أَنَّهُ رَأْسُ أَهْلِ الإِفْكِ، قِيلَ: لِأَنَّ الحُدُودَ تَخْفِيفٌ عَنْ أَهْلِهَا وَكَفَّارَةٌ، وَالخَبِيثُ لَيْسَ أَهْلًا لِذَلِكَ، وَقَدْ وَعَدَهُ اللَّهُ بِالعَذَابِ العَظِيمِ فِي الآخِرَةِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وَقِيلَ: بَلْ كَانَ يَسْتَوْشِي الحَدِيثَ، وَيَجْمَعُهُ وَيَحْكِيهِ، وَيُخْرِجُهُ فِي قَوَالِبَ مَنْ لَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ، وقيل غير

---

(١) قال القرطبي في "تفسيره" (٢٠١/١٢): قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ وَغَيْرُهُ: اخْتَلَفُوا هَلْ حَدَّ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَ الْإِفْكِ، عَلَى قَوْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ لَمْ يَحُدَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ الْإِفْكِ لِأَنَّ الْحُدُودَ إِنَّمَا تُقَامُ بِإِقْرَارٍ أَوْ بِبَيِّنَةٍ، وَلَمْ يَتَعَبَّدْهُ اللَّهُ أَنْ يُقِيمَهَا بِإِخْبَارِهِ عَنْهَا، كَمَا لَمْ يَتَعَبَّدْهُ بِقَتْلِ الْمُنَافِقِينَ، وَقَدْ أَخْبَرَهُ بِكُفْرِهِمْ. قُلْتُ: وَهَذَا فَاسِدٌ مُخَالِفٌ لِنَصِّ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ:﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ أَيْ عَلَى صِدْقِ قَوْلِهِمْ: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾. وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَدَّ أَهْلَ الْإِفْكِ عَبْدَ اللهِ بن أبي ومسطح بن أُثَاثَةَ وَحَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ وَحَمْنَةَ بِنْتَ جَحْشٍ، وَفِي ذَلِكَ قَالَ شَاعِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ:

لَقَدْ ذَاقَ حَسَّانُ الَّذِي كَانَ أَهْلَهُ ... وَحَمْنَةُ إِذْ قَالُوا هَجِيرًا وَمِسْطَحُ
وَابْنُ سَلُولٍ ذَاقَ فِي الْحَدِّ خِزْيَةً ... كَمَا خَاضَ فِي إِفْكٍ مِنَ الْقَوْلِ يُفْصِحُ
تَعَاطَوْا بِرَجْمِ الْغَيْبِ زَوْجَ نَبِيِّهِمْ ... وَسَخْطَةَ ذِي الْعَرْشِ الْكَرِيمِ فَأَبْرَحُوا
وَآذَوْا رَسُولَ اللهِ فيها فجلدوا ... مَخَازِيَ تَبْقَى عُمِّمُوهَا وَفُضِّحُوا
فَصُبَّ عَلَيْهِمْ مُحْصَدَاتٌ كَأَنَّهَا ... شَآبِيبُ قَطْرٍ مِنْ ذُرَى الْمُزْنِ تَسْفَحُ

قُلْتُ: الْمَشْهُورُ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الَّذِي حُدَّ حَسَّانُ وَمِسْطَحٌ وَحَمْنَةُ، وَلَمْ يُسْمَعْ بِحَدٍّ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ.اهـ

ذلك.

قال القرطبي في "تفسيره"(١٢/ ٢٠٢): قَالَ عُلَمَاؤُنَا: وَإِنَّمَا لَمْ يُحَدَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ عَذَابًا عَظِيمًا، فَلَوْ حُدَّ فِي الدُّنْيَا لَكَانَ ذَلِكَ نَقْصًا مِنْ عَذَابِهِ فِي الْآخِرَةِ وَتَخْفِيفًا عَنْهُ مَعَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ شَهِدَ بِبَرَاءَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَبِكَذِبِ كُلِّ مَنْ رَمَاهَا، فَقَدْ حَصَلَتْ فَائِدَةُ الْحَدِّ، إِذْ مَقْصُودُهُ إِظْهَارُ كَذِبِ الْقَاذِفِ وَبَرَاءَةِ الْمَقْذُوفِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَداءِ فَأُولئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكاذِبُونَ﴾. وَإِنَّمَا حُدَّ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ لِيُكَفَّرَ عَنْهُمْ إِثْمُ مَا صَدَرَ عَنْهُمْ مِنَ الْقَذْفِ حَتَّى لَا يَبْقَى عَلَيْهِمْ تَبِعَةٌ مِنْ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ، وَقَدْ قَالَ ﷺ فِي الْحُدُودِ إِنَّهَا كَفَّارَةٌ لِمَنْ أُقِيمَتْ عَلَيْهِ، كَمَا فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ[1]. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّمَا تُرِكَ حَدُّ ابْنِ أُبَيٍّ اسْتِئْلَافًا لِقَوْمِهِ وَاحْتِرَامًا لِابْنِهِ، وَإِطْفَاءً لِثَائِرَةِ الْفِتْنَةِ الْمُتَوَقَّعَةِ مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ ظَهَرَ مَبَادِئُهَا مِنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ وَمِنْ قَوْمِهِ، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ.اهـ[2]

---

(١)الحديث عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَجْلِسٍ، فَقَالَ: «تُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ». متفق عليه [البخاري (٤٨٩٤)و(٦٧٨٤) ومسلم(١٧٠٩)]

(٢)انظر لخبر الإفك: "مغازي الواقدي"(٢/٤٢٦)، "سيرة ابن هشام" (٢/٢٩٧)، "الدلائل" للبيهقي (٤/٦٣)، "تاريخ الطبري"(٢/٦١٠)، "عيون الأثر" (٢/١٣٣)، "إمتاع الأسماع" (١/٢١٣)، "الروض الأنف" (٧/٣٠)، "زاد المعاد"(٣/٢٣٢)، "بهجة المحافل" (١/٢٤٩)، "الخصائص الكبرى" (١/٣٩٢)، "حدائق الأنوار" (ص:٢٩٨)، "تاريخ الخميس" (١/٤٧٥)، "إنارة الدجى" (ص:٤٦٧)، "مرويات غزوة بني المصطلق" (ص:٢٠٥)، "مرويات الإمام الزهري في المغازي" (١/٤٥٢)، "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" (٣/٢٢١) "الكامل في التاريخ" (٢/٧٨)، "تاريخ الإسلام" (٢/٢٦٩)، "البداية والنهاية" (٤/١٨٢)، "السيرة النبوية الصحيحة" للعمري(٢/٤١٠)، "اللؤلؤ المكنون" (٣/١٢١)"الأغصان الندية" (ص:٢٧٩)، سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين (ص:١٢٧).

غزوة بني المصطلق(١)

كانت في شعبان من السنة الخامسة للهجرة على القول الراجح(٢).

سببها:

بلغ رسول الله ﷺ أن الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق جمع قومه لحربه، وجعل يؤلب القبائل المجاورة لذلك فأرسل رسول الله ﷺ بريدة بن الحصيب الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للتأكد من ذلك فوجد الأمر كما بلغ.

مختصر الغزوة

أسرع الرسول ﷺ في التجهز وحث أصحابه على ذلك فخرج في سبعمائة مقاتل وثلاثين فرسا وخرج معه كثير من المنافقين على رأسهم عبدالله بن أبي بن سلول. واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى، وقيل: بل نميله بن عبد الله الليثى، وقيل: زيد بن حارثة.

وكان الحارث بن ضرار قد أرسل جاسوساً ليأتيه بالخبر ولكن كُشِف أمره فأمر رسول الله ﷺ عمر فضرب عنقه، فلما بلغ ذلك الحارث وعلم خروج رسول الله ﷺ إليه خاف خوفاً شديدًا هو ومن معه وتفرق عنهم العرب .

ولما كان بنو المصطلق ممن بلغتهم دعوة الإسلام واشتركوا مع الكفار في غزوة أحد وجمعوا

---

(١)بنو المصطلق هُمْ بَنُو جُذَيْمَةَ بْنِ كَعْبٍ مِنْ خُزَاعَةَ، فَجُذَيْمَةُ هُوَ الْمُصْطَلِقُ، وهم بطن من قبيلة خزاعة الأزدية اليمانية ، وكانوا يسكنون قديداً وعسفان على الطريق من المدينة إلى مكة، فقديد تبعد عن مكة ١٢٠ كيلاً، وعسفان تبعد ٨٠ كيلاً، فيكون بينهما أربعون كيلاً. في حين تنتشر ديار خزاعة على الطريق من المدينة إلى مكة ما بين مر الظهران التي تبعد عن مكة ٣٠ كيلاً وبين الأبواء (شرق مستورة بثلاث أكيال) التي تبعد عن مكة ٢٤٠ كيلاً، وبذلك يتوسط بنو المصطلق ديار خزاعة، وموقعهم مهم بالنسبة للصراع بين المسلمين وقريش. "الروض الأنف"(١٨/٧)، "السيرة النبوية الصحيحة" للعمري(٤٠٤/٢)

وتسمى أيضاً هذه الغزوة: غزوة المريسيع، والمُرَيْسِيعُ بِضَمِّ الميم وفتح الراء: هو ماء لِبَنِي خُزَاعَةَ بينه وبين الفُرْعِ مَسِيرَة يوم من ناحية القُدَيد إلى جهة الساحل. "الفتح" (٩١٥/٨)

(٢) "الفتح"(١٩٦/٨).

الجموع لحرب المسلمين أغار عليهم رسول الله ﷺ وهم غافلون وأنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وأصاب يومئذ جويرية بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وأمر بالغنائم فجمعت فكانت الإبل ألفي بعير، والشاء خمسة آلاف شاة، وكان السبي مائتي أهل بيت بلغوا تقريبا سبعمائة نفس، فأخرج الخمس ثم قسم الغنائم الباقية بين الناس وكانت غيبته في هذه الغزوة ثمانية وعشرون يوما[1].



---

(١)انظر خبر الغزوة في: "سيرة ابن هشام"(٢/٢٨٩)، "جوامع السيرة"(ص:١٦١)، "مغازى الواقدى" (١/٤٠٤)، "طبقات ابن سعد"(٢/١/٤٥)، "دلائل النبوة" للبيهقي (٤/٤٤)، "دلائل النبوة" لأبي نعيم (٤٤٧)، "صحيح البخاري"(٥/١١٥)، "الروض الأنف"(٧/١٨)، "نهاية الأرب" (١٧/١٦٤)، "الاكتفاء"(١/٤٥٤)، "عيون الأثر "(٢/١٢٨)، "الفصول في السيرة" (ص:١٧٩)، "إمتاع الأسماع" (١/٢٠٣)، "بهجة المحافل" (١/٢٤١)، "سبل الهدى والرشاد"(٤/٣٤٤)، "السيرة الحلبية" (٢/٣٧٧)، "مستعذب الإخبار"(ص:٢٦٥)، "مرويات الإمام الزهري في المغازي" (١/٤٣٥)، "تاريخ خليفة بن خياط" (ص:٨٠)، "تاريخ الطبري" (٢/٦٠٤)، "البدء والتاريخ" (٤/٢١٤)، "الكامل في التاريخ" (٢/٧٦)، "تاريخ الإسلام" (٢/٣٤٩)، "تاريخ ابن الوردي" (١/١١٧)، "البداية والنهاية"(٤/١٧٨)، "تاريخ ابن خلدون" (٢/٤٤٥)، "سير أعلام النبلاء" (٢/١٣)، "الأغصان الندية" (ص:٢٧٤)، "السيرة النبوية الصحيحة"(٢/٤٠٤)، كتاب "مرويات غزوة بني المصطلق"، "اللؤلؤ المكنون" (٣/٨٤)، "موسوعة الغزوات الكبرى" (٣/٨٢).

غزوة دومة الجندل
وزواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جويرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

٦٩- وَدُومَــةُ الْـجَنْدَلِ قَبْــلُ وَحَصَلْ ... عَقْــدُ ابْنَةِ الْـحَارِثِ بَعْــدُ وَاتَّـصَلْ

الشرح:

يعني: وغزوة دومة الجندل[1] كانت قبل غزوة بني المصطلق وذلك في ربيع الأول من السنة الخامسة.

وحصل أيضا في شعبان في هذه السنة الخامسة متصلاً بغزوة بني المصطلق عقد النبي ﷺ على أم المؤمنين جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

غزوة دومة الجندل

بلغ رسول الله ﷺ أن بدومة الجندل جمعاً كثيراً من القبائل وأنهم يظلمون من مرَّ بهم وينهبون ما معهم وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة لمهاجمتها.

فندب النبي ﷺ الناس واستخلف على المدينة سِبَاع بن عُرفُطة الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وخرج رسول الله ﷺ في ألف من المسلمين فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار ومعه دليل ماهر من بني عذرة يقال له: (مَذْكور) فلما دنوا من دومة الجندل هجموا على ماشيتهم ورعاتهم فأصابوا ما أصابوا منهم وهرب من هرب في كل وجه فلما علم أهل دومة الجندل

---

(١)دومة الجندل بضم الدال وفتحها، وهي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وبعدها من المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة، وهي أرض نخل وزرع، يسقون على النواضح، وحولها عيون قليلة، وزرعهم الشعير، وهي مدينة عليها سور، ولها حصن عادي مشهور في العرب، قيل: والدومة مجتمع الشيء ومستداره، فكأنها سميت دومة لأن مكانها مستدار للجندل، وقيل: سميت بدومى بن اسماعيل كان نزلها."الرصف لما روي عن ﷺ من الفعل والوصف (٤٥٤/٢)"تاريخ الخميس" (٤٦٩/١)، "سير أعلام النبلاء" (٤٤٤/١).

تفرقوا ونزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد أحداً بها فأقام بها أياماً وبث السرايا وفرقها فرجعت ولم تصب منهم أحداً وأُخذ منهم رجل فسأله رسول الله ﷺ عنهم فقال: هربوا حين سمعوا أنك أخذت نَعْمَهُم فعرض عليه الإسلام فأسلم ثم رجع رسول الله ﷺ ولم يلق كيدا.(١)

من مميزات هذه الغزوة :

١- أنها كانت أول غزوة بعيدة عن المدينة من جهة الشام بينها وبين دمشق مسيرة خمس ليال فكانت إرهابا لقيصر وجنده وإعلانا عن دعوة الإسلام بين سكان تلك البوادي .

٢- سيرهم هذه المسافات الطويلة كانت تدريباً لهم على الفتوحات العظمى في بلاد آسيا وأفريقيا فيما بعد.



---

(١)راجع في غزوة دومة الجندل: "مغازي الواقدي" (٤٠٢/١)، "سيرة ابن هشام" (٢١٣/٢)، "زاد المعاد" (٢٢٨/٣)،"تاريخ الطبري"(٥٦٤/٢)، "المنتظم" (٢١٥/٣)، "تاريخ الإسلام" (٢٥٧/٢)، "البداية والنهاية" (١٠٥/٤)، "الطبقات الكبرى" (٤٧/٢)، "سير أعلام النبلاء" (٤٤٤/١)، "الإشارة" (ص:٢٤٩)، "السيرة النبوية" لابن حبان (٢٥١/١)، "جوامع السيرة" (ص:١٤٧)، "دلائل النبوة" للبيهقي (٣٨٩/٣)، "الروض الأنف"(١٩٤/٦)،"عيون الأثر"(٨١/٢)،"الفصول في السيرة" (ص:١٦٣)، "المقتفى" (ص:١٥٥)، "إمتاع الأسماع" (٣٦٧/٨)، "بهجة المحافل" (٢٩٦/١)،"سبل الهدى"(٣٤٢/٤)، "تاريخ الخميس" (٤٦٩/١)، "السيرة الحلبية" (٣٧٥/٢)، "شرح الزرقاني على المواهب" (٥٣٩/٢)، "مستعذب الإخبار" (ص:٢٦٣)، "اللؤلؤ المكنون" (٦٢/٣)، "الرصف" (٤٥٤/٢)، "موسوعة الغزوات الكبرى" (٧٩/٣)، "العقد الثمين" (٣٩٣/١)،"الأغصان الندية" (٢٧٣)، "معجم البلدان"(٤٨٧/٢)، "مراصد الاطلاع"(٥٤٢/٢)، "معجم المعالم الجغرافية" (ص:١٢٧)، "أنساب الأشراف" للبلاذري (٣٤١/١).

أم المؤمنين جويرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

هي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة، وجذيمة هُوَ الْمُصْطَلِق من خزاعة، زوج النَّبِيّ ﷺ، سباها رَسُول اللَّهِ ﷺ يوم المريسيع، وهي غزوة بني الْمُصْطَلِق فِي سنة خمس من التاريخ. وقيل: فِي سنة ست، ولم يختلفوا أنه أصابها فِي تلك الغزوة، وكانت قبله تحت مسافع بْن صفوان المصطلقي، فقتل يوم المريسيع كافرا. وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس بْن شماس أَوِ ابْن عم له، فكاتبته عَلَى نفسها، على تسع أواقي ذهب، فأتت النبي ﷺ تَطْلُبُ مِنْهُ إِعَانَةً فِي فَكَاكِ نَفْسِهَا فَقَالَ:«أوخير مِنْ ذَلِكَ؟ أَتَزَوَّجُكِ». فَأَسْلَمَتْ وَتَزَوَّجَ بِهَا وَأَطْلَقَ لَهَا الأُسَارَى مِنْ قَوْمِهَا. وكان أبوها سيدا مطاعا، وكانت امرأة جميلة، قالت عائشة: «كانت جويرية عليها حلاوة وملاحة، لا يكاد يراها أحد إلا وقعت فِي نفسه». وكان اسمها برة فغيره النبي ﷺ إلى جويرية. كما في مسلم(٢١٤٠) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَتْ جُوَيْرِيَةُ اسْمُهَا بَرَّةُ فَحَوَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اسْمَهَا جُوَيْرِيَةَ، وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُقَالَ: خَرَجَ مِنْ عِنْدَ بَرَّةَ .

حديث زواج الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها

عَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ، وَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلَاحَةً لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي فَكَرِهْتُهَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَرَى مِنْهَا مَا رَأَيْتُ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ سَيِّدِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ، فَوَقَعْتُ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ، فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِي، فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَى كِتَابَتِي. قَالَ: «فَهَلْ لَكِ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟». قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَقْضِي

كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ» قَالَتْ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ». قَالَتْ: وَخَرَجَ الْخَبَرُ إِلَى النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ، فَقَالَ النَّاسُ: أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ، قَالَتْ: فَلَقَدْ أَعْتَقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِائَةَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا. أخرجه أحمد (٢٦٣٦٥)، وحسنه شيخنا الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"(٢/٥١٦)(١٦٢٠) والألباني في "إرواء الغليل" (٥/٣٧) (١٢١٢)

وبسبب زواجها هدى الله أكثر بني المصطلق للإسلام، فقد أسلم أبوها الحارث فخرج داعياً لقومه إلى الإسلام فأسلموا.

من مناقبها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

كانت كثيرة الذكر والصيام والعبادة فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ جُوَيْرِيَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ». صحيح مسلم (٢٧٢٦)

وعَنْ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الجُمُعَةِ وَهِيَ صَائِمَةٌ، فَقَالَ: «أَصُمْتِ أَمْسِ؟» قَالَتْ: لاَ، قَالَ: «تُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غَدًا؟» قَالَتْ: لاَ، قَالَ: «فَأَفْطِرِي». صحيح البخاري(١٩٨٦)

وفاتها: توفيت سنة خمسين من الهجرة ، وقيل: ست وخمسين، وعمرها خمس وستون سنة وقيل: سبعين سنة.[١]

---

(١) "الطبقات الكبرى" (٨/٩٢)، "سيرة ابن هشام" (٢/٢٩٤)، "سيرة ابن اسحاق" (ص:٢٦٣)، "معرفة الصحابة"لابن منده (ص:٩٦٢)، "معرفة الصحابة" لأبي نعيم (٦/٣٢٢٩)، "الاستيعاب" (٤/١٨٠٤)، "أسد الغابة" (٧/٥٧)،"تهذيب الكمال"(٣٥/١٤٥)، "الإصابة" (٨/٧٢)، "الأعلام" للزركلي (٢/١٤٨)، "نساء النبي ﷺ"(١٠٧)، "التكميل في الجرح والتعديل" (٤/٢٢١)، "الإشارة" (٢٥٧)، "شرح الزرقاني=

عقد ريحانة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وغزوة بني لحيان

٧٠- وَعَــقْدُ رَيْحَانَةَ فِي ذِي الخَامِسَهْ ثُمَّ بَنُو لِحْيَانَ بَدْءَ السَّادِسَهْ

الشرح:

يعني: وفي هذه السنة الخامسة كان عقد رسول الله ﷺ على ريحانة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهذا على قول أن رسول الله ﷺ أعتقها وتزوجها وهو قول الواقدي وجماعة واختاره الناظم، ومضى ابن إسحاق وجماعة على أنها ملك يمين[1].

وفي السنة السادسة كانت غزوة بني لحيان في ربيع الأول، وقيل: في جمادى الأولى.

ريحانة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

هي ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خُنَافَة بن شمعون بن زيد، إحدى نساء بني قريظة على الأصح، وقيل: بل هي من بني النضير، سبيت يوم بني قريظة. كانت عند رجل من بني قُرَيْظَةَ، يقال له، الحكم، فسباها النبيُّ ﷺ ثم أعتقها وتزوَّجها في سنة ست، وهذا قول الواقدي وجماعة.

=على المواهب» (٤/٤٢٤)، «سير أعلام النبلاء» (٣/٥٠٥)، «الوافي بالوفيات» (١١/١٧٤)، «قلادة النحر» (١/٣٧١)، «أنساب الأشراف» (١/٤٤١)، «الأغصان الندية» (ص:٢٧٨)، «الروض الأنف»(٦/٤٠٥)، «المقتفى» (ص:١٠٥)، «إمتاع الأسماع» (١/٢٠٥، ٦/٨٢)، «سبل الهدى والرشاد» (١١/٢١٠)، «مرويات غزوة بني المصطلق»(ص:١١٣)، «مرويات الإمام الزهري في المغازي» (١/٤٧٥)، «اللؤلؤ المكنون» (٣/٨٩)، «المنتظم» (٥/٢٣١)، «البداية والنهاية» (٨/٤٩)، «مرآة الزمان»(٧/١٦٢).

(١)قال الفاسي في «مستعذب الإخبار»(ص:٢١٠): وريحانة بنت شمعون بن زيد بن خنافة من بني قريظة، وقيل: من بني النضير. كانت موطوءة بملك اليمين، على ما جزم به ابن إسحاق واقتصر عليه أبوعمر. قال الشامي: «وبه جزم خلائق »، وكذلك قال الحافظ «السخاوي» في كتابه «الفخر المتوالي فيمن انتسب إلى النبي ﷺ من الخدم والموالى». والذي عند الواقدي، كما نقله ابن سيد الناس: أن ريحانة هذه كانت من أزواجه ﷺ، وعليه اقتصر ابن الأثير. وقال الدمياطى: «هو الأمر عند أهل العلم».اهـ

قال ابن سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الطبقات الكبرى" (٨/ ١٠٣): قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وَهَذَا مَا رُوِيَ لَنَا فِي عِتْقِهَا وَتَزْوِيجِهَا وَهُوَ أَثْبَتُ الأَقَاوِيلِ عِنْدَنَا وَهُوَ الأَمْرُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ. وَقَدْ سَمِعْتُ مَنْ يَرْوِي أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لم يعتقها. وكان يطأها بِمِلْكِ الْيَمِينِ حَتَّى مَاتَتْ.اهـ

وفيها(٨/ ١٠٢): عَنْ عُمَرَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ: أَعْتَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَيْحَانَةَ بِنْتَ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ خَنَافَةَ. وَكَانَتْ عِنْدَ زَوْجٍ لَهَا مُحِبٍّ لَهَا مُكْرِمٌ. فَقَالَتْ: لا أَسْتَخْلِفُ بَعْدَهُ أَبَدًا. وَكَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ. فَلَمَّا سُبِيَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عُرِضَ السَّبْيُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكُنْتُ فِيمَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ فَأَمَرَ بِي فَعُزِلْتُ. وَكَانَ يَكُونُ لَهُ صَفِيٌّ مِنْ كُلِّ غَنِيمَةٍ. فَلَمَّا عُزِلَتْ خَارَ اللَّهُ لِي فَأَرْسَلَ بِي إِلَى مَنْزِلِ أُمِّ المنذر بنت قيس أَيَّامًا حَتَّى قَتَلَ الأَسْرَى وَفَرَّقَ السَّبْيَ. ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ فَتَحَيَّيْتُ مِنْهُ حَيَاءً فَدَعَانِي فَأَجْلَسَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «إِنِ اخْتَرْتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ اخْتَارَكِ رَسُولُ اللَّهِ لِنَفْسِهِ». فَقُلْتُ: إِنِّي أَخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فَلَمَّا أَسْلَمْتُ أَعْتَقَنِي رَسُولُ اللَّهِ وَتَزَوَّجَنِي وَأَصْدَقَنِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشًّا كَمَا كَانَ يُصْدِقُ نِسَاءَهُ. وَأَعْرَسَ بِي فِي بَيْتِ أُمِّ الْمُنْذِرِ. وَكَانَ يَقْسِمُ لِي كَمَا كَانَ يَقْسِمُ لِنِسَائِهِ. وَضَرَبَ عَلَيَّ الْحِجَابَ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ مُعْجَبًا بِهَا. وَكَانَتْ لا تَسْأَلُهُ إِلا أَعْطَاهَا ذَلِكَ. وَلَقَدْ قِيلَ لَهَا: لَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ رَسُولَ اللَّهِ بَنِي قُرَيْظَةَ لأَعْتَقَهُمْ. وَكَانَتْ تَقُولُ: لَمْ يَخْلُ بِي حَتَّى فَرَّقَ السَّبْيَ. وَلَقَدْ كَانَ يَخْلُو بِهَا وَيَسْتَكْثِرُ مِنْهَا. فَلَمْ تَزَلْ عِنْدَهُ حَتَّى مَاتَتْ مَرْجِعَهُ مِنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَدَفَنَهَا بِالْبَقِيعِ. وَكَانَ تَزْوِيجُهُ إِيَّاهَا فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سِتٍّ مِنَ الْهِجْرَةِ.

وفيها(٨/ ١٠٣): عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: كَانَتْ رَيْحَانَةُ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَكَانَتِ امْرَأَةً جَمِيلَةً وَسِيمَةً. فَلَمَّا قُتِلَ زَوْجُهَا وَقَعَتْ فِي السَّبْيِ فَكَانَتْ صَفِيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ. فَخَيَّرَهَا رَسُولُ اللَّهِ بَيْنَ الإِسْلامِ وَبَيْنَ دِينِهَا فَاخْتَارَتِ الإِسْلامَ. فَأَعْتَقَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَزَوَّجَهَا وَضَرَبَ عَلَيْهَا الْحِجَابَ. فَغَارَتْ عَلَيْهِ غَيْرَةً شَدِيدَةً فَطَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً وَهِيَ فِي مَوْضِعِهَا لَمْ تَبْرَحْ فَشَقَّ عَلَيْهَا وَأَكْثَرَتِ الْبُكَاءَ. فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُول اللَّه ﷺ وَهِيَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَرَاجَعَهَا. فَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى مَاتَتْ عِنْدَهُ قَبْلَ أَنْ تُوُفِّيَ ﷺ.

وقيل: وطئها بملك اليمين، وبه قال ابن إسحاق واختاره جماعة.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ اصْطَفَى لِنَفْسِهِ مِنْ نِسَائِهِمْ رَيْحَانَةَ بِنْتَ عَمْرِو بْنِ خُنَافَةَ ، إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي عَمْرِو بْنِ قُرَيْظَةَ ، فَكَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تُوُفِّيَ عَنْهَا وَهِيَ فِي مِلْكِهِ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَرَضَ عَلَيْهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا، وَيَضْرِبَ عَلَيْهَا الْحِجَابَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَلْ تَتْرُكُنِي فِي مِلْكِكَ، فَهُوَ أَخَفُّ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ، فَتَرَكَهَا. وَقَدْ كَانَتْ حِينَ سَبَاهَا قَدْ تَعَصَّتْ بِالْإِسْلَامِ، وَأَبَتْ إِلَّا الْيَهُودِيَّةَ، فَعَزَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَوَجَدَ فِي نَفْسِهِ لِذَلِكَ مِنْ أَمْرِهَا. فَبَيْنَا هُوَ مَعَ أَصْحَابِهِ، إِذْ سَمِعَ وَقْعَ نَعْلَيْنِ خَلْفَهُ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا لِثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْيَةَ يُبَشِّرُنِي بِإِسْلَامِ رَيْحَانَةَ، فَجَاءَهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَسْلَمَتْ رَيْحَانَةُ، فَسَرَّهُ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهَا. "سيرة ابن هشام" (٢/٢٤٥)

قال البيهقي في "دلائل النبوة"(٧/٢٨٧): وَكَانَتْ لَهُ وَلِيدَةٌ، يُقَالُ لَهَا رَيْحَانَةُ بِنْتُ شَمْعُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ بَنِي خَنَاقَةَ، وَهُمْ بَطْنٌ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، أَعْتَقَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا قَدِ احْتَجَبَتْ.اهـ

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ: ثَنَا أحمد بن الْمِقْدَامِ، ثَنَا زُهَيْرٌ، عَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ قال: كانت لرسول الله وليدتان، مارية القبطية وريحه أَوْ رَيْحَانَةُ بِنْتُ شَمْعُونَ بْنِ زَيْدِ بْنِ خُنَافَةَ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ قُرَيْظَةَ، كَانَتْ عند ابن عم لها يقال به عَبْدُ الْحَكَمِ فِيمَا بَلَغَنِي، وَمَاتَتْ قَبْلَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ. "البداية والنهاية" (٥/ ٣٢٧)

وقال البلاذري في "أنساب الأشراف" (١/ ٤٥٣): حدثنى محمد بن سعد، عن الأَعْرَابِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَزْهَرَ السَّمَّانَ يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ أَنَّ رَجُلا لَقِيَ رَيْحَانَةَ بِالْمَوْسِمِ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ اللَّه لم يرضك للمؤمنين أمّا. فقالت : وأنت فلم يرضك اللَّه لي ابنا.

وقال(١/ ٤٥٤): وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيُّ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَرْعَرَةَ، قَالا ثنا عَبْدُالرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ سُرِّيَّتَانِ: الْقِبْطِيَّةُ، وريحانة بنت شمعون.اهـ

وقال أبو المظفر سبط ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "مرآة الزمان" (٤/ ٢٨٨): وحكى ابن سعد عن الواقدي، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري قال: كانت ريحانة قرظية ملكها رسول الله ﷺ ثم أعتقها وتزوجها، ثم طلقها، فقالت: لا يراني أحد بعد رسول الله ﷺ. قلت: والأول أصح، ولو كانت من أزواجه لقسم لها وحجبها، إلى غير ذلك، ولم ينقل والله

أعلم.اهـ

وَكَانَ النَّبِيّ ﷺ جعلها فِي نخل لَهُ، يدعى نخل الصدقة. وَكَانَ ربما قَالَ عندها، وعندها وعك، فأتى منزل ميمونة، ثُمَّ تحول إلى بيت عائشة، ولم تزل عنده ﷺ حتى ماتت مرجعه من حجة الوداع سنة عشر، فدفنها بالبقيع[1].



غزوة بني لحيان

بنو لحيان هؤلاء هم الذين غدروا بخبيب بن عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصحابه يوم الرَّجيع وهم قوم من هذيل ديارهم متوغلة في الحجاز إلى حدود مكة.

فخرج اليهم النبي ﷺ في جمادى الأولى من السنة السادسة على الصحيح، وقيل: في ربيع الأول. وذلك ليأخذ بثأر بَعْث الرجيع، خرج في مائتين من أصحابه ومعهم عشرون فرساً واستخلف على المدينة عبدالله بن أم مكتوم وأظهر رسول الله ﷺ أنه يريد الشام؛ ليُصيب بني لِحيان غِرَّة، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى وادي غُران قريب من الحديبية في ديار بني لحيان فلما سمعوا به هربوا واحتموا في رؤوس الجبال فلم يقدر رسول الله ﷺ

---

(١)انظر: "دلائل النبوة" للبيهقي (٢٤/٤)، "مغازي الواقدي" (٥٢٠/٢)، "مستعذب الإخبار" (ص:٢١٠)، "السيرة الحلبية" (٤٥٧/٢)، "الإصابة" (١٤٦/٨)، "سيرة ابن هشام"(٢٤٥/٢)، "الطبقات الكبرى" (١٠٢/٨)، "المعرفة والتاريخ"(٢٦٩/٣)، "أسد الغابة"(١٢١/٧)، "البداية والنهاية"(٣١٧/٥)، "الاستيعاب" (١٨٤٧/٤)، "أنساب الأشراف"(٤٥٣/١) "تلقيح فهوم أهل الأثر" (ص:٢٥)، "الأنس الجليل" (١٩٩/١)، "مرآة الزمان" (٢٨٨/٤)، "نزهة الأفكار في شرح قرة الأبصار" (٢٧١/١)، "المحبر" (٩٤)، "المقتفى" (ص:١٠٦)، "إمتاع الأسماع" (٢٥٢/١) (١٣١/٦)، "سبل الهدى والرشاد" (١٥/٥)، "الإشارة" (ص:٢٦٣)، شرح الزرقاني على المواهب (٨٨/٣)، "الرصف" (٤٥/٢)، "الأعلام" للزركلي (٣٨/٣)، "جامع الأصول" (١٠٣/١٢، ١٠٦)، "السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة" (٤١٠/٢)، "فقه السيرة النبوية" لمنير الغضبان (ص:٦٧٠)، "اللؤلؤ المكنون" (٢١٤/٣).

على أحد منهم وأقام بأرضهم يومًا أو يومين وبعث السرايا في كل ناحية فلم يقدروا على أحد منهم، ثم سار إلى عُسْفان، فبعث عشرة فوارس إلى كُراع الغميم لتسمع به قريش، ثم رجع إلى المدينة، وكانت غيبته عنها أربع عشرة ليلة(١).



(١) "الأغصان الندية" (ص:٣١٣)، وانظر: "الإشارة" (ص:٢٦٥)، "مغازي الواقدي" (٥٣٥/٢)، "سيرة ابن هشام" (٢٧٩/٢)، "جوامع السيرة" (ص:١٥٩)، "دلائل النبوة" للبيهقي (٣٦٤/٣)، "زاد المعاد" (٢٤٦/٣)، "عيون الأثر" (١١٩/٢)، "الروض الأنف" (٢٩٠/٦)، "الاكتفاء" (٤٤٨/١)، "الفصول" (١٧٧)، "المقتفى" (ص:١٦٢)، "سبل الهدى والرشاد" (٣٠/٥)، "تاريخ الخميس" (٣/٢)، "السيرة الحلبية" (٣/٣)، "سير أعلام النبلاء" (٤٣٨/١)، "شرح الزرقاني على المواهب" (١٠٦/٣)، "مستعذب الإخبار" (ص:٢٧٥)، "إنارة الدجى" (ص:٤٠٩)، "تاريخ الطبري" (٥٩٥/٢)، "الكامل في التاريخ" (٧٣/٢)، "تاريخ الإسلام" (٢٤٥/٢)، "البداية والنهاية" (٩٣/٤)، "العقد الثمين" (٣٩٦/١)، "اللؤلؤ المكنون" (٢٣١/٣)، "مرويات الإمام الزهري في المغازي" (٥٣٦/١).

استسقاؤه ﷺ وغزوة ذي قرد وصلح الحديبية

٧١- وَبَـعْـدَهُ اسْتِسْـقَـاؤُهُ وَذُو قَــرَدْ   وَصُــدَّ عَنْ عُمْــرتِهِ لَمَّــا قَـصَدْ

الشرح:

يعني: وفي هذه السنة السادسة استسقى النبي ﷺ في غزوة غزاها جعلها بعضهم من أحداث شهر رمضان للسنة السادسة من الهجرة.

قال أبو السعادات ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "جامع الأصول"(١٢/٩٤): وفي السنة السادسة كانت غزوة الحُدَيبيّة، وحديث الإفك... وفيها استسقى النبيُّ ﷺ.اهـ

وقال ابن العطار رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "العدة في شرح العمدة"(٢/٧٤٠): واعلم أن خروجه ﷺ إلى المصلى للاستسقاء المذكور في أول شهر رمضان سنة ست من الهجرة.اهـ

وقال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "عمدة القاري" (٧/٣٤): وَذكر ابْن حبَان: كَانَ خُرُوجه ﷺ إِلَى الْمصلى للاستسقاء فِي شهر رَمَضَان سنة سِتّ من الْهِجْرَة.اهـ[١]

وقد ورد في خبرها حديث ضعيف عند الإمام أبي عوانة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "مستخرجه" (٧/٦٥)(٢٥٦٨) عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ نزل وادياً دَهْسَا لا ماء فيه وسبقه المشركون إلى القلاب فنزلوا عليها وأصاب العطش المسلمون فشكوا إلى رسول الله ﷺ ونَجَم النفاق فقال بعض المنافقين: لو كان نبياً كما يزعم لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: أَوَقالوها، عسى ربكم أن يسقيكم ثم بسط يديه وقال: «اللَّهُمَّ جللنا سحاباً كثيفاً قصيفاً دَلوفاً خلوفاً ضحوكاً زِبْرِجاً تمطرنا منه رذاذاً قِطْقَطاً سَجْلاً بُعَاقاً يا ذا الجلال والإكرام». فما رد يديه حتى أضلتنا السحابة التي وصف تتلون في كل صفة وصف رسول الله ﷺ من صفات السحاب ثم أمطرنا كالضُّروب التي سألها رسول الله ﷺ فأنعم السيل الوادي وارتووا.

---

(١)وكذا في "فتح الباري"(٢/٤٩٩)، "المواهب اللدنية" (٣/٣٦٣)، "البدر التمام شرح بلوغ المرام" (٤/٨٧)، "نيل الأوطار" (٤/٧)، "مرعاة المفاتيح" (٥/١٧٠).

وهذا الحديث في سنده عبدالله البلوي وهو ضعيف. ذكر الذهبي عن الدارقطني قوله فيه: يضع الحديث، ثم قال: روى عنه أبو عوانة في الاستسقاء خبرا موضوعا.

وقال الحافظ ابن حجر: وهو صاحب رحلة الشافعي، طَوَّلَهَا ونَمَّقها، وغالب ما أورده فيها مختلق. وقال الحافظ أيضا: فيه ألفاظ غريبة كثيرة وسنده واهي.(١)

والخلاصة: أنه ليس لما ذكر المصنف من تعيين سنة استسقائه ﷺ خبر صحيح وإنما هو اختيار كثير من أهل السير.



غزوة ذي قرد(٢)

قوله: «وذو قرد»:

يعني: وفي هذه السنة كانت غزوة ذي قرد ، هذا قول جمهور أهل السير واختاره الناظم.

والصحيح أنها من أحداث السنة السابعة في محرم قبل غزوة خيبر بثلاثة أيام ويدل عليه قول سلمة في حديثه عن غزوة ذي قرد:« فوالله ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ»، وهي أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ بعد الحديبية، وقبل خيبر.(٣)

---

(١) "لسان الميزان"(٣/٣٣٨)، "الميزان" (٣/٢٠٥) ، "التلخيص الحبير" (٢/١٠٦).

(٢) هُوَ بِفَتْحِ الْقَافِ والراء وبالدال الْمُهْمَلَةِ وَهُوَ مَاءٌ عَلَى نَحْوِ يَوْمٍ مِنَ الْمَدِينَةِ مِمَّا يَلِي بِلَادَ غَطَفَانَ. وَيُقَال: على مسيرَة لَيْلَتَيْنِ من الْمَدِينَة بَينهَا وَبَين خَيْبَر على طَرِيق الشَّام، والقرد فِي اللُّغَة: الصُّوف الرَّدِيء خَاصَّة، وَتسَمى: غَزْوَة الغابة. "شرح النووي على مسلم" (١٢/١٧٣)، "عمدة القاري" (١٧/٢٣٢).

(٣) وهو قول البخاري في "صحيحه" (٥/١٣٠)، والبغوي في "شرح السنة" (١٤/١٧)، والحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية" (٤/٥٤١)، واختاره ابن حجر في "فتح الباري"(٧/٤٦١): وقال: فَعَلَى هَذَا مَا فِي الصَّحِيح مِنَ التَّارِيخِ لِغَزْوَةِ ذِي قَرَدٍ أَصَحُّ مِمَّا ذَكَرَهُ أَهْلُ السِّيَرِ.اهـ، وابن القيم في "زاد المعاد" (٣/٢٤٩)، قال: وهذه الغزوةُ كانت بعد الحديبية، وقد وَهِمَ فيها جماعة من أهل المغازي والسير، فذكروا أنها كانت=

سببها:

كان لرسول الله ﷺ عشرون لِقحة ترعى بالغابة وكان عليها رجل من غفار ومعه امرأته فأغار عليهم عبدالرحمن بن عيينة بن حصن الفزاري فقتلوا الرجل وأسروا امرأته واستاقوا اللقاح وكان أول خارج في طلبهم سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تفاصيل الغزوة

عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ، يَقُولُ: خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤَذَّنَ بِالْأُولَى، وَكَانَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَرْعَى بِذِي قَرَدٍ، قَالَ: فَلَقِيَنِي غُلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ: أُخِذَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: مَنْ أَخَذَهَا؟ قَالَ: غَطَفَانُ، قَالَ: فَصَرَخْتُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ، يَا صَبَاحَاهْ، قَالَ: فَأَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلَى وَجْهِي حَتَّى أَدْرَكْتُهُمْ بِذِي قَرَدٍ، وَقَدْ أَخَذُوا يَسْقُونَ مِنَ الْمَاءِ، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِنَبْلِي، وَكُنْتُ رَامِيًا، وَأَقُولُ:

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ ... وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ

فَأَرْتَجِزُ حَتَّى اسْتَنْقَذْتُ اللِّقَاحَ مِنْهُمْ، وَاسْتَلَبْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً، قَالَ: وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَالنَّاسُ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي قَدْ حَمَيْتُ الْقَوْمَ الْمَاءَ وَهُمْ عِطَاشٌ، فَابْعَثْ إِلَيْهِمِ السَّاعَةَ،

= قبل الحديبية.اهـ ، وصفي الرحمن المباركفوري في «الرحيق المختوم» (ص:٣٣١): قال: وذكر الجمهور من أهل المغازي أنها كانت قبل الحديبية وما في الصحيح أصح مما ذكره أهل المغازي.اهـ

وقال العلي في «صحيح السيرة النبوية» (ص:٣٣٠): اختلف في وقتها على قولين:

١ - قول للإمام البخاري بأنها قبل خيبر بثلاث -يعني ليال- أي بعد الحديبية، وجزم بذلك، ورجح ذلك الإمام ابن حجر العسقلاني في «الفتح»،وأيده في ذلك البيهقي في «الدلائل»، وابن القيم في «زاد المعاد».

٢ - أما أصحاب المغازي والسير فيذكرون أنها قبل الحديبية، وعلى ذلك ابن إسحاق، وابن سعد، ومحمد ابن عمر الواقدي. وما في الصحيح أصح من قول أصحاب المغازي والسير؛ لأن له مستند من حديث سلمة بن الأكوع الذي أخرجه مسلم من طريقه فقال: فرجعنا أي من الغزوة إلى المدينة، فوالله ما لبثنا بالمدينة إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر.اهـ

فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْأَكْوَعِ مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ»، قَالَ: ثُمَّ رَجَعْنَا وَيُرْدِفُنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى نَاقَتِهِ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ. متفق عليه [البخاري (٤١٩٤) مسلم (١٨٠٦)]

وفي رواية لمسلم(١٨٠٧) قال: ثُمَّ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِظَهْرِهِ مَعَ رَبَاحٍ غُلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَنَا مَعَهُ، وَخَرَجْتُ مَعَهُ بِفَرَسِ طَلْحَةَ أُنَدِّيهِ مَعَ الظَّهْرِ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَزَارِيُّ قَدْ أَغَارَ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاسْتَاقَهُ أَجْمَعَ، وَقَتَلَ رَاعِيَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَبَاحُ، خُذْ هَذَا الْفَرَسَ فَأَبْلِغْهُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ، وَأَخْبِرْ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَغَارُوا عَلَى سَرْحِهِ، قَالَ: ثُمَّ قُمْتُ عَلَى أَكَمَةٍ، فَاسْتَقْبَلْتُ الْمَدِينَةَ، فَنَادَيْتُ ثَلَاثًا: يَا صَبَاحَاهْ، ثُمَّ خَرَجْتُ فِي آثَارِ الْقَوْمِ أَرْمِيهِمْ بِالنَّبْلِ وَأَرْتَجِزُ، أَقُولُ:

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ

فَأَلْحَقُ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصُكُّ سَهْمًا فِي رَحْلِهِ، حَتَّى خَلَصَ نَصْلُ السَّهْمِ إِلَى كَتِفِهِ، قَالَ: قُلْتُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ قَالَ: فَوَاللهِ، مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ وَأَعْقِرُ بِهِمْ، فَإِذَا رَجَعَ إِلَيَّ فَارِسٌ أَتَيْتُ شَجَرَةً، فَجَلَسْتُ فِي أَصْلِهَا، ثُمَّ رَمَيْتُهُ فَعَقَرْتُ بِهِ، حَتَّى إِذَا تَضَايَقَ الْجَبَلُ، فَدَخَلُوا فِي تَضَايُقِهِ، عَلَوْتُ الْجَبَلَ فَجَعَلْتُ أُرَدِّيهِمْ بِالْحِجَارَةِ، قَالَ: فَمَا زِلْتُ كَذَلِكَ أَتْبَعُهُمْ حَتَّى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ بَعِيرٍ مِنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا خَلَّفْتُهُ وَرَاءَ ظَهْرِي، وَخَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، ثُمَّ اتَّبَعْتُهُمْ أَرْمِيهِمْ حَتَّى أَلْقَوْا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً، وَثَلَاثِينَ رُمْحًا، يَسْتَخِفُّونَ وَلَا يَطْرَحُونَ شَيْئًا إِلَّا جَعَلْتُ عَلَيْهِ آرَامًا مِنَ الْحِجَارَةِ يَعْرِفُهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى أَتَوْا مُتَضَايِقًا مِنْ ثَنِيَّةٍ، فَإِذَا هُمْ قَدْ أَتَاهُمْ فُلَانُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ، فَجَلَسُوا يَتَضَحَّوْنَ - يَعْنِي يَتَغَدَّوْنَ - وَجَلَسْتُ عَلَى رَأْسِ قَرْنٍ، قَالَ الْفَزَارِيُّ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَى؟ قَالُوا: لَقِينَا مِنْ هَذَا الْبَرْحَ، وَاللهِ، مَا فَارَقَنَا مُنْذُ غَلَسٍ يَرْمِينَا حَتَّى انْتَزَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا، قَالَ: فَلْيَقُمْ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْكُمْ أَرْبَعَةٌ، قَالَ: فَصَعِدَ إِلَيَّ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ فِي الْجَبَلِ، قَالَ: فَلَمَّا أَمْكَنُونِي مِنَ الْكَلَامِ، قَالَ: قُلْتُ: هَلْ تَعْرِفُونِي؟ قَالُوا: لَا، وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ، وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ، لَا أَطْلُبُ رَجُلًا مِنْكُمْ إِلَّا أَدْرَكْتُهُ، وَلَا يَطْلُبُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ فَيُدْرِكَنِي، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَنَا أَظُنُّ، قَالَ: فَرَجَعُوا، فَمَا بَرِحْتُ مَكَانِي حَتَّى رَأَيْتُ فَوَارِسَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ، قَالَ: فَإِذَا أَوَّلُهُمُ الْأَخْرَمُ الْأَسَدِيُّ، عَلَى إِثْرِهِ أَبُو قَتَادَةَ

الْأَنْصَارِيُّ، وَعَلَى إِثْرِهِ الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيُّ، قَالَ: فَأَخَذْتُ بِعِنَانِ الْأَخْرَمِ، قَالَ: فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، قُلْتُ: يَا أَخْرَمُ، احْذَرْهُمْ لَا يَقْتَطِعُوكَ حَتَّى يَلْحَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، قَالَ: يَا سَلَمَةُ، إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ، قَالَ: فَخَلَّيْتُهُ، فَالْتَقَى هُوَ وَعَبْدُالرَّحْمَنِ، قَالَ: فَعَقَرَ بِعَبْدِالرَّحْمَنِ فَرَسَهُ، وَطَعَنَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ، وَتَحَوَّلَ عَلَى فَرَسِهِ ، وَلَحِقَ أَبُو قَتَادَةَ فَارِسُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ، فَوَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَتَبِعْتُهُمْ أَعْدُو عَلَى رِجْلَيَّ حَتَّى مَا أَرَى وَرَائِي مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَا غُبَارِهِمْ شَيْئًا حَتَّى يَعْدِلُوا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى شِعْبٍ فِيهِ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ: ذَو قَرَدٍ لِيَشْرَبُوا مِنْهُ وَهُمْ عِطَاشٌ، قَالَ: فَنَظَرُوا إِلَيَّ أَعْدُو وَرَاءَهُمْ، فَخَلَّيْتُهُمْ عَنْهُ - يَعْنِي أَجْلَيْتُهُمْ عَنْهُ - فَمَا ذَاقُوا مِنْهُ قَطْرَةً، قَالَ: وَيَخْرُجُونَ فَيَشْتَدُّونَ فِي ثَنِيَّةٍ، قَالَ: فَأَعْدُو فَأَلْحَقُ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصُكُّهُ بِسَهْمٍ فِي نُغْضِ كَتِفِهِ، قَالَ: قُلْتُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ قَالَ: يَا ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ، أَكْوَعُهُ بُكْرَةَ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ، أَكْوَعُكَ بُكْرَةَ، قَالَ: وَأَرْدَوْا فَرَسَيْنِ عَلَى ثَنِيَّةٍ، قَالَ: فَجِئْتُ بِهِمَا أَسُوقُهُمَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: وَلَحِقَنِي عَامِرٌ بِسَطِيحَةٍ فِيهَا مَذْقَةٌ مِنْ لَبَنٍ، وَسَطِيحَةٍ فِيهَا مَاءٌ، فَتَوَضَّأْتُ وَشَرِبْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي حَلَّأْتُهُمْ عَنْهُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ أَخَذَ تِلْكَ الْإِبِلَ وَكُلَّ شَيْءٍ اسْتَنْقَذْتُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَكُلَّ رُمْحٍ وَبُرْدَةٍ، وَإِذَا بِلَالٌ نَحَرَ نَاقَةً مِنَ الْإِبِلِ الَّذِي اسْتَنْقَذْتُ مِنَ الْقَوْمِ، وَإِذَا هُوَ يَشْوِي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ كَبِدِهَا وَسَنَامِهَا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، خَلِّنِي فَأَنْتَخِبُ مِنَ الْقَوْمِ مِائَةَ رَجُلٍ فَأَتَّبِعُ الْقَوْمَ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ مُخْبِرٌ إِلَّا قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فِي ضَوْءِ النَّارِ، فَقَالَ: «يَا سَلَمَةُ، أَتُرَاكَ كُنْتَ فَاعِلًا؟» قُلْتُ: نَعَمْ، وَالَّذِي أَكْرَمَكَ، فَقَالَ: «إِنَّهُمُ الْآنَ لَيُقْرَوْنَ فِي أَرْضِ غَطَفَانَ»، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ غَطَفَانَ، فَقَالَ: نَحَرَ لَهُمْ فُلَانٌ جَزُورًا فَلَمَّا كَشَفُوا جِلْدَهَا رَأَوْا غُبَارًا، فَقَالُوا: أَتَاكُمُ الْقَوْمُ، فَخَرَجُوا هَارِبِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ»، قَالَ: ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ سَهْمَيْنِ سَهْمَ الْفَارِسِ، وَسَهْمَ الرَّاجِلِ، فَجَمَعَهُمَا لِي جَمِيعًا، ثُمَّ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَرَاءَهُ عَلَى الْعَضْبَاءِ رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ، قَالَ: وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يُسْبَقُ شَدًّا،

قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ: «أَلَا مُسَابِقٌ إِلَى الْمَدِينَةِ؟ هَلْ مِنْ مُسَابِقٍ؟» فَجَعَلَ يُعِيدُ ذَلِكَ قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَهُ، قُلْتُ: أَمَا تُكْرِمُ كَرِيمًا، وَلَا تَهَابُ شَرِيفًا، قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي وَأُمِّي، ذَرْنِي فَلِأُسَابِقَ الرَّجُلَ، قَالَ: «إِنْ شِئْتَ»، قَالَ: قُلْتُ: اذْهَبْ إِلَيْكَ وَثَنَيْتُ رِجْلَيَّ، فَطَفَرْتُ فَعَدَوْتُ، قَالَ: فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا - أَوْ شَرَفَيْنِ - أَسْتَبْقِي نَفَسِي، ثُمَّ عَدَوْتُ فِي إِثْرِهِ، فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا - أَوْ شَرَفَيْنِ -، ثُمَّ إِنِّي رَفَعْتُ حَتَّى أَلْحَقَهُ ، قَالَ: فَأَصُكُّهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: قُلْتُ: قَدْ سُبِقْتَ وَاللهِ، قَالَ: أَنَا أَظُنُّ، قَالَ: فَسَبَقْتُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ: فَوَاللهِ، مَا لَبِثْنَا إِلَّا ثَلَاثَ لَيَالٍ حَتَّى خَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.(١)



قوله: «وصُدَّ عن عمرته لما قصد»

يعني: منع النبي ﷺ عن العمرة لما قصد مكة معتمراً، فمنعته قريش من دخولها تلك السنة، وصالحوه على أن يرجع ثم يأتي من السنة القادمة، وكان خرج عليه الصلاة والسلام في السنة السادسة في ألف ونيف من أصحابه، وكان هذا أول صلح صالح النبي ﷺ المشركين وهو ما يعرف بصلح الحديبية، وكان فتحاً عظيماً للإسلام والمسلمين.

وكان هذا الصلح في ذي القعدة من السنة السادسة بإجماع العلماء.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "المجموع"(١٠٤/٧): وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الْحُدَيْبِيَةَ كَانَتْ سَنَةَ سِتٍّ مِنْ الْهِجْرَةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ.اهـ

---

(١) وانظر: "سيرة ابن هشام"(٢٨١/٢)، "السيرة النبوية" لابن حبان (٢٨٨/١)، "جوامع السيرة" (١٥٩)، "الدلائل" للبيهقي (١٧٠/٣)، "الروض الأنف" (٥/٧)، "الاكتفاء" (٤٤٩/١)، "عيون الأثر" (١٢٠/٢)، "الفصول في السيرة" (ص:١٧٨)، "المقتفى" (ص:١٦٤)، "بهجة المحافل" (٣٢٧/١)، "سبل الهدى" (٩٥/٥)، "السيرة الحلبية" (٤/٣)، "شرح الزرقاني على المواهب" (١٠٩/٣)، "البداية والنهاية" (١٧٠/٤)، "تاريخ الإسلام" (٣٣٣/٢)، "تاريخ الطبري"(٥٩٦/٢)، "اللؤلؤ المكنون" (٣٨٦/٣).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "البداية والنهاية" (١٨٨/٤): غزوة الحديبية وَقَدْ كَانَتْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سِتٍّ بِلَا خِلَافٍ. وَمِمَّنْ نصَّ عَلَى ذَلِكَ الزُّهْرِيُّ وَنَافِعٌ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ، وقَتَادَةُ وَمُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ وَغَيْرُهُمْ. وَهُوَ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ لَهِيعَةَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ عُرْوَةَ أَنَّهَا كَانَتْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سِتٍّ.اهـ

ونقله كذلك الحافظ في "التلخيص الحبير" (١٦٩/٤)، والعيني في "عمدة القاري" (١٣٧/٦)، وابن رسلان في "شرح سنن أبي داود" (٥٦٩/٨)، وغيرهم.

مختصر صلح الحديبية[١]

في شهر ذي القعدة من السنة السادسة من الهجرة خرج رسول الله ﷺ في ألف وخمسمائة من أصحابه إلى مكة معتمرًا، حيث أحرم وساق الهدي وأشعره، فلما علمت قريش بذلك تهيأت لحرب المسلمين وصدهم ، وحين بلغ رسول الله ﷺ ذلك تفادى الصدام معهم وحوّل طريقه عن مقاتليهم حتى وصل الحديبية، وبركت ناقته فقال الناس: خلأت القصواء. فقال النبي ﷺ: «ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل». ثم قال: «والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها»[٢]. ثم عسكر رسول الله ﷺ في الحديبية، فقامت قريش بإرسال عدة رسل لمفاوضة رسول الله ، حتى انتهى الأمر إلى سهيل بن عمرو الذي عقد مع رسول الله

---

(١)قال السهيلي في "الروض الأنف"(٥١/٧): يُقَالُ فِيهَا: الْحُدَيْبِيَةُ بِالتّخْفِيفِ وَهُوَ الْأَعْرَفُ عِنْدَ أَهْلِ الْعَرَبِيّةِ. قَالَ الْخَطّابِيّ: أَهْلُ الْحَدِيثِ يَقُولُونَ الْحُدَيْبِيّةُ بِالتّشْدِيدِ وَالْجِعِرّانَةُ كَذَلِكَ، وَأَهْلُ الْعَرَبِيّةِ يَقُولُونَهُمَا: بِالتّخْفِيفِ وَقَالَ الْبَكْرِيّ: أَهْلُ الْعِرَاقِ يُشَدّدُونَ الرّاءَ وَالْيَاءَ فِي الْجِعْرَانَةِ وَالْحُدَيْبِيَةِ وَأَهْلُ الْحِجَازِ يُخَفّفُونَ وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ النّحّاسُ: سَأَلْت كُلّ مَنْ لَقِيته مِمّنْ أَثِقُ بِعِلْمِهِ عَنْ الْحُدَيْبِيَةِ فَلَمْ يَخْتَلِفُوا عَلَى أَنّهَا بِالتّخْفِيفِ.اهـ، وقال العراقي في "طرح التثريب" (٢٠٧/٧): وَالصَّوَابُ تَخْفِيفُهَا، وَهِيَ قَرْيَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ مَكَّةَ سُمِّيَتْ بِبِئْرٍ فِيهَا. اهـ وتقع الحديبية الآن غرب مكة على بعد (٢٢) كيلاً على الطريق إلى جدة، وقد تغير اسمها إلى الشميسي. "معجم المعالم الجغرافية" (٩٤)

(٢) "صحيح البخاري" (٢٧٣١).

ﷺ صلح الحديبية نيابة عن قريش، وقد تم الاتفاق على البنود التالية:

١ - تضع الحرب أوزارها بين المسلمين وقريش مدة عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض.

٢ - أنه من أتى رسول الله ﷺ من قريش بغير إذن وليه يرده على قريش، ومن أتى قريشًا ممن مع رسول الله ﷺ لم يردوه عليه.

٣ - أنه من أحب أن يدخل في عقد محمَّد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش دخل فيه.

٤ - أن يرجع المسلمون هذا العام دون أن يدخلوا مكة على أن يأتوها معتمرين العام القادم[1].



(١) "صحيح الأثر وجميل العبر" (ص:٢٣٤- ٢٣٥) "السيرة النبوية الصحيحة" (٤٣٤/٢)، "زاد المعاد" (٢٥٥/٣)، "ذخيرة العقبى" (٢٧٢/٢٣)، "سير أعلام النبلاء" (٢٠/٢) "دلائل النبوة" للبيهقي" (٩١/٤) "جوامع السيرة" (ص:١٦٤)، "الفصول" (ص:١٨٤)، "حدائق الأنوار"(ص:٦٩)، "تاريخ الخميس" (١٦/٢)، "إمتاع الأسماع" (٢٧٥/١)، "المقتفى" (ص:١٧٨)، "المواهب اللدنية" (٣١٦/١)، "التوضيح لشرح الجامع الصحيح" (٤٠/١٢).

بيعة الرضوان وبناؤه ﷺ بريحانة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

٧٢- وَبَيْعَةُ الرِّضْوَانِ أَوَّلْ وَبَنَى ... فِيهَا بِرَيْحَانَةَ هَذَا بُيِّنَا

الشرح:

يعني وكانت بيعة الرضوان (أول) أي قبل صلح الحديبية ، حصلت هذه البيعة في أثناء غزوة الحديبية وذلك أن رسول الله ﷺ أرسل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى قريش ليستطلع أخبارهم، فأشيع أنه قد قُتِل[1]، فدعا رسول الله ﷺ الصحابة إلى قتال قريش

---

(١)هذا ما اشتهر في كتب السيرة أن سبب البيعة هو إشاعة مقتل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمّا تأخرت عودته من مكة، ولم يُذكر في الأحاديث الصحيحة، وإنما روي من طريق ابن إسحاق قال: وقد حدثني بعض من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال ... فخرج عثمان إلى مكة ... واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قُتل. قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل:«لا نبرحْ حتى نناجز القوم»، فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة. "الروض الأنف" (٤٥٩/٦ - ٤٦٠).

وأول الخبر فيه جهالة شيخ ابن إسحاق، فلم يُسَّم وآخره مرسل. قال الإمام البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ في "السنن الكبرى" (١٣/٤): محمَّد بن إسحاق إذا لم يذكر اسم من حدَّث عنه لم يُفرح به.اهـ

وقال الألباني في "تخريجه لفقه السيرة" (ص ٣٢٩): "ضعيف، أخرجه ابن إسحاق وعنه ابن هشام (٢٢٩/٢) عن عبد الله بن أبي بكر مرسلًا.اهـ

وأخرجه أيضًا الإمام أحمد في "المسند"(١٨٩١٠) قال: حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا محمَّد بن إسحاق بن يسار عن الزهري محمَّد بن مسلم بن شهاب عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: ... فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلّغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، ... فاحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قُتل، قال محمَّد [ابن إسحاق] فحدثني الزهري أن قريشًا بعثوا سهيل بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي فقالوا: ائت محمدًا فصالحه، ولا يكون في صلحه إلا أن يرجع عنّا عامه هذا ... وابن إسحاق مدلس وقد عَنْعَن، ثم صرّح بالتحديث لما أرسلت قريش سهيل بن عمرو، مما يدل على أنه لم يسمع أوله من الزهري.

وقد ورد سبب أخر للبيعة ذكره البيهقي في "الدلائل" (١٣٤/٤) بسنده عن عمرو بن خالد قال: حدثني=



انتصارًا لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فبايعوه على مناجزة قريشٍ، وثار الصحابة لمبايعة الرسول ﷺ وكان أول من بايع أبو سنان عبدالله بن وهب الأسدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على القول الراجح[١].

بايعوه جميعًا تَحْتَ الشَّجَرَةِ- وَهِيَ سَمُرَةٌ - غَيْرَ جَدِّ بن قَيْسٍ الْأَنْصَارِيِّ اخْتَبَأَ تَحْتَ بَطْنِ بَعِيرِهِ[٢]، وكان الجد بن قيس منافقًا. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ»، فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ»[٣].

وقد بايع الصحابة رضوان الله عليهم النبي ﷺ على الموت وعلى ألا يفروا.

عَنْ يَزِيدَ بن أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ: قُلْتُ لِسَلَمَةَ بن الْأَكْوَعِ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَايَعْتُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ؟ قَالَ: عَلَى الْمَوْتِ[٤].

وعن جَابِرٍ قَالَ: لَمْ نُبَايِعْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى الْمَوْتِ إِنَّمَا بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لَا نَفِرَّ[٥].

وعَنْ مَعْقِلِ بن يَسَارٍ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ الشَّجَرَةِ وَالنَّبِيُّ ﷺ يُبَايِعُ النَّاسَ، وَأَنَا رَافِعٌ غُصْنًا مِنْ أَغْصانِهَا عَنْ رَأْسِهِ، وَنَحْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، قَالَ: لَمْ نُبَايِعْهُ عَلَى الْمَوْتِ، وَلَكِنْ بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لَا نَفِرَّ.[٦]

=ابن لهيعة، قال: حدثنا أبو الأسود، قال عروة بن الزبير في نزول النبي ﷺ بالحديبية: ... وارتهن المشركون عثمان بن عفان ومن كان أتاهم من أصحاب رسول الله ﷺ ودعا رسول الله ﷺ إلى البيعة... وهذا السند فيه علتان: ابن لهيعة، وهو ضعيف، والإرسال، فعروة بن الزبير تابعي لم يدرك القصة، ولم يسندها من هذا الوجه.

فالخلاصة: أنه لم يثبت -والله أعلم- أن سبب البيعة كان إشاعة مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. باختصار من "ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية" (ص:١٧٧-١٧٩).

(١) "الطبقات الكبرى"(٣/٩٤)، "معرفة الصحابة" لأبي نعيم (٥/٢٧١٩)، "مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة" (ص:١٤٧)

(٢)أخرجه مسلم (١٨٥٦)

(٣)أخرجه البخاري (٣٦٩٨)

(٤)متفق عليه: أخرجه البخاري (٤١٦٩)، ومسلم (١٨٦٠)

(٥)أخرجه مسلم (١٨٥٦)

(٦)أخرجه مسلم (١٨٥٨)

وقد ذكر ابن حجر أنه لا تعارض بين المبايعة على الموت وعلى أن لا يفروا، حيث قال: وَقَدْ أَخْبَرَ سَلَمَة بن الْأَكْوَع- وَهُوَ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْت الشَّجَرَة- أَنَّهُ بَايَعَ عَلَى الْمَوْت، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَا تَنَافِي بَيْن قَوْلهمْ بَايَعُوهُ عَلَى الْمَوْت، وَعَلَى عَدَم الْفِرَار، لِأَنَّ الْمُرَاد بِالْمُبَايَعَةِ عَلَى الْمَوْت أَنْ لَا يَفِرُّوا وَلَوْ مَاتُوا، وَلَيْسَ الْمُرَاد أَنْ يَقَع الْمَوْت وَلَا بُدّ [١].

وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان، أو بيعة الشجرة، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الفتح: ١٨، ١٩]. [٢]

أهمية بيعة الرضوان وفضل من شهدها

عَنِ البَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، وَالحُدَيْبِيَةُ بِئْرٌ، فَنَزَحْنَاهَا فَلَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَتَاهَا، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِهَا ثُمَّ «دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ مَضْمَضَ وَدَعَا ثُمَّ صَبَّهُ فِيهَا، فَتَرَكْنَاهَا غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ إِنَّهَا أَصْدَرَتْنَا مَا شِئْنَا نَحْنُ وَرِكَابَنَا». صحيح البخاري (٤١٥٠)

وعن عَمْرو، قال: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ: «أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ» وَكُنَّا أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ، وَلَوْ كُنْتُ أُبْصِرُ اليَوْمَ لَأَرَيْتُكُمْ مَكَانَ الشَّجَرَةِ. [٣] متفق عليه [البخاري (٤١٥٤) ومسلم (١٨٥٦)]

---

(١) "فتح الباري"(٦/١٣٧).

(٢) "صحيح الأثر وجميل العبر"(ص:٢٣٥)، "الأغصان الندية" (ص:٣٣٩)، "سيرة ابن هشام"(٢/٣١٥)، "سبل الهدى والرشاد" (٥/٤٨)، "تاريخ الخميس" (٢/٢٠)،"الروض الأنف" (٦/٤٦٠)، "بهجة المحافل" (١/٣٢٢)، "السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة" (٢/٣٣١)، "مرويات غزوة الحديبية" (ص:١٣٣)، "صحيح السيرة النبوية" للعلي (ص:٣٠٨)، "اللؤلؤ المكنون" (٣/٣٠٤).

(٣)قال الحافظ في "الفتح" (٧/٤٤٣): هذا صريح في فضل أصحاب الشجرة فقد كان من المسلمين إذ ذاك جماعة بمكة وبالمدينة وبغيرهما.اهـ

وعَنْه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺأَنَّهُ قَالَ: « لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ». أخرجه أحمد (١٤٧٧٨)، وأبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، والنسائي في "الكبرى" (١١٥٠٨) وهو في "صحيح الجامع" (٧٦٨٠)

وعن أم مبشّر أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا» قَالَتْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾. صحيح مسلم(٢٤٩٦)

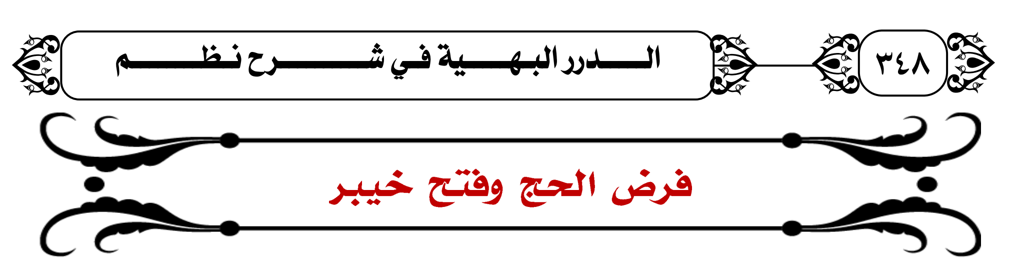
وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْحُدَيْبِيَةِ قَالَ: «لَا تُوقِدُوا نَارًا بِلَيْلٍ» قَالَ: فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَاكَ قَالَ: «أَوْقِدُوا، وَاصْطَنِعُوا، فَإِنَّهُ لَا يُدْرِكُ قَوْمٌ بَعْدَكُمْ صَاعَكُمْ وَلَا مُدَّكُمْ». رواه أحمد (١١٢٠٨) والحاكم(٤٣٣٦)، وصححه شيخنا في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (٣٩١) والألباني في "الصحيحة" (١٥٤٧).



قوله:«وبنى فيها بريحانة»: أي دخل بريحانة في أول هذه السنة السادسة من الهجرة كما كان العقد في أواخر السنة الخامسة .

قوله:«هذا بُيِّنَا » : أي في الأخبار والسير الواردة .





فرض الحج وفتح خيبر

٧٣- وَفُــرِضَ الــحَجُّ بِــخُلْفٍ فَاسْمَعَهْ وَكَانَ فَتْــحُ خَيْـبَرٍ فِي السَّابِــعَهْ

الشرح:

أي: ومن أحداث هذه السنة السادسة من الهجرة فَرْضُ الحج. (بِخُلْف) أي باختلاف بين العلماء في ذلك فقيل: في السادسة، وقيل: في السابعة، وقيل: في الثامنة، وقيل: في العاشرة، وقيل: في التاسعة، وهذا هو أصح الأقوال؛ وذلك لأن آية فرضيته نزلت في هذا العام وهي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].(١)

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "زاد المعاد" (٣/٥٢٠): وَعَلَى هَذَا فَلَمْ يُؤَخِّرِ النَّبِيُّ ﷺ الْحَجَّ بَعْدَ فَرْضِهِ عَامًا وَاحِدًا، بَلْ بَادَرَ إِلَى الِامْتِثَالِ فِي الْعَامِ الَّذِي فُرِضَ فِيهِ، وَهَذَا هُوَ اللَّائِقُ بِهَدْيِهِ وَحَالِهِ ﷺ، وَلَيْسَ بِيَدِ مَنِ ادَّعَى تَقَدُّمَ فَرْضِ الْحَجِّ سَنَةَ سِتٍّ أَوْ سَبْعٍ أَوْ ثَمَانٍ أَوْ تِسْعٍ دَلِيلٌ وَاحِدٌ. وَغَايَةُ مَا احْتَجَّ بِهِ مَنْ قَالَ: فُرِضَ سَنَةَ سِتٍّ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] ، وَهِيَ قَدْ نَزَلَتْ بِالْحُدَيْبِيَةِ سَنَةَ سِتٍّ، وَهَذَا لَيْسَ فِيهِ ابْتِدَاءُ فَرْضِ الْحَجِّ، وَإِنَّمَا فِيهِ الْأَمْرُ بِإِتْمَامِهِ إِذَا شُرِعَ فِيهِ، فَأَيْنَ هَذَا مِنْ وُجُوبِ ابْتِدَائِهِ، وَآيَةُ فَرْضِ الْحَجِّ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] نَزَلَتْ عَامَ الْوُفُودِ أَوَاخِرَ سَنَةِ تِسْعٍ.اهـ

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "فتح ذي الجلال والإكرام"(٣/٣١٩): متى فرض الحج؟ فرض سنة تسع أو عشر من الهجرة، ومن زعم من العلماء أنه فرض في السنة السادسة واستدل بقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. فإن هذا ليس

---

(١)قال المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "مرعاة المفاتيح" (٨/٢٨٩): اختلف في الوقت الذي فرض فيه الحج على أقوال ومن جملتها: أنه فرض سنة تسع، حكاه النووي في "الروضة"، وصححه القاضي عياض والقرطبي، ومنها: أنه تأخر نزوله إلى أواخر تسع أو إلى سنة عشر حكاه العيني عن إمام الحرمين، وبه جزم ابن القيم في "الهدي".اهـ

بصواب؛ لأن الله يقول في الآية: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ﴾ ، والإتمام لا يكون إلا بعد الشروع، وهي نزلت في غزوة الحديبية حين خرج النبي ﷺ من المدينة معتمرًا ومعه من أصحابه ألف وأربعمائة تقريبًا وصدّهم الكفار عن الدخول، فقال الله: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ ﴾ يعني: منعتم من الوصول إلى المسجد الحرام ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ [البقرة:١٩٦] فهي نازلة في وجوب الإتمام لا في فرضية الابتداء، أما فرض الحج ففي قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ ﴾ [آل عمران: ٩٧] وهذه الآية في سورة آل عمران في عام الوفود في السنة التاسعة من الهجرة، ويؤيد ذلك من حيث المعنى: أن مكة قبل السنة الثامنة كانت تحت قبضة المشركين الذين كانوا يتحكمون فيها؛ ولهذا منعوا الرسول ﷺ من الوصول إليها في السنة السادسة من الهجرة، ومن رحمة الله عَزَّوَجَلَّ وحكمته: ألا يفرض على عباده الوصول إلى شيء يشق عليهم الوصول إليه، أو لا يمكنهم الوصول إليه فكان من الحكمة والرحمة تأخير فرضه إلى السنة التاسعة أو العاشرة على خلاف بين العلماء.اهـ

قوله: «وكان فتح خيبر في السابعة»: أي في السنة السابعة من هجرة النبي ﷺ على قول جمهور العلماء وهو الصحيح وذلك بعد غزوة ذي قرد بثلاث ليال كما في حديث سلمة في "صحيح مسلم" السابق.

غزوة خيبر(١)

سبب الغزوة: هو أن أهل خيبر هم الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين، وأثاروا بني قريظة على الغدر، وكانت خيبر موطن الدسائس والتآمر على المسلمين، فلما كانت هدنة صلح الحديبية فرصة أمام المسلمين لتصفية هذا الجيب الخطير على أمن المسلمين تفرغ

---

(١)وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع، تبعد عن المدينة من جهة الشمال قرابة (١٦٥) كيلاً بالطريق المعبد. "المواهب اللدنية" (١/٣٣٦)، "معجم المعالم الجغرافية" (١١٨).

لهم وتحرك إليهم وقد وعدهم الله النصر عليهم ومغانم كثيرة يأخذونها منهم وذلك في قوله تعالى في سورة الفتح: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٩﴾ [الفتح: ١٨-١٩]. فقوله تعالى: ﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾: يعني فتح خيبر.

مختصر غزوة خيبر

بعد رجوع رسول الله ﷺ من الحديبية إلى المدينة، مكث فيها إلى دخول شهر محرم من السنة السابعة من الهجرة ثم خرج إلى خيبر لتصفية وكر التآمر اليهودي الذي طالما حاك الدسائس والمؤامرات على أمة الإسلام. فخرج رسول الله ﷺ ومعه الذين حضروا الحديبية من الصحابة متوجهين إلى خيبر واستخدم ﷺ خطتين:

الأولى: المفاجأة للعدو، فما علمت اليهود إلا وقد نزل بهم.

الثانية: قطع الإمداد عنهم، حيث أظهر أنه يريد غطفان، فخافت غطفان ولم تتمكن من إمداد اليهود، ولما نزل بهم حاصرهم في حصونهم حتى تمكن من فتحها جميعًا عنوة، وقد قسم أرضها بين الفاتحين، وتبع ذلك تسليم فدك من غير قتال، ثم غزا ﷺ تيماء، ووادي القرى، وهي من مراكز تجمعاتهم، واستسلمت له، وبهذا تمكن رسول الله ﷺ من القضاء على قواهم السياسية وإن عاشوا في المجتمع المسلم أهل ذمة وعهد. وقد استعمل النبي ﷺ يهود خيبر عمالًا في المزارع على شطر ما يخرج منها. وذلك لخبرتهم في الزراعة، ولما رأى فيه من المصلحة بعدم إشغال الصحابة بالزراعة مما يؤثر على تفرغهم للجهاد والدعوة، وكانت أرض خيبر خصبة غنية بالزراعة، ووفيرة الإنتاج، تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لما فتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر[١]. ويقول عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

---

(١)صحيح البخاري (٤٢٤٢).

ما شبعنا حتى فتحنا خيبر[١].

وعند فتح خيبر قدم عليه جعفر بن أبي طالب عائدًا من هجرته إلى الحبشة ومعه جمع من المهاجرين فيهم أبوموسى الأشعري وجماعته، وقد قسم لهم رسول الله ﷺ من الغنيمة.

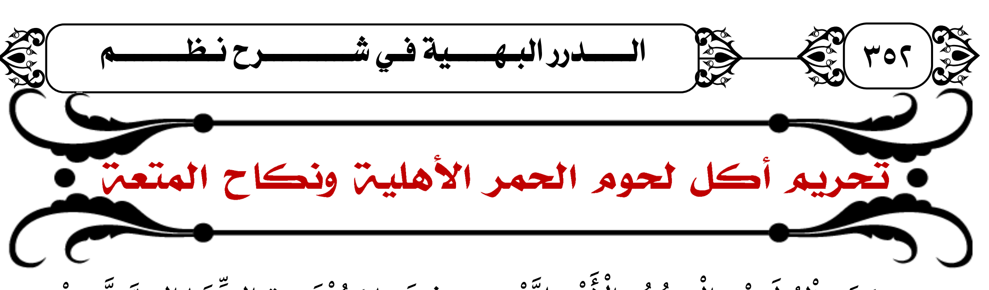
وقد استعمل النبي ﷺ سواد بن غزية من بني عدي بن النجار أميرًا على خيبر[٢].



---

(١)صحيح البخاري (٤٢٤٣).

(٢) "صحيح الأثر وجميل العبر"(ص:٢٣٧)، و"جامع الأصول"(٨/٣٣٥)، "الجامع الصحيح"(٣/٣٠٦)، "زاد المعاد"(٣/٢٨١)، "الإشارة"(ص:٢٧٩)، "الأغصان الندية"(ص:٣٦٢)، "مغازي الواقدي" (٢/٦٣٣)، "السيرة النبوية" لابن حبان (١/٣٠٠)، "جوامع السيرة"(ص:١٦٧)، "دلائل النبوة" للبيهقي (٤/١٩٤)، "الدرر"(ص:١٩٦)، "الكامل في التاريخ" (٢/٩٦)، "تاريخ الإسلام" (٢/٤٠٣)، "تاريخ خليفة بن خياط" (ص:٨٢)، "الاكتفاء"(١/٤٧٧)، "عيون الأثر" (٢/١٧٢)، "الفصول في السيرة" (ص:١٨٨)، "المقتفى" (ص:١٨٠)، "إمتاع الأسماع" (٨/٣٨٢)، "سبل الهدى والرشاد" (٥/١١٥)، "تاريخ الخميس"(٢/٤٣) "السيرة الحلبية"(٣/٤٥)، "شرح الزرقاني على المواهب" (٣/٢٤٣)، "مستعذب الإخبار"(ص:٢٨٦)، "مرويات الإمام الزهري في المغازي"(٢/٦٢١)، "صحيح السيرة النبوية" للعلي (ص:٣٣٨)، "اللؤلؤ المكنون" (٣/٣٩٨)، "المنتظم" (٣/٢٩٣)، "البداية والنهاية"(٤/٢٠٦)، "سير أعلام النبلاء" (٢/٤٤).



تحريم أكل لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة

٧٤- وَحَــظْرُ لَـحْمِ الْـحُمُرِ الْأَهْـلِيَّهْ   فِيهَــا وَمُتْعَــةِ الـنِّسَا الـرَّدِيَّــهْ

الشرح:

يعني وفي هذه السنة السابعة في عام خيبر حرمت لحوم الحمر الأهلية. وفيها أيضاً حرمت متعة النساء الفاسدة الرديئة الخبيثة، وهذا على قول بعض العلماء واختاره الناظم.

مما يدل على ذلك:

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ نِكَاحِ الْمُتْعَةِ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَعَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ». متفق عليه [البخاري (٥١١٥) مسلم (١٤٠٧)][١]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لُحُومِ الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ، وَرَخَّصَ فِي الخَيْلِ». متفق عليه [البخاري (٤٢١٩) ومسلم (١٩٤١)]

---

(١)قال السهيلي في "الروض الأنف" (٥٥٧/٦): وَمِمّا يَتّصِلُ بِحَدِيثِ النّهْيِ عَنْ أَكْلِ الْحُمُرِ تَنْبِيهٌ عَلَى إشْكَالٍ فِي رِوَايَةِ مَالِكٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، فَإِنّهُ قَالَ فِيهَا: «نَهَى النّبِيّ ﷺ عَنْ نِكَاحِ الْمُتْعَةِ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَعَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيّةِ»، وَهَذَا شَيْءٌ لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ السّيَرِ، وَرُوَاةِ الْأَثَرِ، أَنّ الْمُتْعَةَ حُرّمَتْ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمّدٍ، فَقَالَ فِيهِ: «إنّ النّبِيّ ﷺ نَهَى عَنْ أَكْلِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيّةِ عَامَ خَيْبَرَ، وَعَنْ الْمُتْعَةِ»، فَمَعْنَاهُ عَلَى هَذَا اللّفْظِ: وَنَهَى عَنْ الْمُتْعَةِ بَعْدَ ذَلِكَ، أَوْ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَهُوَ إذًا تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَقَعَ فِي لَفْظِ ابْنِ شِهَابٍ، لَا فِي لَفْظِ مَالِكٍ، لِأَنّ مَالِكًا قَدْ وَافَقَهُ عَلَى لَفْظِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ رُوَاةِ ابْنِ شِهَابٍ.اهـ

وقال الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية" (٢١٩/٤): وَقَدْ حَاوَلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنْ يُجِيبَ عَنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بِأَنَّهُ وَقَعَ فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ وَإِنَّمَا الْمَحْفُوظُ فِيهِ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ الْحَسَنِ وَعَبْدِ اللَّهِ ابْنَيْ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِمَا - وَكَانَ حَسَنُ أَرْضَاهُمَا فِي أَنْفُسِهِمَا - أَنَّ عَـلِيًّا قَالَ لِابْنِ عبَّاس: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ نِكَاحِ الْمُتْعَةِ وَعَنْ لُحُومِ الحمر الأهلية زمن خيبر». قالوا: فاعتقد الرَّاوِي أَنَّ قَوْلَهُ: «خَيْبَرَ» ظَرْفٌ لِلْمَنْهِيِّ عَنْهُمَا وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ ظَرْفٌ لِلنَّهْيِ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ، فَأَمَّا نِكَاحُ الْمُتْعَةِ فَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ظَرْفًا وَإِنَّمَا جَمَعَهُ مَعَهُ لِأَنَّ عَلِيًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بَلَغَهُ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَبَاحَ نِكَاحَ الْمُتْعَةِ وَلُحُومَ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ كَمَا هُوَ الْمَشْهُورُ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ تائِهٌ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ نِكَاحِ الْمُتْعَةِ وَلُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ يَوْمَ خَيْبَرَ»، فَجَمَعَ لَهُ النَّهْيَ لِيَرْجِعَ عَمَّا كَانَ يَعْتَقِدُهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْإِبَاحَةِ. وَإِلَى هَذَا التَّقْرِيرِ كَانَ مَيْلُ شَيْخِنَا الْحَافِظِ أَبِي الحجَّاج المزِّي تَغَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ آمِينَ.اهـ

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَبَّحْنَا خَيْبَرَ بُكْرَةً، فَخَرَجَ أَهْلُهَا بِالْمَسَاحِي، فَلَمَّا بَصُرُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ، مُحَمَّدٌ وَالخَمِيسُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ {فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ}» فَأَصَبْنَا مِنْ لُحُومِ الحُمُرِ، فَنَادَى مُنَادِي النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الحُمُرِ، فَإِنَّهَا رِجْسٌ». صحيح البخاري (٤١٩٨)

ورواه مسلم(١٩٤٠) عنه بلفظ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ جَاءَ جَاءٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُكِلَتِ الْحُمُرُ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُفْنِيَتِ الْحُمُرُ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا طَلْحَةَ، فَنَادَى: «إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ، فَإِنَّهَا رِجْسٌ» أَوْ «نَجِسٌ»، قَالَ: فَأُكْفِئَتِ الْقُدُورُ بِمَا فِيهَا.

وقوله: «الحمر الأهلية»: أي الإنسية وهي التي لها أهلًا من الإنس ترجع إليهم وتألف بيوتهم فهذه الحمر لا خلاف بين أهل العلم في تحريمها.

أخرج بذلك حمار البر أو حمار الوحش فهذه حلال أكلها ويدل على ذلك أدلة منها:

في الصحيحين[١] عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه صاد حماراً وحشياً وأتى بقطعة منه للنبي ﷺ فأكل منه وقال لأصحابه: «هو حلال فكلوه».

وفيهما[٢] عن الصعب بن جثامة أنه أهدى إلى رسول الله ﷺ حماراً وحشياً وهو بالأبواء – أو بودَّان – فرده عليه فلما رأى ما في وجهه قال: «إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم».

وقد نقل الإجماع على ذلك عدد من العلماء منهم: النووي في "المجموع" (٩/٩) ، وابن قدامة في "المغني" (٤١١/٩) وغيرهما .



(١) البخاري (٥٤٩٢)، ومسلم (١١٩٦).

(٢)البخاري(١٨٢٥)، ومسلم (١١٩٣).

نكاح المتعة

هو أن يتزوج الرجل المرأة إلى أجل معين بقدر معلوم من المال وكان مباحاً أول الإسلام ثم نسخت الإباحة وأجمع العلماء على تحريمه إلى يوم الدين والأدلة على ذلك كثيرة منها حديث علي السابق ومنها :

عن سبرة الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَذِنْتُ لَكُمْ فِي الِاسْتِمْتَاعِ مِنَ النِّسَاءِ، وَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ شَيْءٌ فَلْيُخَلِّ سَبِيلَهُ، وَلَا تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا». رواه مسلم (١٤٠٦).

متى حرم نكاح المتعة؟

اختلفت العلماء في تحديد زمن تحريم المتعة لاختلاف الروايات الواردة في ذلك وَقَدْ اجْتَمَعَ مِنْ الْأَحَادِيثِ فِي وَقْتِ تَحْرِيمِهَا الأقوال التالية: الْأَوَّلُ: عُمْرَةُ الْقَضَاءِ، الثَّانِي: عام خَيْبَرُ ، الثَّالِثُ: عَامُ الْفَتْحِ ، الرَّابِعُ: يَوْمُ حُنَيْنٍ ، الْخَامِسُ: غَزْوَةُ تَبُوكِ ، السَّادِسُ: حَجَّةُ الْوَدَاعِ ، السابع: عام أوطاس.[1]

---

(١)باختصار من "التلخيص الحبير"(٣٣٩/٣). وقال الإمام القرطبي في "تفسيره"(١٣٠/٥-١٣٢): وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ كَمْ مَرَّةً أُبِيحَتْ وَنُسِخَتْ، فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ لَنَا نِسَاءٌ، فَقُلْنَا: أَلَا نَسْتَخْصِي؟ فَنَهَانَا عَنْ ذَلِكَ، ثُمَّ رَخَّصَ لَنَا أَنْ نَنْكِحَ الْمَرْأَةَ بِالثَّوْبِ إِلَى أَجَلٍ. قَالَ أَبُو حَاتِمٍ الْبُسْتِيُّ فِي "صَحِيحِهِ": قَوْلُهُمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «أَلَا نَسْتَخْصِي؟» دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُتْعَةَ كَانَتْ مَحْظُورَةً قَبْلَ أَنْ أُبِيحَ لَهُمُ الِاسْتِمْتَاعُ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ مَحْظُورَةً لَمْ يَكُنْ لِسُؤَالِهِمْ عَنْ هَذَا مَعْنًى، ثُمَّ رَخَّصَ لَهُمْ فِي الْغَزْوِ أَنْ يَنْكِحُوا الْمَرْأَةَ بِالثَّوْبِ إِلَى أَجَلٍ ثُمَّ نَهَى عَنْهَا عَامَ خَيْبَرَ، ثُمَّ أَذِنَ فِيهَا عَامَ الْفَتْحِ، ثُمَّ حَرَّمَهَا بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَهِيَ مُحَرَّمَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: وَأَمَّا مُتْعَةُ النِّسَاءِ فَهِيَ مِنْ غَرَائِبِ الشَّرِيعَةِ، لِأَنَّهَا أُبِيحَتْ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ ثُمَّ حُرِّمَتْ يوم خيبر، ثم أبيحت في غزوة أو طاس، ثُمَّ حُرِّمَتْ بَعْدَ ذَلِكَ وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَى التَّحْرِيمِ، وَلَيْسَ لَهَا أُخْتٌ فِي الشَّرِيعَةِ إِلَّا مَسْأَلَةُ الْقِبْلَةِ، لِأَنَّ النَّسْخَ طَرَأَ عَلَيْهَا مَرَّتَيْنِ ثُمَّ اسْتَقَرَّتْ بَعْدَ ذَلِكَ. وَقَالَ غَيْرُهُ مِمَّنْ جَمَعَ طُرُقَ الْأَحَادِيثِ فِيهَا: إِنَّهَا تَقْتَضِي التَّحْلِيلَ وَالتَّحْرِيمَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَرَوَى ابْنُ أَبِي عَمْرَةَ أَنَّهَا كَانَتْ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ. وَرَوَى سَلَمَةُ بن الأكوع أنها كانت عام=

وأقواها قولان:

الأول: غزوة خيبر، والثاني: غزوة الفتح.[(١)]

=أوطاس. وَمِنْ رِوَايَةِ عَلِيٍّ تَحْرِيمُهَا يَوْمَ خَيْبَرَ. وَمِنْ رِوَايَةِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ إِبَاحَتُهَا يَوْمَ الْفَتْحِ. قُلْتُ: وَهَذِهِ الطُّرُقُ كُلُّهَا فِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ"، وَفِي غَيْرِهِ عَنْ عَلِيٍّ نَهْيُهُ عَنْهَا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، رَوَاهُ إِسْحَاقُ بْنُ رَاشِدٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيٍّ، وَلَمْ يُتَابِعْ إِسْحَاقَ بْنَ رَاشِدٍ عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَهُ أَبُو عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَفِي مُصَنَّفِ أَبِي دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ النَّهْيُ عَنْهَا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَذَهَبَ أَبُو دَاوُدَ إِلَى أَنَّ هَذَا أَصَحُّ مَا رُوِيَ فِي ذَلِكَ. وَقَالَ عَمْرٌو عَنِ الْحَسَنِ مَا حَلَّتِ الْمُتْعَةُ قَطُّ إِلَّا ثَلَاثًا فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ مَا حَلَّتْ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا. وَرُوِيَ هَذَا عَنْ سَبْرَةَ أَيْضًا، فَهَذِهِ سَبْعَةُ مَوَاطِنَ أُحِلَّتْ فِيهَا الْمُتْعَةُ وَحُرِّمَتْ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيُّ: كُلُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ رَوَوْا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِطْلَاقَهَا أَخْبَرُوا أَنَّهَا كَانَتْ فِي سَفَرٍ، وَأَنَّ النَّهْيَ لَحِقَهَا فِي ذَلِكَ السَّفَرِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَمَنَعَ مِنْهَا، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يُخْبِرُ أَنَّهَا كَانَتْ فِي حَضَرٍ، وَكَذَلِكَ رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ. فَأَمَّا حَدِيثُ سَبْرَةَ الَّذِي فِيهِ إِبَاحَةُ النَّبِيِّ ﷺ لَهَا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَخَارِجٌ عَنْ مَعَانِيهَا كُلِّهَا، وَقَدِ اعْتَبَرْنَا هَذَا الْحَرْفَ فَلَمْ نَجِدْهُ إِلَّا فِي رِوَايَةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ خَاصَّةً، وَقَدْ رَوَاهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَذَكَرَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي فَتْحِ مَكَّةَ وَأَنَّهُمْ شَكَوْا إِلَيْهِ الْعُزْبَةَ فَرَخَّصَ لَهُمْ فِيهَا، وَمُحَالٌ أَنْ يَشْكُوا إِلَيْهِ الْعُزْبَةَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا حَجُّوا بِالنِّسَاءِ، وَكَانَ تَزْوِيجُ النِّسَاءِ بِمَكَّةَ يُمْكِنُهُمْ، وَلَمْ يَكُونُوا حِينَئِذٍ كَمَا كَانُوا فِي الْغَزَوَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ. وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ عَادَةُ النَّبِيِّ ﷺ تكرير مثل هذا في مغازيه وَفِي الْمَوَاضِعِ الْجَامِعَةِ، ذَكَرَ تَحْرِيمَهَا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ حَتَّى يَسْمَعَهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ سَمِعَهُ، فَأَكَّدَ ذَلِكَ حَتَّى لَا تَبْقَى شبه لِأَحَدٍ يَدَّعِي تَحْلِيلَهَا، وَلِأَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ كَانُوا يَسْتَعْمِلُونَهَا كَثِيرًا.اهـ

(١) قال العلامة الإثيوبي في "ذخيرة العقبى" (٩٧/٢٨): فلم يبقَ من المواطن كما قلنا صحيحًا صريحًا سوى غزوة خيبر، وغزوة الفتح، وفي غزوة خيبر من كلام أهل العلم ما تقدّم.اهـ

وقال الغماري في "الهداية في تخريج أحاديث البداية" (٥١٠/٦): الصحيح من هذه الأقوال أن ذلك كان يوم خيبر ويوم الفتح والمراد زمنهما، ومن قال: «حنين» فتحريف من خيبر، ومن قال: «أوطاس» فلدخولها في زمن الفتح لأنها كانت بعد الفتح، ومن قال: «حجة الوداع» فسَبْقُ ذهنٍ من الفتح، ومن قال: «عمرة القضاء» فواهم بلا شك، فسقطت الأقوال كلها، ولم يبق الا أن الله أباحها لهم في خيبر ثم نهاهم عنها، ثم أباحها لهم في الفتح ثم نهاهم عنها وحرمها الى يوم القيامة والله أعلم.اهـ

والثاني أرجح(١).

وسلك بعضهم مسلك الجمع:

قال الحافظ في "التلخيص الحبير"(٣/٣٣٦): وَإِذَا صَحَّتْ كُلُّهَا فَطَرِيقُ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا الْحَمْلُ عَلَى التَّعَدُّدِ وَالْأَجْوَدُ فِي الْجَمْعِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ الْمُحَقِّقِينَ أَنَّهَا لَمْ تَحِلَّ قَطُّ فِي حَالِ الْحَضَرِ وَالرَّفَاهِيَةِ بَلْ فِي حَالِ السَّفَرِ وَالْحَاجَةِ وَالْأَحَادِيثُ ظَاهِرَةٌ فِي ذَلِكَ وَيُبَيِّنُ ذَلِكَ حَدِيث ابْنِ مَسْعُودٍ كُنَّا نَغْزُو وَلَيْسَ لَنَا نِسَاءٌ فَرَخَّصَ لَنَا أَنْ نَنْكِحَ المرأة بالثوب إلى أجل، وهو متفق عليه فَعَلَى هَذَا كُلُّ مَا وَرَدَ مِنْ التَّحْرِيمِ فِي الْمَوَاطِنِ الْمُتَعَدِّدَةِ يُحْمَلُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِتَحْرِيمِهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَنَّ الْحَاجَةَ انْقَضَتْ وقع الْعَزْمُ عَلَى الرُّجُوعِ إلَى الْوَطَنِ فَلَا يَكُونُ فِي ذلك تَحْرِيمٌ أَبَدًا إلَّا الَّذِي وَقَعَ أَخِرًا.اهـ

وقال ابن الملقن في "التوضيح"(٢٤/ ٣٦٠): فالحاصل سبع روايات: خيبر، حنين، الفتح، أوطاس، تبوك، عمرة القضاء، حجة الوداع، وهو هنا، ولما أسلفنا عن الحسن، والجمع متعين، فيكون مرات ثم استقر النهي.اهـ

وقال الحلبي في "السيرة الحلبية" (٣/١٤٨): والحاصل أن نكاح المتعة كان مباحا، ثم نسخ يوم خيبر، ثم أبيح يوم الفتح، ثم نسخ في أيام الفتح، واستمر تحريمه إلى يوم القيامة. وكان فيه خلاف في الصدر الأول ثم ارتفع، وأجمعوا على تحريمه وعدم جوازه.اهـ

---

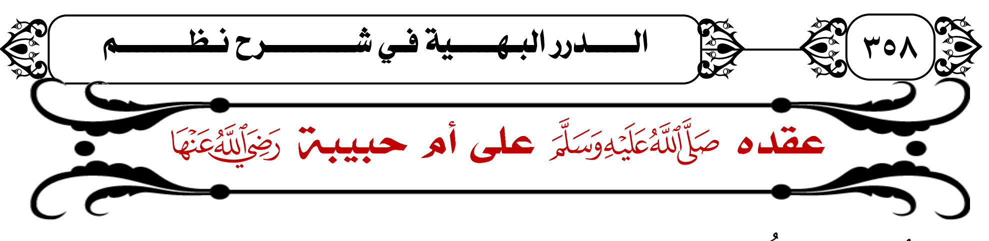
(١)قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "زاد المعاد" (٥/١٠١): **والصحيح أن النهي عن نكاح المتعة إنما كان عام الفتح**، وأن النهي يوم خيبر إنما كان عن الحُمُرِ الأهلية، وإنما قال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: إن رَسُول اللَّهِ ﷺ نهى يومَ خيبَرَ عن متعةِ النساء، ونهى عن الحمر الأهلية مُحْتَجًّا عليه بالمسألتينِ، فظَنَّ بعض الرواة أن التقييد بيوم خيبر راجع إلى الفصلين، فرواه بالمعنى، ثم أفرد بعضهم أحد الفصلين، وقيده بيوم خيبر. وقال (٣/٣٠٥): وقصة خيبر لم يكن فيها الصحابة يتمتَّعُونَ باليهوديَّات، ولا استأذنوا في ذلك رَسُول اللَّهِ ﷺ، ولا نقله أحدٌ قط في هذه الغزوة، ولا كان للمتعة فيها ذكرٌ البَتَّة، لا فعلًا ولا تحريمًا، بخلاف غزاة الفتح، فإن قصة المتعة كانت فيها فعلًا وتحريمها مشهورة.اهـ

وقال الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية" (٤/٢١٩):: وَاخْتَلَفُوا أَيُّ وَقْتٍ أَوَّلُ مَا حُرِّمَتْ فَقِيلَ: فِي خَيْبَرَ، وَقِيلَ: فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ، **وَقِيلَ: فِي عام الفتح وهذا يَظْهَرُ**، وَقِيلَ: فِي أَوْطَاسٍ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الَّذِي قَبْلَهُ، وَقِيلَ: فِي تَبُوكَ، وَقِيلَ: فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ.اهـ

وقال العلامة الإثيوبي في "ذخيرة العقبى" (٢٨/ ٩٩): خلاصة القول في مسألة المتعة أن الأصحّ أنها مما تكَرَّر نسخها، وإباحتها، فكانت مباحة قبل خيبر، فحرّمت فيها، ثم أُبيحت زمن الفتح لمدّة ثلاثة أيام، ثم حرّمت فيها بعد الثلاثة تحريمًا مؤبّدًا إلى يوم القيامة، وأما الرواية بأنه حرمت عام حجة الوداع، فتأوّل بأن المراد أنه ﷺ أعاد ذكر تحريمها، حتى يعلمه الجميع، دون أن يتقدّم له إذن فيه، فبهذا تجتمع أحاديث الباب، ويزول إشكالها. والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.اهـ[١]



(١)راجع في ذلك: "تفسير القرطبي" (١٣٠/٥-١٣٢)، "التوضيح لشرح الجامع الصحيح" (٣٦٠/٢٤)، "شرح مسند الشافعي" (٣١٤/٣-٣١٥)، "التمهيد" (١٠٢/١٠)، "البداية والنهاية" (٢٢٠/٤)، "إحكام الأحكام" (١٧٦/٢)، "نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار" (٣٥٢/١٠، ١٢٧/١٣)، "ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٩٤/٢٨- ٩٧) ، "الفتح الرباني" (١٩٤/١٦)، "نصب الراية" (١٧٧/٣)، "التلخيص الحبير" (٣٣٤/٣-٣٤١)، "الروض الأنف" (٥٥٧/٦)، "الهداية في تخريج أحاديث البداية" (٥٠٦/٦)، "تاريخ التشريع الإسلامي" (ص:١٦٣)، "العزيز شرح الوجيز" (٥٠٩/٧)، "شرح الزركشي على مختصر الخرقي" (٢٢٨/٥)، "الإحكام شرح أصول الأحكام" لابن قاسم (١٤/٤).



٧٥- ثُـــمَّ عَـلَى أُمِّ حَبِيبَـةٍ عَـــقَـدْ وَمَـهْـرَهَا عَنْـهُ النَّجَاشِيُّ نَـــقَـدْ

الشرح:

يعني: وفي هذه السنة السابعة وبعد غزوة خيبر تزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وأمها صفية بنت أبي العاصي بن أمية عمة عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عقد عليها وهي بالحبشة، وكانت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا من بنات عم الرسول ﷺ، وليس في أزواجه من هي أقرب نسباً إليه منها ولا في نسائه من هي أكثر مهراً منها. وهي من الصحابيات الأوليات، وكانت مشهورة بالذكاء والحصافة وجودة الرأي.

وقد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فمات عنها وهم بالحبشة وكان قد أوصى بها لرسول الله ﷺ[1]. فأرسل رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي بكتابين، أحدهما: أن يزوجه أم حبيبة ويبعث إليه بمن عنده من المسلمين، والآخر:

---

(١)عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: هَاجَرَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ بِأُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ وَهِيَ امْرَأَتُهُ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ أَرْضَ الْحَبَشَةِ مَرِضَ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ: أَوْصَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُمَّ حَبِيبَةَ وَبَعَثَ مَعَهَا النَّجَاشِيُّ شُرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ. أخرجه ابن حبان في "الصحيح"(٦٠٢٧)، "موارد الظمآن" (١٢٨٣).

واختلف في إسناده على الزُّهْري قال الدارقطني في "العلل"(٢٨١/١٥): يَرْوِيهِ الزُّهْرِيُّ، وَاخْتُلِفَ عَنْهُ؛ فَرَوَاهُ مَعْمَرٌ، عن الزهري، عن عروة، عن أم حبيبة؛ وخالفه عبد الرحمن بن خالد بن مسافر؛ فرواه عن الزهري، عن عروة، مرسلا، والمرسل أشبهها بالصواب.اهـ

لكن يشهد له ما أخرجه أحمد(٢٧٤٤٨) وأبو داود (٢٠٨٦) والنسائي (٣٣٥٠) عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ أم حبيبة أنها كانت تحت عبيد الله بن جحش، وأن رسول الله ﷺ تزوجها وهي بأرض الحبشة، زوجها النجاشي، وأمهرها أربعة آلاف، وجهزها من عنده، وبعث معها شرحبيل بن حسنة، ولم يبعث إليها رسول الله ﷺ بشيء، وكان مهر نسائه أربع مئة درهم. وهو في "صحيح أَبي داود"(١٨٣٥) و"صحيح موارد الظمآن"(٥١٥/١).

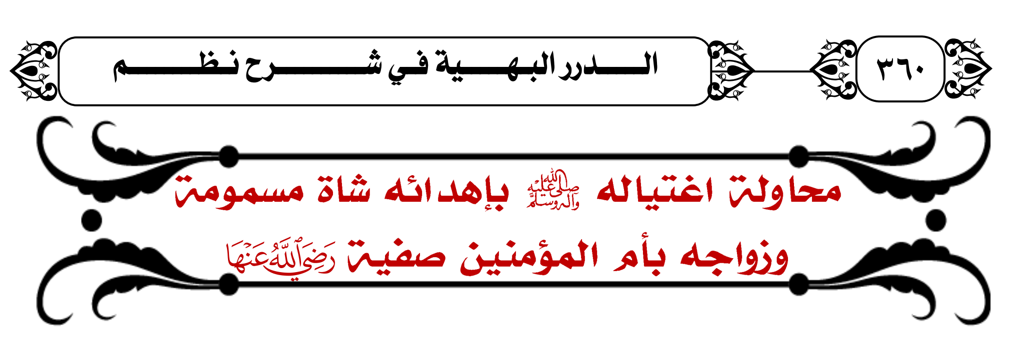
يدعوه فيه إلى الإسلام. فأسلم النجاشي، ووجه إلى أم حبيبة جارية له يقال لها: أبرهة لتعلمها بذلك وتبشرها به، فوهبت لها أم حبيبة حلة كانت عليها وكستها.

وكان أبو سفيان أبوها حال نكاحها بمكة مشركا محاربا لرسول الله ﷺ فوكلت خالد بن سعيد بن العاص بن أمية- وهو ابن عمها- بتزويجها، فخطبها عمرو بن أمية إليه، فزوجها رسول الله ﷺ، ومهرها عنه النجاشيّ أربعمائة دينار- وقيل: مائتي دينار، وقيل أربعة آلاف درهم. وهيأ النجاشي طعاما أطعمه من حضره من المسلمين، وأهدى إلى رسول الله ﷺ كسوة جامعة، وأمر نساءه أن يبعثن إلى أم حبيبة فبعثن لها بعود وروس وعنبر وزياد كثير، قدمت به على رسول الله ﷺ وكان يراه عندها وعليها فلا ينكره. ولما بلغ الخبر إلى أبي سفيان، أن رسول الله ﷺ نكح أم حبيبة ابنته، قال ذلك الفحل، لا يقدع أنفه.

فلما قدم عمرو بن أمية بأم حبيبة المدينة، ابتني بها رسول الله ﷺ، والثابت أنها قدمت مع عمرو في إحدى السفينتين أيام خيبر، وقيل: بل بعث رسول الله ﷺ أبا عامر الأشعري حين بلغه خطبة عمرو أم حبيبة وتزويج خالد إياها، فحملها إليه قبل قدوم أهل السفينتين. ولما رجع النبي ﷺ من خيبر وجد زوجته أم حبيبة في انتظاره بعد أن رجعت من الحبشة مع جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصحابه فدخل بها وكان لها من العمر بضع وثلاثون سنة. وتوفيت سنة أربعة وأربعون من الهجرة.[١]

---

(١) "إمتاع الأسماع" (٦٣/٦)، "سيرة ابن اسحاق"(ص:٢٥٩)، "المقتفى" (ص:١٠٦)، "المصباح المضي" (٣٧/٢)، "بهجة المحافل" (٩٩/١)، "سبل الهدى والرشاد"(١٩٣/١١)، "شرح الزرقاني على المواهب" (٤٠٣/٤)، "الرصف" (٤٣/٢)، "البدء والتاريخ" (١٣/٥)، "المنتظم" (٢١٠/٥)، "مرآة الزمان" (٦٤/٧)، "الطبقات الكبرى" (٧٦/٨)، "معرفة الصحابة" لابن منده (ص:٩٥١)، "معرفة الصحابة" لأبي نعيم (٣٢١٦/٦)، "الاستيعاب" (١٨٤٣/٤، ١٩٢٩)، "تاريخ دمشق" لابن عساكر (١٣٠/٦٩)، "سير أعلام النبلاء" (٤٧٧/٣)، "نساء النبي ﷺ"(ص:١٢١)، "تاريخ الإسلام" (٤٤٧/٢)، "الوافي بالوفيات" (٩٨/١٤)، "قلادة النحر" (٣٥٠/١)، "أنساب الأشراف" للبلاذري (٤٣٨/١)، "أسد الغابة" (١١٦/٧)، "تهذيب الكمال" (١٧٥/٣٥)، "الإصابة" (١٤٠/٨)، "سلم الوصول إلى طبقات الفحول" (١٠٦/٢).



٧٦- وَسُــمَّ فِي شَــاةٍ بِهَــا هَدِيَّـهْ ثُــمَّ اصْطَــفَى صَفِيَّــةً صَفِيَّــهْ

الشرح:

يعني: وفي هذه السنة السابعة سُمَّ رسول الله ﷺ في شاة مشوية أهدتها إليه زينب بنت الحارث اليهودية ابتغاء هلاكه ولا خلاف بين أهل العلم أن هذه الحادثة وقعت في خيبر.

قِصَّةُ سم اليَهُودِيَّة النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ

وَفِي هَذِهِ الْغَزَاةِ «خيبر» سُمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَهْدَتْ لَهُ زينب بنت الحارث الْيَهُودِيَّةُ امْرَأَةُ سلام بن مشكم شَاةً مَشْوِيَّةً قَدْ سَمَّتْهَا، وَسَأَلَتْ: أَيُّ اللَّحْمِ أَحَبُّ إِلَيْهِ؟ فَقَالُوا: الذِّرَاعُ. فَأَكْثَرَتْ مِنَ السُّمِّ فِي الذِّرَاعِ، فَلَمَّا انْتَهَشَ مِنْ ذِرَاعِهَا أَخْبَرَهُ الذِّرَاعُ بِأَنَّهُ مَسْمُومٌ، فَلَفَظَ الْأُكْلَةَ ثُمَّ قَالَ:«اجْمَعُوا لِي مَنْ هَا هُنَا مِنَ الْيَهُودِ». فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: «إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ فِيهِ؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَبُوكُمْ؟» قَالُوا: أَبُونَا فُلَانٌ. قَالَ: «كَذَبْتُمْ، أَبُوكُمْ فُلَانٌ». قَالُوا: صَدَقْتَ وَبَرَرْتَ. قَالَ: «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ فَقَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخْلُفُونَنَا فِيهَا. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اخْسَئُوا فِيهَا، فَوَاللَّهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا». ثُمَّ قَالَ: «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «أَجَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَمَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ»[1].

---

(١)أخرجه البخاري (٤/٩٩)(٣١٦٩) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

«وَجِيءَ بِالْمَرْأَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: أَرَدْتُ قَتْلَكَ. فَقَالَ: مَا كَانَ اللَّهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَيَّ. قَالُوا: أَلَا نَقْتُلُهَا؟ قَالَ: لَا. وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهَا وَلَمْ يُعَاقِبْهَا».(١)

وَاحْتَجَمَ عَلَى الْكَاهِلِ، وَأَمَرَ مَنْ أَكَلَ مِنْهَا فَاحْتَجَمَ، فَمَاتَ بَعْضُهُمْ.

وَاخْتُلِفَ فِي قَتْلِ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ الزُّهْرِيُّ: أَسْلَمَتْ فَتَرَكَهَا، ذَكَرَهُ عبد الرزاق عَنْ معمر عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ معمر: وَالنَّاسُ تَقُولُ: قَتَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ.

قَالَ أبو داود(٢): حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا خالد، عَنْ محمد بن عمرو، عَنْ أبي سلمة: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَهْدَتْ لَهُ يَهُودِيَّةٌ بِخَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً. وَذَكَرَ الْقِصَّةَ وَقَالَ: فَمَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ فَأَرْسَلَ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ: مَا حَمَلَكِ عَلَى الَّذِي صَنَعْتِ؟ قَالَ جابر: فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُتِلَتْ».

قُلْتُ: كِلَاهُمَا مُرْسَلٌ، وَرَوَاهُ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ محمد بن عمرو عَنْ أبي سلمة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مُتَّصِلًا، أَنَّهُ قَتَلَهَا لَمَّا مَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ. وَقَدْ وُفِّقَ بَيْنَ الرِّوَايَتَيْنِ بِأَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْهَا أَوَّلًا، فَلَمَّا مَاتَ بشر قَتَلَهَا(٣).

---

(١)متفق عليه[البخاري (٢٦١٧)، مسلم (٢١٩٠)] عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢)في "السنن" (١٧٤/٤)(٤٥١١).

(٣)قال السهيلي في "الروض الأنف" (١١١/٧): فَأَمّا الْمَرْأَةُ الّتِي سَمّتْهُ فَقَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: صَفَحَ عَنْهَا وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ أَنّهُ قَتَلَهَا وَوَقَعَ فِي كِتَابِ "شَرَفِ الْمُصْطَفَى" أَنّهُ قَتَلَهَا وَصَلَبَهَا وَهِيَ زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ سَلَامٍ وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَهِيَ أُخْتُ مَرْحَبٍ الْيَهُودِيّ وَرَوَى أَيْضًا مِثْلَ ذَلِكَ ابْنُ إسْحَاقَ. وَوَجْهُ الْجَمْعِ بَيْنَ الرّوَايَتَيْنِ أَنّهُ عَلَيْهِ السّلَامُ صَفَحَ عَنْهَا أَوّلَ لِأَنّهُ كَانَ ﷺ لَا يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ فَلَمّا مَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ مِنْ تِلْكَ الْأَكْلَةِ قَتَلَهَا وَذَلِكَ أَنّ بِشْرًا لَمْ يَزَلْ مُعْتَلّا مِنْ تِلْكَ الْأَكْلَةِ حَتّى مَاتَ مِنْهَا بَعْدَ حَوْلٍ.اهـ

وقال النووي في "شرح مسلم" (١٧٩/١٤): قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَاخْتَلَفَ الْآثَارُ وَالْعُلَمَاءُ هَلْ قَتَلَهَا النَّبِيُّ ﷺأم لا؟ فوقع فى "صحيح مسلم" أنهم قالوا: ألانقتلها؟ قال: «لا». ومثله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَجَابِرٍ وَعَنْ جَابِرٍ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّهُ ﷺ قتلها. وفى رواية ابن عَبَّاسٍ أَنَّهُ ﷺ دَفَعَهَا إِلَى أَوْلِيَاءِ بِشْرِ بْنِ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ وَكَانَ أَكَلَ مِنْهَا فَمَاتَ بِهَا فَقَتَلُوهَا. وَقَالَ ابن سَحْنُونٍ: أَجْمَعَ أَهْلُ الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَتَلَهَا. قَالَ الْقَاضِي: وَجْهُ الْجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ وَالْأَقَاوِيلِ أَنَّهُ لم يقتلها أولاحين اطَّلَعَ عَلَى سُمِّهَا وَقِيلَ لَهُ: اقْتُلْهَا، فَقَالَ: «لَا». فَلَمَّا مَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ مِنْ ذلك سلمها لأوليائه فقتلوها قصاصا فيصح قَوْلُهُمْ: «لَمْ=

وَقَدِ اخْتُلِفَ: **هَلْ أَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهَا أَوْ لَمْ يَأْكُلْ؟** وَأَكْثَرُ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا وَبَقِيَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَ سِنِينَ حَتَّى قَالَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «مَا زِلْتُ أَجِدُ مِنَ الْأُكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُ مِنَ الشَّاةِ يَوْمَ خَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ انْقِطَاعِ الْأَبْهَرِ مِنِّي»[١].

قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهِيدًا.اهـ[٢]

وبقي النبي ﷺ يعاني من أثرها بعد أن تناول من الذراع ما تناول فلما أراد الله إكرامه بالشهادة ظهر أثر السم ليجمع إلى منصب النبوة مقام الشهادة.

عَنْ عَبدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَأَنْ أَحْلِفَ تِسْعًا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قُتِلَ قَتْلًا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ وَاحِدَةً أَنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ، وَذَلِكَ بِأَنَّ الله جَعَلَهُ نَبِيًّا، وَاتَّخَذَهُ شَهِيدًا.

قَالَ الْأَعْمَشُ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الْيَهُودَ سَمُّوهُ وَأَبَا بَكْرٍ.

أخرجه أحمد (٣٨٧٣)، والطبراني في "الكبير" (١٠١١٩)، والحاكم (٤٣٩٤).

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٩/٣٤): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.اهـ[٣]

=يَقْتُلْهَا» أَيْ فِي الْحَالِ، وَيَصِحُّ قَوْلُهُمْ: «قَتَلَهَا» أَيْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.اهـ

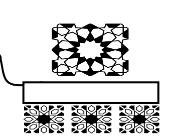
فالراجح أنه قتلها، قَالَ الواقدي: فَدَفَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى وُلاةِ بِشْرِ بْنِ الْبَرَاءِ فَقَتَلُوهَا. وَهُوَ الثَّبْتُ. "الطبقات الكبرى" (٢/١٥٦)

(١) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ». أخرجه البزار (١١٥) والحاكم (٤٣٩٣) وهو في البخاري معلقاً(٦/٩) (٤٤٢٨)، وانظر: "تغليق التعليق" (٤/١٦٢)(٤٤٢٨)

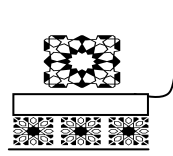
(٢) "زاد المعاد"(٣/٢٩٩).

(٣) راجع: "زاد المعاد"(٣/٢٩٧)، "الطبقات الكبرى" (٢/١٥٤)، "تاريخ الطبري" (٣/١٥)، "تاريخ الإسلام"(١/٥٢٣)، "البداية والنهاية" (٤/٢٣٧)، "سير أعلام النبلاء" (٢/٣٠٨)، "الإشارة" (ص:٢٨٢)، "مغازي الواقدي"(٢/٦٧٧)، "سيرة ابن هشام"(٢/٣٣٧)، "السيرة النبوية"لابن حبان (١/٣٠٥)، "جوامع السيرة" (ص:١٦٩)، "الروض الأنف" (٧/١١٠)، "الاكتفاء" (١/٤٨٢)، "حدائق الأنوار"(ص:٣٣٩)، "تاريخ الخميس" (٢/٥٢)، "شرح الزرقاني على المواهب" (٣/٢٩٢)، "السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة" (٢/٤١٧)، "مرويات الإمام الزهري في المغازي" (٢/٦٤٣)، "اللؤلؤ المكنون" (٣/٤٥٥)، "مرآة الزمان" (٤/١٥)، "الأغصان الندية" (ص:٣٨٤).

قوله: «ثم اصطفى صفية صفية»: أي اختار النبي ﷺ لنفسه من سبي خيبر صفية بنت حيي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.



أم المؤمنين صفية بنت حيي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا



هي صفية بنت حيي بن أخطب بْن شعبة مِنْ سِبْطِ اللاَّوِي بن نَبِيِّ اللهِ إِسْرَائِيْلَ بنِ إِسْحَاقَ ابنِ إِبْرَاهِيْمَ-عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ-ثُمَّ مِنْ ذُرِّيَّةِ رَسُوْلِ اللهِ هَارُوْنَ-عَلَيْهِ السَّلاَمُ-، وأمها برة بنت سموأل. تَزَوَّجَهَا قَبْلَ إِسْلاَمِهَا: سَلاَمُ بنُ أَبِي الحُقَيْقِ، ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهَا: كِنَانَةُ بن أَبِي الحُقَيْقِ، وَكَانَا مِنْ شُعَرَاءِ اليَهُوْدِ، فَقُتِلَ كِنَانَةُ يَوْم خَيْبَرَ عَنْهَا، قتله الرسول ﷺ لغدره، وَسُبِيَتْ من حصن القموص ، وَصَارَتْ فِي سَهْمِ دِحْيَةَ الكَلْبِيِّ. فَقِيْلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَنْهَا؛ وَأَنَّهَا لاَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُوْنَ إِلاَّ لَكَ. فَأَخَذَهَا مِنْ دِحْيَةَ، وَعَوَّضَهُ عَنْهَا غيرها وأخذها فأعتقها وتزوجها وكان عمرها سبع عشرة سنة.

كانت تكنى أم يحيى، وكانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من سيدات النساء عبادة وورعاً وزهداً وبراً وصدقة ، شريفة عاقلة ذات حسب وجمال ودين، توفيت سنة اثنين وخمسين من الهجرة.

خبر زواجها

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَزَا خَيْبَرَ، فَصَلَّيْنَا عِنْدَهَا صَلاَةَ الغَدَاةِ بِغَلَسٍ، فَرَكِبَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَرَكِبَ أَبُو طَلْحَةَ، وَأَنَا رَدِيفُ أَبِي طَلْحَةَ، فَأَجْرَى نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فِي زُقَاقِ خَيْبَرَ، وَإِنَّ رُكْبَتِي لَتَمَسُّ فَخِذَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ حَسَرَ الإِزَارَ عَنْ فَخِذِهِ حَتَّى إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ فَخِذِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا دَخَلَ القَرْيَةَ قَالَ:«اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ﴾ [الصافات: ١٧٧]» قَالَهَا ثَلاَثًا، قَالَ: وَخَرَجَ القَوْمُ إِلَى أَعْمَالِهِمْ، فَقَالُوا: مُحَمَّدٌ، قَالَ: فَأَصَبْنَاهَا عَنْوَةً، فَجُمِعَ السَّبْيُ، فَجَاءَ دِحْيَةُ الكَلْبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَعْطِنِي جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ، قَالَ: «اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً»، فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ، سَيِّدَةَ

قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، لاَ تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ، قَالَ: «ادْعُوهُ بِهَا» فَجَاءَ بِهَا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «خُذْ جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ غَيْرَهَا»، قَالَ: فَأَعْتَقَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَتَزَوَّجَهَا، فَقَالَ لَهُ ثَابِتٌ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، مَا أَصْدَقَهَا؟ قَالَ: نَفْسَهَا، أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالطَّرِيقِ، جَهَّزَتْهَا لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ، فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ عَرُوسًا، فَقَالَ: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَجِئْ بِهِ» وَبَسَطَ نِطَعًا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالتَّمْرِ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالسَّمْنِ، قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَدْ ذَكَرَ السَّوِيقَ، قَالَ: فَحَاسُوا حَيْسًا، فَكَانَتْ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. متفق عليه [البخاري (٣٧١) ومسلم (١٣٦٥)]

وعن أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: «أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ خَيْبَرَ، وَالمَدِينَةِ ثَلاَثَ لَيَالٍ يُبْنَى عَلَيْهِ بِصَفِيَّةَ»، فَدَعَوْتُ المُسْلِمِينَ إِلَى وَلِيمَتِهِ، وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ خُبْزٍ وَلاَ لَحْمٍ، وَمَا كَانَ فِيهَا إِلَّا أَنْ أَمَرَ بِلاَلًا بِالأَنْطَاعِ فَبُسِطَتْ، فَأَلْقَى عَلَيْهَا التَّمْرَ وَالأَقِطَ وَالسَّمْنَ، فَقَالَ المُسْلِمُونَ: إِحْدَى أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ؟ قَالُوا: إِنْ حَجَبَهَا فَهِيَ إِحْدَى أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ، وَإِنْ لَمْ يَحْجُبْهَا فَهِيَ مِمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ، فَلَمَّا ارْتَحَلَ وَطَّأَ لَهَا خَلْفَهُ، وَمَدَّ الحِجَابَ. صحيح البخاري (٤٢١٣)

من خصائصها ومناقبها

مما خصت به أن أباها نبي وهو هارون، وعمها نبي وهو موسى، وزوجها نبي وهو محمد ﷺ.(١)

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَلَغَ صَفِيَّةَ أَنَّ حَفْصَةَ قَالَتْ: ابْنَةُ يَهُودِيٍّ، فَبَكَتْ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكِ؟» فَقَالَتْ: قَالَتْ لِي حَفْصَةُ: إِنِّي ابْنَةُ يَهُودِيٍّ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكِ ابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ، فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ»، فَقَالَ: «اتَّقِي اللهَ يَا حَفْصَةُ». أخرجه أحمد(١٢٣٩٢)، والترمذي(٣٨٩٤)، وأبويعلى(٣٤٣٧) وصححه الألباني كما في "المشكاة" (٦١٨٣) و"التعليقات الحسان" (٢٧٦/١٠).(٢)

---

(١) قال ابن القيم في "جلاء الأفهام" (١٣٧): وهذا من خصائصها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.اهـ

(٢) "دلائل النبوة" للبيهقي (٢٢٧/٤)، "المقتفى" (ص:١٠٧)، "إمتاع الأسماع" (٨٦/٦)، "سبل الهدى" (٢١٢/١١)، "مرويات الإمام الزهري في المغازي" (٦٣٣/٢)، "الرصف" (٢٣٠/٢)، "المحبر"(ص:٩٠)=

رجوع أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وبقية مهاجري الحبشة وزواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

٧٧- ثُـمَّ أَتَـتْ وَمَـنْ بَقِي مُـهَاجِرَا وَعَـقْدُ مَـيْمُونَةَ كَانَ الآخِـرَا

الشرح:

يعني: أتت أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكذلك أتى المدينة بقية مهاجري الحبشة مع جعفر بن أبي طالب بعد فراغ النبي ﷺ من خيبر، وفرح النبي ﷺ برجوعهم عموماً وبجعفر خصوصاً حتى قال ﷺ: «ما أدري بأيِّهما أنا أُسرُّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر». أخرجه الحاكم وأبوداود وحسنه الألباني في "الصحيحة" (٢٦٥٧).

عدة الذين بعث بهم النجاشي مع عمرو بن أمية الضمري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

ذكرهم ابن إسحاق في السيرة[1] وهم:

١- جعفر بن أبي طالب وامرأته أسماء بنت عميس وابنه عبدالله .

٢- خالد بن سعيد بن العاص وامرأته أمينة وابناه سعيد بن خالد وأَمَة بنت خالد .

٣- عمرو بن سعيد بن العاص.

= "البدء والتاريخ" (١٤/٥)، "المنتظم" (٣٣٤/٥)، "البداية والنهاية" (٢٢٢/٤)، "الطبقات الكبرى" (٩٥/٨)، "معرفة الصحابة" لابن منده (ص:٩٦٥)، "معرفة الصحابة" لأبي نعيم (٣٣٣١/٦)، "الاستيعاب"(١٨٧١/٤)، "أسد الغابة" (١٦٨/٧)، "تهذيب الكمال" (٢١٠/٣٥)، "سير أعلام النبلاء" (٢٣١/٢)، "الإصابة" (٢١٠/٨)، "الأعلام" للزركلي (٢٠٦/٣)، "نساء النبي ﷺ"(ص:١١٥)، "سلم الوصول إلى طبقات الفحول" (١٧٦/٢)، "أنساب الأشراف" للبلاذري (٤٤٢/١) "فقه السيرة النبوية" لمنير الغضبان (ص:٦٧١) "صحيح الأثر وجميل العبر"(ص:٣٠٨) "الأغصان الندية"(ص:٣٨٢)، "صحيح السيرة النبوية" للعلي (ص:٣٥٠)، "اللؤلؤ المكنون"(٤٤٩/٣).

(١)انظر: "سيرة ابن هشام" (٣٥٩/٢)، "إمتاع الأسماع" (٣١٩/١).

٤- معيقيب بن أبي فاطمة.

٥- أبو موسى الأشعري.

٦- الأسود بن نوفل بن خويلد.

٧- جهم بن قيس وولداه عمرو وخزيمة.

٨- عامر بن أبي وقاص.

٩- عتبة بن مسعود.

١٠- الحارث بن خالد بن صخر.

١١- عثمان بن ربيعة بن أُهْبَان.

١٢- محمية بن الجَزْء.

١٣- معمر بن عبدالله بن نضلة.

١٤- أبو حاطب بن عمرو.

١٥- مالك بن ربيعة وامرأته عمرة بنت السعدي.

١٦- الحارث بن عبد قيس.

قدوم الأشعريين

وقدم مع مهاجري الحبشة الأشعريون وكانوا ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِاليَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ، أَنَا وَأَخَوَانِ لِي أَنَا أَصْغَرُهُمْ، أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ، وَالآخَرُ أَبُو رُهْمٍ - إِمَّا قَالَ: فِي بِضْعٍ، وَإِمَّا قَالَ: فِي ثَلاَثَةٍ وَخَمْسِينَ، أَوِ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي -، فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالحَبَشَةِ، وَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابَهُ عِنْدَهُ، فَقَالَ جَعْفَرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنَا هَاهُنَا، وَأَمَرَنَا بِالإِقَامَةِ، فَأَقِيمُوا مَعَنَا، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا، فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَأَسْهَمَ لَنَا، أَوْ قَالَ: فَأَعْطَانَا مِنْهَا، وَمَا قَسَمَ لِأَحَدٍ غَابَ عَنْ فَتْحِ خَيْبَرَ مِنْهَا شَيْئًا، إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ مَعَهُ، إِلَّا أَصْحَابَ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ، قَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ. متفق عليه [البخاري (٣١٣٦) مسلم(٢٥٠٢)]

قوله: «وعقد ميمونة كان الآخرا»:

يعني زواج النبي ﷺ بميمونة كان آخر زواج له ولم يتزوج رسول الله ﷺ بعدها، وكان في ذي القعده في السنة السابعة.

أم المؤمنين ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

وهي ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كانت تزوجت في الجاهلية مسعود ابن عروة الثقفي ففارقها، ثم تزوجها في الإسلام أبورُهم بن عبدالعزي فمات عنها(١)، ثم تزوجها النبي ﷺ ولم تتجاوز السادسة والعشرين من عمرها. تزوجها بمكة في عمرة القضاء بعد أن حلَّ من العمرة، ففي "صحيح مسلم" (١٤١١) عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ، حَدَّثَتْنِي مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَزَوَّجَهَا وَهُوَ حَلَالٌ»، قَالَ: «وَكَانَتْ خَالَتِي، وَخَالَةَ ابْنِ عَبَّاسٍ».

وقيل: هي التي وهبت نفسها للنّبيّ ﷺ، وفيها نزلت: ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] الآية، والثابت أن النبي ﷺ أرسل أبا رافع مولاه، ورجلا من الأنصار يقال له: أوس بن خولى إلى مكة فخطباها عليه، فلما قدم مكة في عمرة القضاء تزوج بها، زوّجه إياها العباس على عشر أواقي ونشّ، وقيل: أربعمائة درهم، ويقال: تزوجها على ما تركت زينب بنت خزيمة، وخرج من مكة، وخلّف أبا رافع ليحملها، فوافاه بها

---

(١)قال الحافظ في "الإصابة" (٨/٣٢٢): كانت قبل النبيّ ﷺ عند أبي رهم بن عبد العزى بن عبد ودّ بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤيّ القرشيّ العامريّ، وقيل: عند سخبرة بن أبي رهم المذكور، وقيل: عند حويطب بن عبد العزّى، وقيل: عند فروة أخيه.اهـ

وقال المقريزي في "إمتاع الأسماع" (٦/٩٠): وكانت عند أبى سبرة بن أبي رهم، وقيل: بل كانت عند أبى رهم عبد العزى بن قيس بن عبد ودّ بن نضر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤيّ، وقيل: عند حويطب ابن عبد العزى، وقيل: عند أبى رهم بن عبد العزى، وقيل: عند فروة بن عبد العزى بن أسد بن غنم ابن دودان، وهو خطأ.اهـ

بسرف، فبنى بها. وقيل: بل بعث إليها بجعفر بن أبي طالب فخطبها، فجعلت أمرها إلى العباس فزوّجها رسول اللَّه ﷺ بمكة، وقيل: بل لقي العباس رسول اللَّه ﷺ بالجحفة حين اعتمر عمرة القضية فقال له: يا رسول اللَّه، إن ميمونة بنت الحارث تأيمت، هل لك أن تتزوجها؟ فتزوجها.

وفاتها: توفيت سنة إحدى وخمسين بِسَرِف في نفس المكان الذي تزوجها رسول الله ﷺ فيه، ودفنت في الظلة التي بنى فيها، وكان ذلك عن عمر يقدر بثمانين سنة، وصلّى عليها عبداللَّه بن عباس، ودخل قبرها هو ويزيد بن الأصم، وعبد اللَّه بن شداد بن الهادي، وهم بنو أخواتها، وعبيد اللَّه الخولانيّ وكان يتيما في حجرها، وقيل: ماتت بمكة فحملت إلى سرف فدفنت هناك[1].

من فضائل ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْأَخَوَاتُ مُؤْمِنَاتٌ: مَيْمُونَةُ، زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ وَأُمُّ الْفَضْلِ بِنْتُ الْحَارِثِ، وسَلْمَى امْرَأَةُ حَمْزَةَ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ هِيَ أُخْتُهُنَّ لأُمِّهِنَّ». أخرجه النسائي في "السنن الكبرى"(٨٣٢٨)، والحاكم في "المستدرك" (٦٨٠١)، والطبراني في "الكبير" (١٢١٧٨)، وابن سعد في "الطبقات الكبرى" (١٠٩/٨)، وصحح إسناده الحافظ في "الإصابة" (٣٢٣/٨).

---

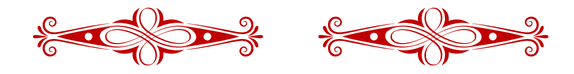
(١) "إمتاع الأسماع"(٩٠/٦)، "اللؤلؤ المكنون"(٥٤٥/٣) "الطبقات الكبرى"(١٠٤/٨)، "معرفة الصحابة" لابن منده (ص:٩٦٧)، "الاستيعاب"(١٩١٤/٤)، "أسد الغابة" (٢٦٢/٧)، "سير أعلام النبلاء" (٤٨٩/٣)، "الإصابة"(٣٢٢/٨)، "سيرة ابن اسحاق"(ص:٢٦٦)، "دلائل النبوة" للبيهقي (٣٣٠/٤)، "الأعلام للزركلي" (٣٤٢/٧)، "نساء النبي ﷺ" (ص:١٢٩)، "تاريخ الإسلام" (٥٤٨/٢)، "التكميل في الجرح والتعديل" (٣١٣/٤)، "قلادة النحر" (٣١٨/١)، "أنساب الأشراف" للبلاذري (٤٤٤/١)، "الإشارة" (ص:٢٩١)، "المقتفى" (ص:١٠٧)، "حدائق الأنوار" (ص:٣٤١)، "سبل الهدى والرشاد" (٢٠٧/١١)، "شرح الزرقاني على المواهب"(٤١٨/٤)، "الرصف"(٤٤/٢)، "المحبر" (ص:٩١)، "البدء والتاريخ" (١٣/٥)، "مرآة الزمان" (٢٧٨/٧).

ففي هذا منقبة عظيمة لهن حيث شهد لهن النبي ﷺ بحقيقة الإيمان واستقراره في قلوبهن رضي الله عنهن وأرضاهن.

وعن يَزِيد بْنِ الْأَصَمِّ، ابْنُ أُخْتِ مَيْمُونَةَ قَالَ: تَلَقَّيْتُ عَائِشَةَ، وَهِيَ مُقْبِلَةٌ مِنْ مَكَّةَ أَنَا وَابْنٌ لِطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَهُوَ ابْنُ أُخْتِهَا وَقَدْ كُنَّا وَقَعْنَا فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ فَأَصَبْنَا مِنْهُ، فَبَلَغَهَا ذَلِكَ، فَأَقْبَلَتْ عَلَى ابْنِ أُخْتِهَا تَلُومُهُ وَتُعْذِلُهُ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيَّ فَوَعَظَتْنِي مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ثُمَّ قَالَتْ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَاقَكَ حَتَّى جَعَلَكَ فِي أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ، ذَهَبَتْ وَاللَّهِ مَيْمُونَةُ وَرُمِيَ بِرَسَنِكَ[1] عَلَى غَارِبِكَ، أَمَا أَنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَتْقَانَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَوْصَلَنَا لِلرَّحِمِ». أخرجه الحاكم (٦٧٩٩)، وأبو نعيم في "الحلية"(٤/٩٧) وهو حديث حسن، وصححه الحافظ في «الإصابة» (٨/٣٢٣).

فهذه شهادة من أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بما تعلم عن ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من التقوى وصلة الرحم.

قال الذهبي في "السير" (٣/ ٤٨٩): وَكَانَتْ مِنْ سَادَاتِ النِّسَاءِ. رَوَتْ عِدَّةَ أَحَادِيْثَ. حَدَّثَ عَنْهَا ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ أُخْتِهَا الآخَرُ: عَبْدُ اللهِ بنُ شَدَّادِ بنِ الهَادِ وَعُبَيْدُ بنُ السَّبَّاقِ وَعَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ السَّائِبِ الهِلاَلِيُّ وَابْنُ أُخْتِهَا الرَّابِعُ يَزِيْدُ بنُ الأَصَمِّ وَكُرَيْبٌ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَمَوْلاَهَا سُلَيْمَانُ بنُ يَسَارٍ وَأَخُوْهُ عَطَاءُ بنُ يَسَارٍ وَآخَرُوْنَ.اهـ



---

(١)«ورمي بِرَسَنِك على غاربك»، أي: خُلِّي سبيلُك، فليس لك أحد يمنعك مما تريده، والرّسَنُ: هو الحبل الذي يقاد به البعير، وغيره. اهـ من "النهاية" لابن الأثير (٢/ ٢٢٤).

فائدة: زوجات النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالترتيب[١]

أزواجه ﷺ الَّتي بنى بهن المتفق عليهن إحدى عشرة ورمز بعضهم لأسمائهن على الترتيب بأوائل كلمات بيت وهو:

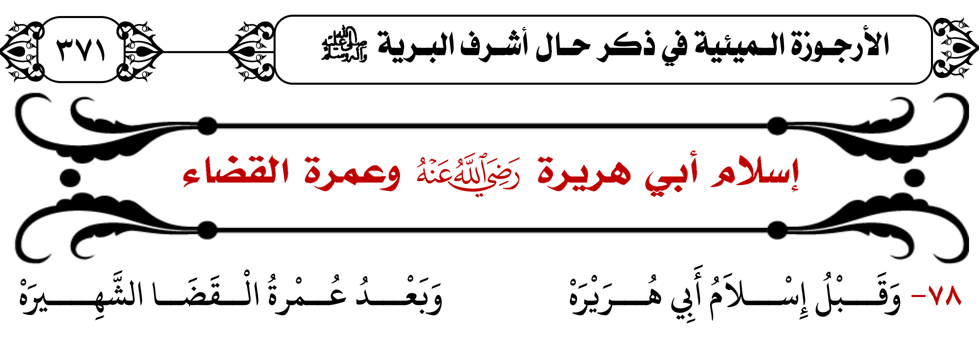
خليلي سَبَتْ عَقلي حُــلى زين هالةٍ   زَهَى جَفْنَها رَمْزا صحيحا مُهَذَّبا

فالخاء لخديجة، والسين لسودة بنت زمعة، والعين لعائشة، والحاء لحفصة، والزاي الأولى لزينب بنت خزيمة، والثانية لزينب بنت جحش، والهاء لهند، والجيم لجويرية بنت الحارث، والراء لرملة وهي أم حبيبة بنت أبي سفيان، والصاد لصفية بنت حيي، والميم لميمونة بنت الحارث رضي الله عنهن. وكلهن من العرب إلا صفية فمن سبط هارون أخي موسى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام، والعربيات قرشيات إلا أربعا زينب أم المساكين بنت خزيمة وميمونة بنت الحارث هلاليتان، وزينب بنت جحش أسدية من أسد خزيمة، وجويرية مصطلقية. توفيت خديجة قبل الهجرة ولم يتزوج ﷺ غيرها حتى توفيت، وتوفيت زينب بنت خزيمة بالمدينة بقرب تزوجه إياها ﷺ فلم تمكث عنده إلا أشهرا، وتوفي ﷺ عن البواقي رضي الله عن جميعهن.[٢]



(١)قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى"(١٥٤/٣): ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة.اهـ

(٢) "لوامع الدرر في هتك أستار المختصر" (١٣١/١).



إسلام أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعمرة القضاء

٧٨- وَقَبْلُ إِسْلَامُ أَبِي هُرَيْرَهْ وَبَعْدُ عُمْرَةُ الْقَضَا الشَّهِيرَهْ

الشرح:

أي: وقبل عقد النبي ﷺ بميمونة كان إسلام الصحابي الجليل راوية الإسلام وحافظ الصحابة؛ أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1] وكلام المؤلف يوحي أن تاريخ إسلام أبي هريرة كان متأخراً وذلك بعد غزوة خيبر وهذا قول كثير من أهل السير، بل نقل الإجماع عليه.[2]

---

(١)مختلف في اسمه، قَالَ ابن عبدالبر في "الاستيعاب" (١٧٦٨/٤): اختلفوا فِي اسم أبي هريرة، واسم أبيه اختلافًا كثيرًا، لا يحاط به ولا يضبط فِي الجاهلية والإسلام... ثم قال (١٧٧٠/٤): وَقَالَ أَبُو أَحْمَد الحاكم: أصح شيء عندنا فِي اسم أبي هريرة عَبْد الرَّحْمَنِ بن صخر، ذكر ذلك في كتابه فِي "الكنى"، وقد غلبت عَلَيْهِ كنيته، فهو كمن لا اسم له غيرها. وأولى المواضع بذكره الكنى، وبالله بالتوفيق.اهـ

وقال ابن الأثير في "أسد الغابة" (٣١٣/٦): وقد اختلف في اسمه اختلافا كثيرا، لم يختلف في اسم آخر مثله ولا ما يقاربه... ثم ذكر الأسماء وقال (٣١٣/٦): ولولا الاقتداء بهم لتركنا هذه الأسماء فإنها كالمعدوم، لا تفيد تعريفا، وإنما هو مشهور بكنيته.اهـ

وقال الذهبي في "سير أعلام النبلاء"(٥٧٨/٢): أَبُو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ صَخْرٍ ، الإِمَامُ، الفَقِيْهُ، المُجْتَهِدُ، الحَافِظُ، صَاحِبُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ أَبُو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيُّ، اليَمَانِيُّ، سَيِّدُ الحُفَّاظِ الأَثْبَاتِ. اخْتُلِفَ فِي اسْمِهِ عَلَى أَقْوَالٍ جَمَّةٍ، أَرْجَحُهَا: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ صَخْرٍ.اهـ

وقال ابن كثير في "البداية والنهاية" (١٠٣/٨): وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي اسْمِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، وَاسْمِ أَبِيهِ عَلَى أقوال متعددة... وَالْأَشْهُرُ أَنَّ اسْمَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ صَخْرٍ.اهـ

وقال ابن عبدالهادي في "طبقات علماء الحديث" (٩١/١): أبو هُرَيرَة الدَّوسِي، اليَمَانيُّ، الحافظُ، الفقيه. صاحبُ رسول اللَّه ﷺ، اسمُه عبدُالرحمن بنُ صخر على الأصحِّ.اهـ

(٢)قال النووي في "شرح مسلم"(٧١/٥): أسلم أبو هريرة عام خيبر سنة سبع من الهجرة بلا خلاف.اهـوهو قول أبو داود في "سننه"(٥٥١/٢)، وابن عبد البر في "الاستيعاب"(٣٧٤/١)، والخطابي في"غريب الحديث"(٤٨٥/٢)، وأبونعيم في "معرفة الصحابة"(١٣٥/١٤)، والبيهقي في "معرفة السنن والآثار" (١٩٥/٣)، وابن الأثير في "أُسد الغابة"(٢٥٨/٣)، وابن تيمية في "مجموع الفتاوى"(٣٦٦/٢٠).

وقيل: أسلم قبل ذلك في أرض قومه دوس قبل الهجرة بسنوات على يد الطفيل بن عمرو وإنما كانت هجرته إلى رسول الله ﷺ عام خيبر.

قال الحافظ في "الفتح"(١٠٢/٨): بعد أن ذكر قصة إسلام الطفيل: وفيها أنه دعا قومه إلى الإسلام فأسلم أبوه ولم تسلم أمه وأجابه أبو هريرة وحده، قلت (الحافظ) : وهذا يدل على تقدم إسلامه.اهـ

وقال ابن حبان في "صحيحه"(١٨٧/١١): أسلم أبو هريرة بدوس فقدم المدينة ورسول الله ﷺ خارج نحو خيبر. اهـ

ويدل على ذلك رواية هجرته إلى المدينة حيث يظهر منها أنه دخلها مسلما.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فاستَخلَفَ سِباعَ بنَ عُرْفُطَةَ على المَدينَةِ. وقَدِمتُ المَدينَةَ مُهاجِرًا فصلَّيتُ الصُّبحَ وراءَ سِباعٍ، فقَرأَ فى السَّجدةِ الأولَى سورَةَ مَريَمَ، وفى الأُخرَى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾. قال أبو هريرةَ ﷺ: قُلتُ: ويلٌ لأبِى فُلٍ. أوقال: لأبِى فُلانٍ. لِرَجُلٍ كان بأَرضِ الأزدِ كان له مِكيالانِ؛ مِكيالٌ يَكتالُ به لِنَفسِه، ومِكيالٌ يَبخَسُ به النّاسَ. أخرجه يعقوب بن سفيان في "تاريخه" (١٦٠/٣)، وابن سعد في "الطبقات"(٣٢٧/٤) والبيهقي في "السنن الكبرى" (٤٠٧٧)، قال الذهبي في "المهذب" (٨١٦/٢): إسناده صالح.اهـ

وهذا يؤكد قدم إسلام أبي هريرة وأنه قدم المدينة وقد أسلم.(١)

ومن حين إسلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لزم رسول الله ﷺ رغبة فِي العلم راضيًا بشبع بطنه، فكانت يده مَعَ يد رَسُول اللَّهِ ﷺ وَكَانَ يدور معه حيث دار، فَلَمْ يُفَارِقْهُ فِي حَضَرٍ وَلَا سَفَرٍ، وَكَانَ أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى سَمَاعِ الْحَدِيثِ مِنْهُ، فكَانَ من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ وكان يحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين والأنصار، لاشتغال المهاجرين بالتجارة والأنصار بحوائجهم، وقد شهد له رَسُول اللَّهِ ﷺ بأنه حريص عَلَى العلم والحديث.

حَمَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عِلْماً كَثِيْراً، طَيِّباً، مُبَارَكاً فِيْهِ، لَمْ يُلْحَقْ فِي كَثْرَتِهِ، وَعَنْ: أُبَيٍّ، وَأَبِي

---

(١)انظر كتاب : "أبو هريرة راوية الإسلام" (ص٧٠).

بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأُسَامَةَ، وَعَائِشَةَ، وَالفَضْلِ، وَبَصْرَةَ بنِ أَبِي بَصْرَةَ، وَكَعْبِ الحَبْرِ. وحَدَّثَ عَنْهُ: خَلْقٌ كَثِيْرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ. قَالَ البخاري: روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من بين صاحب وتابع. وممن روى عنه من الصحابة ابْن عباس، وابن عمر، وجابر بْن عَبْد اللَّهِ، وأنس بْن مالك ، وواثلة بْن الأسقع، وعائشة رضي اللَّه عنهم.

استعمله عُمَر بْن الْخَطَّابِ عَلَى البحرين ثم عزله، ثم أراده عَلَى العمل فأبى عَلَيْهِ، ولم يزل يسكن المدينة وبها كانت وفاته.

وفاته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قَالَ خَلِيفَةُ بْنُ خَيَّاطٍ: تُوُفِّيَ أَبُو هُرَيْرَةَ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ. وَقَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ: تُوُفِّيَ أَبُوهُرَيْرَةَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ: وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: تُوُفِّيَ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ، وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: إِنَّهُ تُوُفِّيَ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَقَالَ غَيْرُهُ: مَاتَ بِالْعَقِيقِ وَصَلَّى عَلَيْهِ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَكَانَ أَمِيرًا يَوْمَئِذٍ عَلَى الْمَدِينَةِ وَمَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ مَعْزُولٌ.(١)



(١) انظر ترجمته في: "الطبقات الكبرى"(٢٤٢/٤)، "التاريخ الكبير للبخاري"(١٣٢/٦)، "معجم الصحابة" لابن قانع (١٩٤/٢)، "مشاهير علماء الأمصار" (ص:٣٥) ، "معرفة الصحابة" لأبي نعيم(١٨٨٥/٤)، "الاستيعاب" (١٧٦٨/٤)، "شرح النووي على مسلم"(٧١/٥)، "سير السلف الصالحين" للأصبهاني (ص:٥٣٧)، "تاريخ دمشق" لابن عساكر(٢٩٥/٦٧)، "أسد الغابة"(٣١٣/٦)، "البداية والنهاية"(١٠٣/٨)، "سير أعلام النبلاء"(٥٧٨/٢)، "الإصابة"(٣٤٨/٧)، "تهذيب التهذيب" (٢٦٢/١٢)، "الأعلام" للزركلي (٣٠٨/٣)، "تاريخ الإسلام" (٥٦٠/٢)، "معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ" (٥٩٧/١)، "الوافي بالوفيات" (٩١/١٨)، "مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ" (ص:٣٣٤)، "سلم الوصول إلى طبقات الفحول" (٢٥٣/٢)، "قلادة النحر" (٣٧٣/١)، "طبقات علماء الحديث" (٩١/١).

عمرة القضاء

قوله: «وبَعدُ عمرةُ القضا الشهيرة»

أي: وبعد غزوة خيبر كانت عمرة القضاء[١] المشهورة عند العلماء وفي دواوين السنة .

وكانت في ذي القعدة من السنة السابعة من الهجرة.

مختصر العمرة

خرج رسول الله ﷺ ومعه ألفان سوى النساء والصبيان ولم يتخلف أحد ممن شهد الحديبية إلا من مات منهم واستخلف على المدينة عُويف بن الأضبط الديلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. خرجوا بأسلحتهم ووضعوها بيأجج خارج الحرم ودخلوا بسلاح الراكب (السيوف) كما هو الشرط في صلح الحديبية، وساق ستين بدنه يقودها ناجية بن جندب الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معه أربعة فتيان وعندما دخل الرسول ﷺ مكه أنشد بين يديه :

خلوا بني الكفار عن سبيله   اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله

وعندما أشاعت قريش أن المسلمين ضعفاء بسبب حمى يثرب أمر الرسول ﷺ أصحابه أن يرملوا ويسارعوا العدو في الأشواط الثلاثة الأولى من طوافهم وأن يسعوا بين الصفا والمروة مهرولين ليرى المشركين قوتهم فلما رأوهم قالوا: هولاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد من كذا وكذا .

ولما فرغ الرسول ﷺ من العمرة أمر جماعة من أصحابه أن يذهبوا إلى أصحابهم بيأجج

---

(١)اختلف في سبب تسميتها بذلك فقيل: من القضاء والمعاوضة أي أنها عوض عن العمرة التي صد عن البيت فيها، وقيل: بل من المقاضاة بين المسلمين والمشركين في الكتاب الذي كتب في صلح الحديبية وليس من المعاوضة لأنها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها.

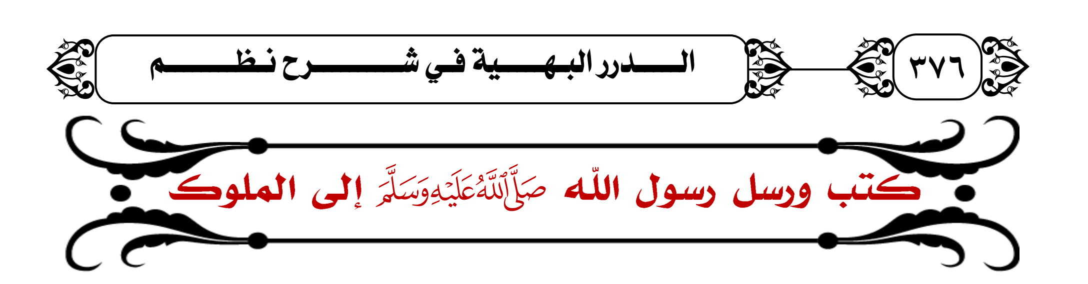
وتسمى أيضاً: عمرة القضية لأن الرسول ﷺ قاضى قريشا في الحديبية على أن يعتمر العام المقبل. وتسمى كذلك عمرة القصاص لأن قريشاً صدوا رسول الله ﷺ في ذي القعدة عام الحديبية فاقتص رسول الله ﷺ منهم فاعتمر في الشهر الذي صدوه فيه من العام المقبل.

فيخلفونهم على السلاح ويأتي الآخرون للعمرة ففعلوا ثم دخل ﷺ الكعبة ومكث بها إلى الظهر ثم أمر بلالاً فأذن على ظهر الكعبة .

وعندما انقضت الأيام الثلاثة جاءت قريش في صباح اليوم الرابع إلى علي فقالوا: قل لصاحبك : اخرج عنا فقد مضى الأجل. فخرج النبي ﷺ ونزل بسِرَف وأقام بها إلى أن تتام الناس ثم انصرف إلى المدينة المنورة في ذي الحجة وفي هذه العمرة تزوج ميمونة بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[١] .



(١) "سيرة ابن هشام"(٢/٣٧٠)، "جوامع السيرة"(٢١٩)، "دلائل النبوة" للبيهقي(٤/٣١٣)، "الدرر" (:٢٠٨)، "الروض الأنف"(٧/١٥٦)، "عيون الأثر"(٢/١٩١)، "السيرة النبوية" لابن كثير(٣/٤٢٨)، "إمتاع الأسماع" (١/٣٣٠)، "سبل الهدى والرشاد"(٥/١٨٩)، "شرح الزرقاني على المواهب"(٣/٣١١)، "السيرة الحلبية"(٣/٨٩)، "اللؤلؤ المكنون"(٣/٥٢٦).



٧٩- وَالـــرُّسْلَ فِي الْمُحَرَّمِ الْمُحَرَّمِ أَرْسَلَـــهُمْ إِلَى الْمُـــلُوكِ فَاعْـــلَمِ

الشرح:

يعني: وفي شهر الله المحرم من السنة السابعة[1] أرسل النبي ﷺ رسله من الصحابة الكرام إلى الملوك من العرب والعجم وكتب معهم إليهم كتبا يدعوهم فيها إلى الإسلام، روى الإمام مسلم (١٧٧٤) عَنْ أَنَسٍ: «أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى، وَإِلَى قَيْصَرَ، وَإِلَى النَّجَاشِيِّ، وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى».

---

(١)اختلف في زَمَنِ إرسالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الكُتُبِ إلى الملوك والأمراء، فعند ابن سعد في "طبقاته" (١٢٥/١): أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كتَبَ إليهم في المحرم سنة سبع من الهجرة، ولم يُحَدِّد ابن إسحاق في "السيرة" (٢٦٢/٤) تاريخًا مُحَدّدًا لإرسال الكتب، بل جعل ذلك ما بينَ الحُدَيْبِيَةِ ووفاته ﷺ، واستَدْرَكَ عليه ابن هِشَام في "تهذيبه على سيرة ابن إسحاق" (٢٦٢/٤) فقال: بأن إرْسَالَه ﷺ الكتب للملوك كان بعد عُمْرَته التي صُدَّ عنها يوم الحديبية.

بينما جعل الإِمام البخاري في "صحيحه" (٤٦٩/٨) رسالةَ الرسول ﷺ إلى كِسْرَى في أعقاب غزوة تبوك في العام التاسع الهجري.

قَالَ الحَافِظُ في "الفَتْح" (٤٧٣/٨): وفي إيراد هذا الحديث -أي حديث إرسال الرسول ﷺ الكتاب لِكِسْرى- آخر هذا الباب إشارة إلى أن إرسال الكتب إلى المُلُوكِ كان في سنة غزوة تبوك، ولكن لا يدفع ذلك قول من قال: إنه كاتبَ المُلُوكَ في سنةِ الهُدْنَةِ كقَيْصَر، والجمعُ بين القولين: أنه كَاتَبَ قَيْصَرَ مرتين، وهذه المرة الثانية قد وقع التصريح بها في مسند الإمام أحمد (١٥٦٥٥)، وكاتب النجاشي الذي أسلم وصَلَّى عليه لمَّا مات، ثم كاتب النجاشي الذي وَلِيَ بعده وكان كافرًا، وقد روى مسلم في صحيحه (١٧٧٤) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: كتَبَ النبي ﷺ إلى كل جبَّار يدعوهم إلى اللَّه، وسمَّى منهم: كسرى، وقيصر، والنجاشي، قال: وليس بالنجاشي الذي صلَّى عليه النبي ﷺ.اهـ "اللؤلؤ المكنون"(٣٤٩/٣).

ولما أراد أن يكتب إليهم قيل له: إنهم لايقبلون كتاباً إلا عليه خاتم فاتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من فضة نقشه محمد رسول الله كما في الصحيحين(١) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ كِتَابًا - أَوْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ - فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لاَ يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا مَخْتُومًا، فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ، نَقْشُهُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِهِ، فَقُلْتُ لِقَتَادَةَ مَنْ قَالَ: نَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنَسٌ.

فكان الخاتم في يد رسول الله ﷺ ثم أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ست سنين وبعدها سقط في بئر أريس على عثمان فطلبه عثمان ومن كان معه ثلاثة أيام فلم يقدروا عليه.

في الصحيحين(٢) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: اتَّخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَاتَمًا مِنْ وَرِقٍ، وَكَانَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ كَانَ بَعْدُ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ كَانَ بَعْدُ فِي يَدِ عُمَرَ، ثُمَّ كَانَ بَعْدُ فِي يَدِ عُثْمَانَ، حَتَّى وَقَعَ بَعْدُ فِي بِئْرِ أَرِيسَ، نَقْشُهُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ خَاتَمُ النَّبِيِّ ﷺ فِي يَدِهِ، وَفِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَفِي يَدِ عُمَرَ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ فَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ، جَلَسَ عَلَى بِئْرِ أَرِيسَ قَالَ: فَأَخْرَجَ الخَاتَمَ فَجَعَلَ يَعْبَثُ بِهِ فَسَقَطَ، قَالَ: فَاخْتَلَفْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ مَعَ عُثْمَانَ، فَنَزَحَ البِئْرَ فَلَمْ يَجِدْهُ. رواه البخاري (٥٨٧٩)

قال الحافظ في "فتح الباري"(٣٢٩/١٠): الَّذِي يظهر أنه إِنَّمَا بَالَغَ فِي التَّفْتِيشِ عَلَيْهِ لِكَوْنِهِ أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ لَبِسَهُ وَاسْتَعْمَلَهُ وَخَتَمَ بِهِ وَمِثْلُ ذَلِكَ يُسَاوِي فِي الْعَادَةِ قَدْرًا عَظِيمًا مِنَ الْمَالِ وَإِلَّا لَوْ كَانَ غَيْرَ خَاتَمِ النَّبِيِّ ﷺ لَاكْتُفِيَ بِطَلَبِهِ بِدُونِ ذَلِكَ وَبِالضَّرُورَةِ يُعْلَمُ أَنَّ قَدْرَ الْمُؤْنَةِ الَّتِي حَصَلَتْ فِي الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ تَزِيدُ عَلَى قِيمَةِ الْخَاتَمِ لَكِنِ اقْتَضَتْ صِفَتُهُ عَظِيمَ قَدْرِهِ فَلَا يُقَاسُ عَلَيْهِ كُلُّ مَا ضَاعَ مِنْ يَسِيرِ الْمَالِ.اهـ



(١) البخاري (٦٥) مسلم (٢٠٩٢).

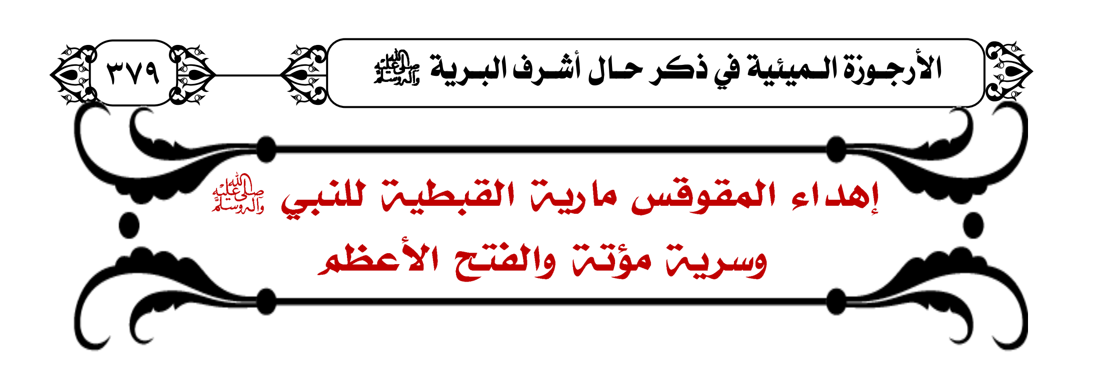
(٢)البخاري (٥٨٧٣) ومسلم(٢٠٩١).

اختيار الرسل إلى الملوك

واختار رسول الله ﷺ الرسل من أصحابه من الذين سبق وأن رحلوا إلى تلك البلاد.
فأرسل إلى النجاشي أصحمة ملك الحبشة عمرو بن أمية الضمري، وإلى هِرَقل ملك الروم دحية بن خليفة الكلبي ، وإلى كسرى ملك الفرس عبد الله بن حذافة السهمي، وإلى المقوقس ملك الإسكندرية حاطب بن أبي بلتعة، وإلى الحارث بن أبي شمر صاحب دمشق شجاع بن وهب الأسدي، وإلى هَواذة بن علي ملك اليمامة سليط بن عمرو العامري.
هذه الكتب الستة أرسلت في يوم واحد في المحرم سنة سبع من الهجرة وقد كتب كتباً أخرى في أوقات متفرقة إلى ملوك عمان والبحرين واليمن.[١]



(١) "السيرة النبوية" لابن كثير (٣/٤٩٤)، "المواهب اللدنية" (١/٥٥٥)، "سبل الهدى والرشاد" (١١/٣٤٤)، "اللؤلؤ المكنون" (٣/٣٤٩)، "تاريخ الإسلام" (٢/٥٠١)، "سير أعلام النبلاء" (٢/٩٣).



إهداء المقوقس مارية القبطية للنبي ﷺ وسرية مؤتة والفتح الأعظم

٨٠- وَأُهْدِيَتْ مَارِيَةُ الْقِبْطِيَّهْ فِيهِ وَفِي الثَّامِنَةِ السَّرِيَّهْ

٨١- لِمُؤْتَةٍ سَارَتْ وَفِي الصِّيَامِ قَدْ كَانَ فَتْحُ الْبَلَدِ الْحَرَامِ

الشرح :

قوله : «وأهديت مارية القبطية»، هي مارية بنت شمعون القبطية أهداها المقوقس للنبي ﷺ فقدمت المدينة في السنة السابعة من الهجرة وكانت جميلة دعجة من أنفس جواري مصر، أنزلها النبي ﷺ لما قدم بها في بيت الحارثة بن النعمان وبعد مرور عام على قدومها حملت مارية وفرح النبي ﷺ والمسلمون بهذا الخبر ثم ولدت في شهر ذي الحجة من السنة الثامنة للهجرة طفلاً جميلاً يشبه النبي ﷺ سماه إبراهيم وعاش إبراهيم سنة وبضع شهور ثم مات وهو ابن ثمانية عشر شهرا. عرفت بدينها وورعها وعبادتها .

وربطت مارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بين المسلمين في الأرض وبين القبط كما فعلت هاجر من قبل. فوصى بهم عليه الصلاة والسلام فقال: «إِذَا فُتِحَتْ مِصْرُ، فَاسْتَوْصُوا بِالْقِبْطِ خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا». أخرجه الطبراني في "الكبير"(١١١)، والحاكم في "المستدرك"(٤٠٣٢)، عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في "الصحيحة" للألباني (١٣٧٤).

ورحمهم أن هاجر أم إسماعيل بن إبراهيم منهم، وأم إبراهبم بن النبي ﷺ منهم.

وتوفيت في محرم السنة السادسة عشرة من الهجرة وصلى عليها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ودفنت في البقيع[١].

---

(١) "الاستيعاب " (١٩١٢/٤)، "أسد الغابة" (٢٥٣/٧)، "الإصابة"(٣١٠/٨)، "المنتظم"(٢١٨/٤)، "مرآة الزمان"، (٢٤٢/٥)، "صحيح الأثر"(ص:٣٠٩)، "فقه السيرة النبوية" لمنير الغضبان (ص:٦٧٤).

سرية مؤتة

قوله : «فيه وفي الثامنة السرية   لمؤتة سارت»

أي: وفي السنة الثامنة من الهجرة في جمادى الأولى بعث النبي ﷺ جنده إلى مؤتة[١] وسميت هذه السرية غزوة أيضا لكثرة جيشها ولكونها أعظم حرب دامية في حياة الرسول ﷺ وهي مقدمة وتمهيد لفتح بلدان النصارى ويسمى جيشها جيش الأمراء .

عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَيْشَ الْأُمَرَاءِ وَقَالَ: «عَلَيْكُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ، فجَعْفَرٌ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ، فعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيُّ». أخرجه أحمد (٢٢٥٥١)وصححه شيخنا في "الجامع الصحيح" (٢٠٩٦)

سبب الغزوة :

يذكر أهل السير أن رسول الله ﷺبعث بكتاب مع الحارث بن عمير إلى ملك بُصرى فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله صبراً وكان شرحبيل أميرًا على البلقاء من أرض الشام من قبل قيصر فغضب رسول الله ﷺ وأرسل هذه السرية إلى مؤتة[٢].

وكان عدة هذه السرية ثلاثة آلاف مقاتل وهو أكبر حشد لجند الإسلام في ذلك الوقت، يقابله جيش عرمرم أضعاف أضعافه حتى قيل: أنهم أكثر من مائة ألف مقاتل، ومع الغساسنة مائة ألف فكانوا مائتي ألف .

وهناك التقى الفريقان وبدأ الفريقان بالقتال وبدأت فعلاً معركة عجيبة لم تشهد الدنيا لها مثيلاً لكن لا عجب إذا هبت ريح الإيمان جاء ت بالعجائب[٣].

---

(١)هي الآن بلدة أردنية عامرة بالسكان على بعد إحدى عشر ميلاً جنوب الكَرْك.

(٢)وهذا الخبر انفرد به الواقدي وهو متروك ضعيف لايُعتمد عليه خاصة إذا انفرد بالخبر.اه انظر: "السيرة النبوية الصحيحة"(٤٦٧/٢)، "ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية" (ص:١٨٣)

(٣) "سيرة ابن هشام" (٣٧٣/٢)،"دلائل النبوة" للبيهقي (٣٥٨/٤)،"السيرة النبوية" لابن كثير (٤٥٥/٣)، "إمتاع الأسماع"(٣٥٩/١٣)، "سبل الهدى والرشاد" (١٤٤/٦)، "شرح الزرقاني على المواهب"(٣٣٩/٣)، "تاريخ الطبري" (٣٦/٣)، "تاريخ الإسلام" (٤٧٩/٢)، "سير أعلام النبلاء"(٨٠/٢).

مختصر الغزوة[(١)]

أقام النبي ﷺ بالمدينة بعد عمرة القضاء بقية شهر ذي الحجة، والمحرم، وصفر، وربيع الأول، والثاني، وبعث في جمادى الأولى جيشًا إلى الشام، قوامه ثلاثة آلاف مقاتل. وكانت هذه القبائل من بلاد الشام موالية للإمبراطورية الرومية البيزنطية وخاضعة تحت سيطرتها وكان هذا هو أول احتكاك للمسلمين بهذه الإمبراطورية العظيمة أو لقبائل موالية لها. ومضى الجيش بقيادة زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى نزل مَعان من أرض الشام، فبلغ الناس أنَّ هرقل قد نزل مآب، من أرض البُلْقاء، في مائة ألف من الروم، وانضم إليهم من لخم وجزام والقَيْن وبهراء وبليٍّ مائة ألف أخرى، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره فنمض له، فشجع الناس عبد الله بن رواحة، وقال: يا قوم والله إن التي تكرهون لَلَّتي خرجتم تطلبون؛ الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور، وإما شهادة، فقال: الناس قد والله صدق ابن رواحة، فمضى الناس، حتى إذا كانوا بتَخوم[(٢)] البلقاء لقيتهم جموع هرقل، من الروم والعرب، بقرية من قرى البلقاء يقال لها: مشارف، ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة، فالتقى الناس عندها، فتعبأ لهم المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عُذْرة، يقال له: قطبة بن قتادة، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له: عَبَاية بن مالك، ثم

---

(١)اصطلح أهل التاريخ والسير على إطلاق اسم (الغزوة) على كل وقعة يقودها النبي ﷺ بنفسه، أما ما لم يشترك فيها النبي ﷺ فيُسمُّونها (سرية)، وهذه السرية برغم أن النبي ﷺ لم يشترك فيها بنفسه إلا أنك ترى جمهور أهل السير والمغازي يسمونها (غزوة)، وإنما ذلك لكبرها وكثرة عدد جَيْشِ المسلِمِين فيها؛ ولكونها أعظم حرب دامية خاضها المسلمون في حياة الرسول ﷺ، وهي مقدمة وتمهيد لفتح بلدان النصارى. انظر: "شرح المواهب"(٣/٣٣٩)، "الرحيق المختوم"(٣٨٧)، "اللؤلؤ المكنون"(٣/٥٨٣)، "الأغصان الندية شرح الخلاصة البهية" (ص:٤١٤).

(٢)التخوم: حدود الأرضَيْن التي تقع بين أرض وأرض، ويقال بفتح التاء أو ضمها.

التقى الناس واقتتلوا، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط[١] في رماح القوم، ثم أخذها جعفر فقاتل بها، حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، ثم أخذ يقاتل وهو يقول:

يا حَــبَّذا الجنةُ واقْـترابُها | طيِّبــةً وبــاردًا شــرابُها
والرومُ رومٌ قـد دنا عذابُها | كافــرةٌ بــعيدةٌ أنـسابُها
عــليَّ إذ لاقــيتُها ضِــرابُـها

ثم قاتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى قُتل، ويقال أنه أخذ الراية بيمينه، فقُطِعت يمينه، فأخذها بشماله فقُطِعت، فاحتضنها بعضديه حتى قُتِل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأثابه الله جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء. ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتقدَّم بها وهو على فرسه، فجعل يتردَّد بعض الشيء ثم قال:

أقْسَـمتُ يــا نــفسُ لتنزلنَّهْ | لتَـــنْزلنْ أوْ لَتُــكرهَنَّــهْ
إنْ أجْلَبَ الناسُ وشدُّوا الرنَّهْ | ماليْ أَراكِ تكرهين الـجنة
قد طـالـما قـد كنتِ مُطْمئنه | هــل أنتِ إلا نطفــة في شَنَّه

وقال أيضًا:

يا نـــفسُ إلا تُقْـتلي تـموتي | هذا حِمامُ الموتِ قد صليتِ
وما تمنَّيت فقـــد أعْـطيتِ | إن تفـعلي فعـلهما هديتِ

يريد صاحبيه: زيدًا وجعفرًا، ثم نزل، فلما نزل أتاه ابن عم له بعَرْق من لحم فقال: شُدَّ بهذا صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذا ما لقيت، فأخذه من يده ثم انتهش منه نهشة، ثم سمع الحَطْمَة في ناحية الناس، فقال: وأنت في الدنيا، ثم ألقاه من يده، ثم أخذ بسيفه فتقدم، فقاتل حتى قُتِل.

فلما قُتل القوَّاد الثلاثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أخذ الراية ثابت بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثم قال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على

---

(١)شاط: أي هلك تقول شاط الرجل، إذا سال دمه فهلك.

خالد بن الوليد... فلما أخذ الراية دافع وانحاز بالمسلمين حتى انصرف وكان انسحابًا منظمًا لم يُلحق بالمسلمين خسائر كثيرة، بل لم يستشهد من المسلمين في المعركة كلها سوى ثلاثة عشر صحابيًا فقط واستحق خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقب: «سيف الله»، الذي منحه إياه الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

وكان النبي ﷺ قد أخبر مَنْ بالمدينة خبر المعركة، ومقتل قادة المسلمين الثلاثة، وأَخْذَ خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الراية، ثم انسحابه، وهو يبكي ﷺ وعيناه تذرفان.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نَعَى النبي ﷺ زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ: أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ، حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الله حَتَّى فَتَحَ الله عَلَيْهِمْ.[1]

وهذه من معجزاته ﷺ حيث أخبر الناس خبر القوم قبل أن يأتيه الرسول بالخبر، وقد سمَّى النبي ﷺ انسحاب خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المنظم بالجيش فتحًا، وإنما ذلك لما أوقعه المسلمون بالروم من خسائر رغم تفوقهم العددي الكبير.[2]

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦٢)

(٢) "الأغصان الندية"(ص:٤١٤)، "مغازي الواقدي" (٧٥٥/٢)، "سيرة ابن هشام" (٣٧٣/٢)، "دلائل النبوة" لأبي نعيم الأصبهاني (ص:٥٢٨)، "تاريخ الطبري"(٣٦/٣)، "جوامع السيرة" (ص:١٧٤)، "دلائل النبوة للبيهقي" (٣٥٨/٤)، "الروض الأنف"(١٠/٧)، "الاكتفاء"(٤٩٢/١)، "عيون الأثر"(١٩٦/٢)، "الفصول في السيرة" (ص:١٩٣)، "المقتفى من سيرة المصطفى"(ص:١٩٢)، "إمتاع الأسماع" (٣٣٧/١)، "سبل الهدى والرشاد" (١٤٤/٦)، "شرح الزرقاني على المواهب"(٣٣٩/٣)، "مرويات الإمام الزهري في المغازي" (٦٨١/٢)، "اللؤلؤ المكنون"(٥٨٣/٣)، "المنتظم" (٣١٨/٣)، "تاريخ الإسلام" (٤٧٩/٢)، "البداية والنهاية" (٢٧٥/٤)، "الطبقات الكبرى"(٩٧/٢)، "زاد المعاد"(٣٣٦/٣)، "الإشارة إلى سيرة المصطفى" (ص:٢٩٨)، "السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة"(٣٢٤/٣)، "السيرة النبوية الصحيحة" (٤٦٧/٢)، "غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية" (ص:٤٥).

فتح مكة

قوله: «..... وفي الصيام   قد كان فتح البلد الحرام».

أي: وفي شهر الصيام شهر رمضان من السنة الثامنة من الهجرة قد كان فتح البلد الحرام، هذا الفتح الذي أعز الله به دينه ورسوله ﷺ وجنده وحزبه الأمين واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدىً للعالمين من أيدي الكفار والمشركين .

مختصر فتح مكة المشرفة(١)

كان من شروط صلح الحديبية أن لكل قبيلة الحق في أن تتحالف مع من شاءت، فأعلنت خزاعة تحالفها مع محمَّد ﷺ، وأعلنت بنو بكر تحالفها مع قريش، وكان بين هاتين القبيلتين ثارات جاهلية، وآخرها تمكن خزاعة من قتل أشراف بني كنانة من بني الأسود بن رَزْن الدِّيلي عند أنصاب الحرم من جهة عرفة، وقد حجز الإِسلام بينهم حتى كانت السنة الثامنة للهجرة حيث حانت فرصة لبني الأسود بن رَزن الديلي للأخذ بثأرهم، حين اجتمعت خزاعة على ماء يقال له: (الوتير) بأسفل مكة فهجدوهم ليلًا، وكان الأمر مباغتا لخزاعة فلم تستعد لقتال، ولذا فروا من المكان باتجاه الحرم، وحينما دخلوا حدود الحرم قال أناس من بني الديل لزعيمهم نوفل بن معاوية الديلي: إِلاهك، إِلاهك، فقال كلمة عظيمة: «لا إِله له اليوم، يا بني بكر أصيبوا ثأركم» فقاتلوا في الحرم وانتهكوا حرمته.

وكان المفترض أن قريشا تمنع مثل هذا الاعتداء وتستنكره، ولكنها أعانت على خزاعة بالسلاح وقالت: ما يَعلَمُ بنا محمدٌ وهَذا اللَّيلُ، وما يَرانا أَحَدٌ. فأَعانوهُم عَلَيهِم بالكُراعِ والسِّلاحِ، فقاتَلوهُم مَعَهُم لِلضِّغنِ على رسولِ اللهِ ﷺ، وقيل: شارك بعضهم كسهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية وغيرهما.

وأسرع عمرو بن سالم الخزاعي إِلى المدينة ووقف أمام النبي ﷺ وقال منشدًا هذه الأبيات:

---

(١)من "صحيح الأثر وجميل العبر" (ص:٢٤٨).

اللــهُمَّ إنِّى نــاشِـدٌ مـحـمدا حِــلفَ أبينا وأَبيـه الأتـلَدا
كُـنّا والِـدًا وكُــنتَ ولَــدا ثُمَّــتْ أسلَمنا ولَم نَنزِعْ يَـدا
فانصُــرْ رسولَ اللهِ نَصرًا عُتَّدَا وادعوا عِبــادَ اللهِ يأتوا مَدَدَا
فيهِــم رســولُ اللهِ قَـد تجَرَّدا إنْ سِيمَ خَـــسفًا وجهُه تَرَبَّدا
فى فيـلَقٍ كالبَحرِ يجَرِى مُزبدا إنَّ قُــرَيشًا أخلَفـوكَ المَوعِدا
ونَقَضــوا ميثــاقَكَ المُـؤَكَّدا وزَعَمـوا أنْ لَستُ أدعو أحَدا
فهُـــم أذَلُّ وأَقَـــلُّ عَـــدَدا قَد جَعَلوا لِى بكَداءٍ مَـرصَدا
هُـــم بَيَّــتونا بالـوَتيرِ هُجَّدا فقَـتَلونا رُكَّـــعًا وسُجَّـــدا

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «نُصِرتَ يا عمرَو بنَ سالِمٍ». فما بَرِحَ حَتّى مَرَّت عَنانَةٌ فى السَّماءِ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ هذه السَّحابَةَ لَتَستَهِلُّ بنَصرِ بَنِى كَعبٍ». وأَمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ النّاسَ بالجَهازِ وكَتَمَهُم مخَرَجَه، وسأَلَ اللَّهَ أن يُعَمِّىَ على قُرَيشٍ خَبَرَه حَتَّى يَبغَتَهُم فى بلادِهِم.[(١)]

وقد شعرت قريش بخطورة الأمر ولذا سار زعيمها أبو سفيان بن حرب إلى المدينة مسرعا لاستجلاء الأوضاع، وقابل في الطريق بديل بن ورقاء الخزاعي في جماعة من خزاعة عند عسفان، فسأله: متى عهدكم بيثرب؟ فقال بديل: لا علم لنا بذلك، فعلم أنهم كتموا أمرهم، وحاول استجلاء الخبر فلم يصل إلى شيء، وعند رحيلهم جاء مبرك نوقهم فوجد بعرها ففته فوجد نوى التمر فقال: أحلف بالله لقد جاء القوم محمدًا. وحاول تجديد العقد ولكنه فشل في ذلك حيث حاول مع أبي بكر أن يكلم رسول الله ﷺ فقال: ما أنا بفاعل. ثم سار إلى عمر فقال له عمر: أنا أشفع لكم عند رسول الله ﷺ؟ والله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به.

وحرص رسول الله ﷺ عند التجهز إخفاء أمره حتى يباغت قريشًا فلا تستعد للقتال حتى لا يحصل بمكة قتال لتعظيم الله ورسوله لها، ولكن حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

---

(١) "السنن الكبرى" للبيهقي (١٦٥/١٩)، وهو حديث حسن كما في "أنيس الساري" (١٩٦٣/٣)

كتب لقريش يخبرهم بعزم الرسول الله ﷺ المسير إليهم، وأخبر الله رسوله ﷺ بخبر الرسالة، وأنها مع امرأة في روضة خاخ ، فبعث عليا، والمقداد، والزبير بن العوام، فلما طلبوا منها الكتاب أنكرت فقال علي: إني أحلف بالله ما كَذب رسول الله ﷺ، ولا كُذب ولتخرجن الكتاب أو لنكشفنك. فقالت: أعرضوا، وحَلّت قرون رأسها واستخرجت الكتاب، ودعا رسول الله ﷺ حاطبا، وقال له: ما حملك على هذا؟ فقال: يارسول الله إني امرؤ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليه، ولم أفعله ارتدادًا عن ديني ولا رضًا بالكفر، فقال رسول الله ﷺ: إنه قد صدقكم. فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك يا عمر أن الله عَزَّ وجَلَّ اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».(١)

وقَدْ مَوّهَ ﷺ كعادته في الخروج للغزو فأرسل أبا قتادة بن ربعي إلى بطن إضم، ليظن الظان أنه متوجه صوب تلك المنطقة، وخرج رسول الله ﷺ في العاشر من رمضان بعد العصر وخَيرّ الناس بين الصوم والفطر، وسار حتى كان بالعرج ، وهو صائم فصب على رأسه ووجهه الماء من العطش، وعند الجحفه لقيه عمه العباس مسلمًا مهاجرًا بأهله، فأرسل أهله إلى المدينة وسار هو مع رسول الله ﷺ. ولما بلغ قديدًا لقيته سُليم، وعقد الألوية والرايات ودفعها للقبائل في قديد.

وكان قد لقيه ابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وابن عمته عبد الله ابن أبي أمية بن المغيرة بنيق العقاب. فردهما فتوجهت لهم أم المؤمنين أم سلمة وقالت: لا يكون ابن عمك وصهرك أشقى الناس بك، فقبلهما وأسلما ، وعندما بلغ الكديد أفطر وقت العصر وهو على دابته حتى يراه الناس، وبقي مفطرًا حتى آخر الشهر(٢).

وعسكر جيش الرسول ﷺ في مر الظهران، وأمر الناس بإيقاد النيران، واستأذن العباس

---

(١)صحيح البخاري (٣٠٠٧).

(٢)صحيح البخاري (١٩٤٤، ١٩٤٨).

رسول الله ﷺ أن يأخذ بغلته لعله يجد أحدًا من الحطَّابة أو غيرهم حتى يُبلِّغوا أهل مكة بالسارعة إِلى لقاء رسول الله ﷺ ويطلبوا الأمان، فسار على بغلة الرسول ﷺ، وإِذا بصوت أبي سفيان يحادث بُديل بن ورقاء قائلا: ما رأيت كالليلة نيرانًا قط ولا عسكرا!. فقال بديل: هذه والله خزاعة حمشتها الحرب. فقال أبو سفيان: خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها، وهنا سمع العباس الصوت وعرفه. فقال: يا أبا حنظلة، فقال: لبيك يا أبا الفضل. فقال العباس: ويلك هذا رسول الله ﷺ في عشرة الآف، فقال: واصباح قريش والله، بأبي أنت وأمي فما تأمرني هل من حيلة؟ قال: نعم اركب عجز هذه البغلة فأذهب بك إلى رسول الله ﷺ فأستأمنه لك. فحمله العباس وسار وكلما مر بنار، قال الناس: من هذا؟ حتى مر بنار عمر بن الخطاب فعرفه عمر فقال: أي عدو الله!! الحمدلله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد فأسرع العباس يركض البغلة حتى دخل على رسول الله ﷺ عليه، وقبل أن يتكلم وإِذا بعمر يقول: يا رسول الله: هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعنى فلأضرب عنقه. قال العباس: يا رسول الله إِني قد أجرته، ولكن عمر كان يلح، فغضب العباس وقال: مهلًا ياعمر، فوالله لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا، ولكنك عرفت أنه من رجال بني عبد مناف، فقال: مهلا يا عباس، فوالله لإِسلامك يوم أسلمت كان أحب إِلي من إِسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إِلا أني قد عرفت أن إِسلامك كان أحب إِلى رسول الله من إِسلام الخطاب لو أسلم. واستأذن العباس بأن يأخذ أبا سفيان في رَحْلِه، وفي الصباح جاء به إِلى رسول الله ﷺ فأسلم، وأوقفه العباس بأمر رسول الله ﷺ في عرجة الوادي حتى يرى قوة جيش المسلمين وسارت أمامه الكتائب حتى مَرّ به سعد بن عبادة فقال: اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشًا، فاشتكى أبو سفيان للرسول ﷺ فقال ﷺ: بل اليوم تعظم الكعبة، اليوم أعز الله قريشًا، وعزل سعدًا وولى ابنه قيس. وقال أبو سفيان للعباس: لقد عظم ملك ابن أخيك اليوم، فقال العباس: إِنها النبوة. قال: نعم.

وأعطى الرسول ﷺ أبا سفيان فضلا وشرفًا حيث قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل داره وأغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن.

وقسم رسول الله ﷺ الجيش إلى كتائب: منها كتيبة عليها الزبير وأمرها أن تدخل مكة من كَداء (الحجون). وكتيبة يقودها خالد بن الوليد وأمرها أن تدخل مكة من أسفلها من كُدَى (جبل الكعبة). وقد جمع بعض زعماء مكة قوة صغيرة عليها عكرمة، وصفوان، وسهيل، عند جبل خندمه، ومعهم شاب يقال له: حماس بن قيس، رأته امرأته يصلح سلاحه فقالت: لمن تفعل هذا؟ قال: لمحمد وأصحابه. قالت: والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء. قال: إني والله أرى أني سأخدمك بعض أصحابه، فخرج وبعد وقت ليس بالطويل عاد وَجِلًا خائفا، وأغلق الباب، وقال لامرأته: أحكمي غلق الباب. قالت: أين الخدم؟ أين ما كنت تقول؟ فقال:

إِنَّـكِ لَوْ شَهِـدْتِ يَوْمَ الْخَنْدَمَهْ ... إِذْ فَـرَّ صَفْـوَانُ وَفَرَّ عِكْرِمَهْ
وَأَبُـو يَزِيدَ قَائِـمٌ كَالْمُـوتَمَهْ ... وَاسْتَقْبَلَتْهُمْ بِالسُّيُـوفِ الْمُسْلِمَهْ
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِـدٍ وَجُـمْجُمَهْ ... ضَـرْبًا فَلَا يُـسْمَعُ إِلَّا غَـمْغَمَهْ
لَهُـمْ نَهِـيتٌ خَلْفَنَا وَهَـمْهَمَهْ ... لَمْ تَنْـطِقِي فِي الـلَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَهْ

ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر (ريع ذاخر) ورأى السيوف تلمع فقال: ما هذا ألم أنه عن القتال؟ فقالوا: يا رسول الله، خالد بن الوليد قوتل ولو لم يُقَاتل ما قَاتَل، وما كان يارسول الله ليعصيك، ولا ليخالف أمرك، فقال رسول الله ﷺ: «قضاء خير».

ودخل رسول الله ﷺ مكة ومن تواضعه وشكره لله على نعمته أن فتح الله عليه البلد الحرام، كانت لحيته تكاد تمس رحله.

وسار حتى وصل البيت الحرام وفي يده قوس فصار كلما مر بصنم أشار إليه وطعنه في عينيه؛ والأصنام تتساقط وهي ثلاثمائة وستون صنمًا وهو يقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾. ثم دخل دار أم هانيء بنت أبي طالب وصلى في دارها ثماني ركعات[1]. قال بعض العلماء: إنها صلاة الشكر وقد فعلها سعد بن أبي وقاص يوم دخل المدائن، وقال بعضهم بل هي صلاة الضحى.

---

(١)صحيح البخاري (٤٢٩٢).

وكان قد أمر برجال ونساء أن يقتلوا أينما وجدوا، منهم: عبد الله بن خطل، وجد متعلقا بأستار الكعبة فَقُتِل وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية وقد فَرّا بعد الهزيمة جهة اليمن كل على حده، فأسلمت أم حكيم امرأة عكرمة، وطلبت الأمان لزوجها، فوهبه لها رسول الله ﷺ، فلحقت به حتى أعادته إلى مكة، وأما صفوان فطلب صاحبه عمير بن وهب الجمحي من رسول الله ﷺ أن يؤمنه شهرين، وسار عمير حتى لحق به، وأخبره الخبر، وعاد صفوان ولا زال الخوف والوجل في قلبه فلما وقف على الرسول الله ﷺ وقد صلى بالناس العصر في المسجد، قال له صائحًا: يا محمد، إن عمير بن وهب جاءني ببردك، وزعم أنك دعوتني إلى القدوم عليك، فإن رضيتُ أمرًا وإلا سيرتني شهرين، فقال: إنزل أبا وهب، قال: لا والله حتى تبين لي، قال: بل لك تسيير أربعة أشهر، فنزل صفوان. وكان ممن أهدر دمه عبد الله بن سعد بن أبي السرح وكان قد أسلم ثم ارتد. وجاء به أخوه من الرضاعة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورسول الله ﷺ في جماعة، وصار يستشفع له ويطلب الصفح عنه ورسول الله ﷺ لا يتكلم، حتى طال الوقت فأعطاه الأمان، فخرج مع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال ﷺ: أما فيكم رجلٌ رشيد يقوم إلى هذا حين رأى أني قد صَمَتُّ فيقتله. فقالوا: يا رسول الله، هَلّا أومأت إلينا بم فقال: إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين(١).

وأمر ﷺ بلالًا أن يصعد على الكعبة ليؤذن لصلاة الظهر؛ وليغيظ المشركين، وبالفعل حصل هذا وكان ﷺ قد أخذ مفتاح الكعبة فدخلها بعد أن طُهِّرت من الصور التي بداخلها وكَبّر في نواحيها وصلى ركعتين، ثم سَلّم مفتاح الكعبة لعثمان بن طلحة.

وأرسل رسول الله ﷺ السرايا لهدم الأصنام ودعوة القبائل المحيطة بمكة، فأرسل خالد بن الوليد لهدم العزى، وخالد بن سعيد بن العاص إلى عُرَنه، وهشام بن العاص قِبَل يلملم، وسعد بن زيد الأشهلي إلى مناة الطاغية عند المشلّل من قديد، وعمرو بن العاص إلى رهاط لهدم الصنم سواع.

---

(١) "صحيح سنن أبي داود" (٢٣٣٤).

وبقي رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة ليلة يقصر فيها الصلاة[(١)]

وقد رتب رسول الله ﷺ أمور مكة فعين عليها عتاب بن أسيد أميرًا عندما خرج إلى حنين، كما عين أبا محذورة مؤذنًا للمسجد الحرام، وأمر معاذ بن جبل بتعليم الناس السنن والفقه والتدريس في المسجد الحرام، وأضاف معه بعد رجوعه من الطائف أباموسى الأشعري.

وبعث تميم بن أسد الخزاعي فجدد أنصاب الحرم. وخطب ﷺ في الناس موضحا حرمة مكة، وقال: «إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، وقد أذن الله له بالقتال فيها ساعة من نهار ثم عادت حرمتها كما كانت»[(٢)].[(٣)]

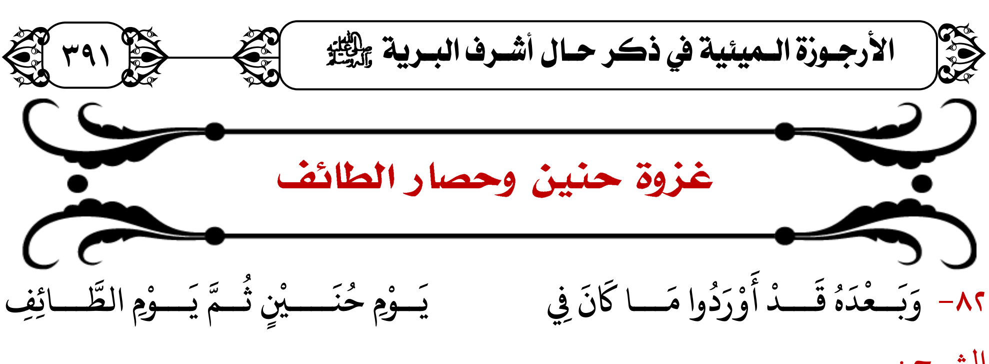


---

(١)وفي رواية: عشرًا، وفي أخرى: تسع عشرة ليلة. صحيح البخاري (٤٢٩٧) و (٤٢٩٨).

(٢)صحيح البخاري (٤٣١٣).

(٣)انظر لخبر الفتح الأعظم: "مغازي الواقدي" (٢/ ٧٨٠، ٣/ ٨٧٥)، "سيرة ابن هشام"(٢/ ٣٨٩)، "البداية والنهاية" (٤/ ٣١٧)، "زاد المعاد"(٣/ ٣٤٧)، "سبل الهدى" (٥/ ٢٠٠)، "شرح الزرقاني على المواهب" (٣/ ٣٧٦)، "إنارة الدجى" (ص: ٥٩٤)، "الاكتفاء" (١/ ٤٩٨)، "عيون الأثر" (٢/ ٢١١) ، "مرويات الإمام الزهري في المغازي" (٢/ ٧٤٣)، "المنتظم" (٣/ ٣٢٤) "الإشارة" (ص: ٣٠٦)، "جوامع السيرة" (١٧٧)، "دلائل النبوة" للبيهقي (٥/٥)، "الدرر" (ص: ٢١١)، "الفصول" (ص: ١٩٥)، "إمتاع الأسماع" (٢/ ٧)، "تاريخ خليفة بن خياط" (ص: ٨٧)، "المعرفة والتاريخ" (٣/ ٢٥٩)، "فتوح البلدان" (ص: ٤٥)، "البدء والتاريخ" (٤/ ٢٣٢)، "الكامل في التاريخ" (٢/ ١١٥)، "تاريخ الإسلام" (٢/ ٥٢١)، "تاريخ ابن خلدون" (٢/ ٤٥٧)، "شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام" (٢/ ١٣١)، "سير أعلام النبلاء" (٢/١٠٤)، "العقد الثمين" (١/ ٤٠٦)، "أنساب الأشراف" للبلاذري (١/ ٣٥٣)، "مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن" (١/ ٣٣٦)، "السيرة النبوية الصحيحة" للعمري(٢/ ٤٧٣)، "اللؤلؤ المكنون" (٤/ ٧)، "ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية" (ص: ١٨٨).



غزوة حنين وحصار الطائف

٨٢- وَبَعْدَهُ قَدْ أَوْرَدُوا مَا كَانَ فِي ... يَوْمِ حُنَيْنٍ ثُمَّ يَوْمِ الطَّائِفِ

الشرح:

أي: وبعد فتح مكة كانت غزوة حنين(١) ومعها حصار الطائف، وقد أورد أهل السير في مؤلفاتهم ما كان فيهما من أخبار، وكانت يوم السبت السادس من شوال من هذه السنة الثامنة من الهجرة.

غزوة حنين

سبب الغزوة

هو جمع هوازن وثقيف لقتال الرسول ﷺ بعد فتح مكة، وأرادوا موقعة حاسمة ولذا حشدوا الأموال والنساء والأبناء حتى لايفر أحد منهم ويترك أهله وماله وكان يقودهم مالك بن عوف النصري وبلغ جمعهم عشرين ألفا.

خرج الرسول ﷺ ومعه اثني عشر ألفاً وأمَّر على مكة عتاب بن أسيد وهو أول أمير في الإسلام عليها.

مختصر الغزوة(٢)

لما علمت هوازن بدخول النبي ﷺ مكة وفتحها صارت تجمع القبائل استعدادًا للحرب، للمبادرة قبل أن يغزوها رسول الله ﷺ، واجتمع لها من القبائل، ثقيف، ونصر، وجشم

---

(١)وتسمى أيضاً: «غزوة أوطاس» و«غزوة هوازن»، حنين وأوطاس: مَوْضِعَانِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، فَسُمِّيَتِ الْغَزْوَةُ بِاسْمِ مَكَانِهَا، وَتُسَمَّى غَزْوَةَ هَوَازِنَ، لِأَنَّهُمُ الَّذِينَ أَتَوْا لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. "زاد المعاد" (٤٠٨/٣).

(٢) "صحيح الأثر وجميل العبر" (ص:٢٥٨-٢٦١)

كلها، وسعد بن بكر، وغيرهم. وغاب عنها من هوازن فرعا كعب وكلاب. وقادهم شاب في الثلاثين من عمره هو مالك بن عوف النصري.

وكان في جشم دُريد بن الصِّمة وهو يومئذ ابن ستين ومائة، وهو شيخ قد عمي، ليس فيه إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب، وكان شيخا مجرِّبا.

واجتمع الناس بأوطاس، فسمع دريد الأصوات فسأل: بأي واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس. قال: نِعمَ مجال الخيل، لا حَزْن ولا ضَرْس، ولا سَهْل دهِس، ما لي أسمع بكاء الصغير، ورغاء البعير، ونهاق الحمير، ويعار الشاء، وخوار البقر؟ قالوا: ساق مالك مع الناس أبناءهم، ونساءهم، وأموالهم، فاستدعى مالكًا واستنكر عليه إحضار الأموال والذرية، فقال مالك: أردت أن أجعل خلف كل إنسان أهله وماله يقاتل عنهم؛ فانقض به، وقال: راعي ضأن والله، ما له وللحرب، ثم قال: هل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحت في أهلك ومالك. وأصر مالك على رأيه وهدد بقتل نفسه إن لم تطعه القبائل، فأطاعوه فقال دريد بن الصمة: هذا يوم لم أشهده ولم يفتني

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعْ   أَخُبُّ فِيهَا وَأَضَعْ
أَقُودُ وَطْفَاءَ الزَّمَعْ   كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعْ

وأرسل رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي ليتأكد من جمعهم وخروجهم، واستطاع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الدخول فيهم، فرجع وأخبر النبي ﷺ بالخبر، وقد احتاج ﷺ سلاحًا فاستعار من صفوان بن أمية أدرعا، وقال صفوان: أغصبًا يا محمد؟ قال: بل عارية مضمونة حتى نردها إليك. فأعطاهم مائة درع، وحملها لهم، واستعار ﷺ من نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ثلاثة الآف رمح.

وخرج رسول الله ﷺ في عشرة الآف قدموا معه من المدينة وما حولها، وألفان ممن أسلم بمكة وذلك في شوال من السنة الثامنة.

ومر بمن معه على شجرة يعظمها أهل الجاهلية تسمى ذات أنواط يعلقون بها أسلحتهم، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يوما، فقال بعض حدثاء الإسلام: يا رسول الله، اجعل

لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال ﷺ: «الله أكبر، قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ إنها السنن، لتركبن سنن من كان قبلكم». وقال بعض من خرج في جيش المسلمين: لن نغلب اليوم من قِلّة؛ إعجابا بكثرتهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة:٢٥].

وتقدم المشركون من سهل أوطاس نحو مكة، والتقى الجيشان في وادي حنين وكان قائد المشركين قد عبأ أصحابه من آخر الليل وفرقهم في الشعاب، وأوعز إليهم أن يحملوا على رسول الله ﷺ حملة واحدة.

ورتب ﷺ أصحابه وصفهم صفوفا بالسَّحَر، ثم ساروا في الوادي في عَماية الصبح فما راع الناس إلا الكتائب تشد عليهم شدة رجل واحد، فانكشفت مقدمة جيش المسلمين؛ فولوا الأدبار، وتبعهم أهل مكة، وتبعهم الناس منهزمين ما يلوون على أحد، وارتفع الغبار، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ثم قال: «أيها الناس هلم إليّ، هلم إلي أنا رسول الله، أنا محمَّد بن عبد الله. وأمر العباس أن ينادي بصوته الجهوري: يا أهل السمرة، يا أهل سورة البقرة وآل عمران، وأخذ رسول الله ﷺ يركض بغلته تجاه العدو وهو يقول: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ، ولما رأى بعض أهل مكة الهزيمة تكلموا وقالوا: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وقال أحدهم: ألا بَطَل السحر اليوم. فقال صفوان بن أمية وهو مشرك يومئذ: اسكت فظ الله فاك، والله لئن يَربّني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن. وصار من يسمع صوت النبي ﷺ وصوت العباس يُردِّد، ومن يسمع وهو منهزم يعود سريعا، حتى إن بعضهم نزل عن دابته خشية أن يتأخر في الاستجابة، ومن بقي على دابته ما عاد إلا وقد انتهى الأمر وهزم الله المشركين، فمنهم من فرّ، ومنهم من قُتِل، ومنهم من كُتِّف وأُسِرَ، وجيء بالنساء والإبل والغنم والبقر والأموال.

وثبت مع النبي ﷺ يومئذ عمه العباس، وابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب في ثمانين رجلًا من المهاجرين والأنصار. ونظر رسول الله ﷺ إلى قتال الناس فقال: هذا حين حمي الوطيس، ثم أخذ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال: انهزموا ورب محمد. وأمد الله رسوله الكريم ﷺ بالسكينة ونزول الملائكة. وذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة:٢٦].

وجمع رسول الله ﷺ الغنائم وأمر بها أن توضع بالجعرانة وبقيت بها حتى عاد من الطائف. وكان السبي ستة آلاف رأس، والإبل أربعة وعشرين ألف بعير، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية فضة. وجعل عليها مسعود بن عمرو الغفاري. ولما انهزمت هوازن انقسمت فرقتين؛ فرقة رجعت إلى أوطاس، والأخرى ذهبت إلى الطائف، فأرسل رسول الله ﷺ سرية بقيادة أبي عامر الأشعري لمطاردة فلول هوازن بأوطاس فقاتلهم، وقُتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأخذ الراية أبوموسى الأشعري وهو ابن أخيه فقاتلهم ففتح الله على يديه وهزمهم.



حصار الطائف

هو امتداد لغزوة حنين وتعقب المسلمين للقضاء على الهاربين من هوازن.

سار ﷺ من حنين إلى الطائف على طريق نخلة اليمانية، ثم على المنازل، وسلك على المليح، ثم على بحرة الرغاء، حيث التف على الطائف حتى خرج عليها من جنوبها جهة لِيه. وهدم حصن مالك بن عوف في لِيّة، ووصل الطائف وحاصرها، وعسكر بجيشه قرب حصنهم فآذتهم السهام والسكك المحمية بالنار، حتى أن أبا سفيان بن حرب أصيبت عينه فجاء بها في يده، فخيره بها أو بمثلها في الجنة، فاختار ما في الجنة ورمى بعينه، فابتعد

ﷺ عن الحصن ودعاهم إلى المبارزة فلم يخرج منهم أحد، ودعا الموالي للخروج ومن خرج فهو حر، فأتاه بضعة عشر، وقيل: ثلاثة وعشرون، منهم أبو بكرة نفيع بن الحارث ابن مسروح الثقفي، وسمي بذلك لأنه تَدلّى من الحصين ببكرة.

وبعد حصار استمر ما يقارب الشهر أعلن عزمه على الرحيل، فشق ذلك على أفراد من الجيش وقالوا: لا نبرح أو نفتحها، فقال النبي ﷺ: فاغدوا على القتال، قال: فغدوا فقاتلوهم قتالًا شديدًا وكثر فيهم الجراحات، فقال رسول الله ﷺ: «إنا قافلون غدًا إن شاء الله»، فسكتوا، فضحك رسول الله ﷺ. ثم أمر عمر أن ينادي بالرحيل فلما ركب ﷺ دعا لثقيف قائلا: «اللّهُمَّ اهدهم واكفنا مؤنتهم».



تقسيم غنائم حنين

عاد الرسول ﷺ من الطائف إلى الجعرانة ثم بدأ في توزيع الغنائم وكان يعطي زعماء مكة، وزعماء القبائل ويجزل لهم في ذلك، يتألفهم على الإسلام، فأعطى أبو سفيان بن حرب أربعين أوقية من الفضة، ومائة من الإبل، وأعطى إبنيه يزيد، ومعاوية، فقال أبو سفيان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد حاربتك فنعم المحارب كنت، وسالمتك فنعم المسالم أنت، هذا غاية الكرم جزاك الله خيرًا.

وأعطى حكيم بن حزام مائة، ثم سأله فأعطاه مائة أخرى، ثم سأله فأعطاه مائة، وقال له: يا حكيم، هذا المال خَضِرة حلوة من أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى، فيقال: فأخذ حكيم المائة الأولى وترك ما عداها، وقال حكيم: والله يا رسول الله، والذي بعثك بالحق نبيا لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا، فكان أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئًا، وكذلك رفض العطاء من عمر.



وأعطى رسول الله ﷺ الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة بن حصن بن بدر مثله، وأعطى العباس بن مرداس السلمي أربعين، فقال شعرًا يعاتب الرسول ﷺ في نقص عطائه عمن سبقه:

أتـجعل نَهْـــبي ونَهْبَ العُبيـ ـــد بـين عيينة والأقـــرع؟

فـما كان بــــدر ولا حابس يفوقان مرداس في الـمجمع

ومــا كنتُ دون امرئ منهما ومـن تـخفض اليوم لا يُرفع

فأكمل له المائة. وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائة من النَعَم، ثم مائة، ثم مائة. ووقع في نفوس الأنصار أن رسول الله ﷺ يعطي الناس ويوزع الغنائم ويدعهم، خاصة أنه يعطي من أسلم حديثا، أو من لم يسلم بعد، أما هم فلم يُعط أحدٌ منهم بعيرًا ولا شاة، حتى كثر فيهم الحديث، وقال قائلهم: يغفر الله لرسول الله، إن هذا لهو العجب؛ يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، إذا كانت شديدةٌ فنحن نُدْعَى ويعطى الغنيمةَ غيرُنا؟ وددنا أن نعلم ممن كان هذا، فإن كان من أمر الله تعالى صبرنا، وإن كان من رأي رسول الله ﷺ استعتبناه. وجاءه سعد بن عبادة فأخبره الخبر، وأن الأنصار وجدوا في أنفسهم من توزيع الغنائم حيث يعطي زعماء بعضهم لم يسلم بعد، وبعضهم أسلم قريبا، ويترك الأنصار، فأمر بجمعهم في مكان وخطب فيهم قائلا: أما ترضون أن يرجع الناس بالشاء والبعير وترجعون برسول الله؟ فقالوا: رضينا يا رسول الله. فقال: «أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قومًا أسلموا، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام، فوالله لمن تنقلبون به خير مما ينقلبون به، فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شعبا وسلكتِ الأنصار شعبا لسلكتُ شعب الأنصار، اللّٰهُمَّ ارحم الأنصار وأبناء الأنصار». وفي لفظ لابن إسحاق قال: «فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا بالله ربًا ورسوله ﷺ قَسْمًا».

وفي حنين اعترض ذو الخويصرة التميمي الأعرابي الجافي على قسمة رسول الله ﷺ قائلا: يا محمَّد اعدل. فغضب ﷺ وتغير وجهه وقال: «ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله دعني أقتل هذا المنافق. فقال ﷺ: دعه

ياعمر فإن له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية.

وكان ﷺ قد أعلن أن من جاء من هوازن مسلما رَدّ إليه ماله وأهله، وانتظر بضع عشرة ليلة، ثم وزع الغنائم فجاء من جاء منهم بعد توزيع الغنائم، وقالوا: يا رسول الله، إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا مَنّ الله عليك يا رسول الله، وإن ما في الحظائر من السبايا عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، ولو أنا ملحنا للحارث بن أبي شمر، أو النعمان بن المنذر، ثم أصابنا مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما علينا، وأنت خير المكفولين.

فخيرهم بين أهلهم أو أموالهم، فاختاروا الأهل فقال: ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وعندما سمع الناس ذلك ردوا ما معهم إلا ما كان من عيينة بن حصن الذي وقعت في سهمه عجوز، فأبى ردها حتى وعَدِ بست من الإبل.

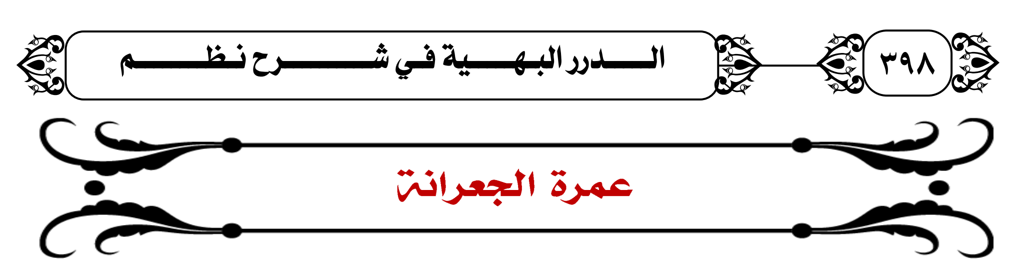
ومن اهتمامه ﷺ بالقادة أنه سأل عن مالك بن عوف فقالوا بحصن الطائف، فقال: أخبروه إنه إن أتاني مسلما رددت عليه أهله وماله، وأعطيته مائة من الإبل.

وعندما سمع بذلك أسرع ليلا حتى لحق برسول الله ﷺ فرد عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل فحسن إسلامه.

وبعد فراغه من أمر الغنائم أحرم ﷺ بالعمرة من الجعرانة فأداها ليلًا، ثم عاد وبات بالجعرانة. ثم عاد إلى المدينة، وسلك على وادي سَرِف، ثم على مَرّ الظهران (الجموم) ولحق به في الطريق أحد الزعماء الكبار لثقيف عروة بن مسعود، فأسلم، وعاد إلى الطائف فقتلته ثقيف.(١)

---

(١) انظر لغزوة حنين: "الإشارة" (ص:٣١٧)، "مغازي الواقدي"(٨٨٥/٣)، "سيرة ابن هشام"(٤٣٧/٢)، "جوامع السيرة"(ص:١٨٧)، "دلائل النبوة" للبيهقي(١١٩/٥)، "الدرر"(ص:٢٢٣)، "الروض الأنف" (٢٧٤/٧)، "الاكتفاء" (٥١٨/١)، "عيون الأثر"(٢٣٧/٢)، "الفصول"(ص:٢٠٤)، "إمتاع الأسماع"(٨/٢)، "بهجة المحافل" (٤١٦/١)، "حدائق الأنوار"(ص:٣٥٣)، "مرويات غزوة حنين وحصار الطائف"، "مرويات الإمام الزهري في المغازي" (٧٥٩/٢)، "المنتظم"(٣٣١/٣)، "تاريخ الإسلام"(٥٧١/٢)، "سير أعلام النبلاء" (١٣٠/٢)، "اللؤلؤ المكنون" (١٠٨/٤) "السيرة النبوية الصحيحة"(٤٨٩/٢)، "صحيح الأثر" (ص:٢٦٢-٢٦٣) "ما شاع ولم يثبت في السيرة" (ص:٢٠٠).



عمرة الجعرانة

٨٣- وَبَــعْدُ فِي ذِي الْقَــعْدَةِ اعْتِمَــارُهُ   مِنَ الْــجِعِرَّانَــةِ وَاسْتِـقْــرَارُهُ

الشرح:

أي: وفي ذي القعدة وبعد غزوة حنين والطائف وعند رجوعه استقر النبي ﷺ في الجِعِرَّانة بضع عشرة ليلة ثم أهل بالعمرة منها فلما قضى عمرته انصرف إلى المدينة واستخلف على مكة عتاب بن أسيد وهو في العشرين من عمره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

و الجِعِرَّانة ويقال: **الجِعْرَانة** موضع بين مكة والطائف.

عَنْ قَتَادَةَ، أَنَّ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُ قَالَ: اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَ عُمَرٍ، كُلَّهُنَّ فِي ذِي القَعْدَةِ، إِلَّا الَّتِي كَانَتْ مَعَ حَجَّتِهِ: عُمْرَةً مِنَ الحُدَيْبِيَةِ فِي ذِي القَعْدَةِ، وَعُمْرَةً مِنَ العَامِ المُقْبِلِ فِي ذِي القَعْدَةِ، وَعُمْرَةً مِنَ الجِعْرَانَةِ، حَيْثُ قَسَمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ فِي ذِي القَعْدَةِ، وَعُمْرَةً مَعَ حَجَّتِهِ. متفق عليه [البخاري (٤١٤٨) مسلم (١٢٥٣)][(١)]



(١) "إمتاع الأسماع" (٢٢/٩)، "تاريخ الإسلام"(٦١١/٢)، "البداية والنهاية" (٣٦٥/٤)، "سير أعلام النبلاء" (١٥٠/٢)، "سيرة ابن هشام" (٥٠٠/٢)، "دلائل النبوة للبيهقي"(٢٠١/٥)، "الدرر في اختصار المغازي والسير" (ص:٢٣٧)، "المقتفى من سيرة المصطفى"(ص:٢١٢)، "اللؤلؤ المكنون"(١٧٤/٤)، "تاريخ الطبري"(٩٤/٣)، "السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة"(٤٨٤/٢)، "إنارة الدجى في مغازي خير الورى ﷺ"(ص:٧١٤).



موت زينب وولادة إبراهيم ولدي رسول الله ﷺ

٨٤- وَبِنْتُهُ زَيْنَبُ مَاتَتْ ثُمَّا مَوْلِدُ إِبْرَاهِيمَ فِيهَا حَتْمَا

الشرح:

أي: وفي هذه السنة الثامنة ماتت زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ابنة رسول الله ﷺ. ولدت قبل المبعث بعشر سنين، وهي أكبر بناته ﷺ وأول من تزوج منهن، تزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع، فولدت له عليا، وأمامة. وأسلمت زينب ، وأبى أبو العاص أن يسلم، ثم أسر فِي بعض المشاهد فدخل عليها فاستجار بها فأجارته، ثم بعث بفدائه ثم أسلم، فردها إليه رسول الله ﷺ بالنكاح الأول على الصحيح لقدومه عقب تحريم المسلمات على المشركين، وذلك بعد صلح الحديبية.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "البداية والنهاية" (٥/ ٣٢٩): وَكَانَتْ وَفَاةُ زَيْنَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي سَنَةِ ثَمَانٍ. قَالَهُ قَتَادَةُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ وَخَلِيفَةَ بْنِ خَيَّاطٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ وَغَيْرُ وَاحِدٍ.وَقَالَ قَتَادَةُ عَنِ ابْنِ حَزْمٍ فِي أَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ. وَذَكَرَ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهَا لَمَّا هَاجَرَتْ دَفَعَهَا رَجُلٌ فَوَقَعَتْ عَلَى صَخْرَةٍ فَأَسْقَطَتْ حَمْلَهَا، ثُمَّ لَمْ تَزَلْ وَجِعَةً حَتَّى مَاتَتْ. فَكَانُوا يَرَوْنَهَا مَاتَتْ شَهِيدَةً.اهـ

عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ، عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا مَاتَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اغْسِلْنَهَا وِتْرًا ثَلَاثًا، أَوْ خَمْسًا، وَاجْعَلْنَ فِي الْخَامِسَةِ كَافُورًا، أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ، فَإِذَا غَسَلْتُنَّهَا، فَأَعْلِمْنَنِي» قَالَتْ: فَأَعْلَمْنَاهُ، فَأَعْطَانَا حَقْوَهُ وَقَالَ «أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ». متفق عليه [البخاري (١٢٥٤) مسلم (٩٣٩)][(١)]

---

(١) "الطبقات الكبرى"(٢٨/٨)، "تاريخ ابن خياط"(ص:٩٢)، "تاريخ الطبري"(٢٧/٣)، "ذخائر العقبى" (ص:١٦٠)، "حدائق الأنوار" (ص:٥٢١)، "سبل الهدى والرشاد" (٦٩/١٢)، "تاريخ الإسلام" (٦٢١/٢)، "سير أعلام النبلاء" (٤٩٤/٣)، "الإصابة" (١٥١/٨)، "المنتظم" (٣٤٩/٣)، "الكامل في التاريخ" (١٠٧/٢)، "العبر في خبر من غبر" (٩/١)، "تاريخ مولد العلماء ووفياتهم" (٨١/١)، "تاريخ دمشق" لابن عساكر=

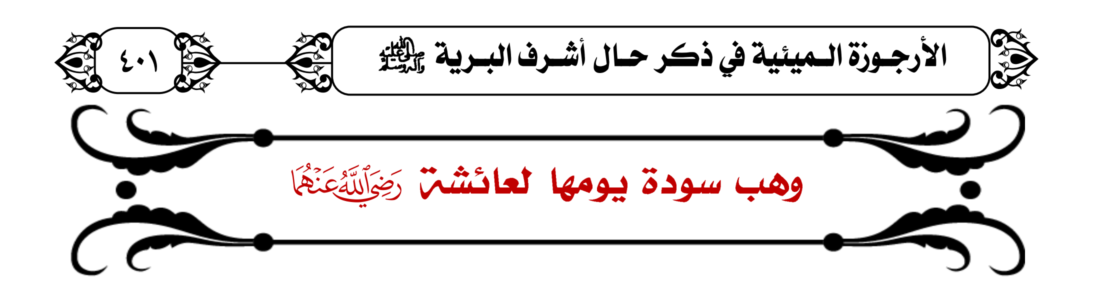
ولادة إبراهيم

ثم بعده بشهور ولد للنبي ﷺ من مارية القبطية ولده إبراهيم في هذه السنة الثامنة[١] **(حتما)**: أي يقينا لاشك فيه وفرح النبي ﷺ بولادته كثيرا.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلَامٌ، فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ» ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أُمِّ سَيْفٍ، امْرَأَةِ قَيْنٍ يُقَالُ لَهُ: أَبُو سَيْفٍ، فَانْطَلَقَ يَأْتِيهِ وَاتَّبَعْتُهُ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى أَبِي سَيْفٍ وَهُوَ يَنْفُخُ بِكِيرِهِ، قَدِ امْتَلَأَ الْبَيْتُ دُخَانًا، فَأَسْرَعْتُ الْمَشْيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا أَبَا سَيْفٍ أَمْسِكْ، جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَمْسَكَ فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّبِيِّ، فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، فَقَالَ أَنَسٌ: لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَهُوَ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبَّنَا، وَاللهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ». صحيح مسلم (٢٣١٥). وعنه قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»، قَالَ: «كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ، وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا، فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ». صحيح مسلم (٢٣١٦)

=(١٤٩/٣)، "تهذيب الأسماء واللغات" (٣٤٤/٢)، "طرح التثريب" (٣٣/٨)، "الفتح" (١٢٨/٣)، "عمدة القاري" (٣٩/٨)، "شرح الزرقاني على الموطأ" (٧٠/٢)، "ذخيرة العقبى" (٣٧٩/١٨، ٧/٣٩)، "كوثر المعاني الدراري" (٣٧٧/٤)، "التحبير لإيضاح معاني التيسير" (٤٤٤/٧)، "البدر التمام شرح بلوغ المرام" (١٤٠/٤)، "شرح المصابيح" لابن الملك (٣٤٢/٢)، "جوامع السيرة" (ص:٣٩)، "السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة" (٤٩٠/٢)، "وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى" (٢٤٤/١)، "اللؤلؤ المكنون" (٥٤٧/٣).

(١) "تهذيب الأسماء واللغات" (٢١/١)، "الفصول في السيرة" (ص:٢٤١)، "تاريخ الخميس" (١٤٦/٢)، "خلاصة الوفا" (٦٤٤/١)، "البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان" (ص:٩٢)، "العقد الثمين" (٤١٥/١)، "وفاء الوفاء" (٢٤٤/١)، "حدائق الأنوار" (ص:٣٥٣)، "إنارة الدجى" (ص:٧٦٦)، "تلقيح فهوم أهل الأثر" (ص:٤٠).



وهب سودة يومها لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

٨٥- وَوَهَبَتْ نَوْبَتَهَا لِعَائِشَهْ سَوْدَةُ مَا دَامَتْ زَمَانًا عَائِشَهْ

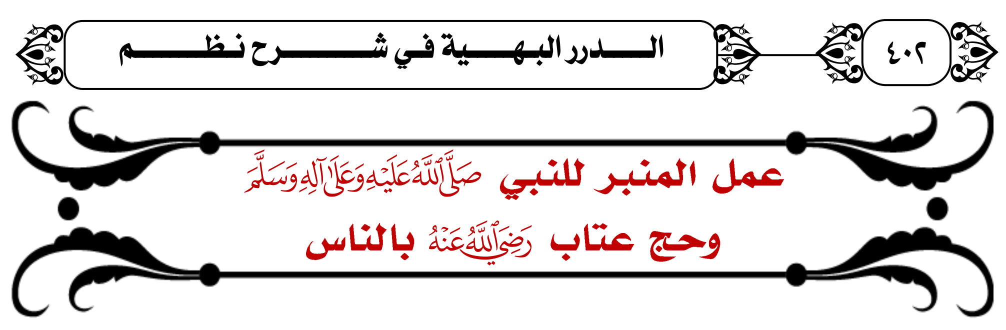
الشرح:

أي: أن أم المؤمنين سودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهبت يومها وليلتها لأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا طلباً لرضا رسول االله ﷺ وحباً له وللبقاء معه فوهبت نوبتها لعائشة مدة دوام عيشها.

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي مِسْلَاخِهَا مِنْ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، مِنِ امْرَأَةٍ فِيهَا حِدَّةٌ، قَالَتْ: فَلَمَّا كَبِرَتْ، جَعَلَتْ يَوْمَهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعَائِشَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ جَعَلْتُ يَوْمِي مِنْكَ لِعَائِشَةَ، «فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَقْسِمُ لِعَائِشَةَ يَوْمَيْنِ، يَوْمَهَا وَيَوْمَ سَوْدَةَ». أخرجه مسلم (١٤٦٣) وهو في البخاري (٥٢١٢) عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ «وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ لِعَائِشَةَ بِيَوْمِهَا وَيَوْمِ سَوْدَةَ».

وعَنْ عروة، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: «يَا ابْنَ أُخْتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُفَضِّلُ بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْقَسْمِ، مِنْ مُكْثِهِ عِنْدَنَا، وَكَانَ قَلَّ يَوْمٌ إِلَّا وَهُوَ يَطُوفُ عَلَيْنَا جَمِيعًا، فَيَدْنُو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيسٍ، حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى الَّتِي هُوَ يَوْمُهَا فَيَبِيتَ عِنْدَهَا» وَلَقَدْ قَالَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ: حِينَ أَسَنَّتْ وَفَرِقَتْ أَنْ يُفَارِقَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَوْمِي لِعَائِشَةَ، فَقَبِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا، قَالَتْ: نَقُولُ فِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى وَفِي أَشْبَاهِهَا أُرَاهُ قَالَ: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ [النساء: ١٢٨]. أخرجه أبو داود (٢١٣٥) وهو في "الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين" (١٨١٠)، و"صحيح سنن أبي داود" (١٨٥٢).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَشِيَتْ سَوْدَةُ أَنْ يُطَلِّقَهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَتْ: لاَ تُطَلِّقْنِي وَأَمْسِكْنِي، وَاجْعَلْ يَوْمِي لِعَائِشَةَ، فَفَعَلَ فَنَزَلَتْ: ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ فَمَا اصْطَلَحَا عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ جَائِزٌ. الترمذي (٣٠٤٠) وحسنه الحافظ في "الإصابة" (١٩٦/٨)، وصححه الألباني في "الصحيحة" (٤٦٧/٣).



عمل المنبر للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وحج عتاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالناس

٨٦- وَعُـمِلَ الْمِـــنْبَرُ غَـيْرَ مُـخْتَفِ وَحَـــجَّ عَـتَّابٌ بِـــأَهْلِ الْمَـــوْقِفِ

الشرح:

أي: وعمل للنبي ﷺ منبرًا من خشب يخطب عليه في مكان بين من المسجد ظاهر غير مختف. وفي هذه السنة أيضًا: حج عتاب بن أسيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالناس عام الفتح فكان أول من حج بالناس من أمراء المسلمين.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَحَجَّ النَّاسُ تِلْكَ السَّنَةَ عَلَى مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَحُجُّ عَلَيْهِ، وَحَجَّ بِالْمُسْلِمِينَ تِلْكَ السَّنَةَ عَتَّابُ بْنُ أَسِيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وَهِيَ سَنَةَ ثَمَانٍ[(١)].

حديث عمل المنبر

عن أَبِي حَازِمِ بْنِ دِينَارٍ، أَنَّ رِجَالًا أَتَوْا سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ، وَقَدْ امْتَرَوْا فِي المِنْبَرِ مِمَّ عُودُهُ، فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ مِمَّا هُوَ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَوَّلَ يَوْمٍ وُضِعَ، وَأَوَّلَ يَوْمٍ جَلَسَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى فُلاَنَةَ - امْرَأَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ قَدْ سَمَّاهَا سَهْلٌ - «مُرِي غُلاَمَكِ النَّجَّارَ، أَنْ يَعْمَلَ لِي أَعْوَادًا، أَجْلِسُ عَلَيْهِنَّ إِذَا كَلَّمْتُ النَّاسَ» فَأَمَرَتْهُ فَعَمِلَهَا مِنْ طَرْفَاءِ الغَابَةِ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَ بِهَا فَوُضِعَتْ هَا هُنَا، ثُمَّ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى عَلَيْهَا وَكَبَّرَ وَهُوَ عَلَيْهَا، ثُمَّ رَكَعَ وَهُوَ عَلَيْهَا، ثُمَّ نَزَلَ القَهْقَرَى، فَسَجَدَ فِي أَصْلِ المِنْبَرِ ثُمَّ عَادَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتَمُّوا وَلِتَعَلَّمُوا صَلاَتِي». متفق عليه [خ (٩١٧) م (٥٤٤)]

وفي بادئ الأمر كان عليه الصلاة والسلام يخطب قائماً على قدميه فإذا طال الوقوف

---

(١) "سيرة ابن هشام"(٢/ ٥٠٠).

وأحس بالجهد والتعب أستند إلى إحدى سواري المسجد التي كانت من جذوع النخل.

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ لِي غُلاَمًا نَجَّارًا قَالَ: «إِنْ شِئْتِ»، قَالَ: فَعَمِلَتْ لَهُ المِنْبَرَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ الَّذِي صُنِعَ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا، حَتَّى كَادَتْ تَنْشَقُّ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَخَذَهَا، فَضَمَّهَا إِلَيْهِ، فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّتُ، حَتَّى اسْتَقَرَّتْ، قَالَ: «بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ». رواه البخاري (٢٠٩٥) .

وعن أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيُسْنِدُ ظَهْرَهُ إِلَى جِذْعٍ فِي الْمَسْجِدِ فَيَخْطُبُ النَّاسَ، فَجَاءَهُ رُومِيٌّ، فَقَالَ: أَلَا أَصْنَعُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ وَكَأَنَّكَ قَائِمٌ؟ فَصَنَعَ لَهُ مِنْبَرًا لَهُ دَرَجَتَانِ، وَيَقْعُدُ عَلَى الثَّالِثَةِ، فَلَمَّا قَعَدَ نَبِيُّ اللَّهُ ﷺ عَلَى ذَلِكَ الْمِنْبَرِ، خَارَ الْجِذْعُ كَخُوَارِ الثَّوْرِ حَتَّى ارْتَجَّ الْمَسْجِدُ حُزْنًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمِنْبَرِ، فَالْتَزَمَهُ وَهُوَ يَخُورُ ، فَلَمَّا الْتَزَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، سَكَنَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَمْ أَلْتَزِمْهُ، لَمَا زَالَ هَكَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ حُزْنًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدُفِنَ. أخرجه الدارمي (٤٢) وابن خزيمة (١٧٧٧) وحسنه شيخنا في "الصحيح المسند" (٩٣) والألباني في "الصحيحة" (٢٠٧/٥)

وصف منبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتاريخ عمله

في سنة صنع المنبر خلاف بين العلماء، فقد جزم ابن سعد بأنه كان في السنة السابعة، وجزم ابن النجار بأنه كان في السنة الثامنة[1]، وبقي المنبر على حاله ثلاث درجات في عهد

---

(١)قال الحافظ في "الفتح"(٣٩٩/٢): وَجزم ابن سَعْدٍ بِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ وَفِيهِ نَظَرٌ لِذِكْرِ الْعَبَّاسِ وَتَمِيمٍ فِيهِ وَكَانَ قُدُومُ الْعَبَّاسِ بَعْدَ الْفَتْحِ فِي آخِرِ سَنَةِ ثَمَان وقدوم تَمِيم سنة تسع وَجزم ابن النَّجَّارِ بِأَنَّ عَمَلَهُ كَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَفِيهِ نَظَرٌ أَيْضًا لِمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى كَادُوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ. فَنَزَلَ فَخَفَّضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا فَإِنْ حُمِلَ عَلَى التَّجَوُّزِ فِي ذِكْرِ الْمِنْبَرِ وَإِلَّا فَهُوَ أَصَحُّ مِمَّا مَضَى.اهـ

أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وفي خلافة معاوية زاده مروان عامله في المدينة ست درجات من أسفله، وبقي على هذا الوضع إلى أن احترق مسجد المدينة سنة أربع وخمسين وستمائة فاحترق، ثم جدد المظفر صاحب اليمن سنة ست وخمسين وستمائة منبرًا ثم أرسل الظاهر بيبرس منبرًا، فأزيل منبر المظفر ووضع منبر بيبرس. وتوالت عليه بعد ذلك التعديلات والتغييرات. والله أعلم(١).

من فضائل المنبر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي». متفق عليه [البخاري (١١٩٦) مسلم (١٣٩١)]

وعنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مِنْبَرِي هَذَا عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ». أخرجه أحمد (٨٧٢١) وهو في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (١٢٩٢)

وفي رواية (١٠٩٠٨): «مِنْبَرِي هَذَا عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ، وَمَا بَيْنَ حُجْرَتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ». سندها على شرط مسلم

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال:«قَوَائِمُ مِنْبَرِي رَوَاتِبُ فِي الْجَنَّةِ». رواه أحمد(٢٦٤٧٦)، والنسائي في "الكبرى" (٤٢٧٣) وهو في "الصحيحة" (٢٠٥٠) .



(١) "فتح المنعم شرح صحيح مسلم" (١٦٥/٣)، وانظر: "عيون الأثر" (٣٥٣/٢)، "المواهب اللدنية" (١٩٠/١)، "حدائق الأنوار" (ص:٧٢)، "سبل الهدى والرشاد" (٦٨/١٢)، "تاريخ الخميس"(٦٥/٢)، "السيرة الحلبية"(١٩٢/٢)، "شرح الزرقاني على المواهب" (١٨٩/٢)، "خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى" (٥٠/٢)، "التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة" (١٦/١)، "الأنس الجليل" (٢٠٤/١)، "البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان" (ص:٩٢)، "قلادة النحر" (١٣١/١).

عتاب بن أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عتاب بْن أسيد بْن أَبِي العيص بْن أُمَيَّة القرشي الأموي، يكنى أَبَا عَبْدالرَّحْمَنِ. وقيل: أَبُومُحَمَّد أسلم يَوْم فتح مكة، واستعمله النَّبِيّ ﷺ على مكة عام الْفَتْح حين خروجه إِلَى حنين، وهو شاب، ابن نيف وعشرين سنة، وكان فى غاية الورع والزهد، فأقام للناس الحج تلك السنة، وهي سنة ثمان، وهو أول أمير أقام الحج فى الإسلام، وأول أمير صلى بمكة بعد الفتح جماعة ، وأقره أَبُو بَكْر عليها، ولم يزل واليا على مكة حتى توفي بها في سنة ثلاث عشرة، قيل: توفي في اليوم الذي توفي فيه أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو يوم الاثنين لثمان بقين من جمادى الآخرة، وقيل: جاء نعي أبي بكر إلى مكة يوم دفن عتاب. وفي المؤرخين من يذكر أنه عاش واليا على مكة إلى أواخر أيام عمر، فتكون وفاته في أوائل سنة ٢٣ هـ.(١)



(١) انظر في ترجمته: "الاستيعاب" (١٠٢٣/٣)، "سيرة ابن هشام" (٥٠٠/٢)، "الطبقات الكبرى" (٥/٦)، "أسد الغابة" (٥٤٩/٣)، "تاريخ ابن خياط" (ص:٩٢)، "تاريخ الإسلام" (٩٧/٣)، "الروض الأنف" (٢٥٥/٧)، "جوامع السيرة" (ص:١٩٨)، "قلادة النحر" (١٦٤/١)، "المنتظم" (١٥٧/٤)، "خلاصة سير سيد البشر" (ص:٦٠)، "سبل الهدى والرشاد" (٤٤٣/٨)، " إنارة الدجى" (ص:٧٦٦)، "المستخرج من كتب الناس للتذكرة" (٤/٢)، "تاريخ ابن خلدون" (٤٦٦/٢)، "الدرر في اختصار المغازي والسير" (ص:٢٣٧)، "السيرة الحلبية" (١٤٩/٣)، "مرآة الزمان" (١٥٢/٥)، "التاريخ الكبير للبخاري"(٥٤/٧)، "معجم الصحابة" لابن قانع (٢٧٠/٢)، "مشاهير علماء الأمصار" (ص:٥٦)، "معرفة الصحابة" لأبي نعيم (٢٢٢٣/٤)، "الأعلام" للزركلي (١٩٩/٤)، "العقد الثمين" (١٥٢/٥)، "أنساب الأشراف" للبلاذري (٤٥٦/٥)، "اللؤلؤ المكنون" (١١٣/٤)، "الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة" (٥٩/٢)، "السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة" (٤٨٥/٢).

غزوة تبوك وهدم مسجد الضرار

٨٧- ثُــمَّ تَبُــوكَ قَــدْ غَــزَا فِي التَّاسِعَهْ وَهَــــدَّ مَــسْجِدَ الضِّـرَارِ رَافِــعَهْ

الشرح :

أي: في السنة التاسعة من الهجرة في شهر رجب غزا النبي ﷺ تبوك.(١)

وتسمى أيضاً: بغزوة العسرة؛ لأنها كانت في وقت حار جداً وقحط وضيق شديد في النفقة والمركب والماء كما كانت حين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم.

وتعرف أيضا بالفاضحة لأنها كشفت عن حقيقة المنافقين، وهتكت أستارهم، وفضحت أساليبهم العدائية الماكرة، وأحقادهم الدفينة ونفوسهم الخبيثة، وجرائمهم البشعة بحق رسول الله ﷺ والمسلمين.

وكانت آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ كما في الصحيحين عن كعب بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

سبب الغزوة

المشهور في كتب السير أن السبب هو أن رسول الله ﷺ بلغه أن هرقل ملك الروم جمع جموعاً كثيرة من الروم والغساسنة وقبائل العرب الموالية له فعلم رسول الله ﷺ بهم فخرج إليهم.

قال العمري في "السيرة النبوية الصحيحة" (٢/٥٢٢): ورغم أن المؤرخين - على عادتهم - حاولوا أن يجدوا سبباً مباشراً لها، فذكر ابن سعد أن هرقل جمع جموعاً من الروم وقبائل العرب الموالية لها، وأن المسلمين علموا بخبرهم فخرجوا إلى تبوك. وذكر اليعقوبي أن الثأر لجعفر بن أبي طالب هو سبب الغزوة. ولكن الصحيح أنها استجابة طبيعية لفريضة الجهاد وقد نبه على ذلك الحافظ ابن كثير بقوله: فعزم رسول الله ﷺ على قتال الروم،

---

(١)تبوك: مكان معروف، بين المدينة ودمشق تقريبا، يبعد عن شمال المدينة (٧٧٨) كيلو، أقرب إلى دمشق بمرحلة أو ثلاث مراحل، وهي طرف الشام من جهة القبلة، وسميت باسم عين في ذلك المكان. انظر: "الروض" (٤/١٩٥)، و"تهذيب النووي"(٣/٤٣).

لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:١٢٣]، ولا صحة لما قيل أن الخروج إلى تبوك كان عن مشورة يهود وقولهم إنها أرض المحشر وأرض الأنبياء تغريراً بالمسلمين ليخرجوهم من المدينة ويعرضوهم لخطر المواجهة مع الروم، وأن الآية ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ﴾ [الإسراء:٧٦]، نزلت في ذلك، فإن الخبر في ذلك مرسل ضعيف ويرده أن الآية مكية.اهـ

مختصر الغزوة

أمر الرسول ﷺ بالتهيؤ لغزو الروم فأسرع المؤمنون يتجهزون والمنافقون يتثاقلون ونزل قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾[التوبة: ٣٨] إلى قوله تعالى: ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]. وذلك بدء العتاب للمتخلفين والتهديد بعاقبة المتثاقل عن الجهاد في سبيل الله والتذكير لهم بما كان من نصر الله تعالى لرسوله ﷺ. وحث رسول الله ﷺ على النفقة فتسابق الصحابة رضي الله عنهم فجاء أبوبكر بماله كله وجاء عمر بنصف ماله وجاء عثمان فأربى عليهم ولم ينفق أحد أعظم من نفقة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء بألف دينار فصبها في حجر رسول الله ﷺ وجاء بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها فسر رسول الله ﷺ بذلك وقال : «ما ضر عثمان ماعمل بعد اليوم – مرتين – ». وجاء عبد الرحمن بن عوف فجاء بأربعين أوقية من ذهب وهكذا تتابع الصحابة في الإنفاق كل على حسب استطاعته حتى جاء أبوعقيل بنصف صاع من تمر فلمزه المنافقون وأنزل الله عز وجل: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

وجاء سبعة نفر إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يحملهم وكانوا معسرين ولا يحبون التخلف عن الغزوة فقال لهم:« لا أجد ما أحملكم عليه». فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ماينفقون، وأنزل الله فيهم:﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

[التوبة: ٩١-٩٢]

وجاء المعذرون من الأعراب إلى رسول الله ﷺ ليؤذن لهم في التخلف وتعللوا بالجهد وكثرة العيال فأذن لهم ولم يعذرهم وكانوا اثنان وثمانون رجلا وأنزل الله فيهم: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [التوبة: ٤٣ - ٤٥].

وقال بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحر فأنزل الله:﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة: ٨١- ٨٢].

ودعا الرسول الجد بن قيس للجهاد فقال : أوَتأذن لي ولا تفتني وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر فأعرض عنه النبي ﷺ وتنزل فيه قوله تعالى:﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

[التوبة: ٤٩]. وكان رهط من المنافقين يثبطون منهم: وديعة بن ثابت، ويقولون: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا، والله لكأنا غدا بكم مقرنين في الحبال،

فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتوا إليه يعتذرون وقالوا: إنا كنا نخوض ونلعب فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٥- ٦٦].

ووصلت الجراءة بالمنافقين إلى بناء مسجد ليديروا حلقات تآمرهم على المسلمين وزعموا أنهم بنوه للمنفعة ودعوا رسول الله ﷺ للصلاة فيه فاعتذر وقال:«إني على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه» فأنزل الله لكشف نواياهم ويبين حقيقتها: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: ١٠٧- ١٠٨] نزلت هذه الآيات عندما رجع رسول الله ﷺ من تبوك فأمر بإحراق مسجد الضرار الذي أمر ببناه أبو عامر الفاسق وهو الذي حفر الحفر يوم أُحُد ليقع فيها المسلمون وفي إحدى حفره وقع رسول الله ﷺ.

وكان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية وتخلفوا عن الغزوة من غير شك ولا ارتياب منهم : كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية فتاب الله عليهم حين صدقوا ولم يكذبوا.

خرج ﷺ بثلاثين ألف يتقدمهم عشرة آلاف فارس واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري واستخلف ابن أم مكتوم يؤم الناس في الصلاة .

وعقد ﷺ الألوية ودفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وراية المهاجرين للزبير بن العوام، وراية الأوس لأسيد بن حضير، وراية الخزرج للخباب بن المنذر، وكان دليل الطريق إلى تبوك علقمة بن الفَغْوَاء الخزاعي ولما وصل رسول الله ﷺ تبوك أقام فيها عشرين يوما وتسامع الروم به فلاذوا بالفرار فلم يلق كيدا ولم يواجه عدوا ثم رجع

إلى المدينة منتصراً، وكفى الله المؤمنين القتال، ولما وصل إلى وادي القرى قال لأصحابه:«إني متعجل إلى المدينة فمن أراد منكم أن يتعجل معي فليتعجل».

ولما دنا رسول الله ﷺ من المدينة قال: «إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم»، قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: «وهم بالمدينة حبسهم العذر». وعندما أشرف على المدينة قال: «هذه طابة، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه». واستقبله الناس والصبيان عند ثنية الوداع يرحبون بهم.

هدم مسجد الضرار

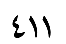
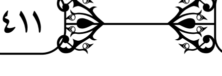
ثم أقبل رسول الله ﷺحتى نزل بذي أوان فجاءه جماعة من المنافقين ليصلي في مسجدهم ونزل الوحي بالآيات السابق ذكرها فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدُّخشم ومعن بن عدي فقال لهما :«إنطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه»فانطلقا ففعلا.

وهذا قول الناظم : «وهدَّ مسجد الضرار رَافِعه».

أي: هدّه وأحرقه لما رجع من تبوك رافعا ضرره الذي بني لأجله[1].



(١)"مغازي الواقدي" (٩٨٩/٣)، "سيرة ابن هشام" (٥١٥/٢)، "جوامع السيرة" (ص:١٩٨)، "دلائل النبوة" للبيهقي (٢١٢/٥)، "الدرر" (ص:٢٣٨)، "عيون الأثر" (٢٦٧/٢)، "إمتاع الأسماع" (٤٧/٢)، "سبل الهدى والرشاد" (٤٣٣/٥)، "شرح الزرقاني على المواهب" (٦٥/٤)، "السيرة الحلبية" (١٨٣/٣)، "تاريخ الطبري" (١٠٠/٣)، "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" (٣٦٢/٣)، "الكامل في التاريخ" (١٤٥/٢)، "تاريخ الإسلام"(٦٢٧/٢)، "البداية والنهاية" (٥/٥)، "العقد الثمين" (٤١٠/١)، "الرحيق المختوم" (ص:٣٩٤)، "صحيح السيرة النبوية" للعلي (ص:٤٦٢)، "اللؤلؤ المكنون" (٢٧٣/٤)، "صحيح الأثر وجميل العبر"(ص:٢٦٨)، "السيرة النبوية الصحيحة" (٥٢٢/٢)، "الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك".

حج أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالناس وإعلان البراءة من المشركين

٨٨- وَحَجَّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ وَثَمْ ... تَلا بَرَاءَةً عَلِيٌّ وَحَتَمْ

٨٩- أَنْ لَا يَحُجَّ مُشْرِكٌ بَعْدُ وَلاَ ... يَطُوفَ عَارٍ ذَا بِأَمْرٍ فَعَلَا

الشرح : أي: وفي هذه السنة التاسعة حج أبوبكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالناس، بعثه رسول الله ﷺ في أواخر ذي القعدة أميراً على الحج ليقيم للمسلمين حجهم. فخرج أبوبكر في ثلاثمائة رجل من المدينة ومعه عشرون بدنه قلدها رسول الله ﷺ بيده وخمس بدنات من أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. ولما خرج أبوبكر من المدينة نزل الوحي على رسول الله ﷺ بسورة براءة فبعث علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ليعلنها على الناس في الحج فلما كان يوم النحر قام علي فأذن بالذي أمره رسول الله ﷺ وأذن معه أبو هريرة وبعض الصحابة في عرفة ومنى وبالمشاعر كلها بما أمر به رسول الله ﷺ. عن حُمَيْد بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فِي تِلْكَ الحَجَّةِ فِي المُؤَذِّنِينَ، بَعَثَهُمْ يَوْمَ النَّحْرِ يُؤَذِّنُونَ بِمِنًى، أَنْ لاَ يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ وَلاَ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، قَالَ حُمَيْدٌ: ثُمَّ «أَرْدَفَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِبَرَاءَةَ»، قَالَ أَبُوهُرَيْرَةَ: فَأَذَّنَ مَعَنَا عَلِيٌّ فِي أَهْلِ مِنًى يَوْمَ النَّحْرِ بِبَرَاءَةَ، «وَأَنْ لاَ يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ وَلاَ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ». البخاري (٤٦٥٦)

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أُثَيْعٍ، - رَجُلٍ مِنْ هَمْدَانَ - سَأَلْنَا عَلِيًّا: بِأَيِّ شَيْءٍ بُعِثْتَ؟ يَعْنِي يَوْمَ بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ أَبِي بَكْرٍ فِي الْحَجَّةِ، قَالَ: «بُعِثْتُ بِأَرْبَعٍ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ، وَلا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ عَهْدٌ فَعَهْدُهُ إِلَى مُدَّتِهِ، وَلا يَحُجُّ الْمُشْرِكُونَ وَالْمُسْلِمُونَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا». مسند أحمد (٥٩٤)

وبهذا قضى الإسلام نهائياً على معالم الشرك في مكة وحفظ للبيت قدسيته وحرمته وكانت هذه الحجة توطئة للحجة الكبرى حجة الوداع للنبي ﷺ.

قوله: «ذا بأمر فعلا»: أي أبوبكر وعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فعلا ذلك بأمر النبي ﷺ.

عام الوفود وإيلاؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نسائه

٩٠- وَجَــاءَتِ الْـوُفُودُ فِيـهَا تَتْرَى ... هَــذَا وَمِــنْ نِسَـاهُ آلَى شَهْـرَا

الشرح :

أي: وفي هذا العام قدمت وفود كثيرة (تترى) أي متتابعة إلى رسول الله ﷺ مؤمنة بالإسلام وداخلين في دين الله أفواجا حتى سمي هذا العام بعام الوفود لكثرتهم[١]، وقد

---

(١)سمي العام التاسع بعام الوفود، حيث ابتدأت وفود القبائل العربية تقدم من أنحاء الجزيرة العربية معلنة دخولها في الإسلام منذ رجوع النبي ﷺ من الجعرانة في أواخر سنة ثمان، فقد كانت العرب تلوم بإسلامها الفتح، فلما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، ويعتبر طبقات ابن سعد أوسع المصادر جمعاً لأخبار تلك الوفود ، وقد بلغ مجموع ما ذكرته المصادر أكثر من ستين وفداً.

وقد ساقت المصادر أخبار هذه الوفود دون أسانيد في الغالب، وأقدم من تكلم عنها بتفصيل ابن إسحاق ولم يبين مصادر معلوماته وأسانيد مروياته إلا نادراً وهذه الروايات النادرة إنما هي مراسيل الزهري وعبد الله بن أبي بكر والحسن البصري سوى خبر ضمام بن ثعلبة وافدا فقد أسنده إلى ابن عباس وفيه محمد بن الوليد بن نويفع مقبول ولم يتابع فتضعف الرواية لأجله. والوفود التي ساق ابن إسحاق أخبارها هي وفد تميم ووفد بني عامر ووفد بني سعد بن بكر ووفد عبد القيس ووفد بني حنيفة ووفد طيء ووفد بني زبيد ووفد كندة ووفد ملوك حمير، ووفد بني الحارث بن كعب ووفد همدان، ووفد عدي بن حاتم ووفد فروة ابن مسيك المرادي، ووفد صرد بن عبد الله الأزدي ووفد فروة بن عمرو الجذامي ويلاحظ أنه يكثر من سرد الأشعار ضمن الأخبار.

وأما ابن سعد فقد فصل كثيراً واستقصى في جمع المعلومات عن الوفود ولكن معظم رواياته من طريق الواقدي وهشام الكلبي وكلاهما متروك وبقيتها إلا القليل جدا من طريق على بن محمد المدائني وهو صدوق، ولكن سائر الأسانيد التي أوردها ابن سعد لا تخلو من مطعن في ضعف الرواة أو الإرسال. والقليل جدا (بضع روايات) عن عفان بن مسلم وعارم بن الفضل الدوسي. وهما ثقتان من شيوخ البخاري. ورغم عدم ثبوت هذه الأخبار المفصلة التي ساقها المؤرخون عن الوفود بالنقل الصحيح المعتمد عند المحدثين، فإن خبر قدوم بعض هذه الوفود ثابت بالروايات الصحيحة، وكذلك بعض الأخبار المتعلقة بهم. اهمن "السيرة النبوية الصحيحة" للعمري (٥٤٢/٢)

قيل: أنها بلغت مائة وفد وأفردت في ذلك رسائل ومؤلفات.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ، وَفَرَغَ مِنْ تَبُوكَ، وَأَسْلَمَتْ ثَقِيفٌ وَبَايَعَتْ، ضَرَبَتْ إِلَيْهِ وُفُودُ الْعَرَبِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ: أَنَّ ذَلِكَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ، وَأَنَّهَا كَانَتْ تُسَمَّى سَنَةَ الْوُفُودِ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَإِنَّمَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَرَبَّصَ بِالْإِسْلَامِ أَمْرَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا كَانُوا إمَامَ النَّاسِ وَهَادِيَهُمْ، وَأَهْلَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَصَرِيحَ وَلَدِ إسْمَاعِيلَ بْنِ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَقَادَةَ الْعَرَبِ لَا يُنْكِرُونَ ذَلِكَ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ هِيَ الَّتِي نَصَبَتْ لِحَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخِلَافَهُ، فَلَمَّا افْتُتِحَتْ مَكَّةُ، وَدَانَتْ لَهُ قُرَيْشٌ، وَدَوَّخَهَا الْإِسْلَامُ، وَعَرَفَتْ الْعَرَبُ أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِحَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا عَدَاوَتِهِ، فَدَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ، أَفْوَاجًا، يَضْرِبُونَ إلَيْهِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر: ١ – ٣].اهـ[(١)]

وفي صحيح البخاري (٤٣٠٢) عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلاَبَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ سَلِمَةَ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو قِلاَبَةَ: أَلاَ تَلْقَاهُ فَتَسْأَلَهُ؟ قَالَ فَلَقِيتُهُ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: «كُنَّا بِمَاءٍ مَمَرَّ النَّاسِ، وَكَانَ يَمُرُّ بِنَا الرُّكْبَانُ فَنَسْأَلُهُمْ: مَا لِلنَّاسِ، مَا لِلنَّاسِ؟ مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُونَ: يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ، أَوْحَى إِلَيْهِ، أَوْ: أَوْحَى اللَّهُ بِكَذَا، فَكُنْتُ أَحْفَظُ ذَلِكَ الكَلاَمَ، وَكَأَنَّمَا يُقَرُّ فِي صَدْرِي، وَكَانَتِ العَرَبُ تَلَوَّمُ بِإِسْلاَمِهِمُ الفَتْحَ، فَيَقُولُونَ: اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الفَتْحِ، بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلاَمِهِمْ، وَبَدَرَ أَبِي قَوْمِي بِإِسْلاَمِهِمْ».

وأخبار الوفود فيها فوائد عظيمة وقد استخرجها الحافظ ابن القيم رحمه الله في كتابه القيم "زاد المعاد"(٣/ ٥٢٧ وما بعدها) فأبدع وأشبع.[(٢)]

---

(١) "سيرة ابن هشام" (٥٥٩-٥٦٠).

(٢)راجع لأخبار الوفود: "الطبقات الكبرى"(٢٢٢/١)، "سيرة ابن هشام" (٥٥٩-٥٦٠)، "زاد المعاد" (٥٢٧/٣)، "سبل الهدى والرشاد" (٢٥٤/٦)، "تاريخ الخميس"(١٢١/٢)، "الكامل في التاريخ" (١٥٢/٢)=

قوله : «هذا ومن نساه آلى شهر»

أي وفي هذه السنة التاسعة حلف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن لا يدخل عليهن شهراً، وبه قال الواقدي وابن سيد الناس والقسطلاني وابن الجوزي وغيرهم.(١)

عن ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَصْبَحْنَا يَوْمًا وَنِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ يَبْكِينَ، عِنْدَ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ أَهْلُهَا، فَخَرَجْتُ إِلَى المَسْجِدِ، فَإِذَا هُوَ مَلْآنُ مِنَ النَّاسِ، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَصَعِدَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي غُرْفَةٍ لَهُ، فَسَلَّمَ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، ثُمَّ سَلَّمَ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، ثُمَّ سَلَّمَ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، فَنَادَاهُ، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟ فَقَالَ: «لاَ، وَلَكِنْ آلَيْتُ مِنْهُنَّ شَهْرًا» فَمَكَثَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ ثُمَّ دَخَلَ عَلَى نِسَائِهِ. أخرجه البخاري (٥٢٠٣)

سبب إيلائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نسائه رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ

اختلف في ذلك على أقوال:

١- فقيل: اجتمعن واتفقن على الشكوى للنبي ﷺ من قلة النفقة وشظف العيش لما في مسلم (١٤٧٨) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ، لَمْ يُؤْذَنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، قَالَ: فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ، فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ ﷺ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ، وَاجِمًا سَاكِتًا، قَالَ: فَقَالَ: لَأَقُولَنَّ شَيْئًا أُضْحِكُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ، سَأَلَتْنِي النَّفَقَةَ، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَوَجَأْتُ عُنُقَهَا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى، يَسْأَلْنَنِي

= "البداية والنهاية" (٤٠/٥)، "تاريخ ابن خلدون" (٤٧٠/٢)، "عيون الأثر" (٢٨٦/٢) "الدرر" (٢٥٣)، "تاريخ خليفة بن خياط" (ص:٩٣)، "فتوح البلدان" (ص:٧٥)، "تاريخ الإسلام" (٦٦٧/٢)، "سير أعلام النبلاء" (١٧٧/٢)، "السيرة النبوية الصحيحة" للعمري (٥٤١/٢)، "الأغصان الندية" (٦٣٩)، "الإشارة" (٣٤١)، "الروض الأنف" (٤٤٣/٧)، "الاكتفاء" (٥٨٩/١)، "الفصول في السيرة" (٢١٥)، "ألفية السيرة النبوية" (ص:١٤٨)، "إمتاع الأسماع" (٨٩/٢)، "حدائق الأنوار" (ص:٣٦٥).

(١) "تلقيح فهوم أهل الأثر" (ص:٤١)، "قلادة النحر" (١٣٢/١)، "المواهب اللدنية" (٤٣١/١)، "عيون الأثر" (٣٧٤/٢)، "اللؤلؤ المكنون" (٢٦١/٤) "الأغصان الندية" (ص:٥٣٦).

النَّفَقَةَ»، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، كِلَاهُمَا يَقُولُ: تَسْأَلْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، فَقُلْنَ: وَاللهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ، ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا - أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ - ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ [الأحزاب: ٢٨] حَتَّى بَلَغَ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٩]، قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكِ أَمْرًا أُحِبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ»، قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ، قَالَتْ: أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ؟ بَلْ أَخْتَارُ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتُ، قَالَ: «لَا تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا، إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا».

٢- وقيل سببه العسل: لما في الصحيحين[1] عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ: أَنَّ أَيَّتَنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَلْتَقُلْ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ، فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: «لَا، بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَلَنْ أَعُودَ لَهُ» فَنَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم:١] إِلَى ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ [التحريم:٤] لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ [التحريم:٣] لِقَوْلِهِ: «بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا».

فكان هذا هو تظاهر عائشة وحفصة على النبي ﷺ وكان سبب غضبه وإيلاءه من نسائه على هذا القول.

٣ – وقيل بسبب إفشاء حفصة سره وتحريم مارية القبطية وقد جاء في البخاري (٥١٩١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، عَنِ المَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] حَتَّى حَجَّ وَحَجَجْتُ مَعَهُ، وَعَدَلَ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِإِدَاوَةٍ فَتَبَرَّزَ، ثُمَّ

---

(١)البخاري (٥٢٦٧) ومسلم (١٤٧٤).

جَاءَ فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْهَا فَتَوَضَّأَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنِ الْمَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]؟ قَالَ: وَاعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، هُمَا عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرُ الحَدِيثَ يَسُوقُهُ قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وَهُمْ مِنْ عَوَالِي المَدِينَةِ، وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِمَا حَدَثَ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الوَحْيِ أَوْ غَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الأَنْصَارِ إِذَا قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الأَنْصَارِ، فَصَخِبْتُ عَلَى امْرَأَتِي فَرَاجَعَتْنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، قَالَتْ: وَلِمَ تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ؟ فَوَاللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لَيُرَاجِعْنَهُ، وَإِنَّ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ اليَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ، فَأَفْزَعَنِي ذَلِكَ وَقُلْتُ لَهَا: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكِ مِنْهُنَّ، ثُمَّ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي، فَنَزَلْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ لَهَا: أَيْ حَفْصَةُ، أَتُغَاضِبُ إِحْدَاكُنَّ النَّبِيَّ ﷺ اليَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: قَدْ خِبْتِ وَخَسِرْتِ، أَفَتَأْمَنِينَ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ لِغَضَبِ رَسُولِهِ ﷺ فَتَهْلِكِي؟ لاَ تَسْتَكْثِرِي النَّبِيَّ ﷺ وَلاَ تُرَاجِعِيهِ فِي شَيْءٍ وَلاَ تَهْجُرِيهِ، وَسَلِينِي مَا بَدَا لَكِ، وَلاَ يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ أَوْضَأَ مِنْكِ وَأَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ- يُرِيدُ عَائِشَةَ - قَالَ عُمَرُ: وَكُنَّا قَدْ تَحَدَّثْنَا أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ الخَيْلَ لِغَزْوِنَا، فَنَزَلَ صَاحِبِي الأَنْصَارِيُّ يَوْمَ نَوْبَتِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْنَا عِشَاءً فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: أَثَمَّ هُوَ؟ فَفَزِعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: قَدْ حَدَثَ اليَوْمَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هُوَ، أَجَاءَ غَسَّانُ؟ قَالَ: لاَ، بَلْ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَهْوَلُ، طَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ، - وَقَالَ عُبَيْدُ بْنُ حُنَيْنٍ: سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ عُمَرَ- فَقَالَ: اعْتَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَزْوَاجَهُ فَقُلْتُ: خَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ، قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ هَذَا يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ، فَجَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي، فَصَلَّيْتُ صَلاَةَ الفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَشْرُبَةً لَهُ فَاعْتَزَلَ فِيهَا، وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَإِذَا هِيَ تَبْكِي، فَقُلْتُ: مَا يُبْكِيكِ أَلَمْ أَكُنْ حَذَّرْتُكِ هَذَا، أَطَلَّقَكُنَّ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَتْ: لاَ أَدْرِي، هَا هُوَ ذَا مُعْتَزِلٌ فِي المَشْرُبَةِ، فَخَرَجْتُ فَجِئْتُ إِلَى المِنْبَرِ، فَإِذَا حَوْلَهُ رَهْطٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ، فَجَلَسْتُ مَعَهُمْ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ المَشْرُبَةَ الَّتِي فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ فَقُلْتُ لِغُلاَمٍ لَهُ أَسْوَدَ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَدَخَلَ الغُلاَمُ فَكَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ:

كَلَّمْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ، فَانْصَرَفْتُ حَتَّى جَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ المِنْبَرِ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ فَجِئْتُ فَقُلْتُ لِلْغُلاَمِ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَدَخَلَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: قَدْ ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ، فَرَجَعْتُ فَجَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ المِنْبَرِ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ الغُلاَمَ فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَدَخَلَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ فَقَالَ: قَدْ ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مُنْصَرِفًا، قَالَ: إِذَا الغُلاَمُ يَدْعُونِي، فَقَالَ: قَدْ أَذِنَ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ، مُتَّكِئًا عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟ فَرَفَعَ إِلَيَّ بَصَرَهُ فَقَالَ: «لاَ» فَقُلْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ أَسْتَأْنِسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ إِذَا قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ رَأَيْتَنِي وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ لَهَا: لاَ يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ أَوْضَأَ مِنْكِ، وَأَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ- يُرِيدُ عَائِشَةَ - فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ تَبَسُّمَةً أُخْرَى، فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي فِي بَيْتِهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا يَرُدُّ البَصَرَ، غَيْرَ أَهَبَةٍ ثَلاَثَةٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ قَدْ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ وَأُعْطُوا الدُّنْيَا، وَهُمْ لاَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: «أَوَفِي هَذَا أَنْتَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، إِنَّ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلُوا طَيِّبَاتِهِمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لِي، فَاعْتَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ نِسَاءَهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الحَدِيثِ حِينَ أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ إِلَى عَائِشَةَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ قَالَ: «مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا» مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ حِينَ عَاتَبَهُ اللَّهُ، فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَبَدَأَ بِهَا، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ كُنْتَ قَدْ أَقْسَمْتَ أَنْ لاَ تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا، وَإِنَّمَا أَصْبَحْتَ مِنْ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً أَعُدُّهَا عَدًّا، فَقَالَ: «الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً» فَكَانَ ذَلِكَ الشَّهْرُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، قَالَتْ عَائِشَةُ: ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى آيَةَ التَّخَيُّرِ، فَبَدَأَ بِي أَوَّلَ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ فَاخْتَرْتُهُ، ثُمَّ خَيَّرَ نِسَاءَهُ كُلَّهُنَّ فَقُلْنَ مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ. متفق عليه [البخاري (٥١٩١) مسلم (١٤٧٩)]

وقد جاء عن ابن عباس عند ابن سعد في "الطبقات" (١/١٨٥– ١٨٦) قال : خرجت حفصة من بيتها يوم عائشة فدخل رسول الله ﷺ بجاريته القبطية بيت حفصة فجاءت فرقبته حتى خرجت الجارية فقالت له: أما إني قد رأيت ما صنعت قال : «فاكتمي علي وهي حرام»، فانطلقت حفصة إلى عائشة فأخبرتها فقالت له عائشة : أما يومي فتعرس فيه بالقبطية ويسلم لنسائك سائر أيامهن، فنزلت الآية ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ ﴾ [التحريم:٣] فتركهن رسول الله ﷺ تسعة وعشرين ليلة ثم نزل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ [التحريم:١] فأمر فكفر عن يمينه وحبس نسائه عليه .

وهذا الحديث ضعيف جداً في سنده الواقدي وهو متروك .

٤ – وقيل رد زينب بنت جحش نصيبها من هدية أهديت لرسول الله ﷺ لما جاء عن عائشة قالت : أهديت لسول الله ﷺ هدية فأرسل إلى كل امرأة من نسائه نصيبها فلم ترض زينب بنت جحش نصيبها فزادها مرة أخرى فلم ترض فقالت عائشة : لقد أقمت وجهك ترد عليك الهدية فقال : لأنتن أهون على الله من أن تقمأنني لا أدخل عليكن شهرا. أخرجه ابن سعد (٨/١٨٨) من طريق الواقدي وهو متروك. انظر "أنيس الساري" (٦/٤٢٥٦) .

قال الحافظ ابن حجر في "الفتح"(٩/٢٩٠): ويحتمل أن يكون مجموع هذه الأشياء كان سبباً لاعتزالهن وهذا هو اللائق بمكارم أخلاقه ﷺ وسعة صدره وكثرة صفحه وأن ذلك لم يقع منه حتى تكرر موجبه منهن ﷺ ورضي عنهن.اهـ



نعي النجاشي والصلاة عليه

٩١- ثُــمَّ النَّــجَاشِيَّ نَــعَى وَصَــلَّى عَلَــيْهِ مِنْ طَــيْبَةَ نَــالَ الْفَــضْلاَ

الشرح:

يعني: وفي هذه السنة أعلم النبي ﷺ أصحابه بموت النجاشي وصلى عليه صلاة الغائب ولم يصل على أحد مات غائباً سواه ونال النجاشي بذلك الفضل والتكريم حين صلى عليه النبي ﷺ.

وكانت هذه الصلاة في شهر رجب سنة تسعة من الهجرة قبل مسيره إلى تبوك في قول أكثر أهل العلم وهو مذهب الجمهور كما قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ مَاتَ النَّجَاشِيُّ: «مَاتَ اليَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ». متفق عليه [البخاري (٣٨٧٧) مسلم (٩٥٢)]

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: نَعَى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّجَاشِيَ صَاحِبَ الْحَبَشَةِ، فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ». قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ أَبَاهُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَفَّ بِهِمْ بِالْمُصَلَّى، فَصَلَّى فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ». متفق عليه [البخاري (١٣٢٧، ١٣٢٨) مسلم (٩٥١)]

قال ابن عبد البر في "الاستذكار" (٣/٢٦): وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ ﷺ كَبِيرٌ وَذَلِكَ أَنَّهُ عَلِمَ بِمَوْتِهِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ عَلَى بُعْدِ مَا بَيْنَ الْحِجَازِ وَأَرْضِ الْحَبَشَةِ وَنَعَاهُ لِلنَّاسِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَكَانَ ذَلِكَ فِيمَا قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ السِّيَرِ فِي رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ.اهـ

---

(١) قال في "فتح الباري" (٧/١٩١): وَإِنَّمَا وَقَعَتْ وَفَاتُهُ بَعْدَ الْهِجْرَةِ سَنَةَ تِسْعٍ عِنْدَ الْأَكْثَرِ وَقِيلَ سَنَةَ ثَمَانٍ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ.اهـ

وقال المقريزي في "الإمتاع" (٢/ ٤٦) : وفي رجب سنة تسع نعى رسول الله ﷺ النجاشي للمسلمين وصلى عليه بمن معه في اليوم الذي مات فيه على بعد مابين الحجاز وأرض الحبشة فكان ذلك علما من أعلام النبوة كبير.اه[1]

(١)وبه قال ابن العربي في "المسالك"(٥٢٤/٣)، والعيني في "عمدة القاري" (١٩/٨)، والسيوطي في "تنوير الحوالك"(١٧٦/١)، وابن جرير في "تاريخ الرسل والملوك" (١٢٢/٣)، والقسطلاني في "إرشاد الساري" (٣٧٨/٢)، وابن حبان في "السيرة النبوية" (٣٦٦/١)، والماوردي في "الحاوي الكبير" (٨٥/١٤)، وابن حديدة في "المصباح المضي" (٣٢/٢)، والعامري في "بهجة المحافل" (٦٧/٢)، وابن الجوزي في "المنتظم" (٣٧٥/٣)، وأبو الحسن ابن الأثير في "الكامل في التاريخ" (١٥٧/٢)، ومغلطاي في "إكمال تهذيب الكمال" (١٨٥/٣).



موت إبراهيم وإسلام جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٩٢- وَمَـــاتَ إِبْـــرَاهِيمُ فِي الْعَـامِ الْأَخِيرْ   وَالْبَــجَلِيْ أَسْلَـــمَ وَاسْمُـــهُ جَرِيرْ

الشرح:

أي: وفي هذه السنة العاشرة وهي آخر سنة في حياة النبي ﷺ توفي إبراهيم ابن النبي ﷺ وله سبع عشرة شهرا، وقيل: ثمانية عشر، وقيل: ستة عشر، وصلى عليه رسول الله ﷺ وكبر أربعا.

قال الحافظ في "فتح الباري" (٢/ ٥٢٩): قَوْله: «يَوْم مَاتَ إِبْرَاهِيم» يَعْنِي: ابن النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ ذَكَرَ جُمْهُورُ أَهْلِ السِّيَرِ أَنَّهُ مَاتَ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ. فَقِيلَ: فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وَقِيلَ: فِي رَمَضَانَ، وَقِيلَ: فِي ذِي الْحِجَّةِ. اهـ

وقال القسطلاني في "إرشاد الساري" (٢/ ٢٧٧): فقد تقدم أن موت إبراهيم كان في العاشرة، كما اتفق عليه أهل الأخبار.اهـ

وقال ابن حجر الهيتمي في "أشرف الوسائل" (ص: ٤٥٦): جمهور أهل السير: أنه مات في السنة العاشرة، قيل: في ربيع الأول، وقيل: في رمضان، وقيل: في ذي الحجة، والأكثر: أنه كان في يوم عاشر الشهر، وقيل: أربعة، وقيل: رابع عشرة، ولا يصح منها شيء على الأخير.اهـ

وقال ابن الملك في "شرح المصابيح"(٢/ ٢٧٨): وأهل التواريخ على أنه مات في السنة العاشرة من الهجرة.اهـ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ»، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ

نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ». متفق عليه [خ (١٣٠٣) م (٢٣١٥)]

ومن الحكم في وفاته ومن قبله إخوانه حفظ الأمة من الإفتتان بهم بعد وفاة أبيهم نبينا ﷺ وخوف الغلو بهم، وقد ظهرت بوادر ذلك في حياة الرسول ﷺ حين مات إبراهيم كسفت الشمس فقيل: إنه لأجل موته فصحح لهم عليه الصلاة والسلام هذا الظن الفاسد، فعَنِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ النَّاسُ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ فَصَلُّوا، وَادْعُوا اللَّهَ». متفق عليه [خ (١٠٤٣) م (٩١٥)]

وعن إِسْمَاعِيل: قُلْتُ لِابْنِ أَبِي أَوْفَى: رَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ ابْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: «مَاتَ صَغِيرًا، وَلَوْ قُضِيَ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيٌّ عَاشَ ابْنُهُ، وَلَكِنْ لاَ نَبِيَّ بَعْدَهُ». صحيح البخاري (٦١٩٤)(١)



(١)انظر في وفاة إبراهيم: "الفتح" (٥٢٩/٢)، "عمدة القاري" (٦٩/٧)، "مرقاة المفاتيح" (١٠٩٦/٣)، "سبل السلام"(٤٣٩/١)، "شرح المصابيح" لابن الملك (٢٧٨/٢)، "أشرف الوسائل" (ص:٤٥٦)، "تاريخ الخميس" (١٤٦/٢)، "جمع الوسائل في شرح الشمائل" (١١٩/٢)، "تلقيح فهوم أهل الأثر" (ص:٤١)، "شذرات الذهب"(١٣٠/١)، "جامع الأصول" (٩٤/١٢)، "تاريخ التشريع الإسلامي" (ص:١٥٢)، "تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي" (٢٦/٢)، "الغرر البهية في شرح البهجة الوردية" (٦١/٢)، "توضيح الأحكام من بلوغ المرام" (٥٩/٣).

إسلام جرير بن عبدالله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قوله : «والبجلي أسلم واسمه جرير»

أي: وفي هذه السنة العاشرة أسلم الصحابي الجليل سيد قبيلة بجيلة أبو عمرو وقيل: أبوعبدالله جرير بن عبدالله بن مالك البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهذا قول جمهور أهل السير[١].

وقيل: بل أسلم قبل ذلك، واختار الحافظ ابن حجر أنه أسلم في سنة الوفود سنة تسع من الهجرة[٢]، واستدل بحديث جرير قال : قال لنا رسول الله ﷺ : «إن أخاكم النجاشي قد مات »الخ ، وهذا يدل على تقدم إسلام جرير عن سنة عشر لأن النجاشي مات قبل ذلك.

وأجاب عن ذلك العامري فقال في "بهجة المحافل" (٧٢/٢): فإن قيل: ففي "معجم ابن نافع" من حديث شريك عن أبي اسحق عن الشعبي عن جرير قال: لما نعى النجاشى قال

---

(١)قال العيني في "عمدة القاري"(١٥٤/٣): وَإِسْلَام جرير كَانَ فِي السّنة الْعَاشِرَة، وَهَذَا قَول الْأَكْثَرين إلاَّ أَن الطَّبَرَانِيّ وَابْن قَانِع قَالَا: أسلم قَدِيما.اه

وقال ابن الملقن في "التوضيح " (٤٤٧/٤): إسلامه كان في السنة العاشرة على المشهور.اه

وقال العامري في "بهجة المحافل" (٧٢/٢): وجزم به ابن حبان والبغوي وأكثر الحفاظ المتأخرين وغلط الطحاوي ابن عبد البر وغيره ممن قال: إن إسلامه قبل موت النبي ﷺ بأربعين يوما. لما في الصحيحين وغيرهما عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «استنصت لي الناس».اه

وقال السفاريني في "كشف اللثام" (٢٨٤/١): قال أهلُ السِّيَر: كان إسلام جرير في آخر سنة عشر، وقيل: في أولها، وقيل: في أول سنة إحدى عشرة، وفيها مات النبي ﷺ.اه

وانظر:"إمتاع الأسماع" (١٢٢/٢)، "سبل الهدى والرشاد" (٧٥/١٢)، "تلقيح فهوم أهل الأثر" (ص:٤١)، "الاستذكار"(٢٣٩/٢)، "مرآة الزمان" (٢١٣/٧)، "شذرات الذهب" (١٣١/١)، "أسد الغابة"(٥٢٩/١)، "قلادة النحر"(٣٦١/١)،"اللؤلؤ المكنون" (٢٣٨/٤)،"شرح سنن أبي داود"لابن رسلان(١٥٠/٢)، "البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج" (٣١٣/٢)، "الأحكام الصغرى" لابن الخراط (١٢٠/١)، "البداية والنهاية" (٩٣/٥).

(٢)قال في "فتح الباري" (١٣٢/٧): وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ فِي سَنَةِ الْوُفُودِ سَنَةَ تِسْعٍ وَوَهَمَ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ أَسْلَمَ قَبْلَ مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا لِمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ» فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَذَلِكَ قَبْلَ مَوْتِهِ ﷺ بِأَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِينَ يَوْمًا. وَكَانَ مَوْتُ جَرِيرٍ سَنَةَ خَمْسِينَ، وَقِيلَ بَعْدَهَا.اه

النبي ﷺ: «إن أخاكم النجاشى هلك فاستغفروا له». فهذا يدل على تقدم إسلام جرير عن رمضان لأن وفاة النجاشي كانت في رجب سنة تسع كما مر؟ فالجواب: أنه ليس في حديث جرير أنه كان مسلما يومئذ لجواز أن يكون حديثه من مراسيل الصحابة.اهـ

صفة جرير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الجمالية

كان جرير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بديع الجمال، مليح الصورة إلَى الغاية، طويلًا، يصل إلَى سنام البعير، وكان نعله ذراعا وهو شاعر خطيب لسن. كان عمر يسميه يوسف هذه الأمة لفرط جماله ومع تأخر إسلامه فقد أخذ في نصر الاسلام بحظ وافر.(١)

خبر قدومه

قدم جرير المدينة ومعه من قومه مائة وخمسون رجلا.

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا دَنَوْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ أَنَخْتُ رَاحِلَتِي، ثُمَّ حَلَلْتُ عَيْبَتِي، ثُمَّ لَبِسْتُ حُلَّتِي، ثُمَّ دَخَلْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ، فَرَمَانِي النَّاسُ بِالْحَدَقِ، فَقُلْتُ لِجَلِيسِي: يَا عَبْدَ اللهِ، ذَكَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، ذَكَرَكَ آنِفًا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، فَبَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ إِذْ عَرَضَ لَهُ فِي خُطْبَتِهِ وَقَالَ:«يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَابِ، أَوْ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنٍ، أَلَا إِنَّ عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةَ مَلَكٍ» قَالَ جَرِيرٌ: فَحَمِدْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا أَبْلَانِي. أخرجه الإمام أحمد (١٩١٨٠) والنسائي في "الكبرى"(٨٢٤٦) وابن حبان (٧١٩٩) وهو في "الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين" (٢٢٧)، و"الصحيحة" (٥٨٧/٧) تحت رقم (٣١٩٣).

وعَنْه قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ». متفق عليه [البخاري (٥٧) مسلم (٥٦)]

---

(١) "تاريخ الإسلام"(٤/ ١٨٦)،"بهجة المحافل"(٢/٧٣)، "جمع الوسائل في شرح الشمائل" (٢/ ٧).

إكرام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجرير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي. متفق عليه [البخاري (٣٠٣٥) مسلم (٢٤٧٥)]

إستعمال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له

عن قَيْس بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: قَالَ لِي جَرِيرٌ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلاَ تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الخَلَصَةِ» وَكَانَ بَيْتًا فِي خَثْعَمَ يُسَمَّى كَعْبَةَ اليَمَانِيَةِ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ، وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ، قَالَ: وَكُنْتُ لاَ أَثْبُتُ عَلَى الخَيْلِ، فَضَرَبَ فِي صَدْرِي حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ أَصَابِعِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا»، فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا فَكَسَرَهَا وَحَرَّقَهَا، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُهُ، فَقَالَ رَسُولُ جَرِيرٍ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا جِئْتُكَ حَتَّى تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْوَفُ أَوْ أَجْرَبُ، قَالَ: فَبَارَكَ فِي خَيْلِ أَحْمَسَ، وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ. متفق عليه [البخاري (٣٠٢٠) مسلم (٢٤٧٦)]

وفاته

سنة ٥١ وقيل ٥٤ هـ في بلدة يقال لها: قرقيسيا على نهر الفرات قرب مدينة دير الزور شرق سوريا[١].

---

(١)لترجمة جرير انظر مع ما سبق: "تاريخ الإسلام"(٤/ ١٨٦)، "بهجة المحافل" (٢/ ٧٢)، "البداية والنهاية"(٨/ ٦١)، "مرآة الزمان"(٧/ ٢١٢)، "الطبقات الكبرى" - متمم الصحابة - الطبقة الرابعة (ص: ٧٩٤)، "معرفة الصحابة" لأبي نعيم (٢/ ٥٩١)، "الاستيعاب" (١/ ٢٣٦)، "سير السلف الصالحين" لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص: ٣٣٩)، "تاريخ دمشق" لابن عساكر (٧٢/ ٦٩)، "أسد الغابة" (٥٢٩/١)، "تهذيب الأسماء واللغات" (١/ ١٤٧)، "تهذيب الكمال" (٤/ ٥٣٣)، "سير أعلام النبلاء" (٥٣٠/٢)، "الإصابة" (١/ ٥٨١)، الوافي بالوفيات (١١/ ٥٧)، "قلادة النحر"(١/ ٣٦١)، "تذهيب تهذيب الكمال" (٢/ ١٢٧).

حجة الوداع

٩٣- وَحَــجَّ حَــجَّةَ الْـوَدَاعِ قَـارِنَا ... وَوَقَـــفَ الْـجُمْعَةَ فِيــهَا آمِنَا

٩٤- وَأُنْزِلَتْ فِي الْيَوْمِ بُــشْرَى لَـكُمُ ... اَلْيَــوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَــكُمُ

الشرح:

أي: وفي هذه السنة العاشرة من الهجرة حج النبي ﷺ حجة الوداع وسميت بذلك لأنه ﷺ ودع فيها أصحابه، فعن جَابِر، قال : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ». مسلم (١٢٩٧)

وكان حجه عليه الصلاة والسلام قارنا، أي قرن بين الحج والعمرة فلبا بهما معاً وساق معه هديه.

ووقف بعرفة يوم الجمعة آمناً مطمئناً وفيها أنزل الله عز وجل - يبشر المؤمنين بكمال الدين وتمام النعمة-: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ [المائدة: ٣]

عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، أَنَّ رَجُلًا، مِنَ اليَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ [المائدة: ٣] قَالَ عُمَرُ: «قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ». متفق عليه [البخاري (٤٥) مسلم(٣٠١٧)]

نسك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

نسك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القِرَان، وهذا مذهب أئمة الحديث وقول أبي حنيفة ورواية عن أحمد وهو الصحيح وأدلته كثيرة منها:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«اللَّيْلَةَ أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، وَهُوَ بِالعَقِيقِ، أَنْ صَلِّ فِي هَذَا الوَادِي المُبَارَكِ، وَقُلْ: عُمْرَةٌ فِي حَجَّةٍ». رواه البخاري (٢٣٣٧)

وعَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ، حَدَّثَنَا بَكْرٌ، أَنَّهُ ذَكَرَ لِابْنِ عُمَرَ، أَنَّ أَنَسًا حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهَلَّ بِعُمْرَةٍ وَحَجَّةٍ، فَقَالَ: أَهَلَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالحَجِّ وَأَهْلَلْنَا بِهِ مَعَهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً»، وَكَانَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَدْيٌ، فَقَدِمَ عَلَيْنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنَ اليَمَنِ حَاجًّا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بِمَ أَهْلَلْتَ؟، فَإِنَّ مَعَنَا أَهْلَكَ» قَالَ: أَهْلَلْتُ بِمَا أَهَلَّ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَأَمْسِكْ فَإِنَّ مَعَنَا هَدْيًا». متفق عليه [البخاري (٤٣٥٣) مسلم (١٢٣١، ١٢٣٢)]

وفي رواية لمسلم (١٢٥١) عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، وَعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ، وَحُمَيْدٍ، أَنَّهُمْ سَمِعُوا أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَهَلَّ بِهِمَا جَمِيعًا: «لَبَّيْكَ عُمْرَةً وَحَجًّا، لَبَّيْكَ عُمْرَةً وَحَجًّا».

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا شَأْنُ النَّاسِ حَلُّوا بِعُمْرَةٍ، وَلَمْ تَحْلِلْ أَنْتَ مِنْ عُمْرَتِكَ؟ قَالَ: «إِنِّي لَبَّدْتُ رَأْسِي، وَقَلَّدْتُ هَدْيِي، فَلاَ أَحِلُّ حَتَّى أَنْحَرَ». متفق عليه [البخاري (١٥٦٦) مسلم (١٢٢٩)



حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صفة حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه (٢/ ٨٨٦) (١٢١٨): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، جَمِيعًا عَنْ حَاتِمٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَدَنِيُّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، فَسَأَلَ عَنِ الْقَوْمِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى رَأْسِي فَنَزَعَ زِرِّي الْأَعْلَى، ثُمَّ نَزَعَ زِرِّي الْأَسْفَلَ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ ثَدْيَيَّ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ شَابٌّ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ، يَا ابْنَ

أَخِي، سَلْ عَمَّا شِئْتَ، فَسَأَلْتُهُ، وَهُوَ أَعْمَى، وَحَضَرَ وَقْتُ الصَّلَاةِ، فَقَامَ فِي نِسَاجَةٍ مُلْتَحِفًا بِهَا، كُلَّمَا وَضَعَهَا عَلَى مَنْكِبِهِ رَجَعَ طَرَفَاهَا إِلَيْهِ مِنْ صِغَرِهَا، وَرِدَاؤُهُ إِلَى جَنْبِهِ، عَلَى الْمِشْجَبِ، فَصَلَّى بِنَا، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ حَجَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: بِيَدِهِ فَعَقَدَ تِسْعًا ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ، حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: كَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: «اغْتَسِلِي، وَاسْتَثْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي» فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ، نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ، مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ، فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ «لَبَّيْكَ اللهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ» وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهَذَا الَّذِي يُهِلُّونَ بِهِ، فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ، وَلَزِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَلْبِيَتَهُ، قَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَسْنَا نَنْوِي إِلَّا الْحَجَّ، لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ، حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ، اسْتَلَمَ الرُّكْنَ فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا، ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام، فَقَرَأَ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[البقرة: ١٢٥] فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَكَانَ أَبِي يَقُولُ - وَلَا أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ-: كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ وَ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾[البقرة: ١٥٨] «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ» فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَرَقِيَ عَلَيْهِ،حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ: مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ، حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى، حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ، فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ،

فَقَالَ: «لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقِ الْهَدْيَ، وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحِلَّ، وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً»، فَقَامَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلِعَامِنَا هَذَا أَمْ لِأَبَدٍ؟ فَشَبَّكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَى، وَقَالَ: «دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ» مَرَّتَيْنِ «لَا بَلْ لِأَبَدِ أَبَدٍ» وَقَدِمَ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ بِبُدْنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَوَجَدَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِمَّنْ حَلَّ، وَلَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا، وَاكْتَحَلَتْ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا، قَالَ: فَكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ، بِالْعِرَاقِ: فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُحَرِّشًا عَلَى فَاطِمَةَ لِلَّذِي صَنَعَتْ، مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا ذَكَرَتْ عَنْهُ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: «صَدَقَتْ صَدَقَتْ، مَاذَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ؟» قَالَ قُلْتُ: اللهُمَّ، إِنِّي أُهِلُّ بِمَا أَهَلَّ بِهِ رَسُولُكَ، قَالَ: «فَإِنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ فَلَا تَحِلُّ» قَالَ: فَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْيِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِائَةً، قَالَ: فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَقَصَّرُوا، إِلَّا النَّبِيَّ ﷺ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ تَوَجَّهُوا إِلَى مِنًى، فَأَهَلُّوا بِالْحَجِّ، وَرَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ، ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ شَعَرٍ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمِرَةَ، فَسَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَا تَشُكُّ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ وَاقِفٌ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَجَازَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ، فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ، فَنَزَلَ بِهَا، حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ، فَرُحِلَتْ لَهُ، فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي، فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ

قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللهُمَّ، اشْهَدْ، اللهُمَّ، اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَذَّنَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ، فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ إِلَى الصَّخَرَاتِ، وَجَعَلَ حَبْلَ الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا، حَتَّى غَابَ الْقُرْصُ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ خَلْفَهُ، وَدَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ شَنَقَ لِلْقَصْوَاءِ الزِّمَامَ، حَتَّى إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ، وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى «أَيُّهَا النَّاسُ، السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ» كُلَّمَا أَتَى حَبْلًا مِنَ الْحِبَالِ أَرْخَى لَهَا قَلِيلًا، حَتَّى تَصْعَدَ، حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَةَ، فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ، وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، وَصَلَّى الْفَجْرَ، حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ، بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ، حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا، فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ، وَكَانَ رَجُلًا حَسَنَ الشَّعْرِ أَبْيَضَ وَسِيمًا، فَلَمَّا دَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرَّتْ بِهِ ظُعُنٌ يَجْرِينَ، فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ، فَحَوَّلَ الْفَضْلُ وَجْهَهُ إِلَى الشِّقِّ الْآخَرِ يَنْظُرُ، فَحَوَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الشِّقِّ الْآخَرِ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ، يَصْرِفُ وَجْهَهُ مِنَ الشِّقِّ الْآخَرِ يَنْظُرُ، حَتَّى أَتَى بَطْنَ مُحَسِّرٍ، فَحَرَّكَ قَلِيلًا، ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوُسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى، حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا، مِثْلِ حَصَى الْخَذْفِ، رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَرِ، فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا، فَنَحَرَ مَا غَبَرَ، وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِهِ، ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ، فَجُعِلَتْ فِي قِدْرٍ، فَطُبِخَتْ، فَأَكَلَا مِنْ لَحْمِهَا وَشَرِبَا مِنْ مَرَقِهَا، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ، فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ، فَأَتَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَمَ، فَقَالَ: «انْزِعُوا، بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ» فَنَاوَلُوهُ دَلْوًا فَشَرِبَ مِنْهُ.

قال (٢/ ٨٩٢) (١٢١٨): وحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: أَتَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ حَجَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ: حَاتِمِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ وَكَانَتِ الْعَرَبُ يَدْفَعُ بِهِمْ أَبُوسَيَّارَةَ عَلَى حِمَارٍ عُرْيٍ، فَلَمَّا أَجَازَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، لَمْ تَشُكَّ قُرَيْشٌ أَنَّهُ سَيَقْتَصِرُ عَلَيْهِ، وَيَكُونُ مَنْزِلُهُ، ثَمَّ فَأَجَازَ وَلَمْ يَعْرِضْ لَهُ، حَتَّى أَتَى عَرَفَاتٍ فَنَزَلَ.

وهذا الحديث عظيم وهو أصل وعمدة مناسك الحج[١].



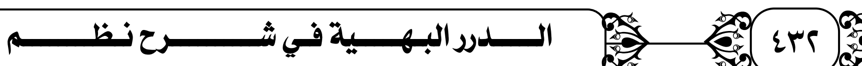
(١)قَالَ النَّوويُّ في «شَرحِ مُسلِمٍ» (٨/١٧٠): «هُو حَدِيثٌ عَظِيمٌ، مُشتَمِلٌ عَلَى جُمَلٍ مِنَ الفَوَائِدِ، ونَفَائِس مِن مُهمَّاتِ القَوَاعِدِ». اهـ. وقَالَ في «المَجمُوعِ» (٧/١٩٣): «وهُو حَدِيثٌ عظيمُ الفَوَائِدِ، فِيهِ مناسِك، ومُعظمهَا ذكر فِيهِ كُل مَا فَعَلَهُ ﷺ مِن حِينِ خُرُوجِهِ إِلَى فَرَاغِهِ». اهـ

وقَالَ الزَّيلَعِيُّ في «نصبِ الرَّايَةِ» (٣/٤٨): «حَدِيثُ جَابِرٍ عُمدَة فِي مَنَاسِك الحَجِّ».اهـ

وقَالَ المُبَارَكفُورِيُّ في «مَرعَاةِ المَفَاتِيح» (٩/٢): «حَدِيث جَابِرٍ هَذَا عَظِيم القدر، اشتَمَل عَلَى قَوَاعِد كَثِيرَة مِن الدِّين».اهـوقَالَ القَاري في «مَرقَاة المَفَاتِيح» (٥/٤٧٧): «وهُو أَصلٌ كَبِيرٌ، وأجمَع حَدِيث فِي البَابِ». اهـ

وقَالَ ابنُ الأمِيرِ الصَّنعَانِيُّ في «سُبُلِ السَّلَام» (٢/٢٠١): «واعلَم أن هَذَا حَدِيثٌ عظِيمٌ مُشتَمِلٌ عَلَى جُمَلٍ مِنَ الفَوَائِدِ ونَفَائِس مِن مُهِمَّاتِ القَوَاعِدِ. قَالَ القَاضِي عِيَاضٌ: «قَد تَكَلَّم النَّاسُ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الفِقهِ وأَكثَرُوا، وصَنَّفَ فيهِ أبو بَكر بن المُنذر جُزءًا كَبِيرًا أخرَجَ فِيهِ مِنَ الفِقهِ مِائة ونَيِّفًا وخَمسِين نَوعًا، قَالَ: «ولو تَقَصَّى لِزَيدٍ عَلَى هَذَا العَدَدِ أو قَرِيب مِنهُ». اهـ

وقَالَ السِّيوَاسِي في «شَرحِ فَتحِ القَدِير» (٢/٤٠٤): «وقَد رَأَيتُ أن أتبَرَّكَ فِي افتِتَاحِ هَذَا الرُّكن بِحَدِيثِ جَابِرٍ الطَّوِيل؛ فإِنَّه أَصلٌ كَبِيرٌ أجمَع حَدِيث فِي البَابِ». اهـ



موت ريحانة قبله والتسع بعده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٩٥- وَمَـــوْتُ رَيْحَانَةَ بَــعْدَ عَوْدِهِ وَالـــتِّسْعُ عِـــشْنَ مُــــدَّةً مِـــنْ بَــعْدِهِ

الشرح : أي: وبعد عودة النبي ﷺ من الحج ماتت سريته ريحانة وذلك قبل وفاته بستة عشر شهراً والتسع من زوجاته ﷺ عشن بعده وتوفي عنهن ولا خلاف في أنه ﷺ سلم توفي عن تسع أولهن لحاقا به زينب بنت جحش وآخرهن أم سلمة وجمعن في قول الناظم:

تـــوفي رسول الله عن تسع نسوة إليهن تُعزى المكرمات وتنسبُ

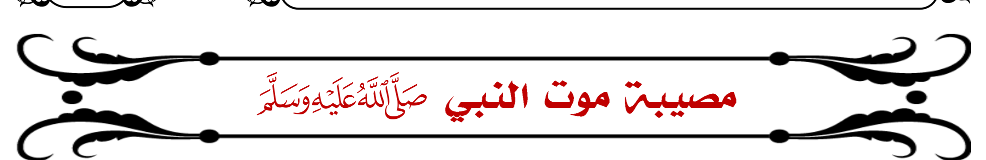
فــعائـشة ميمـــونة وصـــفية وحفصــة تتلوهن هند وزينب

جـــويرية مـــع رمـــلة ثم سودة ثلاث وســـت ذكـــرهن مهذب[١]

فائدة: تاريخ زواج ووفاة التسع بالترتيب

الاسم		سنة الزواج		سنة الوفاة
زينب بنت جحش		٣هـ		٢٠ هـ
أم حبيبة رملة		٧هـ		٤٤هـ
حفصة بنت عمر		٣هـ		٤٥هـ
جويرية بنت الحارث		٥هـ		٥٠هـ
صفية بنت حيي		٧هـ		٥٠هـ
ميمونة بنت الحارث		٧هـ		٥١هـ
سودة بنت زمعة		١٠ من البعثة		٥٥هـ
عائشة بنت أبي بكر		١٠ من البعثة		٥٧هـ
أم سلمة هند		٤هـ		٦١ أو ٦٢ هـ

(١) "المواهب اللدنية"(١/٤٩١).



مصيبة موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٩٦- وَيَــوْمَ الاثْنَــيْنِ قَضَـى يَقِــينَا إِذْ أَكْــمَلَ الثَّــلاَثَ وَالسِّتِّــينَا

الشرح:

أي: وفي يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة حدثت رزية الرزايا ومصيبة المصائب وهي وفاة رسول الله ﷺ.

قوله: (قضى يقينا): أي توفي في هذا اليوم لاشك في ذلك ولا ارتياب ولا خلاف بين العلماء في ذلك وحجته حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين سئلت: فِي أَيِّ يَوْمٍ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَتْ: «يَوْمَ الاثْنَيْنِ». رواه البخاري (١٣٨٧)

عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ رسول الله ﷺ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الاثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلاَةِ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ سِتْرَ الحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتَتِنَ مِنَ الفَرَحِ بِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَكَصَ أَبُوبَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَارِجٌ إِلَى الصَّلاَةِ «فَأَشَارَ إِلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَتِمُّوا صَلاَتَكُمْ وَأَرْخَى السِّتْرَ فَتُوُفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ». متفق عليه [البخاري (٦٨٠) مسلم(٤١٩)]

توفي بعد أن أكمل الثلاث والستين من عمره:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «تُوُفِّيَ، وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ». متفق عليه [البخاري (٣٥٣٦) مسلم (٢٣٤٩)]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالهِجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثٍ وَسِتِّينَ». متفق عليه [البخاري (٣٩٠٢) مسلم (٢٣٥١)]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَأَبُو بَكْرٍ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَعُمَرُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ». مسلم (٢٣٤٨)

دفن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٩٧- وَالـــدَّفْنُ فِي بَيْتِ ابْنَــةِ الصِّدِّيقِ فِي مَــوْضِعِ الْـــوَفَاةِ عَــنْ تَـحْقِيقِ

الشرح : أي: ودفن رسول الله ﷺ في حجرة عائشة بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الموضع الذي قبض فيه بغير خلاف بل بالخبر المحقق المتواتر. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ، فَقَالَ أَبُوبَكْرٍ: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا مَا نَسِيتُهُ، قَالَ: «مَا قَبَضَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي المَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ»، ادْفِنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ. أخرجه الترمذي (١٠١٨)،وصححه الألباني في "أحكام الجنائز"(١٣٧/١)، وقال: ولم ينقل عن أحد من السلف أنه دفن في غير المقبرة، إلا ما تواتر أيضا أن النبي ﷺ دفن في حجرته، وذلك من خصوصياته عليه الصلاة والسلام.اهـ

وكان دفنه ﷺ ليلة الأربعاء على الأصح من أقوال العلماء. عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: «مَا عَلِمْنَا بِدَفْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى سَمِعْنَا صَوْتَ الْمَسَاحِي مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ» رواه أحمد (٢٦٣٤٩) وفي رواية (٢٤٧٩٠) عَنْها قَالَتْ: تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَدُفِنَ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ.

قال ابن كثير كما في "السيرة النبوية" (٥٣٩/٤): وَهُوَ الَّذِي نَصَّ عَلَيْهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ سَلَفًا وَخَلَفًا... ثم قال: وَالْمَشْهُورُ عَنِ الْجُمْهُورِ مَا أَسْلَفْنَاهُ من أنه عَلَيْهِ السَّلَام توفى يَوْم الاثْنَيْنِ، وَدفن لَيْلَة الاربعاء.اهـ

وقال ابن حزم في "جوامع السيرة" (ص:٧): ولم يختلف فى أنه عليه السلام مات يوم الاثنين ودفن ليلة الأربعاء، وقيل: يوم الثلاثاء.اهـ

وقال الفاسي في "مستعذب الإخبار" (ص: ٣١٥): ودفن ليلة الأربعاء، على الصحيح.اهـ[١]

---

(١)وانظر: "البداية والنهاية"(٢٣٧/٥)، "الإمتاع" للمقريزي (٥٥١/١)، "الإشارة" (ص:٣٥١)، "تلقيح فهوم أهل الأثر"(ص:٥٩)، "الإيماء إلى أطراف أحاديث كتاب الموطأ" (٣٩٦/٥)، "سبل الهدى والرشاد" (٣٣٣/١٢)، "الطبقات الكبرى" (٢٢١/٢).



مرض النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٩٨- وَمُــدَّةُ التَّــمْرِيضِ خُمْسَا شَهْرِ وَقِيــلَ بَــلْ ثُـلْثٌ وَخُمْسٌ فَـــادْرِي

الشرح:

أي: ومدة مرض النبي ﷺ اثنا عشر يوما (خمسا شهر)، وقيل: ستة عشر يوما (ثلث وخمس) فاعلم ذلك. وأكثر أهل العلم أن مدة مرض وفاته ﷺ ثلاثة عشر يوما كما في "فتح الباري"(٨/١٢٩).

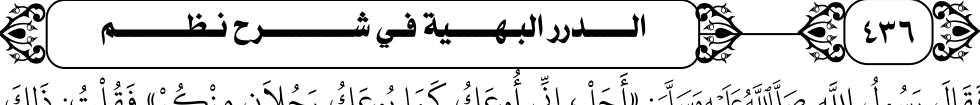
مختصر المرض والوفاة

ابتدأ رسول الله ﷺ بشكواه في أواخر ليالي شهر صفر وأول ما بُدئ به من وجعه الصداع الشديد في رأسه وكان يطوف على نسائه في مرضه حتى اشتد الوجع وهو في بيت ميمونة بنت الحارث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فاستأذن أزواجه أن يُمَرَّض في بيت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فَأَذِنَّ له واشتدت وطأة المرض وبدأت الحمى تشتد عليه.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بَيْنَ يَدَيَّ فَوْقَ اللِّحَافِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ! قَالَ: «إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ وَيُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ الصَّالِحُونَ إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيُبْتَلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ أَحَدُهُمْ إِلَّا الْعَبَاءَةَ يُحَوِّيهَا وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ». سنن ابن ماجه (٤٠٢٤) وحسنه شيخنا في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (٤٠٨)، والألباني في "الصحيحة" (١٤٤).

ودخل عليه ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فرأى شدة المرض عليه.

عَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا؟



فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ» فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَجَلْ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ، إِلَّا حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا». متفق عليه [البخاري (٥٦٦٠) مسلم (٢٥٧١)]

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ». متفق عليه [البخاري (٥٦٤٦) مسلم(٢٥٧٠)]

وكانت تقرأ بالمعوذات وتنفث بهن على رسول الله ﷺ وتمسح بيده الشريفة رجاء بركتها .

وكان من شدة وجعه يغمى عليه ثم يفيق، وأغمي عليه مرة فلدوه -أي سقوه دواء- فلما أفاق أمر أن يسقوا جميعا كما سقوه إلا العباس .

وقبل وفاته بخمسة أيام اشتد وجعه حتى أغمي عليه فأفاق ثم أمر بصب ماء سبع قرب عليه لم تُحْلَل أوكيتهن من آبار شتى ففعلوا.

فعند ذلك أحس بخفة فخرج على الناس متوكئا على الفضل بن العباس عاصبا رأسه بعصابة سوداء ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه واستغفر لشهداء أحد ثم قال :«إن عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عند الله» فبكى أبوبكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ .

عن عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ، اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ فِي أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي، فَأَذِنَّ لَهُ، فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخُطُّ رِجْلاَهُ فِي الأَرْضِ، بَيْنَ عَبَّاسٍ وَآخَرَ، فَأَخْبَرْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ الآخَرُ الَّذِي لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: هُوَ عَلِيٌّ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَعْدَ مَا دَخَلَ بَيْتَهَا، وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ: «هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ، لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ» قَالَتْ: فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ القِرَبِ، حَتَّى جَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْنَا: «أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ» قَالَتْ: وَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ، فَصَلَّى لَهُمْ وَخَطَبَهُمْ. صحيح البخاري (٥٧١٤)

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جلَس عَلَى المِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنَّ عَبْدًا

خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ» فَبَكَى أَبُوبَكْرٍ وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ المُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمُنَا بِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، إِلَّا خُلَّةَ الإِسْلاَمِ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ». متفق عليه [البخاري (٣٩٠٤) مسلم (٢٣٨٢)].

وفي رواية عند البخاري (٤٦٦) قَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لاَ تَبْكِ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ»

وأوصى بالأنصار، فعن هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: مَرَّ أَبُو بَكْرٍ، وَالعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الأَنْصَارِ وَهُمْ يَبْكُونَ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكُمْ؟ قَالُوا: ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَّا، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، قَالَ: فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ، قَالَ: فَصَعِدَ المِنْبَرَ، وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ اليَوْمِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَقَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ». البخاري (٣٧٩٩)

وكان من آخر وصاياه: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل».

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ، يَقُولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ». صحيح مسلم(٢٨٧٧)

وقوله: «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم».

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ عَامَّةُ وَصِيَّةِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ:«الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ». حَتَّى جَعَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يُلَجْلِجُهَا فِي صَدْرِهِ، وَمَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ. مسند أحمد (٢٦٦٨٤)وصححه الألباني في "الإرواء" (٢٣٨/٧).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، وَهُوَ


يُغَرْغِرُ بِنَفْسِهِ «الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ». سنن ابن ماجه (٢٦٩٧)، وصححه الألباني في "إرواء الغليل" (٢١٧٨).

ومن وصاياه ما في هذا الحديث العظيم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ، أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ». صحيح مسلم (٤٧٩)

وكان عليه الصلاة والسلام حريصا على أن يصلي بالناس مع ما به من شدة الوجع حتى غلبه المرض وعجز عن الخروج فعندها أمر أبابكر الصديق أن يؤم الناس في الصلاة.

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَ بِلاَلٌ يُوذِنُهُ بِالصَّلاَةِ، فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ وَإِنَّهُ مَتَى مَا يَقُمْ مَقَامَكَ لاَ يُسْمِعُ النَّاسَ، فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ، فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ» فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، وَإِنَّهُ مَتَى يَقُمْ مَقَامَكَ لاَ يُسْمِعُ النَّاسَ، فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ، قَالَ: «إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ» فَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلاَةِ وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَفْسِهِ خِفَّةً، فَقَامَ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، وَرِجْلاَهُ يَخُطَّانِ فِي الأَرْضِ، حَتَّى دَخَلَ المَسْجِدَ، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ حِسَّهُ، ذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ يَتَأَخَّرُ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جَلَسَ عَنْ يَسَارِ أَبِي بَكْرٍ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي قَائِمًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي قَاعِدًا، يَقْتَدِي أَبُو بَكْرٍ بِصَلاَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسُ مُقْتَدُونَ بِصَلاَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. رواه البخاري (٧١٣) ومسلم(٤١٨)

واشتد برسول الله ﷺ الوجع ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر وفي يده سواك رطب يستن به فنظر إليه رسول الله ﷺ يريده فأخذته عائشة فقضمته بفيها حتى لان ثم استن به ﷺ استنانا حسنا كأحسن ما كان.

عَنْ عَائِشَةَ، دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا مُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِي، وَمَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سِوَاكٌ رَطْبٌ يَسْتَنُّ بِهِ، فَأَبَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَصَرَهُ، فَأَخَذْتُ السِّوَاكَ فَقَصَمْتُهُ،

وَنَفَضْتُهُ وَطَيَّبْتُهُ، ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَنَّ بِهِ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَنَّ اسْتِنَانًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَمَا عَدَا أَنْ فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَفَعَ يَدَهُ أَوْ إِصْبَعَهُ ثُمَّ قَالَ «فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى». ثَلاَثًا، ثُمَّ قَضَى، وَكَانَتْ تَقُولُ: مَاتَ بَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي. رواه البخاري (٤٤٣٨)

وجعل الوجع يشتد عليه والكرب يتغشاه.

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: وَاكَرْبَ أَبَتَاهُ، فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ»، فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهْ، مَنْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ، مَأْوَاهْ يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ، فَلَمَّا دُفِنَ، قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ. صحيح البخاري (٤٤٦٢)

وكان يجد ألم سم اليهودية الذي تناوله بخيبر، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ». أخرجه البزار (١١٥) والحاكم (٤٣٩٣) [١]

وكان بين يديه ركوة فيها ماء فيدخل يده في الماء ويمسح بها وجهه ويقول :«لا اله إلا الله إن للموت سكرات» ثم نصب يده فجعل يقول:«في الرفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يده وكان يقول:«اللَّهُمَّ اغفر لي واجعلني مع الرفيق الأعلى».

عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ - أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، يَشُكُّ عُمَرُ - فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ. صحيح البخاري (٦٥١٠)

وقبض عليه الصلاة والسلام ورأسه في حجر عائشة بين سحرها ونحرها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْأَلُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ،

---

(١)وهو في البخاري معلقاً(٦/٩) (٤٤٢٨)، وانظر: "تغليق التعليق" (١٦٢/٤)(٤٤٢٨).

يَقُولُ: «أَيْنَ أَنَا غَدًا، أَيْنَ أَنَا غَدًا» يُرِيدُ يَوْمَ عَائِشَةَ، فَأَذِنَ لَهُ أَزْوَاجُهُ يَكُونُ حَيْثُ شَاءَ، فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ حَتَّى مَاتَ عِنْدَهَا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَاتَ فِي اليَوْمِ الَّذِي كَانَ يَدُورُ عَلَيَّ فِيهِ، فِي بَيْتِي، فَقَبَضَهُ اللَّهُ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَبَيْنَ نَحْرِي وَسَحْرِي، وَخَالَطَ رِيقُهُ رِيقِي، ثُمَّ قَالَتْ: دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمَعَهُ سِوَاكٌ يَسْتَنُّ بِهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لَهُ: أَعْطِنِي هَذَا السِّوَاكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَأَعْطَانِيهِ، فَقَضِمْتُهُ، ثُمَّ مَضَغْتُهُ، فَأَعْطَيْتُهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَنَّ بِهِ، وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى صَدْرِي. متفق عليه [البخاري (٤٤٥٠) مسلم (٢٤٤٣)] [(١)].



(١) لمعرفة تفاصيل مرض ووفاة النبي صلى الله عليه وسلم انظر: "عيون الأثر" (٢/٤٠٥)، "الطبقات الكبرى" (٢/١٥٨)، "السيرة النبوية" لابن حبان (١/٣٩٧)، "دلائل النبوة" للبيهقي (٧/١٦١)، "إمتاع الأسماع" (١٤/٤٢٩)، "سبل الهدى والرشاد" (١٢/٢٢٧)، "شرح الزرقاني على المواهب اللدنية" (١٢/٧٠)، "اللؤلؤ المكنون" (٤/٥٨٣)، "البداية والنهاية" (٨/٦١).



ختام الأرجوزة

٩٩- وَتَمَّتِ الْأُرْجُوزَةُ الْمِيئِيَّهْ ... فِي ذِكْرِ حَالِ أَشْرَفِ الْبَرِيَّهْ

١٠٠- صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ رَبِّي وَعَلَى ... أَصِحَابِهِ وآلِهِ وَمَنْ تَلاَ

الشرح :

أي كملت الأرجوزة الميئية بمائة بيت في ذكر حال وسيرة أشرف البرية نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

«ومن تلا»: أي ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.





فهرس المحتويات